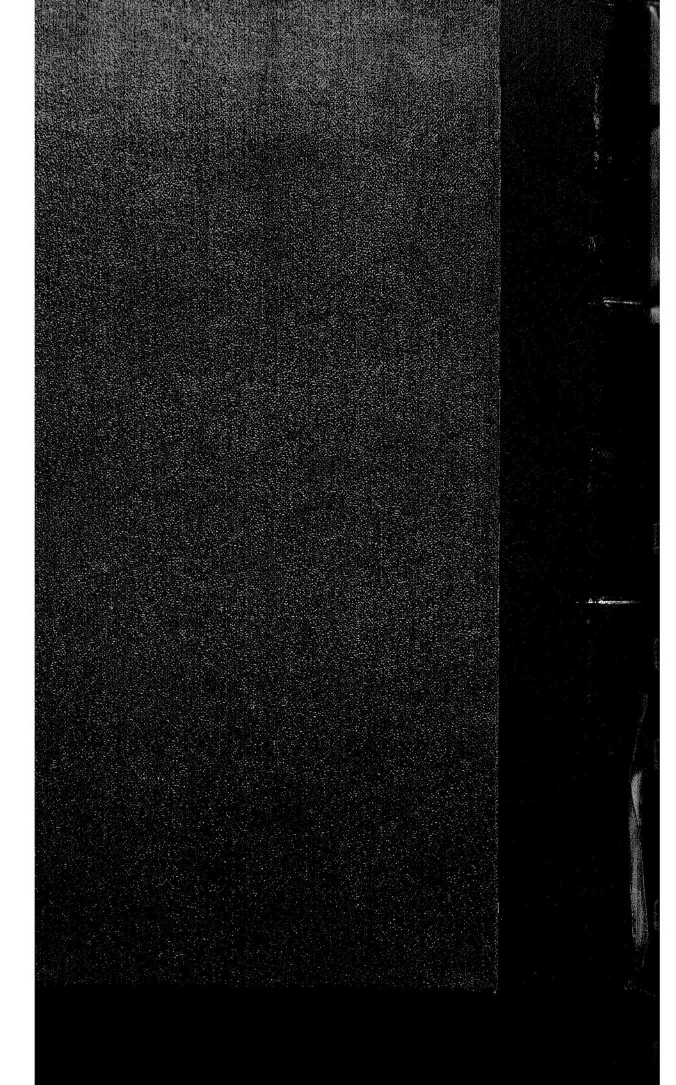
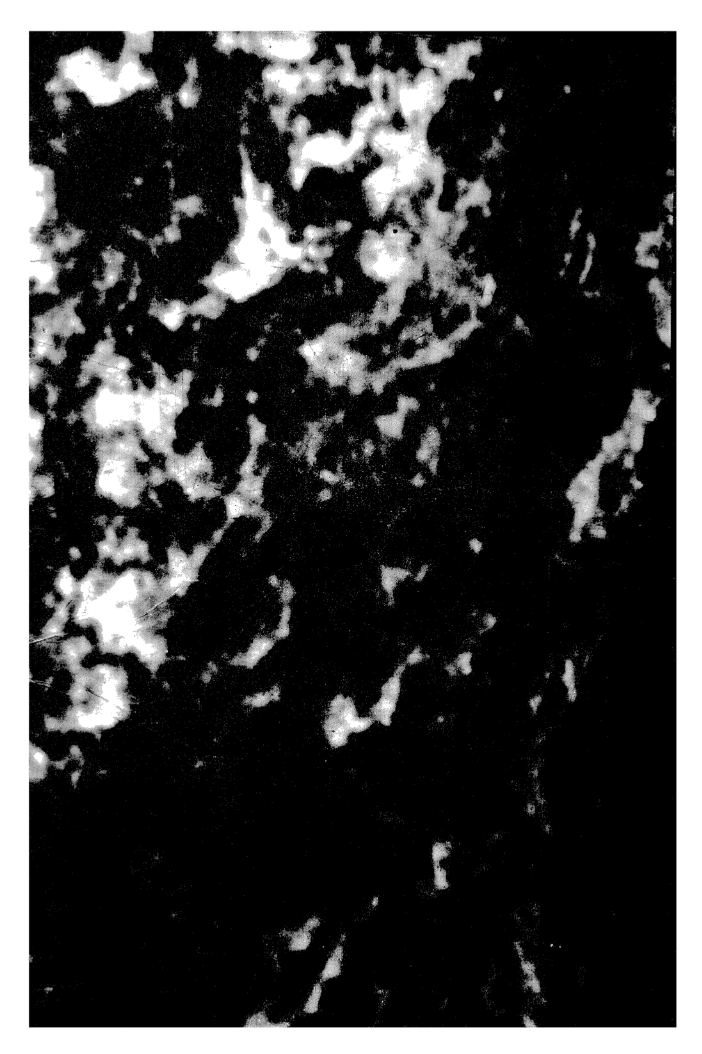






إهـــــــداء 2005

الأستاذ الدكتور / أحمد حمدي محمود

القاهرة

كتاب الشعب

إحياء علوم الدّين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الأول

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة ت ٣١٨١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله أوّلاً ، حمداً كثيراً متواليًا ، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين . وأصلي وأسلم على رسله ثانياً، صلاة تستغرق مع سيد البشر سائرَ المرسلين . وأستخيره تعالي ثالثاً فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين . وأنتدب لقطع تعجبك رابعًا أيها العاذل المتغالي فى العذل من بين زمرة الجاحدين، المسرف فى التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين

فلقد حلّ عن لسانى عقدة الصمت ، وطوقنى عهدة الكلام وقلادة النطق، ما أنت مثابر عليه من العمي عن جلية الحق ، مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل ، والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ، ومال ميلا يسيراً عن ملازمة الرسم ، إلي العمل بمقتضى العلم ؛ طمعاً فى نيل ما تعبده الله تعالي به من تزكية النفس وإصلاح القلب ؛ وتداركا لبعض مافرط من إضاعة العمر يأساً من تمام التلافى والجبر ، وانحيازاً عن غمار من قال فيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها . أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها ، وأعبده وأستعين به لعظام الأمور وعضالها . وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدركات وأهوالها . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

(وبعد) فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين فى سنة إحدى وخمسين «*» تعذر الوقوف على بعض أحاديثه ، فأخرت تبييضه الى سنة ستين ، فظفرت بكثير مما عزب عنى علمه ، ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه ، وأنا مع ذلك متباطئ فى إكماله غير متعرض لتركه وإهماله . إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه ، وتكرر السؤال من جماعة فى إكماله، فأجبت وبادرت إليه ، ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ، ليسهل تحصيله وحمله فى الأسفار . فاقتصرت فيه علي ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان

«*» أى بعد السبعمائة ، وكان رحمه الله إذ ذاك فى السابعة والعشرين من عمره. اه مصححه

صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه[1]: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِهِ »

ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجم الغفير ؛ بل شمل الجماهير ، من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر ، والجهل بأن الأمر إدّ ، والخطب جد ، والآخرة مقبلة، والدنيا مدبرة، والأجل قريب ، والسفر بعيد ، والزاد طفيف والخطر عظيم ، والطريق سد ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد ، وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد

فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ؛ وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان ، واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا ؛ فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفا، حتى ظل علم الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً . ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام ، عند تهاوش الطغام ؛ أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام؛ أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام ؛ إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام ، وشبكة للحطام

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح ، مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً

صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه ، فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة ، بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة ، وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول . والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول .

فان كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه اليه ، وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية الستة ، وحيث كان في أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح ، بأن يكون في كتاب التزم مخرجه الصحة ، أو يكون أقرب إلى لفظه في الاحياء . وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فان كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة ، وربما ذكرته فيه ثانياً وثالثا لغرض أو لذهول عن كونه تقدم ، وإن كرره في باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم ، وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه . وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه ، بل قد يكون بلفظه ، وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات . وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يغني عنه غالباً ، وربما لم أذكره .

وسميته « المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، في تخريج ما في الاحياء من الأخبار » جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، ووسيلة إلى النعيم المقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه : الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الايمان من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف

وحكمة، وعلما وضياء ونوراً، وهداية ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطويا؛ وصار نسياً منسياً

ولما كان هذا ثلما في الدين ملماً، وخطباً مدلهماً، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما، إحياءً لعلوم الدين، وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحا لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين

وقد أسسته على أربعة أرباع، وهي : ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات. وصدّرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم، لأكشف أولاً عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » وأميز فيه العلم النافع من الضار، إذ قال صلى الله عليه وسلم: « نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ »[2] وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب، وانخداعهم بلامع السراب، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب :

كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرءان، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس؛ وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن؛ وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد، والحسد

---

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم : ابن ماجه من حديث أنس وضعفه احمد والبيهقي وغيرهما

(٢) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع : ابن ماجه من حديث جابر باسناد حسن

وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر ، والعجب ، وكتاب ذم الغرور

وأما ربع المنجيات ، فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب التوبة ، وكتاب الصبر والشكر ، وكتاب الخوف والرجاء ، وكتاب الفقر والزهد ، وكتاب التوحيد والتوكل ، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ، وكتاب النية والصدق والإخلاص ، وكتاب المراقبة والمحاسبة ، وكتاب التفكر ، وكتاب ذكر الموت

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ، ودقائق سننها ، وأسرار معانيها ، مايضطر العالم العامل اليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لايطلع عليه . وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات

وأما ربع العادات ، فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ، وأغوارها ، ودقائق سننها ، وخفايا الورع فى مجاريها ، وهى مما لا يستغنى عنها متدين

وأما ربع المهلكات ، فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرءان بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه ، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ، ثم الآفات التى عليها تترتب ، ثم العلامات التي بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص . كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار

وأما ربع المنجيات ، فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين ، التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها ، وسببها الذى به تجتلب ، وثمرتها التى منها تستفاد ، وعلامتها التى بها تتعرف ، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب ، مع ماورد فيها من شواهد الشرع والعقل

ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتباً ، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : (الأول) حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه . (الثانى) ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه (الثالث) إيجاز ما طولوه وضبط ماقرروه . (الرابع) حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه (الخامس) تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا ، إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه ، أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب

أو لايسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف .فهذه خواص هذا الكتاب ، مع كونه حاوياً لجامع هذه العلوم

وإنما حملني علي تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران :

(أحدهما وهو الباعث الأصلي) : أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى ؛ لأن العلم الذى يُتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة ، وعلم المكاشفة ، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة فى إيداعها الكتب ، وإن كانت هى غاية مقصد الطالبين، ومطمح نظر الصديقين ،وعلم المعاملة طريق اليه ؛ ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا فى علم الطريق والارشاد اليه. وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال ، علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء

ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر ، أعنى العلم بأعمال الجوارح ، وإلى علم باطن، أعنى العلم بأعمال القلوب . والجارى على الجوارح إما عادة وإما عبادة ، والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم . فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين : ظاهر ، وباطن ، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود ، فكان المجموع أربعة أقسام ، ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام

(الباعث الثانى) : أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لايخاف الله سبحانه وتعالى ، المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلتـه فى المنافسات . وهو مرتب علي أربعة أرباع ، والمتزيى بزى المحبوب محبوب ، فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب . ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب ، فوضعه على هيئة تقويم النجوم ، موضوعا فى الجداول والرقوم ، وسماه تقويم الصحة ، ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة ، والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد ،أهم من التلطف فى اجتذابها إلى الطب الذى لا يفيد إلا صحة الجسد

فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح، المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد، فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد، وهي معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد؟ فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد، إنه كريم جواد.

كتاب العلم

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب

(الباب الأول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم . (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم ، وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين ، وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها ، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم . (الباب السادس) في آفات العلم والعلماء، والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . (الباب السابع) في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار

الباب الأول

فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدها من القرءان قوله عزوجل: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِمًا بِٱلْقِسْطِ) . فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه ، وثنّى بالملائكة ، وثلّث بأهل العلم . وناهيك بهذا شرفا وفضلا ، وجلاء ونبلا . وقال الله تعالى (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) . قال ابن عباس رضى الله عنهما: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام» . وقال عز وجل: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). وقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ) . وقال تعالى: (قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ) . وقال تعالى: (قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ) تنبيهاً على أنه اقتدر بقوة العلم . وقال عز وجل: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) بيّن أن عظم

قدر الآخرة يعلم بالعلم . وقال تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ) وقال تعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ردّ حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم ، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله

وقيل فى قوله تعالى(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ) يعنى العلم (وَرِيشًا) يعنى اليقين (وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ) يعنى الحياء

وقال عزوجل: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) . وقال تعالى:(فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ) . وقال عزوجل: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ) . وقال تعالى:(خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) . وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان

(وأما الأخبار) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ يُرِدِ ٱللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم(٢) « ٱلْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ » . ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال صلى الله عليه وسلم(٣) « يَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ » . وأيّ منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ، فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له . وقال صلى الله عليه وسلم(٤) « إِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَزِيدُ ٱلشَّرِيفَ شَرَفًا ، وَتَرْفَعُ ٱلْمَمْلُوكَ حَتَّى يُدْرِكَ مَدَارِكَ ٱلْمُلُوكِ » . وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى

وقال صلى الله عليه وسلم(٥) « خَصْلَتَانِ لَا يَكُونَانِ فِي مُنَافِقٍ : حُسْنُ سَمْتٍ ، وَفِقْهٌ فِي ٱلدِّينِ » . ولا تشكنّ فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان، فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته ،

﴿ كتاب العلم — الباب الأول ﴾

(١) حديث من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده : متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده . وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير

(٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء : أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبي الدرداء

(٣) حديث يستغفر للعالم مافى السموات وما فى الأرض : هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم

(٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا ـ الحديث: أبو نعيم فى الحلية وابن عبدالبر فى بيان العلم وعبد الغنى الأزدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف

(٥) حديث خصلتان لا تجتمعان فى منافق ـ الحديث: الترمذى من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب

وسيأتى معنى الفقه . وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا ، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم[١] « أَفْضَلُ النَّاسِ الْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ الَّذِي إِنِ احْتِيجَ إِلَيْهِ نَفَعَ ، وَإِنِ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ أَغْنَىٰ نَفْسَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ التَّقْوَىٰ وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهُ الْعِلْمُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ ، أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ فَدَلُّوا النَّاسَ عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهَادِ فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « لَمَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ » . وقال عليه الصلاة والسلام[٥] « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا » . وقال صلى الله عليه وسلم[٦] « يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ »

وقال صلى الله عليه وسلم[٧] « مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنَ السُّنَّةِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا إِلَيْهِمْ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٨] « مَنْ حَمَلَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا » . وقال صلى الله عليه وسلم[٩] « مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَا أَهَمَّهُ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » . وقال صلى الله

---

(١) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث : البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا

(٢) حديث الايمان عريان ـ الحديث : الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف

(٣) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ـ الحديث : أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

(٤) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم ـ الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبى الدرداء : وأصل الحديث عند أبي الدرداء

(٥) حديث الناس معادن ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ـ ابن عبد البر : من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

(٧) حديث من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ـ ابن عبد البر : فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه

(٨) حديث من حمل من أمتى أربعين حديثاً لقى الله يوم القيامة فقيها عالما ـ ابن عبد البر : من حديث أنس وضعفه

(٩) حديث من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ـ الحديث : الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف

عليه وسلم(١) « أَوْحَى ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِّي عَلِيمٌ أُحِبُّ كُلَّ عَلِيمٍ ». وقال صلى الله عليه وسلم(٢) «ٱلْعَالِمُ أَمِينُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فِي ٱلْأَرْضِ »

وقال صلى الله عليه وسلم(٣) « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحُوا صَلَحَ ٱلنَّاسُ ، وَإِذَا فَسَدُوا فَسَدَ ٱلنَّاسُ : ٱلْأُمَرَاءُ وَٱلْفُقَهَاءُ » . وقال عليه السلام(٤) « إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَاأَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يُقَرِّبُنِي إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ ». وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة(٥) « فَضْلُ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي ». فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة ، وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم، وإن كان العابد لايخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها، ولولاه لم تكن عبادة

وقال صلى الله عليه وسلم(٦) « فَضْلُ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ ٱلْكَوَاكِبِ » وقال صلى الله عليه وسلم(٧) « يَشْفَعُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : ٱلْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ ٱلْعُلَمَاءُ ثُمَّ ٱلشُّهَدَاءُ » فأعظم بمرتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ماورد فى فضل الشهادة . وقال صلى الله عليه وسلم(٨) « مَا عُبِدَ ٱللهُ تَعَالَى بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي ٱلدِّينِ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا ٱلدِّينِ ٱلْفِقْهُ » . وقال صلى الله عليه

---

(١) حديث أوحى الله إلى إبراهيم ياإبراهيم إنى عليم أحب كل عليم: ذكره ابن عبدالبر تعليقاً، ولم أظفر له باسناد

(٢) حديث العالم أمين الله فى الأرض : ابن عبدالبر من حديث معاذ بسند ضعيف

(٣) حديث صنفان من امتى إذا صلحوا اصلح الناس ـ الحديث: ابن عبدالبر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٤) حديث إذا أتي على يوم لا أزداد فيه علماً يقربنى الحديث : الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف

(٥) حديث فضل العالم علي العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى : الترمذى من حديث أبى أمامة وقال حسن صحيح

(٦) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب : أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان ، وهو قطعة من حديث أبى الدرداء المتقدم

(٧) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء : ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف

(٨) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقه فى دين ـ الحديث: الطبرانى فى الأوسط وأبو بكر الآجرى فى كتاب فضل العلم وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف ، وعند الترمذى و ابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف . فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد

وسلم(١) «خَيْرُ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، وَخَيْرُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ». وقال صلى الله عليه وسلم(٢) «فَضْلُ الْمُؤْمِنِ الْعَالِمِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعَابِدِ بِسَبْعِينَ دَرَجَةً». وقال صلى الله عليه وسلم(٣) «إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ قَلِيلٍ قُرَّاؤُهُ وَخُطَبَاؤُهُ قَلِيلٍ سَائِلُوهُ كَثِيرٍ مُعْطُوهُ، الْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْمِ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ مُعْطُوهُ كَثِيرٌ سَائِلُوهُ، الْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ». وقال صلى الله عليه وسلم(٤) «بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ مِائَةُ دَرَجَةٍ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْجَوَادِ الْمُضَمَّرِ سَبْعِينَ سَنَةً». و«قيل يارسول الله(٥) أيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فقال: الْعِلْمُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فقيل: أيُّ الْعِلْمِ تُرِيدُ؟ قال صلى الله عليه وسلم: الْعِلْمُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ، فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ يَنْفَعُ مَعَ الْعِلْمِ بِاللهِ، وَإِنَّ كَثِيرَ الْعَمَلِ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَهْلِ بِاللهِ». وقال صلى الله عليه وسلم(٦) «يَبْعَثُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَبْعَثُ الْعُلَمَاءَ ثُمَّ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِعِلْمِي بِكُمْ، وَلَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ، اذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». نسأل الله حسن الخاتمة

(وأما الآثار): فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكُمَيل: يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تَنقُصه

---

(١) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ـ ابن عبد البر: من حديث أنس بسند ضعيف، والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع باسناد جيد، والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٢) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة: ابن عدي من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف

(٣) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه: الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه. وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف

(٤) حديث بين العالم والعابد مائة درجة: الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال: سبعون درجة، بسند ضعيف. وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة

(٥) حديث قيل له يارسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال العلم بالله ـ الحديث: ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف

(٦) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ـ الحديث: الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

النفقة والعلم يزكو بالانفاق . وقال عليّ أيضاً رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، واذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لايسدها إلا خلف منه . وقال رضى الله تعالى عنه نظما:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدي لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود : ليس شيء أعزّ من العلم : الملوكُ حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك ، فاختار العلم ، فأعطى المال والملك معه . وسئل ابن المبارك مَن الناسُ ؟ فقال: العلماءُ ؛ قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد ، قيل فمن السِّفْلة ؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين . ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم . فالانسان إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه ، ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوي على السفاد منه ،بل لم يخلق إلا للعلم . وقال بعض العلماء : ليت شعري أيّ شيء أدرك مَن فاته العلم ، وأيّ شيء فاته مَن أدرك العلم !

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أُوتِيَ الْقُرْءانَ فَرَأَى أَنّ أَحداً أُوتِىَ خَيْراً مِنْهُ فَقَدْ حَقّرَ مَا عَظّمَ اللهُ تَعَالَى» . وقال فتح الموصلى رحمه الله : أليس المريض إذا منع الطعام والشراب يموت؟ قالوا بلى، قال : كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت . ولقد صدق ، فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض، وموته لازم ،ولكنه لايشعر به ،إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه ، كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعا ، فاذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه ، وتحسر تحسراً عظيما ثم لاينفعه ، وذلك كإحساس الآمن من خوفه ، والمفيق من سكره ، بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف ، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء ، فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا

وقال الحسن رحمه الله : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : عليكم بالعلم قبل أن يرفع ، ورفعه موتُ رواته ، فوالذي نفسى بيده ليودّن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم ، فان أحداً لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : تذاكُرُ العلم بعض ليلة أحب إلىّ من إحيائها . وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله . وقال الحسن فى قوله تعالى : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) : إن الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة ، وفى الآخرة هى الجنة . وقيل لبعض الحكماء : أىّ الأشياء تقتنى؟ قال : الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك ، يعنى العلم ، وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت . وقال بعضهم : من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ، ومن عُرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار

وقال الشافعى رحمة الله عليه : من شرف العلم أن كل من نسب اليه ولو فى شىء حقير فرح ، ومن رفع عنه حزن . وقال عمر رضى الله عنه : يأيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه ؛ فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه ؛ فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت . وقال الأحنف رحمه الله : كاد العلماء أن يكونوا أربابا ؛ وكل عز لم يوطَّد بعلم فإلى ذل مصيره . وقال سالم بن أبى الجعد : اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى ، فقلت بأى شىء أحترف ؟ فاحترفت بالعلم ، فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له

وقال الزبير بن أبى بكر : كتب إلىّ أبى بالعراق : عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا ؛ وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكي ذلك فى وصايا لقمان لابنه ؛ قال : يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ؛ فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء . وقال بعض الحكماء : إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ، ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله : العلم ذَكَر ولا يحبه إلا ذُكران الرجال

فضيلة التعلم

(أما الآيات) فقوله تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ). وقوله عز وجل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

(وأما الأخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم[١]: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ». وقال صلى الله عليه وسلم[٢]: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ». وقال صلى الله عليه وسلم[٣] «لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ». وقال صلى الله عليه وسلم[٤] «بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». وقال صلى الله عليه وسلم[٥] «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ» وقال صلى الله عليه وسلم «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ*» وقال عليه الصلاة والسلام[٦]: «الْعِلْمُ خَزَائِنُ مَفَاتِيحُهَا السُّؤَالُ؛ أَلَا فَاسْأَلُوا فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ فِيهِ أَرْبَعَةٌ: السَّائِلُ، وَالْعَالِمُ وَالْمُسْتَمِعُ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ». وقال صلى الله عليه وسلم[٧] «لَا يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى

---

(١) حديث من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ـ الحديث: مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع: أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال

(٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلى مائة ركعة: ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذاك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر

(٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا: ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد الله موقوفا على الحسن البصرى ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة، رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث أبى ذر

(٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين: ابن عدى والبيهقي فى المدخل والشعب من حديث أنس قال البيهقى متنه مشهور وأسانيده ضعيفة

(٦) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال ـ الحديث: رواه أبو نعيم من حديث على مرفوعا باسناد ضعيف

(٧) حديث لاينبغى للجاهل أن يسكت على جهله: الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف

(*) انظر تخريجه فى صفحة ٣ ج ١

جَهْلِهِ وَلَا لِلْعَالِمِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى عِلْمِهِ » . وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه[١] « حُضُورُ مَجْلِسِ عَالِمٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ ، وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ ، وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ » فقيل يارسول الله : ومن قراءة القرءان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « وَهَلْ يَنْفَعُ الْقُرْءَانُ إِلَّا بِالْعِلْمِ ؟ » وقال عليه الصلاة والسلام[٢] : « مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ »

(وأما الآثار) فقال ابن عباس رضى الله عنهما: ذللت طالبا فعززت مطلوبا . وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله : ما رأيت مثل ابن عباس : إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها ؛ وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا ؛ وإذا أفتى فأكثر الناس علما . وقال ابن المبارك رحمه الله : عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة ! وقال بعض الحكماء : إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ؛ ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إلىّ من قيام ليلة . وقال أيضا : العالم والمتعلم شريكان فى الخير ؛ وسائر الناس همج لاخير فيهم . وقال أيضا : كن عالما أومتعلما أومستمعا ، ولا تكن الرابع فتهلك

وقال عطاء : مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو . وقال عمر رضى الله عنه : موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهونُ من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه . وقال الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة . وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر، فجمعت الكتب لأصلى، فقال؛ ياهذا ماالذى قمت اليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : من رأى أن الغُدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله

فضيلة التعليم

(أما الآيات) فقوله عزوجل؛ (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) . والمراد هو التعليم والارشاد ، وقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ

(١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث: ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبى ذر

(٢) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم ـ الحديث : الدارمي وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن ، فقيل هو ابن على وقيل هو ابن يسار البصرى فيكون مرسلا

للنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) وهو إيجاب للتعليم . وقوله تعالى: (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهو تحريم للكتمان، كما قال تعالى فى الشهادة : (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) وقال صلى الله عليه وسلم [١] « مَا آتَى اللهُ عَالِمًا عِلْمًا إِلاَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِنَ الْمِيثَاقِ مَا أَخَذَ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوهُ » . وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا) . وقال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) . وقال تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)

(وأما الأخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن [٢] « لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ تَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ صِدِّيقًا » وقال عيسى صلى الله عليه وسلم: « مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا فى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْعَابِدِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ الْعُلَمَاءُ : بِفَضْلِ عِلْمِنَا تَعَبَّدُوا وَجَاهَدُوا ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْتُمْ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلَائِكَتِي، اشْفَعُوا تُشَفَّعُوا ، فَيَشْفَعُونَ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » . وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم ، لا العلم اللازم الذى لا يتعدى

وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ إِيَّاهُ وَلَكِنْ يَذْهَبُ بِذَهَابِ الْعُلَمَاءِ ، فَكُلَّمَا ذَهَبَ عَالِمٌ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ

---

(١) حديث ما آتى الله عالما علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ـ الحديث : أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفى الخلعيات نحوه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن : لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم : أحمد من حديث معاذ ، وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلى

(٣) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً: رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة ـ الحديث : أبو العباس الذهبي فى العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٥) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس ـ الحديث : متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ إِلاَّ رُؤُسَاء جُهَّالاً إِنْ سُئِلُوا أَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ ». وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ». وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « نِعْمَ العَطِيَّةُ وَنِعْمَ الهَدِيَّةُ كَلِمَةُ حِكْمَةٍ تَسْمَعُهَا فَتَطْوِي عَلَيْهَا ثُمَّ تَحْمِلُهَا إِلَى أَخٍ لَكَ مُسْلِمٍ تُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا تَعْدِلُ عِبَادَةَ سَنَةٍ ». وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَمَا وَالاَهُ أَوْ مُعَلِّمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا »

وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ فِي البَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ ». وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « مَا أَفَادَ المُسْلِمُ أَخَاهُ فَائِدَةً أَفْضَلَ مِنْ حَدِيثٍ حَسَنٍ بَلَغَهُ فَبَلَّغَهُ ». وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « كَلِمَةٌ مِنَ الخَيْرِ يَسْمَعُهَا المُؤْمِنُ فَيُعَلِّمُهَا وَيَعْمَلُ بِهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ ». وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه ، والثانى يعلّمون الناس، فقال: « أَمَّا هَؤُلاَءِ فَيَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ فَيُعَلِّمُونَ النَّاسَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا » ثم عدل اليهم وجلس معهم

---

(١) حديث من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار : أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذى حديث حسن

(٢) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها ـ الحديث : الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف

(٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها ـ الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذى حسن غريب

(٤) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير : الترمذى من حديث أبي أمامة وقال غريب وفى نسخة حسن صحيح

(٥) حديث ماأفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن ـ الحديث : ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ، ولأبى نعيم من حديث عبدالله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدي أوترده عن ردى

(٦) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها ـ الحديث : ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه ، وفى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف : كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة

(٧) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ـ الحديث : ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا بُقْعَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا بُقْعَةٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً » . فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه ، والثانى ذكره مثلا للنافع ، والثالث للمحروم منهما .

وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم (٤) : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْخَيْرِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : عَلَى خُلَفَائِي رَحْمَةُ اللهِ ، قيل : وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ ؟ قال : الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللهِ »

(وأما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه : من حدّث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : مُعلّم الناسِ الخيرَ يستغفر له كلُّ شيء حتى الحوتُ فى البحر . وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله و بين خلقه، فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان ، فقال : اكروا لى لأخرج من هذا البلد ، هذا بلد يموت فيه العلم ! وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضى الله عنه : دخلت على سعيد بن المسيّب وهو يبكى فقلت : مايبكيك ؟ قال : ليس أحد يسألنى عن شيء !

---

(١) حديث مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى موسى

(٢) حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة

(٣) حديث الدال على الخير كفاعله : الترمذى من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه عن أبى مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله

(٤) حديث لا حسد إلا فى اثنتين ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٥) حديث على خلفائى رحمة الله ـ الحديث : ابن عبدالبر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه

وقال بعضهم . العلماء سُرج الازمنة ، كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره.
وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدّ البهيمية الى حدّ الانسانية . وقال عِكْرِمة : إن لهذا العلم ثمناً . قيل : وما هو ؟ قال : أن تضعه فيمن يُحسن حملَه ولا يضيعه . وقال يحيىٰ بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم ؛ قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة .

وقيل : أول العلم الصمت ؛ ثم الاستماع ؛ ثم الحفظ ؛ ثم العمل ؛ ثم نشره . وقيل : علّم علمَك من يجهل ، وتعلَّم ممن يعلم ما تجهل ؛ فانك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت ، وحفظت ما علمت .

وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضاً مرفوعاً : (١) تعلَّموا العلم فان تعلُّمه لله خشيةٌ ، وطلبَه عبادة ، ومدارستَه تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمَه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدِّين ؛ والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الإخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة سادة هُداة يقتدَى بهم ، أدلة فى الخير تُقتَصُّ آثارهم وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى خُلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلَم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد ، وبه يوحد ، وبه يمجد ، وبه يتورّع ، وبه توصل الأرحام . وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، يُلهَمُه السعداء ، ويحرمه الأشقياء . نسأل الله تعالى حسن التوفيق

---

(١) حديث معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ــ الحديث بطوله : أبو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له اسناد قوى

فى الشواهد العقلية :

إعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم و نفاسته ، ومالم تفهَم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال ، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا وهو بعدُ لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها

والفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة ، فاذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال: فَضَله وله الفضل عليه، مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء ، كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة ، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل ، لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى ، وليست من الكمال فى شيء ، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه . فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلي سائر الأوصاف، كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات ، بل شدة العَدْو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الاطلاق ، والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الاطلاق من غير إضافة ، فانه وصف كمال الله سبحانه ، وبه شرف الملائكة والأنبياء ، بل الكيس من الخيل خير من البليد ، فهى فضيلة على الاطلاق من غير إضافة .

واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى مايطلب لغيره، وإلى مايطلب لذاته ، وإلى مايطلب لغيره ولذاته جميعا . فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره ، والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير، فانهما حجران لا منفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسّر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة . والذى يطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة ، ولذة النظر لوجه الله تعالى . والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ، ومطلوبة للمشي بها ، والتوصل الى المآرب والحاجات

وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلي العلم رأيته لذيذاً فى نفسه ، فيكون مطلوبا لذاته ، ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها ، وذريعة الى القرب من الله تعالى ، ولا يتوصل إليه إلا به . وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمي السعادة الأبدية ، وأفضل الأشياء ماهو وسيلة اليها ،

ولن يتوصل اليها إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل . فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم ، فهو إذن أفضل الأعمال ، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشىء أيضاً بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين ، والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى . هذا فى الآخرة

وأما فى الدنيا فالعز والوقار ، ونفوذ الحكم على الملوك ، ولزوم الاحترام فى الطباع ، حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها .

هذه فضيلة العلم مطلقاً . ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها

وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه ، فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل ، فكان تعليمه إفادة للأفضل . وبيانه : أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ، وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا ، لا لمن يتخذها مستقراً ووطنا ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين ، وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام :

(أحدها) أصول لا قوام للعالم دونها وهى أربعة : الزراعة وهى لِلْمَطْعَم ، والحياكة وهى للملبَس ، والبناء وهو للمسكن ، والسياسة وهى للتأليف والاجتماع ، والتعاونِ على أسباب المعيشة وضبطها .

(الثانى) ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحِدادة ، فانها تخدم الزراعة ، وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل ، فانها تخدم الحياكة بإعداد عملها

(الثالث) ماهى متممة للأصول ومزينة : كالطحن والخبز للزراعة ، وكالقصارة والخياطة للحياكة ، وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالاضافة الى جملته ، فانها ثلاثة أضرب أيضا : إما أصول كالقلب والكبد والدماغ ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين

وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ،

ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات . ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع .

والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهى العليا : سياسة الأنبياء عليهم السلام ، وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً فى ظاهرهم وباطنهم . والثانيـة : الخلفاء والملوك والسلاطين ، وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ، ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم . والثالثة : العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء ، وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ، ولا تنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع . والرابعة : الوعاظ ، وحكمهم على بواطن العوام فقط . فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة : إفادة العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة ، وهو المراد بالتعليم

وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات ، لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات الى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية ، إذ تدرك الحكمة بالعقل ، واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ؛ وإما بالنظر الى عموم النفع : كفضل الزراعة على الصياغة ؛ وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف: كفضل الصياغة على الدباغة ، إذ محل أحدهما الذهب ، ومحل الآخر جلد الميتة .

وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه ، إذ به تقبل أمانةُ الله ، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه

وأما عموم النفع فلا يستراب فيه، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة

وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم ، وأشرف موجود على الأرض جنس الانس ، وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه، والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عزّ وجل

فتعليم العلم من وجهٍ عبادةٌ لله تعالى، ومن وجه خلافة لله تعالى ، وهو من أجل خلافة الله،

فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلمَ الذى هو أخص صفاته ، فهو كالخازن لأنفس خزائنه ، ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج اليه . فأى رتبة أجلّ من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه و بين خلقه فى تقريبهم إلى الله زلفى ، وسياقتهم إلى جنة المأوى؟ جعلنا الله منهم بكرمه ! وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب الثانى

فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما ، وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذى هو فرض عين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ * »

واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم ، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، ولا نطيل بنقل التفصيل ، ولكن حاصله أن كل فريق نزّل الوجوب على العلم الذى هو بصدده ، فقال : المتكلمون: هو علم الكلام ، إذ به يدرك التوحيدُ ، ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته . وقال الفقهاء : هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحلّ ، وعَنَوْا به ما يحتاج إليه الآحاد ، دون الوقائع النادرة . وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها . وقال المتصوفة : المراد به هذا العلم : فقال بعضهم : هو علم العبد بحاله ، ومقامه من الله عز وجل ، وقال بعضهم : هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لَمَّة الملك من لمة الشيطان. وقال بعضهم : هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك ، وصرفوا اللفظ عن عمومه . وقال أبو طالب المكى : هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم [1] « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَاإِلَهَ إِلَّا اللهُ » إلى آخر الحديث ، لأن الواجب هذه الخمس ، فيجب العلم بكيفية العمل فيها ، وبكيفية الوجوب .

---

(١) حديث بنى الاسلام على خمس: متفق عليه من حديث ابن عمر * راجع تخريجه فى ص ١٥

والذى ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره ، وهو : أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلي علم معاملة وعلم مكاشفة ، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة

والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العملَ بها ثلاثة : اعتقاد ، وفعل ، وترك . فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا، فأول واجب عليه تعلّم كلمتى الشهادة وفهم معناهما، وهو قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . وليس يجب عليه أن يحصّل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة؛ بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس ، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان، إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، فاذا فعل ذلك فقد أدّى واجب الوقت ، وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمها ، وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت ، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له

وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض ، وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص ، بل يتصوّر الانفكاك عنها ، وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل ، وإما فى الترك ، وإما فى الاعتقاد .

أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره الى وقت الظهر ، فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة ، فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم ، فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه ، فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ، ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل ، فلا يجب قبل الزوال، وهكذا في بقية الصلوات .

فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم ، وهو يعلم أن وقته من الصبح الى

---

(١) حديث اكتفى رسول الله صلي الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل مشهور فى كتب السير والحديث ، فعندمسلم قصة ضمام بن ثعلبة

غروب الشمس ، وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع ، وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين .

فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه ، لزمه تعلم مايجب عليه من الزكاة ، ولكن لايلزمه فى الحال ، إنما يلزمه عندتمام الحول من وقت الاسلام ، فان لم يملك الا الابل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الابل ، وكذلك فى سائر الأصناف .

فاذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج ، مع أن فعله على التراخى ، فلا يكون تعلمه على الفور ، ولكن ينبغى لعلماء الاسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا ، حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة ، فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ، ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله ؛ فانّ فعلَ ذلك نفل ، فعلمه أيضا نفل ، فلا يكون تعلمه فرض عين . وفى تحريم السكوت على التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه ، وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين .

وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب مايتجدد من الحال ، وذلك يختلف بحال الشخص اذ لايجب على الأبكم تعلم مايحرم من الكلام ، ولا على الأعمى تعلم مايحرم من النظر ، ولا على البدوى تعلم مايحرم الجلوس فيه من المساكن ، فذلك أيضا واجب بحسب مايقتضيه الحال ، فما يعلم أنه ينفك عنه لايجب تعلمه ، وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه ، كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا الى غير ذى محرم ، فيجب تعريفه بذلك ، وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه ، حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه ، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه .

وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر ، فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم مايتوصل به الى إزالة الشك ، فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم ، وأنه مرئي ، وأنه ليس محلا للحوادث ، الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات ، فقد مات على الاسلام إجماعا . ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع ، وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد ،

فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع ، فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق ، فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه ، وربما عسر ذلك ، كما أنه لو كان هـذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا ، وجب عليه تعلم الحذر من الربا . وهذا هو الحق في العلم الذى هو فرض عين . ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب ؛ فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين

وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولَمَّة الملَك حق أيضا ، ولـكن فى حق من يتصدى له ؛ فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد، فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات مايرى نفسه محتاجا اليه ؛ وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١) « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » . ولا ينفك عنها بشر . وبقيـة ماسنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات ، وإزالتها فرض عين . ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ، ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها ، فان من لا يعرف الشر يقع فيه ، والعلاج هو مقابلة السبب بضده ، وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب ؟ وأكثر ماذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيـان ، وقد تركها النـاس كافة اشتغالا بما لا يعنى .

ومما ينبغى أن يبادر فى إلقائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة أخرى : الإيمان بالجنة والنار ، والحشر والنشر ، حتى يؤمن به ويصدق ، وهو من تتمة كلمتى الشهادة ، فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغى أن يفهم الرسالة التى هو مبلغها ، وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار . فاذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا ، وتحققت أن كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لا يخلو من وقائع فى عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه ، فيلزمه السؤال عن كل مايقع له من النوادر ، ويلزمه المبادرة الى تعلم مايتوقع وقوعه على القرب غالبا . فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرّف بالألف واللام فى قوله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فريضةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ »

---

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع ـ الحديث : البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف

علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لاغير . فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه ، والله أعلم

بيان العلم الذى هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لايتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم ، والعلومُ بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعيــة ، وأعنى بالشرعية مااستفيد من الأنبيـاء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل اليـه مثل الحساب ، ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة . فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والي ماهو مباح . فالمحمود مايرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب ، وذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية ، والى ماهو فضيلة وليس بفريضة

أما فرض الكفاية فهو كل علم لايستغني عنه فى قوام أمور الدنيا: كالطب، إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فانه ضرورى فى المعـاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهلُ البلد ، واذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين ، فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات: كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة ، فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم ، وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك ، فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله ، وأعد الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله

وأما مايعد فضيلة لافريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغني عنه ، ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج اليه

وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات ، وعلم الشعبذة والتلبيسات

وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها ، وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه

وأما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان ، فهى محمودة كلها ، ولكن قد يلتبس بها ما يظن

أنها شرعية وتكون مذمومة ؛ فتنقسم الي المحمودة والمذمومة أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدّمات ومتمات ، وهى أربعة أضرب :

الضرب الأول : الأصول ـ وهى أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . والاجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة ، فهو أصل فى الدرجة الثالثة ، وكذا الأثر ، فانه يدل على السنة ، لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل ، وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه ، وربما لاتحيط العبارات بما أدرك بالقرائن ، فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم ، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ، ولا يليق بيانه بهذا الفن

الضرب الثانى : الفروع ـ وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتي فهم من اللفظ الملفوظ به غيره ، كما فهم من قوله عليه السلام :[1] « لَا يَقْضِي الْقَاضِي وَهُوَ غَضْبَانُ » أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض . وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه ، والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة ، وما هو مرضى عند الله تعالى ، وما هو مكروه ، وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب ، أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين ، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها ، وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب

والضرب الثالث : المقدمات ـ وهي التى تجرى منه مجرى الآلات : كعلم اللغة والنحو ، فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع ، إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب ، وكل شريعة لاتظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة . ومن الآلات علم كتابة الخط ، إلا أن ذلك ليس ضروريا ، إذ كان رسول الله صلي الله عليه وسلم[2] أميًا . ولو تصور

---

(١) حديث لايقضي القاضى وهو غضبان : متفق عليه من حديث أبى بكرة

(٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً أى لايحسن الكتابة : ابن مردويه فى التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ، ولابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقى وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء : وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب

استقلال الحفظ بجميع مايسمع لاستغنى عن الكتابة ، ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا

الضرب الرابع : المتممات ـ وذلك فى علم القرءان ، فإنه ينقسم الى مايتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف ، والي مايتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل، إذ اللغة بمجردها لاتستقل به ، والى مايتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والنص والظاهر ، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض ، وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ، ويتناول السنة أيضا .

وأما المتممات فى الآثار والأخبار ، فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم ، وأسماء الصحابة وصفاتهم ، والعلمُ بالعدالة فى الرواة . والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى ، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند ، وكذلك مايتعلق به . فهذه هي العلوم الشرعية ، وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات .

فان قلت : لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعاماء الدنيا ؟ فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب ، وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق ، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومنها إلى الدنيا ، ثم إلى القبر ، ثم إلى العرض ، ثم إلى الجنة أو إلى النار ، فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم ، وهذه منازلهم . وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها مايصلح للتزود ، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ، ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات ، فمسّت الحاجة إلى سلطان يسوسهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به . فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات ، فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا . ولعمرى إنه متعلق أيضاً بالدين ، ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ، ولا يتم الدين إلا بالدنيا ، والملك والدين توأمان . فالدين أصل والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضائع ، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان ، وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه

وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى ، بل هو معين على مالا يتم الدين إلا به ، فكذلك معرفة طريق السياسة . فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس

من العرب فى الطريق ، ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان ، والقيام بالحراسة التى لايتم الحج إلا بها شيء ثالث ، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع . وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة . ويدل على ذلك ما روى مسنداً [1] «لاَ يُفْتِي النَّاسَ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ : أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ أَوْ مُتَكَلِّفٌ» . فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتين ، والمأمور نائبه ، والمتكلف غيرهما ، وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه ، وكانوا لايحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة . وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى ، فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال .

فان قلت : هذا إن استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام . فاعلم أن أقرب مايتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هى أعمال الآخرة ثلاثة : الاسلام ، والصلاة ، والزكاة ، والحلال والحرام . فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها ، علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة . وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر .

أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد ، وفى شروطه ، وليس يلتفت فيه إلا الى اللسان ، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال : [2] « هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ » للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف ، بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف ؛ مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ، ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ، ولكنه مشير على صاحب السيف ، فان السيف ممتد إلى رقبته ، واليد ممتدة إلى ماله ، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادامت له رقبة ومال ، وذلك فى الدنيا ، ولذلك

(١) حديث لايفتى الناس إلا ثلاثة ــ الحديث : ابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ : لايقص على الناس ، وإسناده حسن

(٢) حديث هلا شققت عن قلبه : مسلم من حديث أسامة بن زيد

قال صلى الله عليه وسلم :[١] « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » جعل أثر ذلك في الدم والمال . وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال ، بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها ؛ وليس ذلك من فن الفقه ، وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه

وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة اذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها الى آخرها ، مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الاسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يفتي بالصحة ، أي أن مافعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير . فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ، ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه

وأما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان حتي اذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة ، فحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه الله ، فقال : ذلك من فقهه ، وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ؛ ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية ، ومثل هذا هو العلم الضار

وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ، ولكن الورع له أربع مراتب :

الأولى ـ الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة ، وهو الذي يخرج بتركه الانسانُ عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية ، وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر

الثانية ـ ورع الصالحين ، وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات ، قال صلى الله عليه وسلم :[٢] « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٣] « الْإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ »

---

(١) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر وابن عمر

(٢) حديث دع مايريبك إلى مالا يريبك : الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي

(٣) حديث الاثم حزاز القلوب : البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العدني في مسنده موقوفا عليه

الثالثة ـ ورع المتقين ، وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه الى الحرام ؛ قال صلى الله عليه وسلم [١] « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَالَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةً مِمَّا بِهِ بَأْسٌ » وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة ، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجات النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات

الرابعة ـ ورع الصديقين ، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل ؛ وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام

فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه ، إلا الدرجة الأولى ، وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة ، والقيام بذلك لا ينفي الاثم فى الآخرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « لِوَابِصَةَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ » . والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها ، بل فيما يقدح فى العدالة فقط ، فاذاً جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة ، فان تكلم فى شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل ، كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام ، وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام فى علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة . كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل به ، فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف؟ ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون ، وإنما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات ، والشرف هو تلك الأعمال

فان قلت : لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد ، وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين ، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق ، وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة اوجه : (أحدها) أنه علم شرعي

---

(١) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتي يدع مالا بأس به ـ الحديث : الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى

(٢) حديث استفت قلبك وإن أفتوك : أحمد من حديث وابصة

إذ هو مستفاد من النبوة ، بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع . و(الثانى) أنه لايستغني عنه أحد من سالكى طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولاالمريض؛ وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون . و(الثالث) أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر فى أعمال الجوارح، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب ، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة ، والمذموم يصدر من المذموم، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب. وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء فى المزاج والأخلاط ، وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب ، فمهما أضيف الفقه إلي الطب ظهر شرفه ، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم طريق الآخرة

فإن قلت : فَصِّل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله ، فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة .

فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة . وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشىء من هذا العلم : بدعة أو كبر . وقيل : من كان محباً للدنيا أو مصرًّا على هوى لم يتحقق به ؛ وقد يتحقق بسائر العلوم ، وأقل عقوبة من ينكره أنه لايذوق منه شيئا ؛ وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين ؛ أعنى علم المكاشفة . فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ؛ وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة ؛ فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات ، وبأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ، وبمعنى الوحى ومعنى الشيطان ، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين ، وكيفية معاداة الشياطين للانسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحى اليهم ، والمعرفة بملكوت السموات والأرض ، ومعرفة القلب ، وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين لَمَّة الملك ولمة الشيطان ، ومعرفة الآخرة والجنة والنار ، وعذاب القبر ، والصراط ، والميزان والحساب ، ومعنى قوله تعالى :

(اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) ومعنى قوله تعالى : (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ، ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء ، إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ، إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى ، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء . وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها ، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وبعضهم يدعى أمورا عظيمة فى المعرفة بالله عزّ وجل . وبعضهم يقول: حدّ معرفة الله عزّ وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام، وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم . فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لايشك فيه . وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا ، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة العلمَ بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات ، والاقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم فى جميع أحوالهم ، فبقدر ماينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه، ولا سبيل اليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها ، وبالعلم والتعليم . وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه ، على سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار . وهذا هو العلم الخفي الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله : (١) « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَايَعْلَمُهُ إِلاَّ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعَالَى، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يَجْهَلْهُ إِلاَّ أَهْلُ الاغْتِرَارِ بِاللهِ تَعَالَى، فَلَا تُحَقِّرُوا عَالِماً آتَاهُ اللهُ تَعَالَى عِلْماً مِنْهُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحَقِّرْهُ إِذْ آتَاهُ إِيَّاهُ »

---

(١) حديث من العلم كهيئة المكنون ـ الحديث : أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوف من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف .

وأما القسم الثانى وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب .

أما مايحمد منها فكالصبر والشكر ، والخوف والرجاء ، والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ، ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الأحوال ، والاحسان وحسن الظن ، وحسن الخلق وحسن المعاشرة ، والصدق والاخلاص . فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب ، وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى ، وما زال حتى يعود ، من علم الآخرة

وأما مايذم فخوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل والحقد ، والحسد والغش ، وطلب العلو وحب الثناء ، وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع ، والكبر والرياء ، والغضب والأنفة ، والعداوة والبغضاء ، والطمع والبخل ، والرغبة والبذخ ، والأشر والبطر ، وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء ، والفخر والخيلاء والتنافس ، والمباهاة ، والاستكبار عن الحق والخوض فيما لايعنى ، وحب كثرة الكلام ، والصلف والتزين للخلق ، والمداهنة والعجب ، والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس ، وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية منه ، وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل ، وضعف الانتصار للحق ، واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر ، والأمن من مكر الله سبحانه فى سلب ماأعطى ، والاتكال على الطاعة ، والمكر والخيانة والمخادعة ، وطول الأمل والقسوة والفظاظة ، والفرح بالدنيا والأسف على فواتها ، والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم ، والجفاء والطيش والعجلة ، وقلة الحياء وقلة الرحمة . فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ، ومنابت الأعمال المحظورة .

وأضدادها وهى الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات ؛ فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة ، وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة . فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة ؛ كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا . فنظر الفقهاء فى فروض العين ، بالاضافة الى صلاح الدنيا ؛ وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه ، مع أنه فرض عينه الذي فى اهماله هلاكه فى الآخرة . ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك

مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شىء منها ، وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا ، وفى حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين، وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ، ويلبّس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه ، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر فى فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين ، بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به، ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع .

فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة ، وإهمال مالا قائم به ؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء ، هيهات هيهات ! قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء ، فالله تعالى المستعان ، واليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ، ويضحك الشيطان !

وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب ، كان الامام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله كيف يفعل كذا وكذا ؛ فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوى؟ فيقول : إن هذا وفق لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه . وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] لما قيل له : كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: « سَلُوا الصَّالِحِينَ وَاجْعَلُوهُ شُورَى بَيْنَهُمْ » . ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك؛ وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت . وقال الجنيد رحمه الله: قال لى السرى شيخى يوما : اذا قمت من عندى فمن تجالس ؟ قلت المحاسبى فقال : نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على المتكلمين ، ثم لما

---

(١) حديث قيل له كيف نفعل اذا جاء أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله ـ الحديث : الطبرانى من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور

وليت سمعته يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفيا ، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث . أشار إلى أن من حصّل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه .

فان قلت : فلم لم تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان ؟ فاعلم أن حاصل مايشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرءان والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها، وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها تُرَّهات وهذيانات تزدريها الطباع، وتمجها الأسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شىء منه مألوفا فى العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرءان والسنة ، ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا ، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه ، بل صار من فروض الكفايات ، وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة ، وذلك إلى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا ، إن شاء الله تعالى .

وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هى أربعة آجزاء :

(أحدها) الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق، ولا يُمنع عنهما إلا من يُخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة، فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع ، فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما، كما يصان الصبي عن شاطىء النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر ، وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه، مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم .

(الثانى) المنطق، وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحد وشروطه، وهما داخلان فى علم الكلام

و(الثالث) الإلهيات ، وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ، وهو داخل فى الكلام أيضاً . والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم ، بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة . وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين ، وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ، فكذلك الفلاسفة

و(الرابع) الطبيعيات، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورَد

فى أقسام العلوم ، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها ، وهو شبيه بنظر الأطباء ، إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح ، وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك . ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه ، وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة اليها . فاذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع ، كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ، فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ماعهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم . .

فليعلم المتكلم حدّه من الدين ، وأن موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج ، فاذا تجرّد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج ، والمتكلم اذا تجرّد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا ، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام ، وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان ، وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة ، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا اليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام ، بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه ، وإنما الوصول اليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى : (وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ)

فان قلت : فقد رددت حدّ المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ، كما أن حدّ البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ، ورددت حدّ الفقيه إلى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شرّ بعض أهل العدوان عن بعض ، وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة إلى علم الدين ، وعلماء الأمّة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون ، وهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالاضافة إلى علم الدين ؟

فاعلم أن من عرف الحقّ بالرجال ، حار فى متاهات الضلال ، فاعرف الحقّ تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق ، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى مااشتهر من درجات الفضل بين

الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم ، فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم ، وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ، ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه ، بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها . وما فضل أبو بكر[1] رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر فى صدره ، كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . فليكن حرصك فى طلب ذلك السر ، فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ، ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها ، فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد ، إلا بضعة عشر رجلا . ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم ، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه . إشارة الى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة . ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم ، فقيل له : أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ؟ فقال : لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى ؛ أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل ؟ فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره ؟ وهو الذى سد باب الكلام والجدل ، وضرب ضبيعا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله ، وهجره وأمر الناس بهجره .

وأما قولك : إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون ، فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء ، وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر ، فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة ، وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه . وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة ، وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته ؛ وبقصده التقرب إلى الله عز وجل فى ولايته ، وعدله وشفقته على خلقه ، وهو أمر باطن فى سره . فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة ، فتكون الشهرة فيما هو المهلك ، والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد . فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء ،

---

(١) حديث ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ـ الحديث : الترمذى الحكيم فى النوادر من قول أبى بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا

وقد انقسموا : فنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ، ولم يطلب به رياء ولا سمعة ، فأولئك أهل رضوان الله تعالى ، وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ، ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم ، فان كل علم عمل ، فانه فعل مكتسب ، وليس كل عمل علماً ، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثابا ، لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين ، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عزّ وجل بعلمه

وأقسام مايتقرب به الى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ، ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة ، فانّ صاحبه من العلماء والعمال جميعا . فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله ، أو عمال الله تعالى ، أو فى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما ؛ فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل:

خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به * فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ماتعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم ، وأنهم من أشدّ خصمائهم يوم القيامة ، فانهم ماقصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى؛ وقد شوهد من أحوالهم ماهو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة ، فانهم ما كانوا متجرّدين لعلم الفقه ، بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ماصرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى ، والصوارف والدواعى متيقنة ، ولا حاجة الى ذكرها

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الاسلام ماتعلم به أن ماذكرناه ليس طعنا فيهم ، بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم .

فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق، أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب ، خمسة : الشافعى، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، وأبوحنيفة ، وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى . وكل واحد منهم كان عابدا ، وزاهدا ، وعالما بعلوم الآخرة ، وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا، ومريدا بفقهه وجه الله تعالى . فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة ، وهى التشمير والمبالغة

فى تفاريع الفقه ، لأن الخصال الأربع لاتصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ، إن أريد بها الآخرة قلّ صلاحها للدنيا، شمروا لها وادّعوا بها مشابهة أولئك الأئمة ، وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدّادين

فلنورد الآن من أحوالهم مايدل على هذه الخصال الأربع ، فان معرفتهم بالفقه ظاهرة :

أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلثاً للعلم ، وثلثا للعبادة ، وثلثا للنوم . قال الربيع :كان الشافعى رحمه الله يختم القرءان فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة . وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرءان فى رمضان فى كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسى : بتُّ مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فاذا أكثر فمائة آية ، وكان لايمرّ بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ، ولا يمرّ بآية عذاب إلا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين ؛ وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا . فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرءان وتدبره فيها . وقال الشافعى رحمه الله: ماشبعت منذ ست عشرة سنة ، لأن الشبع يثقل البدن ، ويقسى القلب، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة . فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع ، ثم فى جدّه فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ، ورأس التعبد تقليل الطعام . وقال الشافعى رحمه الله : ماحلفت بالله تعالى لاصادقا ولا كاذبا قط . فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ، ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه

وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسألة فسكت ، فقيل له : ألا تجيب رحمك الله ! فقال : حتى أدرى الفضل فى سكوتى أوفى جوابى . فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشدّ الأعضاء تسلطا على الفقهاء ، وأعصاها عن الضبط والقهر . وبه يستبين أنه كان لايتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيي بن الوزير : خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعى الينا وقال : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فان المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ، ولو ردّت كلمة السفيه لسعد رادّها كما شقى بها قائلها . وقال الشافعى رضى الله عنه : كتب حكيم إلى حكيم : قد

أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم

وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله : من ادّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب . وقال الحميدى : خرج الشافعى رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم ، فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه ، فما برح من موضعه ذلك حتى فرّقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ، ورأس الزهد السخاء ، لأن من أحبّ شيئا أمسكه ولم يفارقه ، فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه ، وهو معنى الزهد .

ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة مارُوى أنه رَوى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى ، فقيل له : قد مات . فقال : إن مات فقد مات أفضل زمانه . وما رَوى عبد الله بن محمد البلوى قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العبّاد والزهاد ، فقال لى عمر : مارأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه : خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا ، وكان الحارث تلميذا لصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت ، فقرأ هذه الآية : (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه ، واقشعر جلده ، واضطرب اضطرابا شديدا ، وخرّ مغشيا عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لك رقاب المشتاقين ، إلهى هب لى جودك وجَلّلنى بسترك ، واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ! قال ثم مشى وانصرفنا ، فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى : ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة . فالتفتّ فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره ، فالتفت إلىّ فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت : نعم تعلمنى مما علمك الله شيئا . فقال لي : اعلم أن من صَدَق الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا ، أفلا أزيدك ؟ قلت نعم . قال : من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر ، ونهى عن المنكر وانتهى ، وحافظ

على حدود الله تعالي . ألا أزيدك ؟ قلت : بلى . فقال : كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا ، واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين . ثم مضى ، فسألت من هذا ؟ فقالوا : هو الشافعى . فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ، ثم إلى وعظه ، كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ؛ ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل، فانه (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ) . ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السَّلَم والاجارة وسائر كتب الفقه ؛ بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار ؛ إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما .

وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه : روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب ، وفى أى ثواب ترغب ، ومن أى عقاب ترهب ، وأى عافية تشكر ، وأى بلاء تذكر ، فانك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك . فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعى رضى الله عنه : من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله : من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سرّه . وقال : ما من أحد إلا له محب ومبغض ، فاذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا ، وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع ، والشافعى رحمه الله يُقبل عليه لورعه

وقال للشافعى يوما : أيها أفضل : الصبر ، أو المحنة ، أو التمكين ؟ فقال الشافعى رحمه الله : التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة ، فاذا امتحن صبر ، وإذا صبر مكن ، ألا تري أن الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكّنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكّنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا ؟ والتمكين أفضل الدرجات ، قال الله عز وجل : (وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ) وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكّن ، قال الله تعالي : (وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) الآية ، فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن ، واطلاعه على مقامات

السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، وكل ذلك من علوم الآخرة

وقيل للشافعى رحمه الله : متى يكون الرجل عالما ؟ قال : إذا تحقق فى علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته ، فعند ذلك يكون عالما ، فانه قيل لجالينوس : إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة ، فقال : إنما المقصود منها واحد ، وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الإفراد قاتل . فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة .

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى ، فيدل عليه ماروى عنه انه قال : وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلى شيء منه . فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له ، وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه ، مجرد النية فيه لوجه الله تعالى ! وقال الشافعى رضى الله عنه : ماناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطىء . وقال : ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ، وما كلمت أحدا قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه . وقال : ماأوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته . فهذه العلامات هي التى تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة . فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ، ثم كيف خالفوه فيها أيضا ! ولهذا قال أبو ثور رحمه الله : مارأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعى رحمه الله تعالى .

وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى رحمه الله تعالى . فانظر إلى إنصاف الداعى ، وإلى درجة المدعو له، وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء . ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟ فقال احمد : يابنى كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس . فانظر هل لهذين من خلف ؟ وكان أحمد رحمه الله يقول : مامس أحد بيده محبرة إلا وللشافعى رحمه الله فى عنقه منة .

وقال يحيى بن سعيد القطان: ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ، ووفقه للسداد فيه .

ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله ، فان ذلك خارج عن الحصر . وأكثرهذه المناقب تقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى رضى الله عنه وعن جميع المسلمين .

وأما الامام مالك رضى الله عنه فإنه كان أيضاً متحليا بهذه الخصال الخمس، فإنه قيل له: ماتقول يامالك فى طلب العلم ؟ فقال : حسن جميل ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه . وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغا، حتى كان اذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدّث . فقيل له في ذلك ، فقال : أحبّ أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية . وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوّة معرفته بجلال الله تعالى .

وأما إرادته وجهَ الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : « الجدال فى الدين ليس بشىء » . ويدل عليه قول الشافعى رحمه الله : إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لاأدرى . ومن يرد غير وجه الله تعالي بعامه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لايدرى . ولذلك قال الشافعي رضى الله عنه : إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما أحد أمنّ عليّ من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المسكره ثم دسّ عليه من يسأله، فروى على ملأ من الناس : « ليس على مستكره طلاق » فضربه بالسياط ، ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله : ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف .

وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ماروى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له : هل لك من دار ؟ فقال لا ولكن أحدّثك : سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول : نسب المرء داره . وسأله الرشيد : هل لك دار ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا ، فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله : ينبغى أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرءان ، فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم

« اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ » [(١)]: وأما الخروج معك فلا سبيل اليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[(٢)] « الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » وقال عليه الصلاة والسلام :[(٣)] « الْمَدِينَةُ تَنْفِي خَبَثَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها . يعنى أنك إنما تكلفنى مفارقة المدينة لما اصطنعته إلىّ، فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهكذا كان زهد مالك فى الدنيا . ولما حملت اليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها فى وجوه الخير ،ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا ، وليس الزهد فقد المال ، وإنما الزهد فراغ القلب عنه . ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد . ويدل على احتقاره للدنيا ماروى عن الشافعى رحمه الله أنه قال : رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان و يقال مصر مارأيت أحسن منه، فقلت لمالك رحمه الله : ماأحسنه ! فقال: هو هدية منى اليك ياأباعبدالله ، فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال إنى أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبىّ الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة . فانظر إلى سخائه إذوهب جميع ذلك دفعة واحدة ، وإلى توقيره لتربة المدينة

ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ماروى عنه أنه قال : دخلت على هرون الرشيد فقال لى : ياأبا عبدالله ينبغى أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ . قال فقلت: أعز الله مولانا الأمير: إن هذا العلم منكم خرج ،فان أنتم أعززتموه عزّ ، وإن أنتم أذللتموه ذلّ، والعلم يؤتى ولا يأتى . فقال صدقت ، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس

وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى لقد كان أيضا عابدا ، زاهدا ، عارفا بالله تعالى ، خائفا منه، مريدا وجه الله تعالى بعلمه

فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيى الليل كله . وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمر يوما فى طريق فأشار اليه إنسان وهو يمشى ، فقال لآخر : هذا هو الذى يحيى الليل

---

(١) حديث اختلاف أمتى رحمة : ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده فى المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابى لكم رحمة ، وإسناده ضعيف

(٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون : متفق عليه من حديث سفيان بن أبى زهير

(٣) حديث المدينة تنفى خبثها ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

كله ، فلم يزل بعدذلك يحي الليل كله ؛ وقال أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فيّ من عبادته

وأما زهـده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال : أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه ، فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى . فضربه عشرين سوطا . فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم بن هشام الثقفي : حدثت بالشام حديثاً في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة ، وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذُكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففرّ منها ! وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة : قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم ، قال : فما رضي أبو حنيفة، قال: فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتي بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشي بثوبه فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه، فقال بعض من حضر: مايكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة ، أى هذه عادته ، فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت،ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته ؛ وقال لابنه : إذامت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له : خذ وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه : ففعلت ذلك ، فقال الحسن : رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال: أنا لاأصلح لهذا ، فقيل له : لم ؟ فقال: إن كنت صادقا فما أصلح لها ، وإن كنت كاذباً فالكاذب لايصلح للقضاء .

وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عزّ وجل ، فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا . وقد قال ابن جريج : قد بلغني عن كوفيّكم هذا النعمان ابن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي :كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر ، قليل المحادثة للناس . فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني، والاشتغال بمهمات الدين ، فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله . فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة

وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء، وسفيان أقلّ أتباعا من أحمد ، ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر . وجميع هذا الكتاب

مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما ، فلا حاجة إلى التفصيل الآن ، فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة . وتأمّل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه ، من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعان ، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه ؟ وانظر إلى الذين ادّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا ؟

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها ، وفيه بيان الوجه الذي قد يكون بين بعض العلوم مذموماً ، وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة ، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول : العلم هو معرفة الشيء على ماهو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما ؟ فاعلم أن العلم لايذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة :

الأول ـ أن يكون مؤدّيا إلى ضرر مّا إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات ، وهو حقّ ، إذ شهد القرآن له ، وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين . وقد «سُحر[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك ، وأُخرج السحرُ من تحت حَجَر في قعر بئر » وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ، ويرصد

﴿ الباب الثالث ﴾

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم : متفق عليه من حديث عائشة

به وقت مخصوص من المطالع ، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ، ويحصل من مجموع ذلك ، بحكم إجراء الله تعالى العادة ، أحوال غريبة فى الشخص المسحور . ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ، ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق ، والوسيلة إلى الشرّ شرّ ، فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما ، بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه ، بل وجب الكذب فيه ، وذكر موضعه إرشاد وإفادةُ علم بالشىء على ماهو عليه ، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر

الثانى ـ أن يكون مضراً بصاحبه فى غالب الأمر كعلم النجوم ، فانه فى نفسه غير مذموم لذاته ، إذ هو قسمان : قسم حسابى ، وقد نطق القرءان بأن مسير الشمس والقمر محسوب ، إذ قال عزّ وجل: (ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) وقال عزّ وجل : (وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ) . والثانى الأحكام ، وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب ، وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ماسيحدث من المرض، وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ، ولكن قد ذمّه الشرع ، قال صلى الله عليه وسلم [١] « إِذَا ذُكِرَ ٱلْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَتِ ٱلنُّجُومُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا» . وقال صلى الله عليه وسلم [٢] «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي ثَلَاثًا : حَيْفُ ٱلْأَئِمَّةِ ، وَٱلْإِيمَانُ بِٱلنُّجُومِ ، وَٱلتَّكْذِيبُ بِٱلْقَدَرِ » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تعلموا من النجوم ماتهتدون به فى البرّ والبحر ثم أمسكوا . وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه مضر بأكثر الخلق ، فانه إذا ألقي اليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة ، وأنها الآلهة المدبرة ، لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها فى القلوب ، فيبقى القلب ملتفتا اليها ، ويرى الخير والشرّ محذورا أو مرجوّا من جهتها ، وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب . فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى . ومثال نظر الضعيف الى

---

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا ـ الحديث : رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(٢) حديث أخاف على أمتي بعدى ثلاثا حيف الأئمة ـ الحديث : ابن عبد البر من حديث أبى محجن باسناد ضعيف

حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد، فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع، ثم منها إلى اليد، ثم منها إلى الارادة المحركة لليد، ثم منها إلى الكاتب القادر المريد، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة، فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة، مقطوع من الترقي إلى مسبب الأسباب. فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم. و (ثانيها) أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا، فالحكم به حكم بجهل، فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم، فلقد كان ذلك معجزة لأدريس عليه السلام فيما يحكي، وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق، لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها، فان اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ، ويكون ذلك كتخمين الانسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك، وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم، وربما يكون بخلافه، ومجرد الغيم ليس كافيا فى مجيء المطر، وبقية الأسباب لا تدرى، وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة فى الرياح، ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها، فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطيء، ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا. و (ثالثها) أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض فى فضول لا يغنى، وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الانسان فى غير فائدة، وذلك غاية الخسران، فقد «مرَّ[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال: ماهذا؟ فقالوا: رجل علامة، فقال بماذا؟ قالوا بالشعر وأنساب العرب، فقال: عِلْمٌ لَايَنْفَعُ وَجَهْلٌ لَا يَضُرُّ». وقال صلى الله عليه وسلم[1] «إِنَّمَا الْعِلْمُ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ». فاذاً الخوض فى النجوم وما يشبهه اقتحام خطر، وخوض فى جهالة من غير فائدة، فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن، بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه، وأكثر أدلته بما يطلع عليه،

(١) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ماهذا فقالوا رجل علامة ـ الحديث: ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه وفى آخر الحديث «إنما العلم آية محكمة» الى آخره، وهذه القطعة عند أبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو.

وبخلاف التعبير وإن كان تخمينا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه

السبب الثالث ـ الخوض فى علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم ، فهو مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها، وكالبحث عن الأسرار الإلهية ، إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ، ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء ، فيجب كف الناس عن البحث عنها ، وردهم إلى ما نطق به الشرع ، ففى ذلك مقنع للموفق ، فكم من شخص خاض فى العلوم واستضر بها ، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار اليه . ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع ، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور ، فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال : لا حاجة لك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه ، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها ؛ وأخرجت أموالها وفرقتها ؛ وأوصت ، وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة ؛ فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له لم تمت ؛ فقال الطبيب : قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد . فقال : كيف ذاك ؟ قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت ؛ فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة . فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم . ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (١) « نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » . فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ، ولازم الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم ، واقتصر على اتباع السنة ، فالسلامة فى الاتباع ، والخطر فى البحث عن الأشياء والاستقلال ، ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك، ودليلك وبرهانك ، وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ماهى عليه ، فأى ضرر فى التفكر فى العلم، فان ما يعود عليك من ضرره أكثر ، وكم من شىء تطّلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك فى الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته

واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لا يعرفها ، فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية ، فلا تتحكم على سنتهم بمعقولك

---

(١) حديث نعوذ بالله من علم لاينفع : ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا . وقد تقدم .

فتهلك ، فكم من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن ، فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن ، فهكذا الأمر فى طريق الآخرة ، وفى دقائق سنن الشرع وآدابه . وفى عقائده التى تعبّد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوته الإحاطة بها ، كما أن فى خواص الأحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها ، حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد . فالعجائب والغرائب فى العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله ، أكثر وأعظم مما فى الأدوية والعقاقير . وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن إدراك ماينفع فى حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة اليها ، وإنما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى ، وعن الأعمال المبعدة عنه ، وكذا عن العقائد ، وذلك مما لا يطمع فيه ، فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويفهمك موارد إشاراته ، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ، ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلًا ، وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيًّا » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى الإضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم[2] « قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ » وقال عيسى عليه السلام : « ما أكثر الشجر وليس كلها بثمر ، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب ، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع !

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامى المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ماأراده السلف الصالح والقرن الأول ، وهى خمسة

---

(١) حديث إن من العلم جهلا ـ الحديث : أبو داود من حديث بريدة وفى اسناده من يجهل

(٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم ـ لم أجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال : العقل ، بدل العلم ، ولم يخرجه ولده فى مسنده

ألفاظ : الفقه، و العلم،والتوحيد، والتذكير والحكمة، فهذهأسام محمودة ، والمتصفون بها أرباب المناصب فى الدين ، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة ، فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامى عليهم .

اللفظ الأول : الفقه ـ فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لابالنقل والتحويل ، إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى ، والوقوف على دقائق عللها ، واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها ، فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه . ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب . ويدلك عليه قوله عز وجل : (لِيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) . وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة ، فذلك لايحصل به إنذار ولا تخويف، بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له .وقال تعالى : (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) وأراد به معانى الايمان دون الفتاوى . ولعمرى إن الفقه والفهم فى اللغة اسمان بمعنى واحد ، و إنما يتكلم فى عادة الاستعمال به قديما وحديثا، قال تعالى: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِمْ مِنَ ٱللَّهِ) الآية ، فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه . فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم ، وقال صلى الله عليه وسلم[1] « عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ فُقَهَاءُ » للذين وفدوا عليه. وسئل سعد بن ابراهيم الزهرى رحمه الله: أىّ أهل المدينة أفقه ؟ فقال : أتقاهم لله تعالى ، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه ، والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية .وقال صلى الله عليه وسلم:[2] « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ كُلِّ ٱلْفَقِيهِ ؟ قالوا بلى، قَالَ : مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ ٱلنَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ ٱللَّهِ وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ وَلَمْ يَدَعِ ٱلْقُرْءَانَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى مَاسِوَاهُ » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه

(١) حديث علماء حكماء فقهاء : أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحارث باسناد ضعيف

(٢) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ـ الحديث : أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن على

وسلم :(١) (لَأَن أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ) قال فالتفت إلى زيد الرقاشي وزياد النميري وقال: لم تكن مجالسُ الذكر مثل مجالسكم هذه يَقُصُّ أحدُكم وعظَه على أصحابه ويسرُدُ الحديث سردا ، إنما كنا نقعدُ فنذكر الايمانَ ، ونتدبَّر القرءان ونتفقه فى الدين ، ونعدّ نعم الله علينا تفقها ، فسمى تدبر القرءان وعد النعم تفقها. قال صلى الله عليه وسلم :(٢) « لَا يَفْقَهُ الْعَبْدُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَمْقُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَحَتَّى يَرَى لِلْقُرْءَانِ وُجُوهاً كَثِيرَةً » وروى أيضاموقوفاعلى أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله (ثُمَّ يُقْبِلَ عَلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتاً) وقد سأل فَرْقَدُ السَّنجِي الحسن عن الشىء فأجابه فقال : إن الفقهاء يخالفونك ، فقال الحسن رحمه الله: ثَكِلَتْكَ أُمُّك فريقد، وهل رأيت فقيها بعينك ! إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة ، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه ، الورع الكافّ نفسه عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم ، ولم يقل فى جميع ذلك : الحافظ لفروع الفتاوى . ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة ، ولكن كان بطريق العموم والشمول، أو بطريق الاستتباع ، فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر . فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ، ووجدوا على ذلك معينا من الطبع ، فان علم الباطن غامض، والعمل به عسير ، والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر ، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع .

اللفظ الثانى : العلم — وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه ، حتى إنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله : لقد مات تسعة أعشار العلم ، فعرّفه بالألف واللام ، ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وتعالى . وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها ، فيقال : هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل فى العلم . ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ، ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم . وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ، ولكن ماورد

---

(١) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث: أبو داود باسناد حسن
(٢) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله ـ الحديث : ابن عبد البر من حديث شداد ابن أوس وقال لا يصح مرفوعا

من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته . وقد صار الآن مطلقا على من لايحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية ، فيعد بذلك من فحول العلماء ، مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره ، وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم .

اللفظ الثالث : التوحيد — وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات ، وتأليف الالزامات ، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ، وسمى المتكلمون ، العلماء بالتوحيد ، مع أن جميع ماهو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء فى العصر الأول ، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة ، فأما مايشتمل عليه القرءان من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوما للكل . وكان العلم بالقرءان هو العلم كله ؛ وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لايفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به ، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله . فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل . ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم ، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى . وكانت إحدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه : أنطلب لك طبيبا ؟ فقال : الطبيب أمرضنى . وقال آخر لما مرض فقيل له : ماذا قال لك الطبيب فى مرضك ؟ فقال : قال لى : إنى فعال لما أريد . وسيأتى في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك .

والتوحيد: جوهر نفيس، وله قشران : أحدهما أبعد عن اللب من الآخر ، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر ، وأهملوا اللب بالكلية . فالقشر الأول : هو أن تقول بلسانك : لا إله إلا الله . وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى ، ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره . والقشر الثانى : أن لايكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ، وكذلك التصديق به ، وهو توحيد عوام الخلق . والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة . والثالث وهو اللباب : أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط ، وأن يعبده

عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ، ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى ، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده . قال الله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ)وقال صلى الله عليه وسلم : « أَبْغَضُ إِلَٰهٍ عُبِدَ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْهَوَى [1] » . وعلى التحقيق : من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه ، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه ، فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهواء . ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم ، فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره ! فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام ، وهو مقام الصديقين . فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه ، وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى ؟ وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول : وجهتُ وَجهىَ للذى فطر السموات والأرضَ حنيفا ، وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وَجْه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص ،فانه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجَّهه إلا إلى الكعبة ، وما صرفه إلا عن سائر الجهات ؛ والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار؛ وإن أراد به وجه القلب ، وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله، وقلبهُ متردّد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ، ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ، ومتوجه بالكلية اليها ، فمتى وجّه وجهه للذى فطر السموات والأرض ؟ وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد ، فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد ، ولا يوجه وجهه إلا اليه ، وهو امتثال قوله تعالى : (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى ، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب ، وهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع : الذكر والتذكير ـ فقد قال الله تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) . وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ، كقوله صلى الله عليه وسلم [2] «إِذَا مَرَرْتُمْ

---

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله فى الارض هو الهوى: الطبراني من حديث أبى أمامه باسناد ضعيف
(٢) حديث اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ـ الحديث : الترمذى من حديث أنس وحسنه

بِرِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ فَٱرْتَعُوا ، قيل: وَمَا رِيَاضُ ٱلْجَنَّةِ؟ قَالَ مَجَالِسُ ٱلذِّكْرِ » وفى الحديث[١] « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِى ٱلدُّنْيَا سِوَى مَلَائِكَةِ ٱلْخَلْقِ إِذَا رَأَوْا مَجَالِسَ ٱلذِّكْرِ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَلَا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ فَيَأْتُونَهُمْ وَيَحُفُّونَ بِهِمْ وَيَسْتَمِعُونَ ، أَلَا فَاذْكُرُوا ٱللهَ وَذَكِّرُوا أَنْفُسَكُمْ » فنقل ذلك إلى ماترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان ، يواظبون عليه ، وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهى بدعة ؛ وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القُصّاص ، وقالوا :[٢] لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص.

وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال : ما أخرجني إلا القاصُّ ولولاه لما خرجت . وقال ضمرة : قلت لسفيان الثورى : نستقبل القاص بوجوهنا ؟ فقال : وَلُّوا البدعَ ظهوركم . وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين فقال : ماكان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص أن يقصوا ، فقال : وُفِّق للصواب . ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول : حدثنا الأعمش ، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه ، فقال القاص : ياشيخ ألا تستحي ! فقال : لم ؟ أنا فى سنة وأنت فى كذب ، أنا الأعمش وما حدثتك ! وقال أحمد : أكثر الناس كذبا القُصّاص والسُّؤّال .

وأخرج عليّ رضى الله عنه القصاصَ من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه ، إذ كان يتكلم فى علم الآخرة ، والتفكير بالموت ، والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ، ويذكّر بآلاء الله ونعمائه ، وتقصير العبد فى شكره ، ويعرّف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها ، وخطر الآخرة وأهوالها . فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال :[٣] « حُضُورُ مَجْلِسِ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ ، وَحُضُورُ مَجْلِسِ عِلْمٍ أَفْضَلُ مِنْ عِيَادَةِ

(١) حديث إن لله ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله فى الهواء ، وللترمذى سياحين فى الارض ، وقل مسلم سيارة

(٢) حديث لم تكن القصص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن

(٣) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة: تقدم فى الباب الاول

أَلْفِ مَرِيضٍ ، وَحُضُورُ مَجْلِسِ عِلْمٍ أَفْضَلُ مِنْ شُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ . فقيل : يَا رَسُولَ اللهِ : وَمِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ ؟ قال : وهل تَنْفَعُ قِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ إِلاَّ بِالْعِلْمِ ؟ »وقال عطاء رحمه الله : مجلسُ ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجـالس اللهو . فقد اتخذ المذخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم ، وذهلوا عن طريق الذكر المحمود ، واشتغلوا بالقصص التى تتطرق اليهـا الاختلافات والزيادة والنقص ، وتخرج عن القصص الواردة فى القرءان وتزيد عليها ، فان من القصص ماينفع سماعه، ومنها مايضر وإن كان صدقا . ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب ، والنافع بالضار ، فمن هذا نهى عنه . ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاص صادق !

فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صادقا صحيح الرواية ، فلست أرى به بأسا . فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومىء إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها ، فان العـامى يعتصم بذلك فى مسـاهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذراً فيه ، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشـايخ وبعض الأكابر ، فكلنـا بصدد المعاصى ، فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ، ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لايدرى . فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به ، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة ، وإلى ما يشتمل عليه القرءان ، ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار

ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ، ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق ، فهذه من نزغات الشيطان ، فان فى الصدق مندوحة عن الكذب ، وفيما ذكر الله تعـالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع ؟ قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع : هذا الذى يبغّضك إلىّ ، لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب ! وقد كان جاءه فى حاجة . وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات[1]: « إِيَّاكَ وَالسَّجْعَ يَاابْنَ رَوَاحَةَ »

---

(١) حديث اياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحـابه كانوا لايسجعون ، ولابن حبان: واجتنب السجع ، وفى البخارى نحوه من قول ابن عباس

فكان السجع المحذور المتكلف مازاد على كلتين ، ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك يطل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم[1] « أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ ! »

وأما الأشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم ، قال الله تعالى : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) وقال تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وأكثر مااعتاده الوعاظ من الأشعار مايتعلق بالتواصف بالعشق وجمال المعشوق ، وروح الوصال وألم الفراق ، والمجلس لايحوى إلا أجلاف العوام ، وبواطنهم مشحونة بالشهوات ، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة ، فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ماهو مستكن فيها ، فتشتعل فيها نيران الشهوات ، فيزعقون ويتواجدون ، وأكثر ذلك أوكله يرجع إلى نوع فساد ، فلاينبغى أن يستعمل من الشعر إلا مافيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم :[2] « إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم ، فان أولئك لايضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق ، فان المستمع ينزل كل مايسمعه على مايستولى على قلبه كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ، ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا ، فان كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين . وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له : تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال : لا ماهؤلاء أصحابى إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابى هم الخواص .

وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية :

أحدهما ـ الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى ، والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة ، حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب ، والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، ويستشهدون بقوله : أنا الحق . وبما حكى عن أبى

---

(١) حديث أسجع كسجع الأعراب : مسلم من حديث المغيرة

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة : البخارى من حديث أبي بن كعب

يزيد البسطامي أنه قال : سبحانى سبحانى ؛ وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ؛ حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم ، وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فان هذا الكلام يستلذه الطبع ، إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال ، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ، ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم والجدل ، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس . وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق. فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة . وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله ، فلا يصح عنه مايحكى ، وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه ، كما لو سمع وهو يقول : إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ، فانه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية .

الصنف الثانى من الشطح : كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة ، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل ، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه، وهذا هو الأكثر. وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره ، لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ، ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ، ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَاحَدَّثَ أَحَدُكُمْ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَايَفْقَهُونَهُ إِلاَّ كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « كَلِّمُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَايُنْكِرُونَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟» وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع ، فكيف فيما لا يفهمه قائله ؟ فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره . وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها

---

(١) حديث ماحدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم : العقيلي فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود

(٢) حديث كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون ـ الحديث : البخارى موقوفا على على ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم

فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء . وفى لفظ آخر : من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ، ومن منعها أهلها فقدظلم ، إن للحكمة حقا ، وإن لها أهلا ، فأعط كل ذى حق حقه .

وأما الطامات، فيدخلها ماذكرناه فى الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لايسبق منها إلى الأفهام فائدة: كدأب الباطنية فى التأويلات، فهذا أيضا حرام وضرره عظيم ، فان الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ، ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه و سلم ، فان مايسبق منه إلى الفهم لايوثق به ، والباطن لاضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر ، ويمكن تنزيله على وجوه شتى ؛ وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر ، وإنما قصد أصحابها الإغراب ، لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له . وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها ، وتنزيلها على رأيهم ، كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية

ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى : (اُذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) : إنه إشارة إلى قلبه ، وقال هو المراد بفرعون، وهو الطاغى على كل إنسان، وفى قوله تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) أى كل مايتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل : فينبغى أن يلقيه ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم : [١] « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً » أراد به الاستغفار فى الأسحار . وأمثال ذلك، حتى يحرفون القرءان من أوله إلى آخره عن ظاهره ، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء . وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا ، كتنزيل فرعون على القلب ، فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له ، وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار ، وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى ألفاظه . وكذا حمل السحور على الاستغفار ، فانه كان

---

(١) حديث تسحروا فان فى السحور بركة : متفق عليه من حديث أنس

صلى الله عليه وسلم: [١] « يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ، وَيَقُولُ: تَسَحَّرُوا» [٢] و«هَلُمُّوا إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ » .
فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا ، وبعضها يعلم بغالب الظن ، وذلك فى أمور لا يتعلق بها الاحساس . فكل ذلك حرام وضلالة ، وإفساد للدين على الخلق، ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم، فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْءَانَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» معنى إلا هذا النمط ، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه ، فيستجر شهادة القرءان اليه ، ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية .

ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرءان بالاستنباط والفكر، فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ، ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع ، فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه [٤] « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق، يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع : كمن يضع فى كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك ظلم وضلال ، ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم [٥] « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن

---

(١) حديث تناول الطعام فى السحور : البخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا

(٢) حديث هلموا إلى الغذاء المبارك : أبوداود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان

(٣) حديث من فسر القرءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار : الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبى داود من رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى

(٤) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ـ قاله لابن عباس: البخارى من حديث ابن عباس دون قوله : وعلمه التأويل ، وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار : متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس

النَّارِ » بل الشر فى تأويل هـذه الألفاظ أطم وأعظم ، لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ ، وقاطعـة طريق الاستفادة والفهم من القرءان بالـكلية . فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة . فـكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى، فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ماعرف فى العصر الأول ، كنت كمن طلب الشرف بالحـكمة باتباع من يسمى حكيما ، فان اسم الحـكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر ، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ

اللفظ الخامس : وهو الحـكمة ـ فان اسم الحـكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم ، حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق . والحـكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى : (يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) . وقال صلى الله عليه وسلم[1] « كَلِمَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ يَتَعَلَّمُهَا الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » فانظر ما الذى كانت الحـكمة عبارة عنه ، وإلى ماذا نقل ، وقس به من بقية الألفاظ ، واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ، فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين ، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق . ولهذا[2] لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال: « اللَّهُمَّ غَفْرًا » حتى كرروا عليه فقال : « هُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس، واليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك ، فتقتدى بالسلف ، أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف، فـكل ماارتضاه السلف من العلوم قد اندرس ،وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث ، وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » فقيل : ومن الغرباء؟ قَالَ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَهُ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي . وَالَّذِينَ يُحْيُونَ مَا أَمَاتُوهُ مِن سُنَّتِي»

---

(١) حديث كلة من الحـكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا : تقدم بنحوه

(٢) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقل اللهم غفرا ـ الحديث : الدارمى بنحوه من رواية الأحوص ابن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف

(٣) حديث بدأ الاسلام غريبا ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة مختصراً وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه

وفى خبر آخر (١) « هُمُ الْمُتَمَسِّكُونَ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ » وفى حديث آخر (٢) « الْغُرَبَاءُ نَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ بَيْنَ نَاسٍ كَثِيرٍ مَنْ يُبْغِضُهُمْ فِى الْخَلْقِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ » . وقدصارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها . ولذلك قال الثورى رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخاط ، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه ، والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن ، فان منها مايحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها مايذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها مايحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لايحمد فيه وهو بذل، وكالشجاعة فان التهور لايحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة ، فكذلك العلم

فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالافائدة فيه فى دين ولا دنيا ، إذ فيه ضرر يغلب نفعه : كعلم السحر والطلسمات والنجوم ، فبعضه لافائدة فيه أصلا، وصرف العمر الذى هو أنفس مايملكه الانسان اليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذمومة ، ومنه مافيه ضرر يزيد على مايظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا ، فان ذلك لايعتد به بالاضافة إلى الضرر الحاصل عنه

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء ، فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فان هذا علم مطلوب لذاته ، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب ، فانه البحر الذى لايدرك غوره ، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر مايسّر لهم ، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم ، بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت

---

(١) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم يقوله فى وصف الغرباء : لم أر له أصلا

(٢) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون : أحمد من حديث عبدالله بن عمرو

تقدير الله تعالى فى حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذى لايسطر فى الكتب . ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم ، هذا فى أول الأمر . ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة ، وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا ، والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ، ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لابقدر الجهد ، ولكن لاغنى فيه عن الاجتهاد ، فالمجاهدة مفتاح الهداية لامفتاح لها سواها

وأما العلوم التى لايحمد منها إلا مقدار مخصوص ، فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات ، فان فى كل علم منها اقتصارا وهو الأقل، واقتصادا وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له إلى آخر العمر . فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك ، وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب مايقتضيه حالك ، ومايتعلق منه بالأعمال الظاهرة : من تعلم الصلاة ، والطهارة ، والصوم ، وإنما الأهم الذى أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم ، إذ لاينفك بشر عن الصفات المذمومة : مثل الحرص والحسد ، والرياء ، والكبر ، والعجب وأخواتها ؛ وجميع ذلك مهلكات، وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل ، والتهاون باخراج المادة بالفصد والإسهال . وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن، وعلماء الآخرة لايشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر : بافساد منابتها ، وقلع مغارسها من القلب . وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح ، واستصعاب أعمال القلوب ، كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة ، فلا يزال يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد ، وتتضاعف به الأمراض

فان كنت مريداً للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدى ، فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها ، على مافصلناه فى ربع المهلكات . ثم ينجرّ بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لامحالة . فان القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين، وإن لم تفرّغ من ذلك لم تنبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية ، لاسيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها ، فان مهلك نفسه فيما به

صلاح غيره سفيه . فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به !

وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها ، وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه ، وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك ، وما أبعد ذلك منك ، فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدريج فيها : فابتدىء بكتاب الله تعالى ، ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرءان : من علم الناسخ والمنسوخ ، والمفصول والموصول ، والمحكم والمتشابه ، وكذلك فى السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ، ثم بأصول الفقه ، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت . ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلبا للاستقصاء ، فان العلم كثير والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه ، فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرءان وغريب الحديث ، ودع التعمق فيه . واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة ، فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء .

ونحن نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها .

فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرءان فى المقدار ، كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز ، والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرءان كما صنفه من الوسيط فيه ، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ، فلا مرد له الى انتهاء العمر .

وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث .

وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ، ولك أن تعول على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ، ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة . وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة . وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح

والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ، ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم .

وأما الفقه فالاقتصار فيه على مايحويه مختصر المزنى رحمه الله ، وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر . والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة أمثاله ، وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب ، والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط ، الى ماوراء ذلك من المطولات

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لاغير ، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها . ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر ، وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب ، والاقتصاد فيه مايبلغ قدر مائة ورقة ، وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لاينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم .وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع معه الكلام ، فانك إن أفحمته لم يترك مذهبه ، وأحال بالقصور على نفسه ، وقدّر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه ، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة . وأما العامي إذا صُرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه بمثله قبل أن يشتدّ التعصب للأهواء . فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس ، وهو من آفات العلماء السوء ، فانهم يبالغون فى التعصب للحق ، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ، فتنبعث منهم الدعوي بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوافر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه .ولكن لما كان الجاه لايقوم إلابالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبًا عن الدين ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس

وأما الخلافيات التى أُحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة ، وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف ، فإياك وأن تحوم حولها ، واجتنبها

اجتناب السم القاتل، فانها الداء العضال ، وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها . وهذا الكلام ربما يسمع من قائله ، فيقال : الناس أعداء ماجهلوا . فلا تسنن ذلك، فعلى الخبير سقطت ؛ فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا ، وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه ، فهجره واشتغل بنفسه ؛ فلا يغرنك قول من يقول : الفتوى عماد الشرع ، ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف ، فان علل المذهب مذكورة فى المذهب ، والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة ، وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم ، بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه ؛ فان الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لايمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر . فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه ، وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ، ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب ، وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب . فكن من شياطين الجن فى أمان ، واحترز من شياطين الانس ، فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال

وبالجملة فالمرضِىّ عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالَم وحدك مع الله ، و بين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ، ودع عنك ماسواه، والسلام

وقد رأى بعضُ الشيوخ بعضَ العلماء فى المنام فقال له : ماخبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها ؟ فبسط يده و نفخ فيها ،وقال: طاحت كلها هباء منثورا، وما انتفعتُ إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل ! وفى الحديث[١] « مَاضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ » ثم قرأ (مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) . وفى الحديث فى معنى قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) الآية[٢] هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى: (فَاحْذَرْهُمْ) . وقال بعض السلف : يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ، ويفتح

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل :الترمذى وابن ماجه من حديث أبي أمامة، قال الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم : متفق عليه من حديث عائشة

لهم باب الجدل . وفى بعض الأخبار[1] « إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ أُلْهِمْتُم فِيهِ الْعَمَلَ وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُلْهَمُونَ الْجَدَلَ » وفى الخبر المشهور[2] « أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الأَلَدُّ الْخَصِمُ » وفى الخبر[3] « مَا أُوتِيَ قَوْمٌ الْمَنْطِقَ إِلاَّ مُنِعُوا الْعَمَلَ » . والله أعلم

الباب الرابع

فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف

وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون ، وكانوا أئمة علماء بالله تعالى ، فقهاء فى أحكامه ، وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية ، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا ، فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها ، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا ، وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم ، كما نقل من سيرهم . فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام ، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء ، وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم .

وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول ، وملازم صفو الدين ، ومواظب على سمت علماء السلف ، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا ، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات

فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم ، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة ، فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة ، وتعرفوا إليهم ، وطلبوا الولايات والصلات منهم ، فمنهم من

---

(١) حديث إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل : لم أجده

(٢) حديث أبغض الخلق الى الله الألد الخصم : متفق عليه من حديث عائشة

(٣) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل : لم أجد له أصلا

حرم ومنهم من أنجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم، إلا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله . وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة اليها فى الولايات والحكومات ، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ، ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها ، فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام ، فأكب الناس على علم الكلام ، وأكثروا فيه التصانيف، ورتبوا فيه طرق المجادلات، واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة ، كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين ،إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه، لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ، ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه ، وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم ، وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص ، وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى ، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات، ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات، وهم مستمرون عليه إلى الآن ، ولسنا ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار .فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لاغير ، ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ، ولم يسكتوا عن التعلل بأن مااشتغلوا به هو علم الدين ، وأن لامطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات

بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا

كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم: كتشاورهم فى مسألة الجد والإخوة ، وحدّ شرب الخمر ، ووجوب الغرم على الامام إذا أخطأ ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه ، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها ، وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد ابن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء ، رحمهم الله تعالى

ويطلعك على هذا التلبيس ماأذكره، وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات ثمان :

الأول — أن لايشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان. ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ، ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ويقول : غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا ، فان ذلك ربما يتفق ، ووقوعه ممكن ، كمايزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن ، والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هى فرض عين بالاتفاق . ومن توجه عليه ردّ وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات الى الله تعالى عصى به ، فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب .

الثانى — أن لايرى فرض كفاية أهم من المناظرة ، فان رأى ماهو أهم وفعل غيره عصى بفعله، وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء ، فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ، ولو خلا البلد عنها لهلك الناس، وإذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية ، فيقول : هذا لايخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لاقائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها ، وأقربها الطب ، إذ لايوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ، ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به . وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهو من فروض الكفايات ، وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ، ويناظر فى مسألة لايتفق وقوعها قط ، وإن وقعت قام بها

جماعة من الفقهاء ، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات، وقد روى أنس رضى الله عنه أنه « قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ (١) مَتَى يُتْرَكُ الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فقال عليه السّلامُ : إِذَا ظَهَرَتِ الْمُدَاهَنَةُ فِي خِيَارِكُمْ وَالْفَاحِشَةُ فِي شِرَارِكُمْ وَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ وَالْفِقْهُ فِي أَرَاذِلِكُمْ »

الثالث — أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لابمذهب الشافعي وأبى حنيفة وغيرهما، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك مايوافق رأى الشافعي وأفتى بما ظهر له ، كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والأئمة ، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يُسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه ، فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره ، وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ؟ ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أوقولان لصاحبه لكان أشبه به، فانه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط ، بل ربماترك المسألة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا

الرابع ـ أن لا يناظر إلا فى مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً ، فان الصحابة رضى الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع ، أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ، ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها ، بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر . وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هى من الزوايا وليست من الطبوليات ، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار . أو لأنها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام ، والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول

الخامس ـ أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر

﴿ الباب الرابع ﴾

(١) حديث أنس قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ابن ماجه بإسناد حسن

والسلاطين . فان الخلوة أجمع للفهم ، وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق ، وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلا ، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله ، وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه ، وربما يقترح عليه فلا يجيب ، وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام .

السادس ـ أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معينا لا خصما ، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق ، كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر ، فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم ، حتى إن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس ، فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك ياأمير المؤمنين ولكن كذا وكذا ، فقال : أصبتَ وأخطأتُ وفوق كل ذى علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى : لا تسألونى عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم ، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل ، فقال : هو فى الجنة ، وكان أمير الكوفة ، فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعله لم يفهم ، فأعادوا عليه ، فأعاد الجواب ، فقال ابن مسعود : وأنا أقول : إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة ، فقال أبو موسى : الحق ما قال . وهكذا يكون إنصاف طالب الحق . ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق ، فان ذلك معلوم لكل أحد . فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه ، وكيف يخجل به ، وكيف يجتهد فى مجاحدته بأقصى قدرته ، وكيف يذم من أفحمه طول عمره ، ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق !

السابع ـ أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ، ومن إشكال إلى إشكال ، فهكذا كانت مناظرات السلف ، ويُخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه ، كقوله : هذا لا يلزمنى ذكره ، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك ، فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ، ويجب قبوله . وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس

المستدل على أصل بعلّة يظنها فيقال له : ماالدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول: هذا ماظهر لى فان ظهر لك ماهو أوضح منـه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه ، فيصر المعترض ويقول : فيه معان سوى ماذكرته وقدعرفتها ولاأذكرها إذ لايلزمني ذكرها؛ ويقول المستدل: عليك إيراد ماتدعيه وراء هـذا ، ويصر المعترض على أنه لايلزمه ، ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله، ولايعرف هذا المسكين أن قوله إنى أعرفه ولاأذكره إذلا يلزمنى، كـذب على الشرع ،فانه إن كان لايعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها ، وإن كان صادقا فقدفسق بإخفائه ماعرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه، فان كان قويا رجع اليه، وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم . ولا خـلاف أن إظهار ماعلم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم . فمعنى قوله : لايلزمنى ، أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لايلزمنى ، وإلا فهو لازم بالشرع ، فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق .

فتفحّص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم : هل سمعت فيها مايضاهى هذا الجنس ؟ وهل منع أحدمن الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية ؟ بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس ، إذ كانوا يذكرون كل مايخطر لهم كما يخطر ، وكانوا ينظرون فيه

الثامن — أن يناظر من يتوقـع الاستفادة منه ممن هو مشتغـل بالعلم ، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خـوفا من ظهور الحق على ألسنتهم ، فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم

ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ؛ ولـكن فى هذه الشروط الثمانية مايهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة

واعلم بالجملة أن من لايناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوّ له ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ، ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أومساهم للمصيب فى الأجر ، فهو ضحكة للشيطان ، وعبرة للمخلصين . ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها . فنسأل الله حسن العون والتوفيق

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها

من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس، هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة: من الزنا، والقذف والقتل والسرقة، وكما أن الذى خُيِّر بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه، فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره، فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها فى النفس، وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة. وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلكات، ولكنا نشير الآن إلى مجامع ماتهيجه المناظرة:

فمنها الحسد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) «اَلْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ». ولاينفك المناظر عن الحسد، فانه تارة يغلب وتارة يغلب، وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره؛ فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر، أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا، فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه، وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه. والحسد نار محرقة، فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأعظم، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما: خذوا العلم حيث وجدتموه؛ ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة

ومنها التكبر والترفع على الناس، فقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) «مَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ

---

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب: أبو داود من حديث أبى هريرة، وقال البخارى لايصح، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف، وفى تاريخ بغداد باسناد حسن

(٢) حديث من تكبر وضعه الله ـ الحديث: الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن

وَمَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ ٱللَّهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى (١) « ٱلْعَظَمَةُ إِزَارِى وَٱلْكِبْرِيَاءُ رِدَائِى ، فَمَنْ نَازَعَنِى فِيهِمَا قَصَمْتُهُ » . ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال ، والترفع إلى فوق قدره، حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض، والقرب من وسادة الصدر والبعد منها، والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق . وربما يتعلل الغبى والمكار الخداع منهم بأنه يبغى صيانة عز العلم، (٢) و « أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ مَنْهِىٌّ عَنِ ٱلْإِذْلَالِ لِنَفْسِهِ » فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل ، وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين ، تحريفا للاسم ، وإضلالا للخلق به ، كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما .

ومنها الحقد ، فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) « ٱلْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِحَقُودٍ » . وورد فى ذم الحقد مالا يخفى ، ولا نرى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ، ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء ، بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه ، وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ، ويترشح منه إلى الظاهر لامحالة فى غالب الأمر . وكيف ينفك عن هذا ، ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه ، واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره ؟ بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر

ومنها الغيبة ، وقد شبهها الله بأكل الميتة ، ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة ، فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته . وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه ، فيحكى عنه لامحالة مايدل على قصور كلامه وعجزه و نقصان فضله ، وهو الغيبة . فأما الكذب فبهتان ، و كذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه ، حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة .

---

(١) حديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى ـ الحديث : أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة ، وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

(٢) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه : الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه

(٣) حديث المؤمن ليس بحقود : لم أقف له على أصل

ومنها تزكية النفس ، قال الله تعالى: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ) . وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة ، والتقدم بالفضل على الأقران . ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور ، وأنا المتفنن فى العلوم ، والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث ، وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف ، وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه . ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا .

ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى :(وَلَا تَجَسَّسُوا) . والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه ، حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ، ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة ، حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرّض به إن كان متماسكا ، ويستحسن ذلك منه ، ويعد من لطائف التسبب ، ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم .

ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارّهم ، ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ، ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر ، فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها ، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره ، فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا ! فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء ، وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء ، حتى قال الشافعى رضى الله عنه : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل . فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ، فهل يتصوّر أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة ؟ هيهات هيهات ! وناهيك بالشر شرا أن يُلزمك أخلاقَ المنافقين ، ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين

ومنها النفاق ، فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه ، وهم مضطرون اليه ، فانهم يلقون

الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدّا من التودد اليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ، ويعلم ذلك المخاطب والمخاطبَ وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور ، فانهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب . نعوذ بالله العظيم منه ! فقدقال صلى الله عليه وسلم [١] « إِذَا تَعَلَّمَ النَّاسُ الْعِلْمَ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ وَتَحَابُّوا بِالْأَلْسُنِ وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ وَتَقَاطَعُوا فِي الأَرْحَامِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ » رواه الحسن، وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة

ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه ، حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده، وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه، حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية ، فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه، حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرءان وألفاظ الشرع، فيضرب البعض منها بالبعض . والمراء في مقابلة الباطل محذور ، إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل ، قال صلى الله عليه وسلم [٢] « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ ». وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذّب بالحق ، فقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ) وقال تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ)

ومنها الرياء وملاحظة الخلق ، والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر ، كما سيأتي في كتاب الرياء ، والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق ، وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه

---

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب ـ الحديث : الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف

(٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل ـ الحديث : الترمذي وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف ، قال الترمذي : حسن

فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة ، سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم : من الخصام المؤدى الى الضرب واللكم واللطم، وتمزيق الثياب ، والأخذ باللحى ، وسب الوالدين وشتم الأستاذين ، والقذف الصريح ، فان أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين ؛ وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لاينفكون عن هذه الخصال العشر . نعم قد يسلم بعضهم من بعضها ، مع من هو ظاهر الانحطاط عنه ، أو ظاهر الارتفاع عليه ، أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة

ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل، لم نطوّل بذكرها وتفصيل آحادها : مثل الأنفة ، والغضب ، والبغضاء ، والطمع، وحب طلب المال والجاه ، للتمكن من الغلبة ، والمباهاة ، والأشر ، والبطر، وتعظيم الأغنياء والسلاطين، والتردد اليهم ، والأخذ من حرامهم ، والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة ، والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء ، والخوض فيما لا يعنى،وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب ،واستيلاء الغفلة عليه حتى لايدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى ، وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ، ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لاتنفع فى الآخرة : من تحسين العبارة ، وتسجيع اللفظ ، وحفظ النوادر ، إلى غير ذلك من أمور لاتحصى . والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ، ولهم درجات شتى، ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق ، وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها .

واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة ، وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران

وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة . فالعلم لايهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد ، أو يحييه حياة الأبد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يَنْفَعُهُ اللهُ بِعِلْمِهِ » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه ، وليته نجا منه رأساً برأس ؛ وهيهات هيهات ! فخطر العلم عظيم ، وطالبه طالب الملك المؤيد والنعيم السرمد ، فلا

ينفك عن المُلك أو الهُلك ، وهو كطالب الملك فى الدنيا ، فان لم يتفق له الإصابة فى الأموال لم يطمع فى السلامة من الإذلال ، بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال

فان قلت : فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم ، إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم . فقد صدقتَ فيما ذكرتَه من وجه ، ولكنه غير مفيد ، إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب ، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ، ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ، ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج ، بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم [(١)] « إِنَّ ٱللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا ٱلدِّينَ بِأَقْوامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم [(٢)] « إِنَّ ٱللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا ٱلدِّينَ بِٱلرَّجُلِ ٱلْفَاجِرِ » . فطالب الرياسة فى نفسه هالك ، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا ، وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهرَ حال علماء السلف ، ولكنه يضمر قصد الجاه . فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره ؛ فصلاح غيره فى هلاكه . فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها

فالعلماء ثلاثة : إما مهلك نفسه وغيره ، وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها ؛ وإما مسعد نفسه وغيره ، وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرا وباطنا ؛ وإما مهلك نفسه مسعد غيره ، وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصدُه فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه . فانظر من أى الأقسام أنت ، ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له ؛ فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل . وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه ، إن شاء الله تعالى

---

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم : النسائي من حديث أنس باسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر : متفق عليه من حديث أبى هريرة

الباب الخامس

فى آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ، ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل :

الوظيفة الأولى - تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ؛ إذ العلم عبادة القلب ، وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله تعالى . وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث ، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف . قال صلى الله عليه وسلم [١] « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ » وهو كذلك باطنا وظاهرا ؛ قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس ، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر ، أى باطنه ملطخ بالخبائث . والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه ، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب ، فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « لَا تَدْخُلُ [٢] الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم ؛ والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد ، والحسد والكبر والعجب ، وأخواتها ، كلاب نابحة ؛ فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ، ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة ؟ (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى

﴿ الباب الخامس ﴾

(١) حديث بنى الدين على النظافة : لم أجده هكذا . وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة : تنظفوا فان الاسلام نظيف . وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود : النظافة تدعو الى الايمان

(٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب : متفق عليه من حديث أبي طلحة الانصارى

القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها ، وهم المقدسون المطهرون المبرءون من الصفات المذمومات، فلا يلاحظون إلا طيبا ،ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا . ولست أقول: المراد بلفظ البيت هو القلب ، وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة، ولكنى أقول: هو تنبيه عليه. وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر. ففارقْ الباطنية بهذه الدقيقة، فان هذه طريق الاعتبار، وهو مسلك العلماء والأبرار، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ماذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه، كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة : بأن يعبر منها الى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب؛ وكون الدنيا بصدد الانقلاب ؛ فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة . فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخلق ، الى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ؛ ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة ، الى الروح الكلبية وهى السبعية

واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس ، كلب في المعنى ، وقلب فى الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور ؛ والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى ، والمعانى باطنة فيها ، وفى الآخرة تتبع الصورُ المعانى ، وتغلب المعانى، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية، فيحشر الممزق[1] لأعراض الناس كلبا ضاريا، والشره إلى أموالهم ذئبا عاديا ، والمتكبر عليهم فى صورة نمر، وطالب الرياسة فى صورة أسد . وقد وردت بذلك الأخبار ، وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار

فان قلت : كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم . فهيهات ماأبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة ! فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة . وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا ؟ إنما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ، ويرددونه بقلوبهم أخرى ، وليس ذلك من العلم فى شىء ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف فى القلب. وقال بعضهم:

---

(١) حديث حشر الممزق لأعراض الناس فى صورة كلب ضار ـ الحديث : الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف

إنما العلم الخشية لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) . وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم . ولذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله ، أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته ، وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه

فان قلت : إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برّزوا فى الفروع والأصول، وعُدوا من جملة الفحول ، وأخلاقُهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن مااشتغلوا به قليل الغَناء من حيث كونه علما ، وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى . وقد سبقت الى هذا إشارة ، وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح ، إن شاء الله تعالى

الوظيفة الثانية — أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ، ويبعد عن الأهل والوطن ، فان العلائق شاغلة وصارفة ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك . فاذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر . والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه، واختطف الهواء بعضه، فلا يبقى منه مايجتمع ويبلغ المزدرع

الوظيفة الثالثة — أن لايتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ، بل يلقى اليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق . وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبي : صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس [1] فأخذ بركابه ، فقال زيد : خلّ عنه ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبّل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم. وقال صلى الله عليه وسلم [2] « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ التَّمَلُّقُ إِلاَّ فِى طَلَبِ الْعِلْمِ » . فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة

---

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء : الطبرانى والحاكم والبيهقي فى المدخل الا أنهم قالوا : هكذا نفعل. قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم: ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة باسنادين ضعيفين

إلا من المرموقين المشهورين، وهو عين الحماقة . فان العلم سبب النجاة والسعادة . ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده الى الهرب مشهور أو خامل ، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع . فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ، ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ، فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع . قال الله تعالى : (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) . ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهماً ثم لاتعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ، ليستقبل كل ماألقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة . فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فشربت جميع أجزائها ، وأذعنت بالكلية لقبوله . ومهما أشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه ،فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه ،إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج، فيعجب منه من لاخبرة له به. وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر : (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال : (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) ثم لم يصبر ولم يزل فى مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما . وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران . فان قلت : فقد قال الله تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ) فالسؤال مأمور به

فاعلم أنه كذلك ، ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه ، فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال ، أى دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له ، وبأوان الكشف ، ومالم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لايدخل أوان السؤال عنه . وقد قال على رضى الله عنه : إن من حق العالم

أن لاتكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشى له سرا ، ولا تغتابن أحدا عنده ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته

الوظيفة الرابعة — أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الأمر عن الاصغاء إلى اختلاف الناس ، سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو علوم الآخرة ، فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ، ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع ، بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ، ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب والشبه ، وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها ، فليحذر منه ، فان إضلاله أكثر من إرشاده ، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هذاحاله يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل . ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ، وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهي حث القوى على مخالطة الكفار . ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ، ويندب الشجاع له . ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء . وفى ذلك قال بعضهم : من رآنى فى البداية صار صديقا ، ومن رآنى فى النهاية صار زنديقا ، إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن ، وتسكن الجوارح إلاعن رواتب الفرائض، فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال، وهيهات . فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور ، وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام . وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ، ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز ، فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز . ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته ، والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته . ولمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره[1] «حَتَّى أُبِيحَ لَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ»

(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ، وهو معروف . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس : كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع ـ الحديث

إذ كان له من القوة مايتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن . وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى مابينهن من الضرار اليه ، حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن ، فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين

الوظيفة الخامسة — أن لايدع طالب العلم فنًّا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه ، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه ، وتطرف من البقية ، فان العلوم متعاونة ، وبعضها مرتبط ببعض ، ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فان الناس أعداء ماجهلوا ، قال تعالى « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ » . قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض * يجدْ مُرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى ، أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة . ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود ، والقُوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ، ولكل واحد رتبة ، وله بحسب درجته أجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى

الوظيفة السادسة — أن لايخوض فى فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ، ويبتدىء بالأهم ، فان العمر اذا كان لايتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شىء أحسنه ، ويكتفى منه بشمه ، ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة ، أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة ، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى . ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهّر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله عنه[1] الذى « لَوْ وُزِنَ بِإِيمَانِ الْعَالَمِينَ لَرَجَحَ » كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، فما عندى أن مايعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لايزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما ، وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى

---

(١) حديث لو وزن ايمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح : ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح

وسائر الصحابة رضى الله عنهم ، حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره . والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى مايسمعه على وفقه ، ويزعم أنه من ترهات الصوفية ، وأن ذلك غير معقول ، فينبغى أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال ، فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ، ولا يرشدك اليه إلا حرصك فى الطلب

وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل ، وهو بحر لا يدرك منتهى غوره . وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الذين يلونهم . وقد روى أنه رئى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها : إن أحسنت كل شىء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء ، وفى يد الآخر : كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب .

الوظيفة السابعة — أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ، فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا ، وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج ، قال الله تعالى : (أَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا . وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ماهو فوقه ، فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ، فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم . وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر ، والكل خطأ ، بل ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه . فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص . ولذلك قال على رضى الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله

الوظيفة الثامنة ـ أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان : أحدهما شرف الثمرة ، والثانى وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية ، وثمرة الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم ، فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها ، وإنْ نسب الحساب إلى الطب كان

الطب أشرف باعتبار ثمرته ، والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ، ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم . فإياك وأن ترغب إلا فيه ، وأن تحرص إلا عليه

الوظيفة التاسعة ـ أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران ، وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة . ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم ، أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة ، وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية . ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم ، فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله ، فمنهم المقاتل ، ومنهم الردء ، ومنهم الذى يسقيهم الماء ، ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم . ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم ، فكذلك العلماء ، قال الله تعالى : (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) . وقال تعالى : (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللَّهِ) . والفضيلة نسبية ، واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لايدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين . فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم العلماء الراسخين فى العلم ، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من يعملْ مثقال ذرة خيراً يرهُ ، ومَنْ يعملْ مثقال ذرة شراً يره ، ومن قصد الله تعالى بالعلم أىّ علم كان ، نفعه ، ورفعه لامحالة

الوظيفة العاشرة — أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد ، كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد ، والمهم على غيره . ومعنى المهم مايهمك ، ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة . وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر مايجرى مجرى العيان ، فالأهم مايبقى أبد الآباد ؛ وعند ذلك تصير الدنيا منزلا ، والبدن مركبا ، والأعمال سعيا إلى المقصد . ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ، ففيه النعيم كله ، وإن كان لايَعرف فى هذا العالم قدره

إلا الأقلون. والعلوم بالاضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم، أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون مايسبق إلى فهم العوام والمتكلمين، على ثلاث مراتب، تفهمها بالموازنة بمثال: وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له : إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا ، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك، فله ثلاثة أصناف من الشغل : (الأول) تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة. و(الثانى) السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . و(الثالث) الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ، ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة . وله فى كل مقام منازل ، من أول إعداد الأسباب إلى آخره ، ومن أول سلوك البوادى إلى آخره ، ومن أول أركان الحج الى آخره . وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ، ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك ، بل هو أقرب منه . فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام : قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا . وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات ، وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين ، فهذا سلوك الطريق ، وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله . وكما لايغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها ، كذلك لايغنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن .وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه ، وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ماذكرناه فى تراجم علم المكاشفة ، وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة ، والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى ، وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالرَّوْح والريحان وجنة النعيم . وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة ، كما قال الله عز وجل : (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) . وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له ، أو انتهض إلى جهته

لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل، فهو من أصحاب الشمال، ومن الضالين، فله نُزُل من حميم وتصلية جحيم

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين ، أعنى أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار ، وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع ، وحالهم حال من أخبر فصدّق ، ثم شاهد فحقق ، وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالشاهدة والعيان . فالسعادة وراء علم المكاشفة ، وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة . وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات . وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن: ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن، وهو منوط بالسلطان ، وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب . ومن قال : العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان، وأشار به الى الفقه ، أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة

فان قلت : لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة ؟

فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس ، بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح ، وتارة بالنفس المطمئنة . والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر ، وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة . وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة ، وهو مضنون به بل لا رخصة فى ذكره . وغاية المأذون فيه أن يقال : هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية ، وإنما هو أمر إلهى، كما قال تعالى: « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى » وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى، ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن ، فلله الخلق والأمر جميعا ، والأمر أعلى من الخلق ، وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها، من عالم الأمر . ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها، فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول . فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن ، فهو وراء ما نحن

بصدده . والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب ، فمنه مصدرها، واليه مرجعها. وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها. فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج ، وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر اليه البدن ، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ، ولا يخفى أن الطب كذلك، فانه قد يحتاج اليه فى حفظ الصحة على البدن ، ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه ،والفقه يفارقه فى أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده ،إذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه ، بالحراثة والزرع والخبز والطبخ، وفى تحصيل الملبس والمسكن، وفى إعداد آلات ذلك كله ، فاضطر إلى المخالطة والاستعانة ، ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات ، وتنازعوا وتقاتلوا ، وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج ، كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه ، وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية . فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب اذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج ، والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج . ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك الى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه . فتأمل هذا أولاً ، واقبل النصيحة مجّانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل اليه إلا بعد جهد جهيد ، وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة ، فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة . فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن للانسان فى علمه أربعة أحوال، كحاله فى اقتناء الأموال : اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا ، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال ، وحال إنفاق على نفسه

فيكون منتفعا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا ، وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال ، فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغنى عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكر فى المحصّل والتمتع به ، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال . فمن علم وعمل وعلّم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات ، فانه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها ، وكالمسك الذى يطيّب غيره وهو طيب . والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية ، وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق ، كما قيل :

ماهو إلا ذبالة وقدت * تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما ، فليحفظ آدابه ووظائفه

الوظيفة الأولى ـ الشفقة على المتعلمين ، وأن يجريهم مُجرى بنيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة ، وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لانساق ماحصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ، أعنى معلم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك ، نعوذ بالله منه . وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا ، فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى ، وسالكون اليه الطريق من الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق ، والترافق فى الطريق بين المسافرين الى الأمصار سبب التواد والتحاب ، فكيف السفر الى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ولا ضيق فى سعادة الآخرة ؟ فلذلك لايكون بين أبناء الآخرة تنازع ، ولا سعة فى سعادات الدنيا ، فلذلك لاينفك عن ضيق التزاحم .

---

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده : أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وداخلون فى مقتضى قوله تعالى : (ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ)

الوظيفة الثانية ـ أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً ، بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ؛ ولا يرى لنفسه منّة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم ، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض ، فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ، ولولا المتعلم مانلت هذا الثواب ؟ فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى ، كما قال عز وجل : (وَيَاقَوْمِ لَاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ)فان المال وما فى الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والمخدوم هو العلم ، إذ به شرف النفس ؛ فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه، فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما ، وذلك هو الانتكاس على أم الراس . ومثله هو الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم . وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم . فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما ، فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ، ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ،ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة ، وينصر وليه ، ويعادى عدوه ، وينتهض جهارا له فى حاجاته ، ومسخرا بين يديه فى أوطاره ، فان قصّر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه ، فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ، ثم لايستحيى من أن يقول: غرضى من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه ! فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات .

الوظيفة الثالثة ـــ أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى

ما يمكن، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده ، فانْ علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر الى العلم الذى يطلبه : فان كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والأحكام ، فيمنعه من ذلك ، فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله ، وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه ، فانه يثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه فى أثناء الأمر أو آخره ، إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة ، وذلك يوشك أن يؤدى الى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ، ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده ، إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل ، وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم . وهذا متوقع فى هذه العلوم

فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة فى القلب ، وغفلة عن الله تعالى ، وتماديا فى الضلال ، وطلبا للجاه ، إلا من تداركه الله تعالى برحمته ، أو مزج به غيره من العلوم الدينية ، ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة . فانظر واعتبر ، واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد ، والله المستعان . وقد رئى سفيان الثورى رحمه الله حزينا ، فقيل له : مالك ؟ فقال : صرنا متجراً لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا

الوظيفة الرابعة وهى من دقائق صناعة التعليم ــ أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار ، إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم (١) « لَوْ مُنِعَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتُّوهُ وَقَالُوا مَا نُهِينَا عَنْهُ إلاَّ وَفِيهِ شَيْءٌ » ! وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه ، فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا ، بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ، ولأن التعريض أيضا يميل

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه ــ الحديث: لم أجده

النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه ، فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الوظيفة الخامسة ـ أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبّح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ، ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفّر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان ، فأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن . فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره ؛ وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة

الوظيفة السادسة ـ أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله ، فينفره أو يخبط عليه عقله ، اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال : (١) « نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ وَنُكَلِّمَهُمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » . فليبثّ اليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَا أَحَدٌ يُحَدِّثُ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَى بَعْضِهِمْ » . وقال على رضى الله عنه وأشار إلى صدره : إن هاهنا لعلوما جمّة لو وجدت لها حملة . وصدق رضى الله عنه ، فقلوب الأبرار قبور الأسرار ، فلا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد . هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به ، فكيف فيما لا يفهمه ؟ وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير ، فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير . ولذلك قيل : كِلْ لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب ، فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قال : « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » !

---

(١) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ـ الحديث : رويناه فى جزء من حديث أبى بكر ابن الشخير من حديث عمر أخصر منه ، وعند أبى داود من حديث عائشة : انزلوا الناس منازلهم

(٢) حديث من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار : ابن ماجه من حديث أبى سعيد باسناد ضعيف ، وتقدم حديث أبى هريرة بنحوه

فقال : اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني، فقد قال الله تعالى : (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ) تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق :

أأنثر درًّا بين سارحة النَّعم   فأصبح مخزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره   فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فان لَطف الله اللطيف بلطفه   وصادفتُ أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة   وإلا فمخزون لدىّ ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه   ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة — أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى اليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه ، فان ذلك يفتر رغبته فى الجلىّ ، ويشوّش عليه قلبه ، ويوهم اليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق ، فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله ، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله . وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ، ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل ، وحسن مع ذلك سريرته ، ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك ، فلا ينبغى أن يشوّش عليه اعتقاده ، بل ينبغي أن يخلى وحرفته ، فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحلّ عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص ، فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى ، وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره ، بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات ، وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ، ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار ، كما نطق به القرءان ، ولا يحرك عليهم شبهة ، فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك . وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث ، فانه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ، ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة — أن يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فاذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد

حرصهم على مانهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومَثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بمالا نقش فيه ، ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟! ولذلك قيل فى المعنى :

لاتنهَ عن خُلق وتأتىَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) . ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالَم كثير، ويقتدون به، و«مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» ، ولذلك قال على رضى الله عنه : قَصَم ظهرى رجلان : عالمٌ متهتك ، وجاهل متنسّك ، فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه . والله أعلم

الباب السادس

فى آفات العلم

وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشدّ الخلق عذابا يوم القيامة ، فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصْدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عندأهلها ، قال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [١] « لَايَكُونُ الْمَرْءُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونَ بِعِلْمِهِ عَامِلًا » . وقال صلى الله عليه وسلم [٢] «الْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَذَلِكَ حُجَّةُ

﴿ الباب السادس ﴾

(١) حديث لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا : ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء ، والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ، ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث العلم علمان علم على اللسان ـ الحديث : الترمذى الحكيم فى النوادر، وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ، وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد ، وأعله ابن الجوزى

أَللهِ تَعَالَى عَلَىٰ خَلْقِهِ ؛ وَعِلْمٌ فِي أَلْقَلْبِ فَذَلِكَ أَلْعِلْمُ النَّافِعُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[١] « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عُبَّادٌ جُهَّالٌ وَعُلَمَاءُ فُسَّاقٌ » وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « لَاتَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَلِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلِتَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ » . وقال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا عِنْدَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » .
وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « لَأَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَّالِ » فقيل: وماذلك؟ فقال : « مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » . وقال عيسى عليه السلام: إلى متى تصفون الطريق للمُدْلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين !

فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم ، فان العالم إما متعرض لهلاك الأبد ، أو لسعادة الأبد ، وإنه بالخوض في العلم قد حُرِم السلامة إن لم يدرك السعادة

وأما الآثار ، فقد قال عمر رضي الله عنه : إن أخوف ماأخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟ قال : عليم اللسان جاهل القلب والعمل . وقال الحسن رحمه الله : لاتكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ، ويجرى فى العمل مجرى السفهاء . وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ، فقال : كفى بترك العلم إضاعة له . وقيل لابراهيم بن عيينة : أى الناس أطول ندما ؟ قال : أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لايشكره ، وأما عند الموت فعالم مفرّط . وقال الخليل بن أحمد :الرجال

---

(١) حديث يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة : الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف

(٢) حديث لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ـ الحديث : ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٣) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ـ الحديث : أحمد من حديث أبى ذر باسناد جيد

(٤) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا أنه قال : زهدا . وروى ابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا على الحسن : من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا . وروى أبو الفتح الازدى فى الضعفاء من حديث علي من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا

أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى ، فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولايدرى أنه يدرى، فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لايدرى ويدرى أنه لايدرى،فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لايدرى ولايدرى أنه لايدرى ، فذلك جاهل فارفضوه. وقال سفيان الثورى رحمه الله : يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل. وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إنى لأرحم ثلاثة : عزيزَ قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالما تلعب به الدنيا. وقال الحسن :عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم: [1] «إِنَّ الْعَالِمَ لَيُعَذَّبُ عَذَابًا يُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ اسْتِعْظَامًا لِشِدَّةِ عَذَابِهِ» أراد به العالم الفاجر. وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [2] : «يُؤْتَى بِالْعَالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ مَالَكَ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ آمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ » . وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم . ولذلك قال الله عز وجل : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) لأنهم جحدوا بعد العلم، وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ماجعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة ، إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة ، إذ قال الله : (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) وقال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ،فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) . وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)

---

(١) حديث إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار ـ الحديث : لم أجده بهذا اللفظ ، وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده

(٢) حديث أسامة بن زيد : يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى فى النار فتندلق أقتابه ـ الحديث : متفق عليه بلفظ ارجل بدل العالم

حتى قال : (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ)فكذلك العالم الفاجر؛ فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات ، فشبه بالكلب ، أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات

وقال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع . ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى

فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل ؛ وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ،ولهم علامات :

فنها أن لايطلب الدنيا بعلمه ، فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها ، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ، ويعلم أنهما متضادتان ، وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر ، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ؛ فبقدر ماتصب منه فى الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر ؛ فان من لايعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام مايصفو منها ، فهو فاسد العقل ، فان المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك ، فكيف يكون من العلماء من لاعقل له ؟ ومن لايعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان ، فكيف يكون من العلماء من لاإيمان له ؟ ومن لايعلم مضادة الدنيا للآخرة ، وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع ، فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم ، بل هو كافر بالقرءان كله من أوله الى آخره ، فكيف يعد من زمرة العلماء ؟ ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته؟

وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى : إن أدنى ماأصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى . ياداود لاتسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى ، أولئك قطاع الطريق على عبادي . ياداود اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما .

يا داود من رد إلىّ هـاربا كتبته جهبذا ، ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبداً ».ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . ولذلك قال يحيى بن معاذ : إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا . وقال سعيد بن المسيّب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص . وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم ، فان كل محب يخوض فيما أحب . وقال مالك بن دينار رحمه الله : قرأت فى بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول : إن أهون ماأصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم . وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا:ياأصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية ،وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآثمكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية ! قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال آخر :

يامعشر القراء ياملح البلد ... مايصلح الملح إذا الملح فسد !

وقيل لبعض العارفين : أترى ان من تكون المعاصى قرة عينه لايعرف الله ؟فقال:لاأشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لايعرف الله تعالى . وهذا دون ذلك بكثير . ولاتظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة ، فان الجاه أضر من المال . ولذلك قال بشر : حدّثنا باب من أبواب الدنيا ، فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى . ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر مابين قمطرة وقوصرة من الكتب،وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ، ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت .وقال هو وغيره : إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت ، فاذا لم تشته فحدث . وهذا لأن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا ، فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا . ولذلك قال الثورى : فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد ، وكيف لاتخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم :(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)

وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا ، والآخرة منه العمل به ، والعمل كله هباء إلا الاخلاص : وقال الناس كلهم موتى إلا العلماء ، والعلماء سكارى إلا العاملين ، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين ، والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به. وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا. و إنما أراد به طلب الأسانيد العالية ، أو طلب الحديث الذي لايحتاج اليه فى طلب الآخرة. وقال عيسى عليه السلام : كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه ؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به؟ وقال صالح بن كيسان البصرى : أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ طَلَبَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ ٱللَّهِ تَعَالَى لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ ٱلدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »

وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا :(وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) وقال تعالى فى علماء الآخرة : (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) وقال بعض السلف : العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء ، والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين .وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه

وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) « أَوْحَى ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَنْبِيَاءِ : قُلْ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ ٱلدِّينِ، وَيَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ ٱلْعَمَلِ،

---

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضاً ــ الحديث : أبي داود وابن ماجه باسناد جيد.

(٢) حديث أبى الدرداء أوحي الله الى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ــ الحديث : ابن عبد البر باسناد ضعيف

وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الْكِبَاشِ وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذِّئَابِ أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ ، إِيَّايَ يُخَادِعُونَ ، وَبِي يَسْتَهْزِءُونَ : لَأَفْتَحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا »

وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « عُلَمَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَبَذَلَهُ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعًا وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا ، فَذَلِكَ يُصَلِّي عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ وَحِيتَانُ الْمَاءِ وَدَوَابُّ الْأَرْضِ وَالْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ، يَقْدُمُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيِّدًا شَرِيفًا حَتَّى يُرَافِقَ الْمُرْسَلِينَ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فِي الدُّنْيَا فَضَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِ اللهِ وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا ، فَذَلِكَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يُنَادِي مُنَادٍ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ : هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فِي الدُّنْيَا فَضَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَخَذَ بِهِ طَمَعًا وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا ، فَيُعَذَّبُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ »

وأشد من هذا ماروى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول : حدثنى موسى صفى الله ، حدثنى موسى نجىّ الله ، حدثنى موسى كليم الله ، حتى أثرى وكثر ماله ، ففقده موسى عليه السلام ، فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا ، حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود ، فقال له موسى عليه السلام : أتعرف فلانا ؟ قال : نعم ، هو هذا الخنزير ؛ فقال موسى : يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا؟ فأوحى الله عز وجل اليه : لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به : لأنه كان يطلب الدنيا بالدين

وأغلظ من هذا ماروى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبى

---

(١) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان ـ الحديث : الطبرانى فى الأوسط باسناد ضعيف

صلى الله عليه وسلم قال :(١) «مِنْ فِتْنَةِ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الِاسْتِمَاعِ، وَفِي الْكَلَامِ تَنْمِيقٌ وَزِيَادَةٌ وَلَا يُؤْمَنُ عَلَى صَاحِبِهِ الْخَطَأُ، وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ وَعِلْمٌ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَخْزُنُ عِلْمَهُ فَلَا يُحِبُّ أَنْ يُوجَدَ عِنْدَ غَيْرِهِ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَكُونُ فِي عِلْمِهِ بِمَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ إِنْ رُدَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ أَوْ تُهُووِنَ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّهِ غَضِبَ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْعَلُ عِلْمَهُ وَغَرَائِبَ حَدِيثِهِ لِأَهْلِ الشَّرَفِ وَالْيَسَارِ وَلَا يَرَى أَهْلَ الْحَاجَةِ لَهُ أَهْلًا فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الثَّالِثِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا فَيُفْتِي بِالْخَطَأِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْغِضُ الْمُتَكَلِّفِينَ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الرَّابِعِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِيَغْزُرَ بِهِ عِلْمُهُ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ عِلْمَهُ مُرُوءَةً وَنُبْلًا وَذِكْرًا فِي النَّاسِ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَسْتَفِزُّهُ الزَّهْوُ وَالْعُجْبُ فَإِنْ وَعَظَ عَنُفَ وَإِنْ وُعِظَ أَنِفَ فَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ. فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِالصَّمْتِ فَبِهِ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضْحَكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ أَوْ تَمْشِيَ فِي غَيْرِ أَرَبٍ»

وفي خبر آخر(٢) «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُنْشَرُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال : ياأبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة . فقال الحسن : عافاك الله تعالى، ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا، لقي الله تعالى يوم القيامة

---

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع ـ الحديث: أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات

(٢) حديث إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة : لم أجده هكذا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة

ولا خلاق له! وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « لَا تَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ عَالِمٍ إِلاَّ إِلَى عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنْ خَمْسٍ إِلَى خَمْسٍ : مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الإِخْلَاصِ ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الزُّهْدِ ، وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ،قال تعالى:(فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ) الآية . فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا

ومنها أن لا يخالف فعله قوله ، بل لا يأمر بالشيء مالم يكن هو أول عامل به ، قال الله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) وقال تعالى : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وقال تعالى فى قصة شعيب : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) وقال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) وقال تعالى :(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا) (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا). وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يَا ابْنَ مَرْيَمَ عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ اتَّعَظْتَ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلاَّ فَاسْتَحِي مِنِّي» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتُم ؟ فَقَالُوا : كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ وَنَنْهَىٰ عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « هَلَاكُ أُمَّتِي عَالِمٌ فَاجِرٌ وَعَابِدٌ جَاهِلٌ وَشَرُّ الشِّرَارِ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ ، وَخَيْرُ الْخِيَارِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ »

وقال الأوزاعى رحمه الله : شكت النواويس ماتجد من نتن جيف الكفار ، فأوحى الله اليها : بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : بلغنى أن

---

(١) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم ـ الحديث : أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزي فى الموضوعات

(٢) حديث مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ـ الحديث : ابن حبان من حديث أنس

(٣) حديث هلاك أمتى عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء ـ الحديث : الدارمي من رؤية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه، وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث

الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: ويل لمن لايعلم مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات . وقال الشعبي : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم : ماأدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ، وننهى عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله : ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علّم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك بن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل القَطْر عن الصفا . وأنشدوا :

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : مررت بحجر بمكة مكتوبٍ عليه : اقلبنى تعتبر،فقلبته فاذا عليه مكتوب : أنت بما تعلم لاتعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم ! وقال ابن السماك رحمه الله : كم من مذكّر بالله ناس لله ؛ وكم من مخوّف بالله جرىء على الله، وكم من مقرّب إلى الله بعيد من الله ؛ وكم من داع إلى الله فارّ من الله ؛ وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله ! وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: لقد أعربنا فى كلامنا فلم نلحَن ولحنّا فى أعمالنا فلم نعرب . وقال الأوزاعى:إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع

وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غَنْم أنه قال : حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : كنا ندرس العلم فى مسجد قُباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال [(١)] « تَعَلَّمُوا مَاشِئْتُمْ أن تَعَلَّمُوافَلَنْ يَأْجَرَكُمُ اللهُ حَتَّى تَعْمَلُوا » وقال عيسى

---

(١) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ماشئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا: علقمة بن عبد البر وأسنده ابن عدى وابو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمى موقوفا على معاذ بسند صحيح

عليه السلام : مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ؛ فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد .وقال معاذ رحمه الله : احذروا زَلّـة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته . وقال عمر رضي الله عنه : إذا زل العالم زل بزلته عالَم من الخلق .وقال عمر رضى الله عنه : ثلاث بهن ينهدم الزمان : إحداهن زلة العـالم . وقال ابن مسعود : سيأتى على الناس زمان تملُح فيـه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه ، فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة، ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم ، فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله ، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب ! فوالله الذى لا إله إلا هو ماذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى ، والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وفى التوراة والانجيل مكتوب : لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه : إنكم فى زمان من ترك فيه عُشر مايعلم هلك ، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر مايعلم نجا ، وذلك لكثرة البطالين

واعلم أن مثل العالم مثل القاضى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) «اُلقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : قَاضٍ قَضَى بِاُلْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُ فَذَلِكَ فِى اُلْجَنَّةِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِاُلْجَوْرِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَوْ لَا يَعْلَمُ فَهُوَ فِى النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اُللَّهُ بِهِ فَهُوَ فِى النَّارِ » .وقال كعب رحمه الله : يكون فى آخر الزمان علماء يزهّدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم ، يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) «إِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا يَسْوِّفُكُمْ بِاُلعِلْمِ » فقيل يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) حديث القضاة ثلاثة ــ الحديث: أصحاب السنن من حديث بريدة ، وهو صحيح

(٢) حديث إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم ــ الحديث : فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف

« يَقُولُ : أُطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَعْمَلْ حَتَّى تَعْلَمَ ، فَلَا يَزَالُ لِلْعِلْمِ قَائِلاً وَلِلْعَمَلِ مُسَوِّفاً حَتَّى يَمُوتَ وَمَا عَمِلَ »

وقال سَرِى السَّقَطى : اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر ، فسألته فقال : رأيت فى النوم قائلا يقول لى إلى كم تضيع العلم ضيعك الله! فقلت: إنى لأحفظه، فقال حفظ العلم العمل به . فتركت الطلب وأقبلت على العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية .وقال الحسن : تعلموا ماشئتم أن تعلموا فوالله لايأجركم الله حتى تعملوا، فان السفهاء همتهم الرواية ، والعلماء همتهم الرعاية . وقال مالك رحمه الله : إن طلب العلم لحسن ، وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ، ولكن انظر مايلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئا

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: أنزل القرءان ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا، وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم، والعالم الذى لايعمل كالمريض الذى يصف الدواء، وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفى مثله قوله تعالى : (وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ). وفى الخبر [١] « مِمَّا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي زَلَّةُ عَالِمٍ وَجِدَالُ مُنَافِقٍ فِى الْقُرْءانِ »

ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة ، المرغب فى الطاعات ، مجتنبا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال . فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته ، فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب ، وترك مهمه الذى هو مؤاخذبه ، وذلك محض السفه . وقد روى [٢] « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: عَلِّمْنِي مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ، فَقَالَ لَهُ : مَاصَنَعْتَ فِى رَأْسِ الْعِلْمِ؟

---

(١) حديث مما أخاف على أمتى زلة عالم ــ الحديث : الطبرانى من حديث أبى الدرداء ، ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين

(٢) حديث ان رجلا جاء الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم ــ الحديث : ابن السني وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما وابن عبدالبر من حديث عبدالله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا

فَقَالَ : وَمَا رَأسُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم : هَلْ عَرَفْتَ الرَّبَّ تعالى ؟ قَالَ نَعَمْ . قَال فَمَاصَنَعْتَ فِى حَقِّهِ ؟ قَالَ : ماشَاءَ اللّهُ . فَقَال صلى الله عليه وسلم : هَلْ عَرَفْتَ الْمَوْتَ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ فَمَا أعْدَدْتَ لَهُ ؟ قَالَ : مَاشَاءَ الله . قَالَ صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَأَحْكِمْ مَاهُنَاكَ ثُمَّ تَعَال نُعَلِّمْكَ مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ»

بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما : أنه قال له شقيق : منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة . قال : فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ قال : ثمانى مسائل . قال شقيق له : إنّا لله وإنا اليهِ رَاجِعُونَ ، ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل ! قال ياأستاذ لم أتعلم غيرها ، وإنى لا أحب أن أكذب. فقال : هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها

قال حاتم : نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه ، فجعلت الحسنات محبوبى ، فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى ، فقال أحسنت ياحاتم ، فما الثانية ؟

فقال : نظرت فى قول الله عز وجل : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق ، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى

الثالثة : أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت الى قول الله عز وجل : (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ) فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا

الرابعة : أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فاذا هى لاشىء ، ثم نظرت الى قول الله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما

الخامسة : أنى نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا ، وأصل هذا كله الحسد ، ثم نظرت الى قول الله عز وجل : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فتركت الحسد واجتنبت الخلق ، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه، فتركت عداوة الخلق عني

السادسة : نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ، ويقاتل بعضهم بعضا ، فرجعت إلى قول الله عزوجل (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه ، لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوٌ لي ، فتركت عداوة الخلق غيره

السابعة : نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لايحل له ، ثم نظرت الى قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها ، فاشتغلت بما لله تعالى عليّ ،وتركت مالي عنده

الثامنة : نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق : هذا على ضيعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صناعته ، وهذا على صحة بدنه ، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله ، فرجعت الى قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) فتوكلت على الله عز وجل ، فهو حسبي .

قال شقيق : ياحاتم وفقك الله تعالى ، فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة ، وهي تدور على هذه الثمان مسائل ،فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة .

فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة ، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ، ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام . وقال الضحاك بن مزاحم : أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع ،وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب ، والتنعم في الملبس ، والتجمل في الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ، ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ، ويميل الى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك ، وكلما زاد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه ،

وارتفع فى علماء الآخرة حزبه . ويشهدلذلك ماحكى عن أبى عبد الله الخوّاص ، وكان من أصحاب حاتم الأصم : قال : دخلت مع حاتم الى الرّى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام ، فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين ، فأضافنا تلك الليلة ، فلما كان من الغد ، قال لحاتم : ألك حاجة ؟ فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل . قال حاتم : عيادة المريض فيها فضل ، والنظر إلى الفقيه عبادة ، وأنا أيضا أجيء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فلما جئنا إلى الباب فاذا قصر مشرف حسن ، فبقى حاتم متفكراً يقول : باب عالم على هذه الحالة ! ثم أذن لهم فدخلوا ، فاذا دار حسناء قوراء ، واسعة نزهة ، واذا بزة وستور ، فبقى حاتم متفكرا ، ثم دخلوا الى المجلس الذى هو فيه ، واذا بفرُش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة ، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم ، فأومأ اليه ابن مقاتل أن اجلس ، فقال : لاأجلس ، فقال : لعل لك حاجة ، قال : نعم ، قال : وما هى ؟ قال : مسألة أسألك عنها ، قال : سل ، قال : قم فاستو جالسا حتى أسألك ، فاستوى جالسا ، قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ فقال : من الثقات حدثونى به ، قال : عمن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل ، قال حاتم : ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، وأصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات اليك: هل سمعت فيه من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر ، كان له عند الله عزجل المنزلة أكبر ؟ قال : لا ، قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدّم لآخرته، كانت له عند الله المنزلة ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت :أبالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله ، أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر ؟ ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة ، أفلا أكون أناشراً منه ؟ وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا ، وبلغ أهل الرّى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل ، فقالوا له : إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعا منه،

فسار حاتم متعمدا فدخل عليه ، فقال : رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة . قال نعم وكرامة ، ياغلام هات إناء فيه ماء ، فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثلاثا ثم قال : هكذا فتوضأ ، فقال حاتم : مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا ، فقال الطنافسى : باهذا أسرفت ، قال له حاتم : فيماذا ؟ قال : غسلت ذراعيك أربعا ، فقال حاتم : ياسبحان الله العظيم : أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف ! فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم ، فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما ، فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا : ياأبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، قال : معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى : أفرح إذا أصاب خصمى ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه . فبلغ ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ماأعقله ! قوموا بنا اليه، فلما دخلوا عليه قال له : ياأبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال : ياأبا عبدالله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم ، وتمنع جهلك منهم ، وتبذل لهم شيئك ، وتكون من شيئهم آيسا ، فاذا كنت هكذا سلمت

ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة ، فقال : ياقوم أية مدينة هذه ؟ قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلى فيه ؟ قالوا : ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطىء بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم؟ قالوا: ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض ، قال حاتم : ياقوم فهذه مدينة فرعون ! فأخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا : هذا العجمى يقول : هذه مدينة فرعون ، قال الوالى: ولم ذلك ؟ قال حاتم : لا تعجل علىّ أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت : مدينة من هذه ؟ فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فأين قصره ، وقص القصة ، ثم قال : وقد قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) فأنتم بمن تأسيتم ؛ أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى ، وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل مايشهد لذلك فى مواضعه

والتحقيق فيه : أن التزين بالمباح ليس بحرام ، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه ، واستدامة الزينة لاتمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى : من المداهنة ، ومراعاة الخلق ومراءاتهم ، وأمور أخر هى محظورة ، والحزم اجتناب ذلك ، لأن من خاض فى الدنيا لايسلم منها ألبتة ، ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لايبالغ فى ترك الدنيا حتى [1] « نَزَعَ الْقَمِيصَ الْمُطَرَّزَ بِالْعَلَمِ » « وَنَزَعَ خَاتَمَ الذَّهَبِ [2] فِى أَثْنَاءِ الخُطْبَةِ » إلى غير ذلك مما سيأتى بيانه

وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنهما :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين . من يحيى بن يزيد بن عبدالملك إلى مالك بن أنس . أما بعد : فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق ، وتأكل الرقاق ، وتجلس على الوطىء ، وتجعل على بابك حاجبا ، وقد جلستَ مجلس العلم ، وقد ضربت اليك المطى ، وارتحل اليك الناس ، واتخذوك إماما ، ورضوا بقولك ، فاتق الله تعالى يامالك ، وعليك بالتواضع . كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى . والسلام

فكتب اليه مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمـــد وآله وصحبه وسلم . من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد . سلام الله عليك . أما بعد : فقد وصل إلىّ كتابك فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب ، أمتعك الله بالتقوى ، وجزاك بالنصيحة خيرا ، وأسأل الله تعالى التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فأما ماذكرت لى أنى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء ، فنحن نفعل ذلك ، ونستغفر الله تعالى ، فقد قال الله تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ) . وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا . والسلام

فانظر الى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، وأفتى بأنه مباح ، وقد صدق فيهما جميعا ، ومثل مالك فى منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف فى مثل

---

(١) حديث نزع القميص العلم : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث نزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة : متفق عليه من حديث ابن عمر

هذه النصيحة ، فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح ، حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة ، والتجاوز الى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه . فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم ، وهو بعيد من الخوف والخشية . وخاصية علماء الله تعالى الخشية . وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر

ومنها ـ أن يكون مستقصيا عن السلاطين ، فلا يدخل عليهم ألبتة مادام يجد الى الفرار عنهم سبيلا ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا اليه ، فأن الدنيا حلوة خضرة ، وزمامها بأيدي السلاطين ، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم ، مع أنهم ظلمة ، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم ، وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم . فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه ، أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم ، أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم ، وذلك هو البهت الصريح ، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم ، وذلك هو السحت . وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين ومالا يجوز من الأدرار والجوائز وغيرها . وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور ، وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط

وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] «مَنْ بَدَا جَفَا ـ يعنى من سكن البادية جفا ـ وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتَتَنَ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ أَبْعَدَهُ اللهُ تَعَالَى) قيل: أفلا نقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لَا ، مَاصَلُّوا » . وقال سفيان: فى جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القرّاء الزائرون للملوك . وقال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن ، قيل: وما هى ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] « الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ تَعَالَى مَالَمْ يُخَالِطُوا

---

(١) حديث من بدا جفا ـ الحديث : أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس

(٢) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ـ الحديث : مسلم من حديث أم سلمة .

(٣) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله ـ الحديث : العقيلى فى الضعفاء وذكره ابن الجوزى في الموضوعات

السَّلَاطِينَ ، فَإِذَافَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ » رواه أنس

وقيل للأعمش: لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك ، فقال : لاتعجلوا : ثلث يموتون قبل الادراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق. والثلث الباقي لايفلح منه إلا القليل. ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله : اذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فانه لص . وقال الأوزاعي : مامن شيء أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « شِرَارُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الأُمَرَاءَ ، وَخِيَارُ الأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْعُلَمَاءَ »

وقال مكحول الدمشقي رحمه الله : من تعلم القرءان وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه ، خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سمنون : ماأسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال : هو عندالأمير ! قال : وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك ، وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا، مع أنى لا آخذ منه شيئا، ولا أشرب له شربة ماء ، ثم قال : وعلماء زماننا شر من علماء بنى اسرائيل : يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه ، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم

وقال الحسن : كان فيمن كان قبلكم رجل له قَدَم فى الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عبد الله بن المبارك ، عنى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، قال : وكان لا يغشى السلاطين ، وينفر عنهم . فقال له بنوه: يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام فلو أتيتهم ! فقال: يابنىَ آتى جيفة قد أحاط بها قوم ، والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها ! قالوا ياأبانا إذن نهلك هزالا ، قال: يابنى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا ! قال الحسن : خصمهم والله ، إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن، دون الايمان. وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لايسلم من النفاق ألبتة ، وهو مضاد للايمان . وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة لاتغش أبواب السلاطين فانك لاتصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من

---

(١) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء : ابن ماجه بالشطر الأول نحوه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

دينك أفضل منه . وهذه فتنة عظيمة للعلماء ، وذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ، إذ لا يزال الشيطان يلقى اليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع ، الى أن يخيل اليه أن الدخول عليه من الدين ، ثم اذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ، ويخوض فى الثناء والإطراء ، وفيه هلاك الدين . وكان يقال : العلماء اذا علموا عملوا ، فاذا عملوا شغلوا ، فاذا شغلوا فقدوا ، فاذا فقدوا طلبوا ، فاذا طلبوا هربوا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن :

أما بعد فأشر علىّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى

فكتب اليه :

أما أهل الدين فلا يريدونك ، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ، ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة

هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وكان أزهد أهل زمانه ، فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته . ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم ، إما لميلهم الى الدنيا ، وإما لمخالطتهم السلاطين

ومنها ـ ألا يكون مسارعا إلى الفتيا ، بل يكون متوقفا ومحترزا ماوجد إلى الخلاص سبيلا ، فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى ، أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال : لاأدرى ، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية . هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم . وفى الخبر « الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ [1] : كِتَابٌ نَاطِقٌ ، وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ ، وَلَاأَدْرِى » قال الشعبى : لاأدرى نصف العلم ، ومن سكت حيث لايدرى لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق ، لان الاعتراف بالجهل

---

(١) حديث العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى : الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

أشد على النفس . فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم

كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال : اذهب الى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الذى يفتى الناس فى كل مايستفتونه لمجنون . وقال جنة العالم لاأدرى ، فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله . وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : ليس شىء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم ، يقول انظروا الى هذا سكوته أشد علىّ من كلامه . ووصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة ، أى لايتكلمون حتى يسألوا ، وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا ، فان اضطروا أجابوا . وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام .

ومرّ علىّ وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس، فقال : هذا يقول اعرفونى . وقال بعضهم : إنما العالم الذى إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه . وكان ابن عمر يقول : تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم ؟ وقال أبو حفص النيسابورى : العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة : من أين أجبت ؟ وكان ابراهيم التيمى إذا سئل عن مسألة يبكى ويقول : لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الىّ ؟ وكان أبو العالية الرياحى وابراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير ، فاذا كثروا انصرفوا . وقال صلى الله عليه وسلم(١) مَا أَدْرِى أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ أَمْ لَا ، وَمَا أَدْرِى أَتُبَّعٌ مَلْعُونٌ أَمْ لَا ، وَمَا أَدْرِى ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِيٌّ أَمْ لَا »(٢) «ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خَيْرِ الْبِقَاعِ فِى الْأَرْضِ وَشَرِّهَا ، قَالَ : لَاأَدْرِى ، حَتَّى نَزَلَ عليه جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَسَأَلَهُ فقَال : لَاأَدْرِى ، إِلَى أَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرَّهَا الْأَسْوَاقُ »

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة . وكان فى الفقهاء من يقول لاأدرى أكثر ممن يقول أدرى ، منهم سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل

---

(١) حديث ما أدري أعزير نبى أم لا ـ الحديث : أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى حتى نزل جبريل ـ الحديث : أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر

والفضيل بن عياض ، وبشر بن الحارث . وقال عبدالرحمن بن أبى ليلى : أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنهم أحد يُسأل عن حديث أوفتيا إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك . وفى لفظ آخر : كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ، ويردها الآخر إلى الآخر ، حتى تعود إلى الأول

وروى أن أصحاب الصُّفّة أُهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر ، فأهداه إلى الآخر ، وأهداه الآخر إلى الآخر ، هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول . فانظرْ الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه . ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ماروى مسندا عن بعضهم أنه قال : لايفتى الناس إلا ثلاثة : أمير ، أو مأمور ، أو متكلف . وقال بعضهم : كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الامامة والوصية ، والوديعة ، والفتيا . وقال بعضهم: كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما ، وأشدهم دفعا لها أورعهم . وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء : قراءة القرءان ، وعمارة المساجد ، وذكر الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم[1] «كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلاَّ ثَلاثَةً : أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْىٌ عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى»

وقال تعالى:(لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) الآية . ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام فقال: مارأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى ؟ فكره وجهه وأعرض عنه ، وقال : ماوجدناه شيئا ، وما حمدنا عاقبته . وقال ابن حصين : إن أحدهم ليفتى فى مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر ! فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة. وفى الحديث « إِذَا رَأَيْتُمُ[2] الرَّجُلَ قَدْ أُوتِيَ صَمْتًا وَزُهْدًا فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ » .

---

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة ـ الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذى حديث غريب

(٢) حديث اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا ـ الحديث : ابن ماجه من حديث ابن خلاد باسناد ضعيف

وقيل : العالم إما عالم عامة وهو المفتى وهم أصحاب السلاطين ، أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون

وكان يقال : مثل أحمد بن حنبل مثل دِجلة : كل أحد يغترف منها ، ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لايقصدها إلا واحد بعد واحد . وكانوا يقولون : فلان عالم ، وفلان متكلم ، وفلان أكثر كلاما ، وفلان أكثر عملا . وقال أبو سليمان: المعرفة إلى السكوت أقرب منها الى الكلام . وقيل : إذا كثر العلم قلّ الكلام ، واذا كثر الكلام قلّ العلم . وكتب سلمان الى أبى الدرداء رضى الله عنهما وكان «قد آخى[١] بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم» : ياأخى : بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى ، فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وإن كنت متطببا فالله الله لاتقتل مسلما. فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل . وكان أنس رضى الله عنه إذا سئل يقول : سلوا مولانا الحسن . وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا سئل يقول : سلوا حارثة بن زيد . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : سلوا سعيد بن المسيب وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال : ماعندى إلا مارويت ، فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه ، فأخذ الصحابى كفًّا من حصى ورماهم به وقال : تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم !

ومنها ـ أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه ، وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك ، من المجاهدة والمراقبة ، فان المجاهدة تفضى إلى المشاهدة ، ودقائق علوم القلوب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب ، وأما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة، والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة ، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الالهام ، ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة . وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب !

---

(١) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء : البخارى من حديث أبى جحيفة

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَالَمْ يَعْلَمْ »

وفى بعض الكتب السالفة : يابنى اسرائيل لا تقولوا : العلم فى السماء من ينزل به إلى الأرض، ولا فى تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به، العلم مجعول فى قلوبكم، تأدبوا بين يدىّ بآداب الروحانيين، وتخلقوا لى بأخلاق الصدّيقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم . وقال سهل بن عبد الله التُسْتَرى رحمه الله : خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ، ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلاقوله تعالى : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) الآية . ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » . وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى : (٢) « لَايَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ »الحديث. فكم من معان دقيقة من أسرار القرءان تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه ، وعلموا أن ذلك من تبيهات القلوب الزكية ، وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه ، وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب، فان كل علم من هذه العلوم بحر لايدرك عمقه ، وإنما يخوضه كل طالب بقدر مارزق منه ، وبحسب ما وفق له من حسن العمل

وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل : «القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير ، والناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق ، والعلم دين يدان به ، تكتسب به الطاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، العلم حاكم والمال

---

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم : أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه

(٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا : متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره.وهو فى الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

محكوم عليه ، ومنفعة المال تزول بزواله ، مات خُزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر . ثم تنفس الصعداء ، وقال: هاه ! إن ها هنا علما جمًّا لو وجدت له حملة ، بل أجد طالباً غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ، ويستطيل بنعم الله على أوليائه ، ويستظهر بحجته على خلقه ، أو منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة ، لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك ، أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات ،أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقاداً لهواه ، أقرب شبها بهم الأنعام السائمة ، اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ، ثم لاتخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهر مكشوف ، وإما خائف مقهور، لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته ؛ وكم وأين أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون قدرا ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة، يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا مااستوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه ، وأمناؤه وعماله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه . ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم!!»

فهذا الذى ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة ، وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة

ومنها ـ أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فان اليقين هو رأس مال الدين ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « اُلْيَقِينُ اُلإِيمَانُ كُلُّهُ » فلا بد من تعلم علم اليقين ، أعنى أوائله ، ثم ينفتح للقلب طريقه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [2] «تَعَلَّمُوا اُلْيَقِينَ» ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين ، وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم ، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل . وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له : رجل حسن اليقين كثير الذنوب ، ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين ، فقال صلى الله عليه وسلم [3] « مَامِنْ آدَمِيّ

---

(١) حديث اليقين الايمان كله: البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(٢) حديث تعلموا اليقين : أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان

(٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب : الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس باسناد مظلم

إلاَّ وَلَهُ ذُنُوبٌ » ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب ، لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم ، فتكفر ذنوبه ، ويبقى له فضل يدخل به الجنة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم[١] «إِنَّ مِنْ أَقَلِّ مَاأُوتِيتُمُ اَلْيَقِينَ وَعَزِيمَةَ اَلصَّبْرِ وَمَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْهُمَا لَمْ يُبَالِ مَافَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اَللَّيْلِ وَصِيَامِ اَلنَّهَارِ» . وفى وصية لقمان لابنه : يابنى لايستطاع العمل إلاباليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه

وقال يحيى بن معاذ : إن للتوحيد نورا ، وللشرك نارا ، وإن نور التوحيد أحرقُ لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين . وأراد به اليقين . وقد أشار الله تعالى فى القرءان إلى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات

فان قلت : فامعنى اليقين ، وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه ، فان مالاتفهم صورته لايمكن طلبه؟

فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين : أما النظّار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك ، إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات :

الأول ـ أن يعتدل التصديق والتكذيب ، ويعبر عنه بالشك ، كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك ، فان نفسك لاتميل إلى الحكم فيه باثبات ولا نفى ، بل يستوى عندك إمكان الأمرين ، فيسمى هذا شكا

الثانى ـ أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بامكان نقيضه ، ولكنه إمكان لايمنع ترجيح الأول، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب ؟ فان نفسك تميل إلى أنه لايعاقب أكثر من ميلها الى العقاب ، وذلك لظهور علامات الصلاح ، ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته ،فهذا التجويز مساوٍ لذلك الميل ، ولكنه غير دافع رجحانه . فهذه الحالة تسمى ظنا

الثالث ـ أن تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولايخطر بالبال غيره ، ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة ، إذ لو أحسن صاحب

---

(١) حديث من أولى ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ـ الحديث: لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ماأنزل الله شيئا أقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس أقل من الحلم ـ الحديث

هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز، وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين ، وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها ، إذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع ، حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله

الرابع ـ المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لايشك فيه ولا يتصور الشك فيه ، فاذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء . ومثاله أنه إذا قيل للعاقل : هل فى الوجود شىء هو قديم؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة ، لأن القديم غير محسوس، لا كالشمس والقمر ، فانه يصدق بوجودهما بالحس ، وليس العلم بوجود شىء قديم أزلى ضروريا مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال، فان هذا أيضا ضرورى ، فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة . ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه ، وذلك هو الاعتقاد ، وهو حال جميع العوام . ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له : إن لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة ، فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال ، فالمؤدى الى المحال محال ، فيلزم فى العقل التصديق بوجود شىء قديم بالضرورة ، لأن الأقسام ثلاثة : وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة ؛ أو كلها حادثة ، أو بعضها قديمة وبعضها حادثة ، فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم ، وإن كان الكل حادثا فهو محال، إذ يؤدى الى حدوث بغير سبب ، فيثبت القسم الثالث أو الأول ، وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء ، سواء حصل بنظر مثل ماذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل ، كالعلم باستحالة حادث بلا سبب ، أو بتواتر كالعلم بوجود مكة ، أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل ، أو بدليل كما ذكرنا

فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك . فكل علم لاشك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء ، وعلى هذا لايوصف اليقين بالضعف ، إذ لا تفاوت فى نفى الشك .

الاصطلاح الثانى ــ اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء ، وهو أن لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك ، بل الى استيلائه وغلبته على العقل ، حتى يقال : فلان ضعيف اليقين

بالموت مع أنه لاشك فيه ، ويقال: فلان قوى اليقين فى إتيـان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه . فمها مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع ، سمى ذلك يقينا .ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ، ولـكن فيهم من لايلتفت اليه ، ولا الى الاستعداد له ، وكأنه غير موقن به . ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره، فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين . ولذلك قال بعضهم : مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت . وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة . ونحن إنما أردنا بقولنا : إن من شأن علمـاء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا ، وهو نفى الشك ، ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها

فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام، بالقوة والضعف ، والـكثرة والقلة ، والخفاء والجلاء ، فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثـانى ، وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ، ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لاتتناهى ، وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى .وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضا ، أما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر، أعنى الاصطلاح الثانى ، وفيما انتفى الشك أيضـا عنه لاسبيل الى إنـكاره ، فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فَدَك مثلا ، وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لاتشك فى الأمرين جميعا ،اذ مستندهما جميعا التواتر، ولـكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى ، لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين ، وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة ، فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الـكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك ، وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الـكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال. وأما القلة والـكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين ، كما يقال : فلان أكثر علما من فلان ، أى معلوماته أكثر ، ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به ، وقد يكون قوى اليقين فى بعضه

فان قلت : قد فهمت اليقين وقوته وضعفه ، وكثرته وقلته ، وجلاءه وخفاءه ، بمعنى نفى

الشك ، أو بمعنى الاستيلاء على القلب ، فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه، وفيماذا يطلب اليقين، فانى مالم أعرف مايطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ؟

فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجارى اليقين، فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة، ومتعلقه المعلومات التى وردت بها الشرائع، فلا مطمع فى إحصائها ، ولكنى أشير إلى بعضها وهى أمهاتها :

فمن ذلك التوحيد : وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب، ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها ،فالمصدق بهذا موقن ، فان انتفى عن قلبه مع الايمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين ، فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم، ونزّل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما، بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين ، فقد صار موقنا بالمعنى الثانى، وهو الأشرف، وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته . ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب ، وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل ، استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم ،وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق . فهذا أحد أبواب اليقين

ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا) ، واليقين بأن ذلك يأتيه ، وأن ما قدر له سيساق اليه . ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ، ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على مافاته ، وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة

ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ،وهو اليقين بالثواب والعقاب ، حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ، ونسبةَ المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والأفاعى الى الهلاك ، فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره ، فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها ،وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها ، فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها . فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين ، أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون.

وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات، والمبالغة فى التقوى، والتحرز عن كل السيئات ، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ

ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ، ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك ، فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك ، وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصدّيقون . وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع أحواله ، كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه ، فانه لا يزال مطرقا متأدبا فى جميع أعماله ، متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ، ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة ، إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره ، فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس ، وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار ، والذل والاستكانة والخضوع ، وجملة من الأخلاق المحمودة . وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة ، فاليقين فى كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة . وهذه الأخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة منها . وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان . فاليقين هو الأصل والأساس ، وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه . وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات ، إن شاء الله تعالى . وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن

ومنها ـ أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا ، يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته : لا ينظر اليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى ، وكانت صورته دليلا على عمله ، فالجواد عينه مرآته ، وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع . وقد قيل : ما ألبس الله عبدا ألبسة أحسن من خشوع فى سكينة ، فهى لبسة الأنبياء ، وسيما الصالحين والصديقين والعلماء

وأما التهافت فى الكلام والتشدّق ، والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر ، والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه ، وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به . وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التُّسْتَرى رحمه الله : عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله ، وهم المفتون فى الحلال والحرام ، وهذا العلم لا يورث الخشية ؛ وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله ، وهم عموم المؤمنين ؛ وعالم بالله تعالى وبأمر الله

تعالى وبأيام الله تعالى ، وهم الصديقون ، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم . وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة . فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه

وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، وليتواضع لكم من يتعلم منكم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ؛ فلا يقوم علمكم بجهلكم . ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا ؛ فذلك هو العلم النافع . وفى الأثر : من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين . وفى الخبر [١] « إِنَّ مِنْ خِيَارِ أُمَّتِي قَوْمًا يَضْحَكُونَ جَهْرًا مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ ، وَيَبْكُونَ سِرًّا مِنْ خَوْفِ عَذَابِهِ ، أَبْدَانُهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَقُلُوبُهُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ ، أَرْوَاحُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَعُقُولُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ، يَتَمَشَّوْنَ بِٱلسَّكِينَةِ ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِٱلْوَسِيلَةِ » . وقال الحسن: الحلم وزير العلم ، والرفق أبوه ، والتواضع سرباله

وقال بشر بن الحارث: من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت فى السماء والأرض. ويروى فى الاسرائيليات أن حكيما صنف ثلاثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل لفلان ملأت الأرض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشيء وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا . فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع فى نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له :الآن وفقت لرضاى

وحكى الأزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول : ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه ؛ وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى . وروى أنه [٢] « قِيلَ : يَارَسُولَ ٱللَّهِ أَيُّ ٱلْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ

---

(١) حديث إن من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه الحديث : الحاكم والبيهقى فى شعب الايمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان

(٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث : لم أجده هكذا بطوله وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى. وللدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء . وقد تقدم

اُجْتِنَابُ ٱلْمَحَارِمِ، وَلَا يَزَالُ فُوكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ تَعَالَى . قيل : فَأَيُّ ٱلْأَصْحَابِ خَيْرٌ؟ قال صلى الله عليه وسلم: صَاحِبٌ إِنْ ذَكَرْتَ ٱللَّهَ أَعَانَكَ ، وَإِنْ نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ . قِيلَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ شَرٌّ؟ قال صلى الله عليه وسلم: صَاحِبٌ إِنْ نَسِيتَ لَمْ يُذَكِّرْكَ ، وَإِنْ ذَكَرْتَ لَمْ يُعِنْكَ . قيل : فَأَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قال : أَشَدُّهُمْ لِلَّهِ خَشْيَةً . قيل : فَأَخْبِرْنَا بِخِيَارِنَا نُجَالِسْهُمْ . قال صلى الله عليه وسلم: ٱلَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ ٱللَّهُ . قيل: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قال : اللَّهُمَّ غَفْرًا . قَالُوا أَخْبِرْنَا يَارَسُولَ ٱللَّهِ ، قال : ٱلْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا »

وقال صلى الله عليه وسلم[1] «إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أَمَانًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ فِكْرًا فِي ٱلدُّنْيَا ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ ضِحْكًا فِي ٱلْآخِرَةِ أَكْثَرُهُم بُكَاءً فِي ٱلدُّنْيَا ، وَأَشَدُّ النَّاسِ فَرَحًا فِي ٱلْآخِرَةِ أَطْوَلُهُمْ حُزْنًا فِي ٱلدُّنْيَا »

وقال علي رضي الله عنه في خطبة له : ذمتي رهينة وأنا به زعيم ، إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ، ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل ، وإن أجهل النـاس من لا يعرف قدره ، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قَمَش علما أغار به في أغباش الفتنة ، سمّاه أشباه له من الناس وأرذالهم عالما ، ولم يعش في العلم يوما سالما ، بكّر واستكثر ، فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى ، حتى إذا ارتوى من ماء آجن ، وأكثر من غير طائل ، جلس للناس معلمـا لتخليص ما التبس على غيره ، فان نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأي ، فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ، ركّاب جهالات ، خباط عشوات ، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم ، تبكي منه الدماء ، وتستحل بقضائه الفروج الحرام ، لا ملىء والله بإصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل لمـا فوض اليه ، أولئك الذين حلت عليهم المثُلات ، وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا . وقال علي رضي الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب

وقال بعض السلف : العالم إذا ضحك ضَحْكَةً مَجَّ من العلم مَجة . وقيل : إذا جمع المعلم

(١) حديث إن أكثر الناس أمناً يوم القيامة أكثرهم خوفا في الدنيا ـ الحديث : لم أجد له أصلا

ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم : الصبر ، والتواضع ، وحسن الخلق ، وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم : العقل، والأدب ، وحسن الفهم. وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرءان لاينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرءان للعمل لا للرياسة. وقال ابن عمر رضى الله عنها[١] « لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنَ ٱلدَّهْرِ وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَى ٱلإِيمَانَ قَبْلَ ٱلْقُرْءَانِ، وَتَنْزِلُ ٱلسُّورَةُ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَوَامِرَهَا وَزَوَاجِرَهَا ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمْ ٱلْقُرْءَانَ قَبْلَ ٱلإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَابَيْنَ فَاتِحَةِ ٱلْكِتَابِ إِلَى خَاتِمَتِهِ لَايَدْرِى مَا آمِرُهُ وَمَا زَاجِرُهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ ٱلدَّقَلِ » وفى خبر آخر بمثل معناه[٢] « كُنَّا أَصْحَابَ رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُوتِينَا ٱلإِيمَانَ قَبْلَ ٱلْقُرْءَانِ ، وَسَيَأْتِي بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يُؤْتَوْنَ ٱلْقُرْءَانَ قَبْلَ ٱلإِيمَانِ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ وَيُضَيِّعُونَ حُدُودَهُ وَحُقُوقَهُ يَقُولُونَ قَرَأْنَا فَمَنْ أَقْرَأُ مِنَّا وَعَلِمْنَا فَمَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ فَذَلِكَ حَظُّهُمْ » وفى لفظ آخر: « أُولَئِكَ شِرَارُ هَذِهِ ٱلأُمَّةِ »

وقيل : خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية، والخشوع ، والتواضع ، وحسن الخلق ، وإيثار الآخرة على الدنيا، وهو الزهد، فأما الخشية فمن قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ) . وأما الخشوع فمن قوله تعالى: (خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) . وأما التواضع فمن قوله تعالى: (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) وأما الزهد فمن قوله تعالى (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ولما تلا[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :(فَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

---

(١) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الايمان قبل القرءان ـ الحديث : الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى

(٢) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرءان ـ الحديث: ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف

(٣) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » الحديث الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن مسعود

صَدْرَهُ للإِسْلَامِ) فقيل له : ماهذا الشَّرْحُ ؟ فقال : إن النُّورَ إذا قُذِفَ فِي الْقَلْبِ انْشَرَحَ لَهُ الصَّدْرُ وَانْفَسَحَ ، قيل : فَهَلْ لِذَلِكَ مِن عَلَامَةٍ ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ : التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ »

ومنها ـ أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر ، فان أصل الدين التوقى من الشر ، ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة ، وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، وإنما الشأن فى معرفة مايفسدها ويشوشها ، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه ، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه ، وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة

وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية ، ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدا ، وإن وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم ، وإذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ، ويتركون مايلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار ، فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم . وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ، إيثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه ، وشرهاً فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق ! وجزاؤه من الله أن لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق ، بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ، ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على مايشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين ، وذلك هو الخسران المبين

ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم : اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك ، وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب ، وفساد الأعمال ، ووساوس النفوس ، والصفات الخفية الغامضة ، من شهوات النفس . وقد قيل له : ياأبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فن أين أخذته ؟ قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن

أين أخذته ؟ قال: خصّنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ أَقَعَ فِيهِ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَسْبِقُنِي عِلْمُهُ » . وقال مرة : « فَعَلِمْتُ أَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ » وفى لفظ آخر « كَانُوا يَقُولُونَ يَارَسُولَ اللَّهِ مَا لِمَنْ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا ؟ يَسْأَلُونَهُ عَنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ ، وَكُنْتُ أَقُولُ يَارَسُولَ اللَّهِ : مَا يُفْسِدُ كَذَا وَكَذَا ؟ فَلَمَّا رَآنِي أَسْأَلُهُ عَنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ خَصَّنِي بِهَذَا الْعِلْمِ »

وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قدخص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة . وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم، ولا يخبر بأسمائهم . وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه : هل يعلم فيه شيئا من النفاق ؟ فبرأه من ذلك . وكان عمر رضى الله عنه اذا دُعى الى جنازة ليصلى عليها نظر : فان حضر حذيفة صلى عليها ، وإلا ترك . وكان يسمى صاحب السر

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة ، لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى . وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا ، واذا تعرض العالم لشىء منه استغرب واستبعد ، وقيل هذا تزويق المذكرين ، فأين التحقيق ، ويرون أن التحقيق فى قادئق المجادلات . ولقد صدق من قال :

الطُرْق شتىّ وطُرْق الحق مفردة ... والسالكون طريقَ الحق أفراد
لا يُعرفون ولا تُدرى مقاصدُهم ... فهم على مهل يمشون قُصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم ، فان الحق مرّ ، والوقوف عليه صعب ، وإدراكه شديد ، وطريقه مستوعر ، ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة ، فان ذلك نزع للروح على الدوام ، وصاحبه ينزل منزلة الشارب

---

(١) حديث حذيفة كان الناس يُسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أساله عن الشر ـ الحديث : أخرجاه مختصرا

للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء ، وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه ، فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ، ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق . ولذلك قيل : إنه كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير، ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة : منهم سهل التُستَرى ، والصبيحى ، وعبد الرحيم ، وكان يجلس إلى أولئك الخلقُ الكثير الذى لايحصى ، وإلى هؤلاء عدد يسير قلّما يجاوز العشرة ، لأن النفيس العزيز لايصلح إلا لأهل الخصوص ، وما يبذل للعموم فأمره قريب

ومنها ـ أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه ، لا على الصحف والكتب ، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره ، وإنما المقلَّد صاحبُ الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله ؛ وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره ؛ فان المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعلَه، وفعله لا بد وأن يكون لسرّ فيه ، فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال ، فانه إن اكتفى بحفظ مايقال كان وعاء للعلم ، ولا يكون عالما . ولذلك كان يقال : فلان من أوعية العلم ، فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحِكَم والأسرار ، ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلَّدا ، فلا ينبغى أن يقلد غيره . ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما[1] «مَامِنْ أحَدٍ إلاَّ يُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِهِ وَيُتْرَكُ إلاَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم » وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه ، وقرأ على أبيّ بن كعب ، ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعا . وقال بعض السلف : ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين ، وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال

وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن ، فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لايدخل فى الرواية والعبارة

---

(١) حديث ابن عباس مامن أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطبرانى من من حديثه يرفعه بلفظه من قوله: ويدع

إذ فاض عليهم من نور النبوّة مايحرسهم فى الأكثر عن الخطأ . وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضىّ فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد ، بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شىء منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين ، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة ، وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضى الله عنهم ، وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين ، بل كان الأولون يكرهون كُتُب الأحاديث وتصنيف الكتب ، لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرءان وعن التدبر والتذكر ، وقالوا : احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرءان فى مصحف ، وقالوا : كيف نفعل شيئا مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخافوا اتكال الناس على المصاحف ، وقالوا : نترك القرءان يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم ، حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكَتْب القرءان ، خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم ، وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع اليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات ، فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك ، فجمع القرءان فى مصحف واحد . وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ، ويقول : ابتدع مالم تفعله الصحابة رضى الله عنهم

وقيل : أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار ، وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن ، جمع فيه سننا مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثورى .

ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام ، وكثر الخوض فى الجدال ، والغوص فى إبطال المقالات ، ثم مال الناس اليه وإلى القصص والوعظ بها ، فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان ، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب ، والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان ، وأعرض عن ذلك إلا الأقلون ، فصار يسمى المجادل المتكلم عالما ، والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما ، وهذا لأن العوام هم المستمعون اليهم ، فكان لايتميز لهم حقيقة العلم من غيره ، ولم تكن سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرةً عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم ، فاستمر عليهم اسم العلماء ، وتوارث اللقب خلف عن سلف ، وأصبح

علم الآخرة مطويا، وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم : كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان ، يقولون: فلان أكثر علما ، وفلان أكثر كلاما، فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام . هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة ، فكيف الظن بزمانك هذا؟ وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى الجنون، فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت

ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور ، فلا يغرنّه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم ، وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم ، وما كان فيه أكثر همهم : أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة ، أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان، إلى غير ذلك من علوم الباطن.

واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف ، فمنهم أخذ الدين ، ولذلك قال على رضى الله عنه : خيرنا أتبعُنا لهذا الدين لمَّا قيل له : خالفت فلانا . فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ، ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة ، فادّعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه . ولذلك قال الحسن : محدثان أحدثا فى الاسلام : رجل ذو رأى سىء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ، ومترَفٌ يعبد الدنيا،لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب ، فارفضوهما إلى النار ، وإن رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه ، وصاحب هوى يدعوه إلى هواه ، وقد عصمه الله تعالى منهما ، يحنّ إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم ، متعرض لأجر عظيم ، فكذلك كونوا

وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا (١) أنه قال : « إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الْكَلَامُ

---

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والهدى ـ الحديث : ابن ماجه

وَالْهُدَى ، فَأَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ تعالى، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، أَلَا لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ ، أَلَا كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، أَلَا إِنَّ الْبَعِيدَ مَا لَيْسَ بِآتٍ »

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكَمِ ، وَجَانَبَ أَهْلَ الزَّلَلِ وَالْمَعْصِيَةِ ، طُوبَىٰ لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ، طُوبَىٰ لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يَعْدُهَا إِلَى بِدْعَةٍ »

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : حُسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل ، وقال : أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور ، وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات . وقد صدق ، فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه ، هلك كما هلكوا . وقال حذيفة رضى الله عنه : أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى ، وأن منكركم اليوم معروف زمان قد أتى ، وإنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به . ولقد صدق ، فان أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم ، إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها ، وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها ، وفرش البسط الرفيعة فيها

ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة . وقيل إنه من محدثات الحجاج ، فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا

---

(١) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه ـ الحديث : أبو نعيم من حديث الحسين ابن على بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره ، والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة .

وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجلّ علوم أهل الزمان ، ويزعمون أنه من أعظم القربات . وقد كان من المنكرات

ومن ذلك التلحين فى القرءان والأذان

ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة ، وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب ، مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها ؛ إلى نظائر ذلك

ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال : أنتم اليوم فى زمانٍ الهوى فيه تابع للعلم ،وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى . وقد كان أحمد بن حنبل يقول: تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ، ماأقل العلم فيهم ! والله المستعان . وقال مالك بن أنس رحمه الله : لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ، ولم يكن العلماء يقولون : حرام ولا حلال ، ولكن أدركتهم يقولون : مستحب ومكروه . ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب ، فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا . وكان هشام بن عروة يقول : لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ، ولكن سلوهم عن السنة فانهم لايعرفونها . وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول :لاينبغى لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمدالله تعالى إذ وافق مافى نفسه. وإنما قال هذا لأن ماقد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب ، وربمايشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا . فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار . ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال: يامروان ماهذه البدعة ؟ فقال: إنها ليست ببدعة ، إنها خير مما تعلم ،إن الناس قد كثروا فاردت أن يبلغهم الصوت ، فقال أبو سعيد : والله لاتأتون بخير مما أعلم أبدا ، ووالله لاصليت وراءك اليوم ! وإنما أنكر ذلك عليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « كَانَ يَتَوَكَّأُ فِي خُطْبَةِ الْعِيدِ وَالِاسْتِسْقَاءِ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصاً » لا عَلَى الْمِنْبَرِ

---

(١) حديث كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا : الطبرانى من حديث البراء ونحوه فى يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهوضعيف ورواه فى الصغير من حديث سعد القرظ كان اذا خطب فى العيدين خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس ـ الحديث

وفي الحديث المشهور[١] « مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَالَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . وفي خبر آخر : « مَنْ[٢] غَشَّ أُمَّتِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ٱللهِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » قيل يارسول الله : وما غش أمتك ؟ قال « أَنْ يَبْتَدِعَ بِدْعَةً يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهَا » وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « إِنَّ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ : مَنْ خَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتُهُ » ومثال الجاني على الدين بابداع مايخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معيّنة ،وذلك قد يغفر له؛ فأما قلب الدولة فلا . وقال بعض العلماء : ماتكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء ، وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف . وقال غيره : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ، ومن قصر عنه عجز ، ومن وقف معه اكتفى . وقال صلى الله عليه وسلم[٤] « عَلَيْكُمْ بِالنَّمَطِ ٱلْأَوْسَطِ ٱلَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ ٱلْعَالِي وَيَرْتَفِعُ إِلَيْهِ التَّالِي »

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها ، قال الله تعالى : (وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) وقال تعالى: (أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) . فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مماجاوز قدر الضرورة والحاجة ،فهو من اللعب واللهو

وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا اليه محسورين ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء : ما نصيب منهم شيئا وقدأتعبونا، فقال : إنكم لا تقدرون عليهم : قد صحبوا نبيهم ، وشهدوا تنزيل ربهم ، ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم . فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين ، فقالوا : ما رأينا أعجب من هؤلاء :نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار

---

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ :في أمرنا ماليس منه . وعند أبي داود فيه

(٢) حديث من غش أمتى فعليه لعنة الله ـ الحديث :الدارقطني في الافراد من حديث أنس بسند ضعيف جداً

(٣) حديث إن لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته: لم أجد له أصلا

(٤) حديث عليكم بالنمط الأوسط ـ الحديث : أبو عبيد في غريب الحديث موقوفا على على بن أبي طالب ولم أجده مرفوعا

أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات ، فقال : إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم ، واتباعهم لسنة نبيهم ، ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم ، تلعبون بهم لعبا ، وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم ، إن استغفروا لم يغفر لهم ، ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات . قال : فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع ، فاستحلوها ، واتخذوها دينا ، لا يستغفرون الله منها، ولا يتوبون عنها ، فسلط عليهم الأعداء ، وقادوهم أين شاءوا

فان قلت :من أين عَرَف قائلُ هذا ماقاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدّثه بذلك؟

فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت ، تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون ، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة ، وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة كما يكون فى المنام ، وهذا أعلى الدرجات ، وهى من درجات النبوّة العالية ، كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوّة

فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ماجاوز حد قصورك ، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء ، الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول . فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى . ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء ، وكان خارجا عن الدين بالكلية . قال بعض العارفين : إنما انقطع الأبدال فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور ، لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت ، لأنهم عندهم جهال بالله تعالى ، وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء . قال سهل التُّسْتَرى رضى الله عنه : إن من أعظم المعاصى الجهل بالجهل ، والنظر إلى العامة ، واستماع كلام أهل الغفلة ، وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى إلى قوله ، بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول ، لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ، ويدفع مالا يوافق محبوبه . ولذلك قال الله عز وجل (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) . والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين ، المعتقدين أنهم من العلماء ، لأن العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب ، وهذا الجاهل الظان أنه عالم فان ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين ، فلا يتوب ولا يستغفر ، بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت

وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى ، وانقطع الطمع من إصلاحهم ، فالأسلم لذى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم ، كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه، إن شاء الله تعالى. ولذلك كتب يوسف بن أسباط الى حذيفة المَرْعَشى : ماظنك بمن بقى لايجد أحدا لايذكر الله تعالى معه إلا كان آثما أو كانت مذاكرته معصيةً ، وذلك أنه لايجد أهله ؟ ولقد صدق ، فان مخالطة الناس لاتنفك عن غيبة أو سماع غيبة ، أو سكوت على منكر . وإن أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده . ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لاتخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة ، علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ، ووسيله الى الشر ، فيكون هو معينا له على ذلك ؛ و ردءاً وظهيرا و مهيئا لأسبابه ، كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق . فالعلم كالسيف ، وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ، ولذلك لايرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق

فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف . فكن أحد رجلين : إما متصفا بهذه الصفات ، أو معترفا بالتقصير مع الإقرار به. وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين ، وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين ، وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين . نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فبها هلك الجمهور. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لاتغره الحياة الدنيا ، ولا يغره بالله الغرور !

الباب السابع

فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لايحتاج إلى تكلف فى إظهاره ، لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل. والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، فكيف لايشرف ماهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة ؟

أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل ، حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأفواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه ، لشعوره باستيلائه عليه ، لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [١] « الشَّيْخُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ » وليس ذلك لكثرة ماله ، ولا لكبر شخصه ، ولا لزيادة قوته ، بل لزيادة تجربته التي هى ثمرة عقله ، ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ، ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة ، هابوه ، وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة ، وإن كان ذلك باطنا فى نفسه بطون العقل

فشرف العقل مدرك بالضرورة . وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات فى ذكر شرفه ، وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) . وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة ، فقال تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) . وقال سبحانه : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) . وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل ، كقوله : (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) . وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْقِلُوا عَنْ رَبِّكُمْ وَتَوَاصَوْا بِالْعَقْلِ تَعْرِفُوا مَا أُمِرْتُم بِهِ وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُنْجِدُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ الْمَنْظَرِ حَقِيرَ الْخَطَرِ دَنِيَّ الْمَنْزِلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا نَطُوقًا ، فَالْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَغْتَرَّ

﴿ الباب السابع فى العقل ﴾

(١) حديث الشيخ فى قومه كالنبي فى أمته : ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمى من حديث أبى رافع بسند ضعيف

(٢) حديث يأيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل ـ الحديث : داود بن المحبر أحد الضعفاء فى كتاب العقل من حديث أبى هريرة وهو فى مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود

بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . وقال صلى الله عليه وسلم [١] « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ ، بِكَ آخُذُ ، وَبِكَ أُعْطِي ، وَبِكَ أُثِيبُ ، وَبِكَ أُعَاقِبُ » .

فان قلت : فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام ؟ وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز ؟

فاعلم أن هذا من علم المكاشفة ، فلا يليق ذكره بعلم المعاملة . وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة . وعن أنس رضي الله عنه [٢] قال « أَثْنَى قَوْمٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَالَغُوا ، فقال صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ عَقْلُ الرَّجُلِ ؟ فَقَالُوا : نُخْبِرُكَ عَنِ اجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسْأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الْأَحْمَقَ يُصِيبُ بِجَهْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ فُجُورِ الْفَاجِرِ ، وَإِنَّمَا يَرْتَفِعُ الْعِبَادُ غَدًا فِي الدَّرَجَاتِ الزُّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » . وعن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « مَا اكْتَسَبَ رَجُلٌ مِثْلَ فَضْلِ عَقْلٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى وَيَرُدُّهُ عَنْ رَدًى ، وَمَا تَمَّ إِيمَانُ عَبْدٍ وَلَا اسْتَقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَكْمُلَ عَقْلُهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَلَا يَتِمُّ لِرَجُلٍ حُسْنُ خُلُقِهِ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَمَّ إِيمَانُهُ وَأَطَاعَ رَبَّهُ وَعَصَى عَدُوَّهُ إِبْلِيسَ »

---

(١) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل ـ الحديث : الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين

(٢) حديث أنس أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا في الثناء فقال : كيف عقل الرجل الحديث : ابن المحبر في العقل بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصراً

(٣) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل ـ الحديث : ابن المحبر في العقل وعنه الحارث بن أبي أسامة

(٤) حديث إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث : ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به . والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم ، من حديث عائشة وصححه

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « لِكُلِّ شَيْءٍ دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ الْمُؤْمِنِ عَقْلُهُ ، فَبِقَدْرِ عَقْلِهِ تَكُونُ عِبَادَتُهُ ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْفُجَّارِ فِي النَّارِ : «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ!» . وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري[٢] : « مَا السُّؤْدَدُ فِيكُمْ ؟ قَالَ الْعَقْلُ . قَالَ : صَدَقْتَ :سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَمَا سَأَلْتُكَ فَقَالَ كَمَا قُلْتَ ، ثم قَالَ : سَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا السُّؤْدَدُ فَقَالَ : الْعَقْلُ » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه[٣] قال « كَثُرَتِ الْمَسَائِلُ يوماً عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةً وَمَطِيَّةُ الْمَرْءِ الْعَقْلُ ، وَأَحْسَنُكُمْ دَلَالَةً وَمَعْرِفَةً بِالْحُجَّةِ أَفْضَلُكُمْ عَقْلاً » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال[٤] « لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : فُلَانٌ أَشْجَعُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٌ أَبْلَى مَالَمْ يُبْلِ فُلَانٌ وَنَحْوُ هَذَا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَّا هَذَا فَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ ، قالوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّهُمْ قَاتَلُوا عَلَى قَدْرِ مَاقَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْعَقْلِ ، وَكَانَتْ نُصْرَتُهُمْ وَنِيَّتُهُمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ فَأُصِيبَ مِنْهُمْ مَنْ أُصِيبَ عَلَى مَنَازِلَ شَتَّى ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ اقْتَسَمُوا الْمَنَازِلَ عَلَى قَدْرِ نِيَّاتِهِمْ وَقَدْرِ عُقُولِهِمْ » .

وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال[٥] : « جِدَّ الْمَلَائِكَةُ وَاجْتَهَدُوا

---

(١) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله ـ الحديث : ابن المحبر وعنه الحارث

(٢) حديث عمر أنه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : ابن المحبر وعنه الحارث

(٣) حديث البراء كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يأيها الناس ان لكل شيء مطية ـ الحديث : ابن المحبر وعنه الحارث

(٤) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان ـ الحديث : ابن المحبر

(٥) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل ـ الحديث ابن المحبر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المحبر

فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعَقْلِ ، وَجَدَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ فَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ أَوفَرُهُمْ عَقْلاً » . وعن عائشة رضى الله عنها قالت [١] «قُلْتُ يَارَسُولَ اللَّهِ بِمَ يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : بِالْعَقْلِ ، قُلْتُ : وَفِي الآخِرَةِ ؟ قَالَ : بِالْعَقْلِ ، قُلْتُ أَلَيْسَ إِنَّمَا يُجْزَوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يَاعَائِشَةُ : وَهَلْ عَمِلُوا إِلاَّ بِقَدْرِ مَا أَعْطَاهُمْ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَقْلِ ؟ فَبِقَدْرِ مَا أُعْطُوا مِنَ الْعَقْلِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَ بِقَدْرِ مَا عَمِلُوا يُجْزَوْنَ »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « لِكُلِّ شَيْءٍ آلَةٌ وَعُدَّةٌ ، وَإِنَّ آلَةَ الْمُؤْمِنِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ وَمَطِيَّةُ الْمَرْءِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ الدِّينِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ غَايَةٌ وَغَايَةُ الْعِبَادِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ دَاعٍ وَدَاعِي الْعَابِدِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ تَاجِرٍ بِضَاعَةٌ وَبِضَاعَةُ الْمُجْتَهِدِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ قَيِّمٌ وَقَيِّمُ بُيُوتِ الصِّدِّيقِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ خَرَابٍ عِمَارَةٌ وَعِمَارَةُ الآخِرَةِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ عَقِبٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ بِهِ وَعَقِبُ الصِّدِّيقِينَ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُونَ بِهِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ سَفَرٍ فُسْطَاطٌ وَفُسْطَاطُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَقْلُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] : « إِنَّ أَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ نَصَبَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصَحَ لِعِبَادِهِ وَكَمَلَ عَقْلُهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ فَأَبْصَرَ ، وَعَمِلَ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ». وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « أَتَمُّكُمْ عَقْلاً أَشَدُّكُمْ لِلَّهِ تَعَالَى خَوْفًا وَأَحْسَنُكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ نَظَرًا ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّكُمْ تَطَوُّعًا »

---

(١) حديث عائشة قلت يارسول الله بأى شيء يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل ـ الحديث ابن المحبر والترمذى الحكيم فى النوادر نحوه

(٢) حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ـ الحديث : ابن المحبر وعنه الحارث

(٣) حديث ان أحب المؤمنين الى الله من نصب فى طاعة الله ـ الحديث ابن المحبر من حديث ابن عمر ورواه أبومنصور الديلمى فى مسند الفردوس باسناد آخر ضعيف

(٤) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا ـ الحديث : ابن المحبر من حديث أبى قتادة

بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته ، وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة ، فصار ذلك سبب اختلافهم

والحق الكاشف للغطاء فيه : أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ، كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة ، وما يجرى هذا المجرى ، فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد ، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه

فالأول — الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم ، وهو الذى استعدّ به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال فى حد العقل : إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الأشياء . ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية ، فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم. وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية .ولو جاز أن يسوى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية ، فيقال : لافرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم ، لجاز أن يسوّى بين الحمار والجماد فى الحياة ،ويقال: لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركاتٍ مخصوصةً بحكم إجراء العادة ، فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد ، وكما وجب أن يقال : لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة ، فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل ، وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة ، وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية . فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ، ونسبة القرءان والشرع إلى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر، فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة

الثانى ـ هى العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات : كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لايكون فى مكانين فى وقت واحد ، وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل : إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . وهو أيضا صحيح فى نفسه ، لأن هذه العلوم موجودة ، وتسميتها عقلا ظاهر ، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال : لا موجود إلا هذه العلوم

الثالث ـ علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال ، فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل فى العادة ، ومن لايتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل ، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا

الرابع ـ أن تنتهى قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها ، فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا ، من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة ، وهذه أيضا من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان . فالأول هو الأس والسنخ والمنبع ، والثانى هو الفرع الأقرب اليه ، والثالث فرع الأول والثانى ، إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب ، والرابع هو الثمرة الأخيرة وهى الغاية القصوى ، فالأولان بالطبع ، والأخيران بالاكتساب ، ولذلك قال علىّ كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لاتنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم :[١] «مَاخَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ» والأخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم [٢] « إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ بِأَبْوابِ الْبِرِّ

---

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل : الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة

(٢) حديث اذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك : أبو نعيم فى الحلية من حديث على اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب . واسناده ضعيف

وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَقَرَّبْ أَنْتَ بِعَقْلِكَ » وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه[١] « أَزْدَدْ عَقْلاً تَزْدَدْ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا » فَقَالَ : بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى وَكَيْفَ لِى بِذَلِكَ ؟ فقال : « أُجْتَنِبْ مَحَارِمَ ٱللهِ تَعَالَى وَأَدِّ فَرَائِضَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ تَكُنْ عَاقِلاً ، وَاعْمَلْ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الأَعْمَالِ تَزْدَدْ فِى عَاجِلِ الدُّنْيَا رِفْعَةً وَكَرَامَةً وَتَنَلْ فِى آجِلِ الْعُقْبَى بِهَا مِنْ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْبَ وَالْعِزَّ » وعن سعيد بن المسيب[٢] « أَنَّ عُمَرَ وَأُبَىَّ بْنَ كَعْبٍ وَأَبَا هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُمْ دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالوا : يَارَسُولَ ٱللهِ مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الْعَاقِلُ . قَالُوا: فَمَنْ أَعْبَدُ النَّاسِ ؟ قَال : الْعَاقِلُ . قَالُوا : فَمَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ؟ قَال: الْعَاقِلُ . قَالُوا : أَلَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ تَمَّتْ مُرُوءَتُهُ وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ وَجَادَتْ كَفُّهُ وَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا ذليلا ، قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر[٣] « إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ » .

ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا فى الاستعمال، وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته ، فيقال : العلم هو الخشية ، والعالم من يخشى الله تعالى ،فان الخشية ثمرة العلم ، فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ، ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة . والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة ، والاسم يطلق على جميعها ، ولا خلاف فى وجود جميعها إلا فى القسم الأول . والصحيح وجودها ،بل هى الأصل ،وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ، ولكن تظهر فى الوجود إذا جرى سبب

---

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قربا ـ الحديث : قاله لأبى الدرداء : ابن المحبر ومن طريقه الحارث ابن أبي أسامة والترمذى الحكيم في النوادر .

(٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل ـ الحديث : ابن المحبر

(٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته : ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة

يخرجها الى الوجود ، حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج ، وكأنها مستكنة فيها فظهرت . ومثاله الماء فى الأرض ، فانه يظهر بحفر البئر ، ويجتمع ويتميز بالحس ، لا بأن يساق اليها شيء جديد . وكذلك الدهن فى اللوز ، وماء الورد فى الورد ، ولذلك قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة ، فانهم انقسموا فى إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مُقِرّ والى جاحد ، ولذلك قال تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) معناه : إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أى كل آدمى فطر على الايمان بالله عز وجل ، بل على معرفة الأشياء على ما هى عليه ، أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك

ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين : إلى من أعرض فنسى وهم الكفار ، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها . ولذلك قال عز وجل : (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ) (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) . وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد ، فكأن التذكر ضربان : أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود ، والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة . وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ، ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ، ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ، ويتعسف فى تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ، ويتخايل اليه فى الأخبار والآيات ضروب من المناقضات ، وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ، ويعتقد فيها التهافت . ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة فى الدار فيقول : ما لهذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها ؟ فيقال له إنها فى مواضعها وإنما الخلل فى بصرك . فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطمّ منه وأعظم ، إذ النفس كالفارس ، والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضر من عمى الفرس .

ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) وقال تعالى :(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) الآية. وسمى ضده عمى،فقال تعالى :(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) وقال تعالى :(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا). وهذه الأمور التى كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة ،وسمى الكل رؤية

وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة ، لم يعلق به من الدين إلا قشوره ، وأمثلته دون لبابه وحقائقه . فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

بيان تفاوت النفوس فى العقل

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ، ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قلّ تحصيله ، بل الأولى والأهم المبادرة الى التصريح بالحق

والحق الصريح فيه أن يقال : إن التفاوت يتطرق الى الأقسام الأربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، فان من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم فى مكانين ، وكون الشيء الواحد قديما حادثا ، وكذا سائر النظائر وكل مايدركه إدراكا محققا من غير شك . وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها

أما القسم الرابع وهو استيلاء القوّة على قمع الشهوات ، فلا يخفى تفاوت الناس فيه ، بل لايخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه ، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة ، إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ، ولكن غير مقصور عليه ، فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا ، واذا كبر وتم عقله قدر عليه ، وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوّة بالكبر لا ضعفا ، وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة ، وقد لا يقدر من يساويه فى العقل على ذلك إذا لم يكن

طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ، ولكن اذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد ، فيكون الخوف جندا للعقل وعُدّة له فى قمع الشهوات وكسرها ، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوّة علمه بضرر المعاصى، وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان . فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل، وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا ، فانه يقوى غريزة العقل ، فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه . وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل ، فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد

وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب، فتفاوت الناس فيها لا ينكر ، فانهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ، ويكون سببه إما تفاوتا فى الغريزة ، وإما تفاوتا فى الممارسة. فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة ، فالتفاوت فيه لاسبيل إلى جحده ، فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه . ومبادىء إشراقه عند سن التمييز ، ثم لايزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة . ومثاله نور الصبح ، فان أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ، ثم يتدرج إلى الزيادة ، إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس

وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر، والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر، بل سنة الله عزوجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الايجاد ، حتى إن غريزة الشهوة لاتظهر فى الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج، وكذلك جميع القوى والصفات. ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل

ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية ، وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ، ولما انقسموا الى بليد لايفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم ، والى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة ، والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم، كما قال تعالى : (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ) وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام، إذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ، ويعبر عن ذلك بالالهام . وعن مثله

عبّر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال[1] «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي: أَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ». وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الأذن، ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى الروع. ودرجات الوحى كثيرة، والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة

ولا تظنن أن معرفة درجات الوحى تستدعى منصب الوحى، إذ لا يبعد أن يعرّف الطبيبُ المريضَ درجات الصحة، ويعلّم العالم الفاسقَ درجات العدالة وإن كان خاليا عنها، فالعلم شىء ووجود المعلوم شىء آخر، فلا كل من عرف النبوّة والولاية كان نبيا ولا وليا، ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا

وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم، والى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم، والى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه، كانقسام الأرض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا، والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات، والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس، وذلك لاختلاف جواهر الأرض فى صفاتها، فكذلك اختلاف النفوس فى غريزة العقل. ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت[2] : يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنَ الْعَرْشِ؟ قَالَ نَعَمْ: الْعَقْلُ، قَالُوا وَمَا بَلَغَ مِنْ قَدْرِهِ؟ قَالَ هَيْهَاتَ لَا يُحَاطُ بِعِلْمِهِ، هَلْ لَكُمْ عِلْمٌ بِعَدَدِ الرَّمْلِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي خَلَقْتُ الْعَقْلَ أَصْنَافًا شَتَّى كَعَدَدِ الرَّمْلِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ حَبَّةً، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ حَبَّتَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ الثَّلَاثَ وَالْأَرْبَعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ فَرَقًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ وَسْقًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»

---

(١) ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه ـ الحديث: الشيرازى في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبرانى فى الأصغر والأوسط من حديث على وكلاهما ضعيف

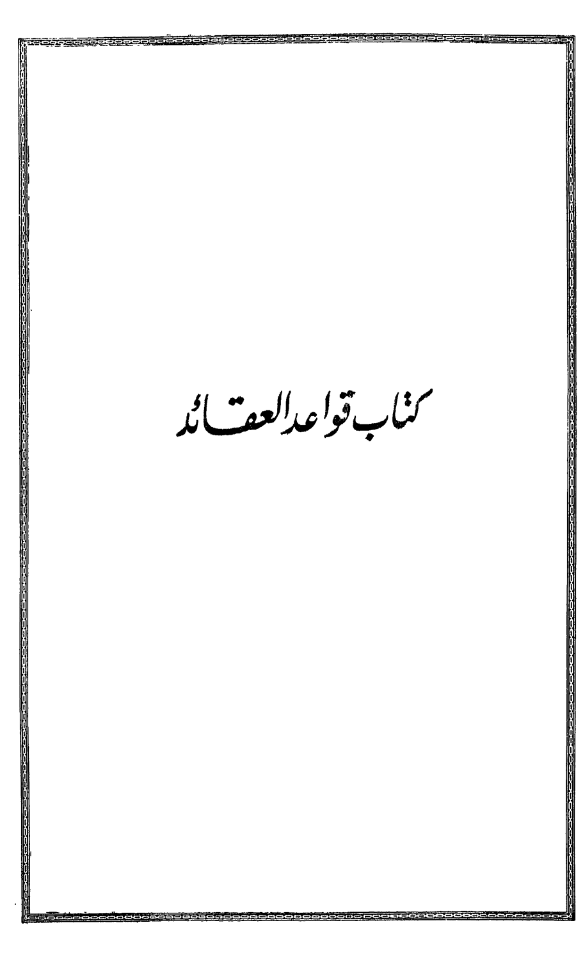
(٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش ـ الحديث: ابن المحبر من حديث أنس بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا

فإن قلت : فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ؟

فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات ، وهو صنعة الكلام ، فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم فى التسمية ، إذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب ، فذموا العقل والمعقول ، وهو المسمى به عندهم . فأما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه ؟ وإن ذم فما الذى بعده يحمد ؟ فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع ؟ فان علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما . ولا يلتفت إلى من يقول: إنه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل ، فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان ، وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور

وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ . فهذا القدر كاف فى بيان العقل . والله أعلم

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنّه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد . والحمد لله وحده أولاً وآخراً



كتاب قواعد العقائد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

فنقول وبالله التوفيق :

الحمد لله المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، الى المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد ، السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد ، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ، المعرّف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ندّ له ، وأنه واحد قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبديّ لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال ، بتصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم

التنزيه :

وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام ، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ، ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات ، وأنه

مستو على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء منزها عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون فى قبضته ، وهو فوق العرش والسماء ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء ، كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء ، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحل فى شيء ولا يحل فيه شيء ، تعالى عن أن يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواه ، ولا فى سواه ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لا تحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئى الذات بالأبصار ، نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار ، وإتماما منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم

الحياة والقدرة :

وأنه تعالى حى قادر، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون فى قبضته ، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيجاد والابداع ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدّر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، لا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته

العلم :

وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء ، على

الصخرة الصماء ، فى الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذرّ فى جوّ الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر ، بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال ، لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال

الإرادة :

وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات ، فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر ،نفع أوضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان ،طاعة أو عصيان ، إلا بقضائه وقدره ، وحكمته ومشيئته ، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، لايخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، لا رادّ لأمره ، ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوّة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته ، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك ، وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفا بها ، مريداً فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدّرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدّم ولا تأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير ، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ، ولا تربص زمان ، فلذلك لم يشغله شان عن شان

السمع والبصر :

وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ، لايعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولايغيب عن رؤيته مرئىّ وإن دقّ ، ولا يحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لاتشبه صفاته صفات الخلق ، كما لاتشبه ذاته ذوات الخلق •

الكلام :

وأنه تعالى متكلم آمرٌ ناهٍ ، واعدٌ متوعد ، بكلام أزلى قديم قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع

باطباق شفة أو تحريك لسان ، وأن القرءان والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام ، وأن القرءان مقروء بالألسنة ، مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب ، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال والافتراق ، بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض ، وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً ، عالما ، قادراً ، مريدا ، سميعا ، بصيراً ، متكلماً ، بالحياة ، والقدرة ، والعلم ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، لا بمجرد الذات

الأفعال :

وأنه سبحانه وتعالى لاموجود سواه إلا وهو حادث بفعله، وفائض من عدله ، على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم فى أفعاله ، عادل فى أقضيته ، لايقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصوّر منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ، ولا يتصوّر الظلم من الله تعالى ، فانه لايصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ، فكل ما سواه من إنس وجن ، وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ، ونبات وجماد وجوهر وعرض ، ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا ، وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا ، إذ كان فى الأزل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته ، وتحقيقا لما سبق من إرادته ، ولما حق فى الأزل من كلمته ، لا لافتقاره اليه وحاجته ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب . ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ، ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما ، وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم له ، إذ لا يجب عليه لأحد فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب لأحد عليه حق ، وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به

معنى الكلمة الثانية وهى الشهادة للرسل بالرسالة

وأنه بعث النبي الأمى القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والانس، فنسخ بشريعته الشرائع إلا ماقرره منها، وفضّله على سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر، ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد، وهو قول لاإله إلا الله مالم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله، وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، وأنه لايتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت، وَأَوَّلُهُ سُؤَالُ[1] مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَهُمَا شَخْصَانِ مُهِيبَانِ هَائِلَانِ يُقْعِدَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيًّا ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ، وَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهُمَا[2] فَتَّانَا الْقَبْرِ[3]، وَسُؤَالُهُمَا أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ[4] بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَحُكْمُهُ عَدْلٌ عَلَى الْجِسْمِ وَالرُّوحِ عَلَى مَا يَشَاءُ[5]، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفَّتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَصِفَتُهُ فِي الْعِظَمِ أَنَّهُ مِثْلُ طَبَقَاتِ

---

(١) حديث سؤال منكر ونكير: الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة اذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير. وفى الصحيحين من حديث أنس أن العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعد انه ـ الحديث

(٢) حديث انهما فتانا القبر: أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر فقال عمر: أترد علينا عقولنا ـ الحديث

(٣) حديث ان سؤالهما أول فتنة بعد الموت: لم أجده

(٤) حديث عذاب القبر: أخرجاه من حديث عائشة انكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم ـ الحديث. ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر

(٥) حديث الايمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم انه مثل طباق السموات والارض: البيهقى فى البعث من حديث عمر قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان ـ الحديث. وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثة مواطن لايذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حي قد علمنا الموازين هي الكفتان فيوضع فى هذه الشيء ويوضع فى هذه الشيء فيرجح احداهما وتخف الاخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس واطلبنى عند الميزان. ومن حديث عبد الله بن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ـ الحديث. وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها

السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقا لتمام العدل ، وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور ، فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ، وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله (١) وَأَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ ، وَهُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ تَزِلُّ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْكَافِرِينَ بِحُكْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَتَهْوِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَتَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ اللهِ فَيُسَاقُونَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ (٢) وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ : حَوْضِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم يَشْرَبُ منه المؤمنون قبل دخول الجنة وَبَعْدَ جَوَازِ الصِّرَاطِ (٣) مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا عَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ حَوْلَهُ أَبَارِيقُ عَدَدُهَا بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ (٤) فِيهِ مِيزَابَانِ يَصُبَّانِ فِيهِ مِنَ

---

(١) حديث الايمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر: الشيخان من حديث أبى هريرة ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم . ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث مايدل على أنه مرفوع

(٢) حديث الايمان بالحوض وانه يشرب منه المؤمنون : مسلم من حديث أنس فى نزول «إنا أعطيناك الكوثر» هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم . ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أمامكم حوض كما بين جرباء وأدرج وقال الطبرانى كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبى ذر وحابس بن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء

(٣) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس فيا من الأباريق كعدد نجوم السماء . وفى رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء

(٤) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر : مسلم من حديث ثوبان يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق

اَلْكَوْثَرَ[1] وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحِسَابِ وَتَفَاوُتِ النَّاسِ فِيهِ إِلَى مُنَاقَشٍ فِي الْحِسَابِ وَإِلَى مُسَامَحٍ فِيهِ ،وَإِلَى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ ،فَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى[2] مَنْ شَاءَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ الْمُرْسَلِينَ[3] وَيَسْأَلُ الْمُبْتَدِعَةَ عَنِ السُّنَّةِ[4] وَيَسْأَلُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤْمِنَ[5] بِإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ الِانْتِقَامِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ اللهِ تعالى ،فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ

---

(١) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه الي مناقش فى الحساب ومسامح فيه والي من يدخل الجنة بغير حساب :البيهقى فى البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الايمان قل أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله ـ الحديث . وهو عند مسلم دون دكر الحساب . وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى « فسوف يحاسب حسابا يسيرا » قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت على الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته ؟ قال : قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قل عمر فهلا استزدته ؟ قل:قد استزدته فأعطانى هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه الحديث

(٢) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين : البخارى من حديث أبى سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث . ولابن ماجه يجيء النبي يوم القيامة ـ الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك ـ الحديث

(٣) حديث سؤال المبتدعة عن السنة: ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبى هريرة مامن داع يدعو الى شيء الا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا اليه وان دعا رجل رجلا واسنادهما ضعيف

(٤) حديث سؤال المسلمين عن الاعمال : أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ـ الحديث . وسيأتي فى الصلاة

(٥) حديث اخراج الموحدين من النار حتى لايبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه : الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل حتي اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لاإله الا الله ـ الحديث

مُوَحِّدٍ ، وأنْ يُؤْمِنَ (١) بِشَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ الشُّهَدَاءِ ثُمَّ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حسَبِ جَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَاللهِ تعالَى ، ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع ، أُخْرِجَ بفضل الله عزّ وجل ، فَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مؤمن بل يَخرُجُ منها مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَان ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَتَرْتِيبَهُمْ ، وَأَنَّ (٢) أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثم على رضى الله عنهم ، (٣) وأن يُحْسِنَ الظَّنَّ بجميع الصحابة ، ويُثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار . فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رَهْط الضلال وحزب البدعة . فنسأل الله كمال اليقين ، وحسن الثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته ، إنه أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

الفصل الثانى

فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أول نشوه ليحفظه حفظا

---

(١) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم فى العلم . وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدرى من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان فأخرجوه وفى رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ـ الحديث :

(٢) حديث أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على البخارى من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبى داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أفضل أمة النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم زاد الطبرانى ويسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولا ينكره

(٣) حديث أحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى وللشيخين من حديث أبى سعيد لا تسبوا أصحابى . وللطبرانى من حديث ابن مسعود اذا ذكر أصحابي فأمسكوا

ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئا فشيئا ، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به ، وذلك مما يحصل فى الصبي بغير برهان . فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه فى أول نشوءه للايمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان ، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء ، على معنى أنه يقبل الازالة بنقيضه لو ألقى اليه ، فلابد من تقويته وإثباته فى نفس الصبي والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل ، وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام ، بل يشتغل بتلاوة القرءان وتفسيره ، وقراءة الحديث ومعانيه ، ويشتغل بوظائف العبادات ، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرءان وحججه ، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها ، وبما يسرى اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ، وسيماهم وسماعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له ، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر فى الصدر ، وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء

وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة ، فان ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده ، وما يفسده أكثر مما يصلحه ، بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب ، والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا ، فناهيك بالعيان برهانا

فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين ، فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق ، وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا ، الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً ، كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً اذ لا فرق في التقلد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول ، فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه

ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ، ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق ، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا . وإن

أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة ، وساعده التوفيق حتي اشتغل بالعمل ، ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى ، واشتغل بالرياضة والمجاهدة ، انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) . وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصدّيقين والمقربين ، واليه الاشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه حيث فضَل به الخلق . وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن ، فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى ، وفى الاستضاءة بنور اليقين ، وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم ، إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسئلة

فان قلت : تعلُّم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أومندوب اليه ؟

فاعلم أن للناس فى هذا غلوا وإسرافا فى أطراف : فمن قائل إنه بدعة وحرام ، وإن العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيرٌ له من أن يلقاه بالكلام . ومن قائل أنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان ، وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات ، فانه تحقيق لعلم التوحيد ، ونضال عن دين الله تعالي

والى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف . قال ابن عبد الاعلى رحمه الله : سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام . ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه . وقال أيضا : قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . وحكى الكرابيسى أن الشافعي رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله . ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا : فقال حفص الفرد:

لاحفظك الله ولارعاك حتى تتوب مما أنت فيه . وقال أيضا : لوعلم الناس مافى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد . وقال أيضا اذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له . قال الزعفرانى قال الشافعي حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام

وقال أحمد بن حنبل : لايفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل . وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابافى الرد على المبتدعة ، وقال له ويحك ألست تحكى بدعتهم أولاثم تردعليهم! ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث ! وقال أحمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة

وقال مالك رحمه الله : أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت . وقال مالك رحمه الله أيضا : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء . فقال بعض أصحابه فى تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا

وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق

وقال الحسن : لاتجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم . وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا . ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه ، وقالوا : ماسكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر : ولذلك : قال النبي صلى الله عليه وسلم [(١)] « هَلَكَ ٱلْمُتَنَطِّعُونَ ، هَلَكَ ٱلْمُتَنَطِّعُونَ هَلَكَ ٱلْمُتَنَطِّعُونَ ؟ » أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء

واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه [(٢)] فقد عَلَّمَهُمُ ٱلاسْتِنْجَاءَ [(٣)] وَنَدَبَهُمْ إِلَى عِلْمِ

---

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود

(٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنجاء مسلم من حديث سلمان الفارسى

(٣) حديث ندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم : ابن ماجه من حديث أبى هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللترمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت

ٱلْفَرَائِضِ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ [١] وَنَهَاهُمْ عَنِ ٱلْكَلَامِ فِي ٱلْقَدَرِ وَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْقَدَرِ » وعلى هذا استمر الصحابة رضى الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم ، وهم الاستاذون والقدوة ، ونحن الاتباع والتلامذة .

وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا : إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض . وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب ، إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ، ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع ، الى جميع الاسئلة التي تورد على القياس ، لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح .

وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع ، فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل ؟

وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى اليه الكلام ، فذلك محرم ، ويجب الاحتراز عنه ، كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى اليه علم الحديث والتفسير والفقه ، وهو محرم يجب الاحتراز عنه ، ولكن لايمنع من العلم لأجل أدائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) . وقال عز وجل : (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ). وقال تعالى : (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا) ـ أى حجة وبرهان . وقال تعالى : (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ) ـ و قال تعالي : (أَلَمْ تَرَ إِلَي ٱلَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) إلى قوله: (فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ) اذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته وافحامه خصمه فى معرض الثناء عليه . وقال عز وجل: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) : وقال تعالى : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) وقال تعالى فى قصة فرعون : (وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ) إلى قوله : (أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ)

وعلى الجملة فالقرءان من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار . فعمدة أدلة المتكلمين فى

(١) حديث نهاهم عن الكلام فى القدر وقال : أمسكوا : تقدم فى العلم

التوحيد قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) . وفى النبوة : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) وفى البعث : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) الى غير ذلك من الآيات والأدلة

ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى : (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فالصحابة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة ، وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم

وأوّل من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على بن أبى طالب رضى الله عنه ، اذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا : قاتل ولم يسبُ ولم يغنم . فقال : ذلك فى قتال الكفار ، أرأيتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب ؟ فقالوا : لا ، فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته ألفان.

وروى أن الحسن ناظر قَدَريا فرجع عن القدر . وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية . وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الايمان ، قال عبد الله لو قلت إنى مؤمن لقلت إني فى الجنة ، فقال له يزيد بن عميرة : يا صاحب رسول الله هذه زلة منك ، وهل الايمان الا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ، ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ، فمن أجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من أهل الجنة ، فقال ابن مسعود : صدقت والله إنها منى زلة ، فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا ، وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة ، فيقال اما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان

واما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة ، فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة إلزامهم ، وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها

وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث

أيضا ، فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لاتتفق إلا على الندور إما ادخاراً ليوم وقوعها وإن كان نادراً ، أو تشحيذاً للخواطر ، فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة ، أو هيجان مبتدع ، أو لتشحيذ الخاطر ، أو لادخار الحجة حتي لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال . فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين

فان قلت : فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ، بل لابدفيه من تفصيل . فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعنى بقولى لذاته أن علة تحريه وصف فى ذاته وهو الإسكار والموت . وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ، ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار ، وإباحة تجرع الخمر إذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر . وإلى مايحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار ، والبيع وقت النداء ، وكأكل الطين ، فانه يحرم لما فيه من الاضرار . وهذا ينقسم إلى مايضر قليله وكثيره ، فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره ، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل ، فان كثيره يضر بالمحرور ، وكأكل الطين و كان اطلاق التحريم على الطين والخمر ، والتحليل على العسل ، التفات الى أغلب الأحوال . فإنْ تصدّى شيء تقابلت فيه الاحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصّل

فنعود الى علم الكلام ونقول : إن فيه منفعة وفيه مضرة ، فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب اليه أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام . أما مضرته فإثارة الشبهات ، وتحريك العقائد ، وإزالتها عن الجزم والتصميم ، فذلك مما يحصل فى الابتداء ، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ، ويختلف فيه الاشخاص. فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق

وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيته فى صدورهم ، بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الأصرار عليه ، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان ، إلا

اذا كان نشؤه فى بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ،فانه لو اجتمع عليه الأوّلون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك ، لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه.وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد ، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب . فهذا ضرره

وأما منفعته ، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، وهيهات ، فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، وهذا اذا سمعته من محدّث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ماجهلوا . فأسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، وبعد التغلل فيه الى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك الى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام ، وتحقق أن الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود

ولعمرى لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الأمور ، ولكن على الندور فى أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق فى صنعة الكلام ، بل منفعته شيء واحد ، وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام ، وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل ، فان العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه ، والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها ، إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم ، وأجمع السلف الصالح عليها ، والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة ، كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب . واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغى أن يكون كالطبيب الحاذق فى استعمال الدواء الخطر ، اذ لا يضعه إلا فى موضعه ، وذلك فى وقت الحاجة ، وعلى قدر الحاجة

وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التى اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذى ذكرناه ، فان تعليمهم الكلام ضرر محض فى حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ، ويزلزل عليهم الاعتقاد ، ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح

وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب ، وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق أدلة القرءان والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير ،فان ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين، إذ العامى إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده . فان عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه . فالجدل مع هذا ومع الأول حرام ، وكذا من وقع فى شك ، إذ يجب إزالته باللطف والوعظ ، والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام

واستقصاء الجدل إنما ينفع فى موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق ، وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية ، فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل . فجاز أن يلقى اليه

واما فى بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذى ذكرناه ، ولا يتعرض للأدلة ، ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة

فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا ، فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم . وهذا مقدار مختصر . وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره

فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة ، وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد ، إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين

فان أقنعه ذلك عنه ، وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة ، والداء غالباً ، والمرض سارياً ، فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه ، وينتظر قضاء الله تعالى فيه ، إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه ، أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له

فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه

فأما الخارج منه فقسمان (أحدهما) بحث عن غير قواعد العقائد، كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان، وعن الادراكات، وعن الخوض فى الرؤية: هل لها ضد يسمى المنع أو العمى؛ وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع مالا يرى، أوثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده، إلى غير ذلك من الترهات المضلات. والقسم الثانى: زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد، وزيادة أسئلة وأجوبة، وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القدر. فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير عموصاً

ولو قال قائل: البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر، والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد، فلا بأس بتشحيذه، كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا، وذلك هوس، فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام، والحال التى يذم فيها، والحال التى يحمد فيها، والشخص الذى ينتفع به، والشخص الذى لا ينتفع به

فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه فى دفع المبتدعة، والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة، فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها، وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم، ولو ترك بالكلية لا ندرس، وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم يتعلم، فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات، بخلاف زمن الصحابة رضى الله عنهم، فان الحاجة ما كانت ماسة اليه

فاعلم أن الحق أنه لا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم، مستقل بدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة، وذلك يدوم بالتعليم، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير، فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغداء، وضرر الغذاء لا يحذر، وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر

فالعالم ينبغى أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال

(احداها) التجرد للعلم والحرص عليه، فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت.

(الثانية) الذكاء والفطنة والفصاحة ، فان البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه

(الثالثة) أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ، ولا تكون الشهوات غالبة عليه ، فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين ، فان ذلك يحل عنه الحجر و يرفع السد الذى بينه وبين الملاذ ، فلا يحرص على إزالة الشبة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف ، فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه

واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام إنما هي من جنس حجج القرءان من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب ، المقنعة للنفوس ، دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التى لا يفهمها أكثر الناس ، واذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس . فاذا قابله مثله فى الصنعة قاومه . وعرفت أن الشافعى وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه ، وأن ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن علىّ رضى الله عنه من المناظرة فى القدر وغيره ، كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة ، وذلك محمود فى كل حال . نعم : قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقلتها، فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك . فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها ، وحكم طريق النضال عنها وحفظها . فأما ازالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ماهى عليه ، وإدراك الآسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة ، فلا مفتح له الا المجاهد ، وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات ، وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب ، وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله

مسألة

فان قلت : هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار ، وبعضها جلي يبدو أولا ، وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب ، وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع ، إذ

ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن ، بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه

فاعلم أن انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيره ، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيئا وجمدوا عليه ، فلم يكن لهم ترق الى شأو العلاء ، ومقامات العلماء والأولياء ، وذلك ظاهر من أدلة الشرع . قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ لِلقُرْءانِ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَحَدًّا وَمَطْلَعاً » وقال علىّ رضى الله عنه وأشار الى صدره : ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « مَا حَدَّثَ أَحَدٌ قَوْماً بِحَدِيثٍ لَمْ تَبْلُغْهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِم » وقال الله تعالى : (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ ٱلْعَالِمُونَ). وقال صلى الله عليه وسلم [4] « إِنَّ مِنَ ٱلْعِلْمِ كَهَيْئَةِ ٱلْمَكْنُونِ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ ٱلْعَالِمُونَ بِاللهِ تَعَالَى » الحديث الى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم [5] « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » فليت شعرى إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أولمعنى آخر ، فلم لم يذكره لهم، ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم ؟

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل : (ٱللهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) : لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى . وفى لفظ آخر لقلتم إنه كافر وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم [6] « مَا

---

(١) حديث ان للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه

(٢) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على عقولهم ـ الحديث : تقدم في العلم

(٣) حديث ماحدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم ـ الحديث : تقدم فى العلم

(٤) حديث ان من العلم كهيئة المكنون ـ الحديث تقدم فى العلم

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجاه من حديث عائشة وأنس

(٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ـ الحديث : تقدم فى العلم .

فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ وَلَكِنْ بِسِرٍّ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ » رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . ولاشك فى أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها ، وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره

وقال سهل التسترى رضى الله عنه : للعالم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر ، وعلم باطن لايسعه إظهاره الا لأهله ، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد .. وقال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر . وقال بعضهم : للربوبية سرلو أظهر لبطلت النبوّة ، وللنبوّة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوّة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق ، بل الصحيح أنه لا تناقض فيه ، وأن الكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، وملاك الورع النبوة

مسألة

فان قلت : هذه الآيات والأخبار يتطرق اليها تأويلات ، فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن ، فان الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع ، وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة ، وهو كفر ، لان الشريعة عبارة عن الظاهر ، والحقيقة عبارة عن الباطن ، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو ، فيزول به الانقسام ، ولا يكون للشرع سر لا يفشى ، بل يكون الخفى والجلى واحداً

فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما ، وينجرّ الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة ، وهو غرض هذه الكتب ، فان العقائد التى ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها ، لا بأن يتوصل الى أن ينكشف لنا حقائقها ، فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ، ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه فى هذا الكتاب ، ولولا أنه عملُ ظاهر القلب لاعمل باطنه لما أوردناه فى الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه ، ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز فى حله :

فمن قال : إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر ، فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان ، بل الأسرار التى يختص بها المقربون يدركها ، ولا يشاركهم الأكثرون فى

عملها ، ويمتنعون عن إفشائها اليهم ترجع الى خمسة أقسام

القسم الأوّل ـ أن يكون الشيء فى نفسه دقيقا تـكلّ أكثر الافهام عن دركه ، فيختص بدركه الخواص ، وعليهم أن لا يفشوه الى غير أهله ، فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك . وإخفاءُ سر الروح [١] وَ« كَفُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ بَيَانِهِ » من هذا القسم ، فان حقيقته مما تـكل الأفهام عن دركه ، وتقصر الأوهام عن تصوّر كنهه

ولا تظنن أن ذلك لم يكن مـكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان من لم يعرف الروح فـكأنه لم يعرف نفسه ، ومن لم يعرف نفسه ، فكيف يعرف ربه سبحانه ؟ ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء ، وان لم يكونوا أنبياء ، ولـكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه ، بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للأفهام : من العلم ، والقدرة ، وغيرهما ، حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم ،اذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة ، فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ، ولو ذكر من صفاته ماليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه ، بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي أو العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذى يدركه ، ولا يكون ذلك فهما على التحقيق . والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل

وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال ، أو مما كانت له من قبل ، ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا فى الشرف والـكمال ، فليس فى قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك أكمل وأشرف ، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ، ولذلك قال صلي الله عليه وسلم [٢] « لَاأُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » وليس المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته ، بل هو اعتراف بالقصور

---

(١) حديث كف رسول الله صلي الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيأ ـ الحديث :

(١) حديث لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى سجوده

عن إدراك كنه جلاله . ولذلك قال بعضهم : ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عزوجل . وقال الصدّيق رضى الله عنه : الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته إلا بالعجز عن معرفته

ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط . ولنرجع الى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن أدراكه ، ومن جملته الروح ، ومن جملته بعض صفات الله تعالى . ولعل الاشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم (١) «إِنَّ لِلّهِ سُبْحَانَهُ سَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَنْ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»

القسم الثانى — من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ، ولا يضر بالانبياء والصديقين . وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم ، فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق ، كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش ، وكما تضر رياح الورد بالجعل ، وكيف يبعد هذا وقولنا أن الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوم ، اذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ، ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم . وقد ألحد بن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك ، وكذلك سر القدر ، ولو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا اذ تقصر أفهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم . ولو قال قائل : ان القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ، ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر ، فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد ، واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قلّ اكتراثها ، ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ، ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا . فهذا المعني لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم

---

(١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور واسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال ان بينى وبينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ولابن ماجه شيء أدكه بصره

القسم الثالث ـ أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ، ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب ، وله مصلحة فى أن يعظم وقع ذلك الأمر فى قلبه ، كما لو قال قائل : رأيت فلانا يقلد الدر فى أعناق الخنازير ، فكني به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها ، فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ ، والمحقق اذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن ، فيتفاوت الناس فى ذلك . ومن هذا قال الشاعر :

رجلان خياط وآخر حائك * متقابلان على السماك الأعزل

لازال ينسج ذاك خرقة مدبر * ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال والادبار برجلين صانعين . وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (١) إنَّ الْمَسْجِدَ لَيَنْزَوِي مِنَ النُّخَامَةِ كَمَا تَنْزَوِي الْجِلْدَةُ عَلَى النَّارِ » وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة . ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير له ، فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (٢) « أَمَا يَخْشَى الَّذِى يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ !؟ » وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ، ولكن من حيث المعنى هو كائن ، إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله ، بل بخاصيته وهى البلادة والحمق . ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود ، دون الشكل الذى هو قالب المعنى ، اذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان

وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى

أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم : (٣) « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع

---

(١) حديث ان المسجد لينزوي من النخامة ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٢) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو

فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الخفي ، وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهم تمام الاقتدار . ومن هذا القبيل في كنايته عن الاقتدار قوله تعالى : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فان ظاهره ممتنع ؛إذ قوله :(كن) إن كان خطابا للشيء قبل وجوده فهو محال ؛ إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل ؛وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ، ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها

وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) الآية ، وأن معنى الماء ها هنا هو القرءان ، ومعنى الأودية هي القلوب ، وأن بعضها احتملت شيئا كثيراً ، وبعضها قليلا ، وبعضها لم يحتمل ، والزبد مثل الكفر والنفاق ، فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ، والهداية التي تنفع الناس تمكث. وفي هذا القسم تعمق جماعة فأوّلوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما ، وهو بدعة ؛إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية ، وإجراؤه على الظاهر غير محال ، فيجب إجراؤه على الظاهر

القسم الرابع ــ أن يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له ، فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر ، والثاني كاللباب ، والأول كالظاهر ، والثاني كالباطن ، وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم ، فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ، ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له . فكذلك العلم والايمان والتصديق ، إذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ، ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع ، بل للإنسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة . (الأول) تصديقه بوجوده قبل وقوعه . (والثاني) عند وقوعه (والثالث) بعد تصرمه ، فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال . وكذلك من علوم الدين مايصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ماقبل ذلك، ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها . ففي هذه الأقسام الأربعة تتفاوت

الخلق ، وليس فى شيء منها باطن يناقض الظاهر ، بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر . والسلام

القسم الخامس — أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال ، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا ، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه . وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذى ورائي . فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال . ومن هذا قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) . فالبليد يفتقر فى فهمه الى أن يقدر لهما حياة و عقلا ، وفهما للخطاب ، وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان : أتينا طائعين ، والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال ، وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير . ومن هذا قوله تعالي : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه ، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان ، بل كونه مسبحا بوجوده ، ومقدسا بذاته ، وشاهدا بوحدانية الله سبحانه ، كما يقال

وفى كل شيء له آية • تدل على أنه الواحد

وكما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم ، لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ، ولكن بالذات والحال . وكذلك : ما من شيء إلا وهو محتاج فى نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده فى أطواره : فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس ، يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ، ولذلك قال تعالى : (وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) . وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا . وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله ، إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ، ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته . وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة . فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر فى علمه ، وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر

وفى هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد : فمن مسرف فى رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها ، حتى حملوا قوله تعالى : (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) وقوله تعالى : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ

كلَّ شيْءٍ) وكذلك المخاطبات التي تجرى من منكر ونكير ، وفى الميزان والصراط والحساب ، ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم : (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) زعموا أن ذلك كله بلسان الحال

وغلا آخرون فى حسم الباب ، منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله: (كُنْ فَيَكُونُ) وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كَوْن كل مكوّن ، حتى سمعت بعض أصحابه يقول : إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ : قوله صلى الله عليه وسلم [1] « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ » وقوله صلى الله عليه وسلم « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ » وقوله صلى الله عليه وسلم [2] « إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمٰنِ مِنْ جَانِبِ الْيَمَنِ » ومال الى حسم الباب أرباب الظواهر

والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار ، والنزولَ ليس هو الانتقالَ ، ولكنه منع من التأويل حسما للباب ، ورعاية لصلاح الخلق ، فانه إذا فتح الباب اتسع الخرق ، وخرج الأمر عن الضبط ، وجاوز حد الاقتصاد ، إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط ، فلا بأس بهذا الزجر

ويشهد له سيرة السلف ، فانهم كانوا يقولون أمِرّوها كما جاءت ، حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

وذهبت طائفة الى الاقتصاد ، وفتحوا باب التأويل فى كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ، ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية

وزاد المعتزلة عليهم حتى أوّلوا من صفاته تعالى الرؤية ، وأوّلوا كونه سميعا بصيرا ، وأوّلوا المعراج ، وزعموا أنه لم يكن بالجسد ، وأوّلوا عذاب القبر ، والميزان ، والصراط ، وجملة من أحكام الآخرة ، ولكن أقروا بحشر الأجساد ، وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة ، وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم

---

(١) حديث الحجر يمين الله فى الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو

(٢) حديث انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ورجاله ثقات

ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد فى الآخرة ، وردوه الى آلام عقلية وروحانية ، ولذات عقلية ، وأنكروا حشر الأجساد ، وقالوا ببقاء النفوس ، وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس . وهؤلاء هم المسرفون

وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لابالسماع . ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى عليه نظروا الى السمع والألفاظ الواردة : فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أولوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد ،فلايستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف ، والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله

والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة ؛ والقول فيه يطول ، فلا نخوض فيه . والعرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له. فقد انكشفت بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة

وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها ، وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق ، فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع، ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس ، وسميناه الرسالة القدسية فى قواعد العقائد ، وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

الفصل الثالث

من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس

فنقول :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى ميز عصابة السنة بأنوار اليقين ، وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين ، وجنّبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ، ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين ، وسدّدهم للتأسى بصحبه الأكرمين ، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ، ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين ، فجمعوا

بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول ، وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ، إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول ، وعرفوا أن كلمتي الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الاله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول ، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهى أربعة ، ويدور كل ركن منها على عشرة أصول :

الركن الأول : في معرفة ذات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول ، وهى : العلم بوجود الله تعالى ، وقدمه ، وبقائه ، وأنه ليس بجوهر ، ولا جسم ولا عرض ، وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقراً على مكان ، وأنه يرى ، وأنه واحد

الركن الثانى : فى صفاته ، ويشتمل على عشرة أصول ، وهو : العلم بكونه حيا ، عالما ، قادراً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلما ، منزها عن حلول الحوادث ، وأنه قديم الكلام ، والعلم ، والإرادة

الركن الثالث : فى أفعاله تعالى ، ومداره على عشرة أصول ، وهى : أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وأنها مكتسبة للعباد ، وأنها مرادة لله تعالى ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع ، وأن له تعالى تكليفَ مالا يطاق ، وأن له إيلام البرىء ، ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع ، وأن بعثه الأنبياء جائز وأن نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات

الركن الرابع : فى السمعيات ، ومداره على عشرة أصول ، وهى : إثبات الحشر ، والنشر ، وسؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر ، والميزان ، والصراط ، وخلق الجنة والنار ، وأحكام الإمامة ، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم ، وشروط الإمامة

فاما الركن الأوّل من أركان الايمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى

وأوّل ما يستضاء به من الأنوار ، ويسلك من طريق الاعتبار ، ما أرشد اليه القرءان ، فليس بعد بيان الله سبحانه بيان . وقد قال تعالى : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ، وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً ، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَباًّ وَنَبَاتاً ، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً) وقال تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّٰهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ، وَاللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) وقال تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) إلى قوله : (لِلْمُقْوِينَ) فليس يخفى على من معه أدنى مُسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات ، وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات ، وبدائع فطرة الحيوان والنبات ، أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره ، وفاعل يحكمه ويقدره ، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ، ومصرفة بمقتضى تدبيره ، ولذلك قال الله تعالى : (أَفِي اللّٰهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) . ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا : لا إله إلا الله ، وما أمروا أن يقولوا : لنا إله وللعالم إله ، فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفى عنفوان شبابهم

ولذلك قال عز وجل : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ) وقال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) فاذاً فى فطرة الانسان وشواهد القرءان ما يغنى عن إقامة البرهان ، ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول :

من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه ، والعالم حادث ، فاذاً لا يستغنى فى حدوثه عن سبب . أما قولنا : إن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب فجلي ، فان كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره ، فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص . وأما قولنا : العالم حادث ، فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون ، وهما حادثان ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، ففى هذا البرهان ثلاث دعاوى :

الأولى : قولنا : إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون ، وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار ، فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار؛ فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا ، كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا

الثانية : قولنا: إنهما حادثان . ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض ، وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد . فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته ، وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه ، فالطارىء منهما حادث لطريانه ، والسابق حادث لعدمه ، لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه ، على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس

الثالثة : قولنا : مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث . وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ، ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهى النوبة الى وجود الحادث الحاضر فى الحال ، وانقضاء مالا نهاية له محال؛ ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا ، أو شفعا ووترا جميعا ، أولا شفعا ولا وترا ، ومحال أن تكون شفعا ووتراً جميعا ، أولا شفعا ولا وترا ؛ فان ذلك جمع بين النفى والاثبات ، إذ فى إثبات أحدهما نفى الآخر ، وفى نفي أحدهما إثبات الآخر ، ومحال

أن يكون شفعا ؛ لأن الشفع يصير وترا بزيادة واحد ، وكيف يعوز مالانهاية له واحد ؟! ومحال أن يكون وترا إذ الوتر يصير شفعا بواحد ، فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لأعدادها ؟ ومحال أن يكون لاشفعا ولا وترا ، إذ له نهاية . فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث فهو إذا حادث . وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة

الأصل الثانى

العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزلى ليس لوجوده أول بل أول كل شيء وقبل كل ميت وحى

وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث ، وافتقر محدثه إلى محدث ، وتسلسل ذلك إلى مالانهاية ، وما تسلسل لم يتحصل ، أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأول ، وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه

الأصل الثالث

العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه

وبرهانه : أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ، ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه ، فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب ، وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده ، لأن ذلك المعدم لو كان قديما لما تصوّر الوجود معه ، وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه ، فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده ؟ فإن كان الضد المعدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده ، بل الدفع أهون من القطع ، والقديم أقوى وأولى من الحادث

الأصل الرابع

العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز ، بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز

وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ، ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه ، فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان ، وما يخلو عن الحوادث فهو حادث ، ولو تصوّر جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم ، فان سماه مسمٍّ جوهراً

ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

الأصل الخامس

العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر ، إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصا بحيز بطل كونه جسما ، لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر ، فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع ، والحركة والسكون ، والهيئة والمقدار . وهذه سمات الحدوث ، ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم ، لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر، أو لشيء آخر من أقسام الأجسام . فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر ، كان ذلك غلطا فى الاسم ، مع الإصابة فى نفى معنى الجسم

الأصل السادس

العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محل ، لأن العرض مايحل فى الجسم ، فكل جسم فهو حادث لا محالة ، ويكون محدثه موجوداً قبله ، فكيف يكون حالا فى الجسم وقد كان موجوداً فى الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ؟ ولأنه عالم قادر مريد خالق، كما سيأتى بيانه ، وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض ، بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه ، مستقل بذاته ، وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ، ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام ، فإذاً لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ، بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شيء . وأنى يشبه المخلوق خالقه ، والمقدور مقدره ، والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه ؟! فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته.

الأصل السابع ـ العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات

فان الجهة إما فوق ، وإما أسفل ، وإما يمين ، وإما شمال : أو قدام ، أو خلف . وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان ، إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا ، والآخر يقابله ويسمى رأسا . فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس ،

واسم السفل لما يلي جهة الرجل ، حتى إن النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا ، وإن كان فى حقنا فوقا . وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى فى الغالب ، فحدث اسم اليمين للأقوى ، واسم الشمال لما يقابله ، وتسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا ، والأخرى شمالا ، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه ، فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة ، واسم الخلف لما يقابلها : فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ، ولولم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة ، لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة ، فكيف كان فى الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة ؟ أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له : أبأن خلق العالم فوقه ، وتعالى عن أن يكون له فوق ، إذ تعالى أن يكون له رأس ، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس ، أو خلق العالم تحته ، فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل ، والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل ، وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ، ولأن المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر ، أو مختص بالجواهر اختصاص العرض ، وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضا ، فاستحال كونه مختصا بالجهة . وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى ، ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له ، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر ، وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ، ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر . فأما رفع الأيدى عند السؤال إلى جهة السماء ، فهو لأنها قبلة الدعاء ، وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء ، تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء ، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الأصل الثامن

العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء ، وهو الذى لاينافى وصف الكبرياء ، ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء ، وهو الذى أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال فى القرءان : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل الى تأويل قوله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم : « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ » على القدرة والقهر ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ » على التشريف والإكرام ؛ لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال ، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش ، إما مثله أو أكبر منه أو أصغر ، وذلك محال ، وما يؤدى الى المحال فهو محال

الأصل التاسع

العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار ، مرئي بالأعين والأبصار فى الدار الآخرة دار القرار ، لقوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ولا يُرى فى الدنيا تصديقا لقوله عز وجل : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام : (لَنْ تَرَانِي) . وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام ؟ ! وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ؟! ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم !

وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر ، فهو أنه غير مؤد الى المحال ، فان الرؤية نوع كشف وعلم ، إلا أنه أتم وأوضح من العلم . فإذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة . وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم ، جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة ، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة ، جاز أن يرى كذلك

الأصل العاشر

العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له ، فرد لا ندّ له ، انفرد بالخلق والابداع واستبد بالإيجاد والاختراع ، لا مثل له يساهمه ويساويه ، ولا ضد له فينازعه ويناويه . وبرهانه قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) وبيانه : أنه لو كانا اثنين وأراد

أحدهما أمراً فالثانى إن كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهراً ، والأول ضعيفا قاصراً ولم يكن إلها قادراً

(الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول

العلم بأن صانع العالم قادر ، وأنه تعالى فى قوله : (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) صادق ، لأن العالم محكم فى صنعته ، مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لااستطاعة له ، أو عن إنسان لاقدرة له ، كان منخلعا عن غريزة العقل ، ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل

الأصل الثانى

العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ، ومحيط بكل المخلوقات ، لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، صادق فى قوله : (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أرشدك إلى الاستدلال بالخلق علي العلم بأنك لاتستريب فى دلالة الخلق اللطيف ، والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشيء الحقير الضعيف ، علي علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف ، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف

الأصل الثالث

العلم بكونه عز وجل حيا ، فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ، ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات ، بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات ، وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات

الأصل الرابع

العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله ، فلا موجود إلاوهو مستند إلى مشيئته وصادر عن

إرادته ، فهو المبدىء المعيد ، والفعال لما يريد ، وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده ، وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده ؛ والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة ، فلابد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين ، ولو أغنى العلم عن الإرادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده ، لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال : وجد بغير قدرة ، لأنه سبق العلم بوجوده فيه

الأصل الخامس

العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ، ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص ؟ فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق ، والمصنوع أسنى وأتم من الصانع ؟ وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته ؟ أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا ، فقال له : «لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً» ولو انقلب ذلك عليه فى معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ، ولم يصدق قوله تعالى : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة ، وعالما بلا قلب ودماغ ، فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة ، وسميعا بلا أذن ، إذ لا فرق بينهما

الاصل السادس

أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام ، وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف ، بل لا يشبه كلامه كلام غيره ، كما لا يشبه وجوده وجود غيره . والكلام بالحقيقة كلام النفس ، وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات ، وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء ، حيث قال قائلهم:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا !

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نُهاه عن أن يقول : لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم ، فاقطع عن عقله طمعك ، وكف عن خطابه لسانك . ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شىء ، وأن الباء قبل السين فى قولك : بسم الله ، فلا يكون

السين المتأخر عن الباء قديما ، فنزه عن الالتفات اليه قلبك ، فلله سبحانه سر فى إبعاد بعض العباد ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى فى الآخرة موجوداً ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره ، فليعقل فى حاسة السمع ما عقله فى حاسة البصر . وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات ، فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات . وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار فى الحدقة والقلب والورقة ، فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة ، محفوظا فى القلوب ، مكتوبا فى المصاحف ، من غير حلول ذات الكلام فيها ، إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق ، وحلت ذات النار بكتابة اسمها فى الورق ، ولاحترق

الاصل السابع

أن الكلام القائم بنفسه قديم ، وكذا جميع صفاته ، إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل فى قدمه موصوفا بمحامد الصفات ، ولا يزال فى أبده كذلك منزها عن تغير الحالات ، لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف ، فكيف يكون خالقها مشاركا لها فى قبول التغير ، وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته ، وإنما الحادث هى الأصوات الدالة عليه . وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده ، حتى إذا خلق ولده وعَقَل وخلق الله له علما متعلقا بما فى قلب أبيه من الطلب ، صار مأموراً بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له ، فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل : (اُخْلَعْ نَعْلَيْكَ) بذات الله ، ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده ، إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ، وسمع لذلك الكلام القديم

الأصل الثامن

أن علمه قديم ، فلم يزل عالما بذاته وصفاته ، وما يحدثه من مخلوقاته ، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها ، بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى ، إذلو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك علم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر . فهكذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى

الأصل التاسع

أن إرادته قديمة ، وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى ، إذلو كانت حادثة لصارمحل الحوادث ، ولوحدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريدا لها ، كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست فى ذاتك ، وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، وكذلك الارادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ، ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية . ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة

الأصل العاشر

أن الله تعالى عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدرة ، ومريد بارادة ، ومتكلم بكلام ، وسميع بسمع ، وبصير ببصر . وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة . وقول القائل : عالم بلا علم ، كقوله : غنىّ بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم ، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل . وكما لا يتصوّر قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصوّر قتيل بلا قاتل ولا قتل ، كذلك لا يتصوّر عالم بلا علم ، ولا علم بلا معلوم ، ولا معلوم بلا عالم . بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض : فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوّز انفكاكه عن المعلوم ، وانفكاكَ العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى وأوله الركن الثالث من أركان الإيمان)

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الثاني

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العيني . القاهرة ت . [illegible]

الركن الثالث : العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول

الاصل الأول

العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه ، لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه ، خالق الخلق وصنعهم ، وأوجد قدرتهم وحركتهم ، فجميع أفعال عباده مخلوقة له ، ومتعلقة بقدرته ، تصديقا له فى قوله تعالى : (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) وفى قوله تعالى : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) وفى قوله تعالى (وأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم ، لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق ، وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها ، وهى متعلقة بحركة أبدان العباد ، والحركات متماثلة ، وتعلق القدرة بها لذاتها ؟ فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها ؟ أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب ؟ فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ؟ هيهات هيهات ! ذلت المخلوقات ، وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات

الأصل الثانى

أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب ، بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا ، وخلق الاختيار والمختار جميعا . فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له . وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له ، فانها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه ، وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة ، فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا ، وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها ، وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد ، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا ، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، إذ

قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها ، وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق . فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها

الأصل الثالث

أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه ، فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته ، وبإرادته ومشيئته ، ومنه الشر والخير ، والنفع والضر ، والاسلام والكفر ، والعرفان والنكر ، والفوز والخسران ، والغواية والرشد ، والطاعة والعصيان ، والشرك والإيمان ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة : ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وقول الله عز وجل : (أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا) وقوله تعالى : (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا)

ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هى جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجارى على وفق إرادة العدو أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى ، فليت شعرى ، كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام إلى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها ! إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته ، والمعصية هى الغالبة على الخلق ، وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى . وهذا غاية الضعف والعجز ، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علواً كبيراً . ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له

فإن قيل : فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد ؟ قلنا الأمر غير الارادة ، ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه ، فقال له : أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ، ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان ممهدا ، ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه ، وهو محال

الأصل الرابع

أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ، ومتطوّل بتكليف العباد ، ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه . وقالت المعتزلة : وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد، وهو محال ، إذ هو الموجب والآمر والناهى ، وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب ؟ والمراد بالواجب أحد أمرين : إما الفعل الذى فى تركه ضرر.إما آجل كما يقال : يجب على العبد أن يطيع الله حتى لايعذبه فى الآخرة بالنار ، أوضرر عاجل كما يقال : يجب على العطشان أن يشرب حتى لايموت ، وإما أن يرادبه الذى يؤدى عدمه إلى محال ، كما يقال : وجود المعلوم واجب ، إذ عدمه يؤدى إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا ، فان أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرضه للضرر ، وأن أراد به المعنى الثانى فهو مسلّم ، إذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم . وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم . وقوله : يجب لمصلحة عباده ، كلام فاسد ، فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى . ثم ان مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة ، فأما أن يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب ، فما فى ذلك غبطة عند ذوى الألباب

الأصل الخامس

أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق مالا يطيقونه ، خلافا للمعتزلة ، ولولم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه ، وقد سألوا ذلك فقالوا : « رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ » ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أباجهل لا يصدّقه ثم أمره بأن يأمره بأن يصدّقه فى جميع أقواله ، وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه ، فكيف يصدقه فى أنه لا يصدقه ؟ وهل هذا الا محال وجوده ؟

الأصل السادس

أن لله عز وجل إيلامَ الخلق وتعذيبَهم من غير جرم سابق ، ومن غير ثواب لاحق ، خلافا للمعتزلة ، لأنه متصرف فى ملكه ، ولا يتصور أن يعدُوَ تصرفهُ ملكَه ، والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه ، وهو محال على الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما . ويدل على جواز ذلك وجوده ، فان ذبح البهائم إيلام لها ، وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة

فإن قيل : إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ماقاسته من الآلام ، ويجب ذلك على الله سبحانه

فنقول : من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وُطئت ، وكل بقة عُركت حتى يثيبها على آلامها ، فقد خرج عن الشرع والعقل ، اذيقال : وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه ، فهو محال ، وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعانى المذكورة للواجب

الأصل السابع

أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء ، فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء ، بل لا يعقل فى حقه الوجوب ، فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون . وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله : إن الاصلح واجب عليه فى مسألة نعرضها عليه ، وهو أن يفرض مناظرة فى الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله عن الصبى لأنه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ، ويجب عليه ذلك عند المعتزلى ، فلو قال الصبى : يارب لم رفعت منزلته على ؟ فيقول : لأنه بلغ واجتهد فى الطاعات ويقول الصبي : أنت أمتنى فى الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتى حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل فى التفضيل عليه بطول العمر له دونى فلم فضلته ؟ فيقول الله تعالى : لأنى علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت فى الصبا . هذا عذر المعتزلى عن الله عز وجل ، وعند هذا ينادى الكفارُ من دركات لظى ويقولون : يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا فى الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبى المسلم : فماذا يجاب عن ذلك؟ وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال

فان قيل : مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة

قلنا : القبيح مالا يوافق الغرض ، حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر ، حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه

أعداؤه ، فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال ، إذلا غرض له ، فلا يتصور منه قبيح ، كما لا يتصور منه ظلم ، إذ لا يتصور منه التصرف فى ملك الغير . وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال ؟ وهل هذا إلا مجرد تشهى يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار ؟ ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على فعلها على وفق إرادته ، وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منا يراعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الآخرة ثوابا ، أو يدفع به عن نفسه آفة ، وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال

الأصل الثامن

أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه ، لا بالعقل ، خلافاً للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال ، فان العقل لا يوجب العبث ، وإما أن يوجبها لفائدة وغرض ، وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال فى حقه تعالى ، فإنه يتقدس عن الأغراض والفوائد ، بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيّان . وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضاً محال لأنه لا غرض له فى الحال ، بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه ، وليس فى المآل إلا الثواب والعقاب . ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان ، إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تميز ذلك بالشرع ؟ ولقد ذل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر

فإن قيل : فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه ، فإذا قال المكلف للنبيّ : إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ، ولست أقدم على النظر ، أدّى ذلك إلى إفحام الرسول صلى الله عليه وسلم

قلنا : هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع : إن وراءك سبعاً ضارياً فإن لم تبرح عن المكان قتلك ، وإن التفتّ وراءك ونظرت عرفت صدقى . فيقول الواقف :

لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائى ، ولا ألتفت ورائى ولا أنظر ما لم يثبت صـدقك .
فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ، ولا ضرر فيه على الهادى المرشد ، فكذلك
النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن وراءكم الموت ، ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة
إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لى صدقى بالالتفات إلى معجزتى وإلا هلكتم ، فمن التفت
عرف واحترز ونجا ، ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ، ولا ضرر عَلَيَّ إن هلك الناس كلهم
أجمعون ، وإنما عَلَيَّ البلاغ المبين . فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت ، والعقل
يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله فى المستقبل ، والطبع يستحث على الحذر من الضرر
ومعنى كون الشىء واجبا أن فى تركه ضرراً . ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر
المتوقع ، فان العقل لا يهدى إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات . فهذا معنى
الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب . ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن
الوجوب ثابتا ، إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة

الأصل التاسع

أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام ، خلافا للبراهمة حيث قالوا : لا فائدة فى بعثتهم
إذ فى العقل مندوحة عنهم ، لأن العقل لا يهدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة كما لا يهدى
إلى الأدوية المفيدة للصحة ، فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ، ولكن يعرف
صدق الطبيب بالتجربة ، ويعرف صدق النبي بالمعجزة

الأصل العاشر

أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ، وناسخا لما قبله من شرائع
اليهود والنصارى والصابئين ، وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة [1] « كَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ »
[2] « وتَسْبِيحِ الْحَصَى » [3] « وَإِنْطَاقِ الْعَجْمَاءِ وَمَا تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ مِنَ الْمَاءِ »

---

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس
(٢) حديث تسبيح الحصى البيهقى فى دلائل النبوة من حديث أبى ذر وقال صالح بن أبى الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بنى سليم لم يسم عن أبى ذر
(٣) حديث إنطاق العجماء أحمد والبيهقى باسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة فى البعير الذى شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد فى كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقى فى الدلائل

ومن آياته الظاهرة التي تحدّى بها مع كافة العرب القرءان العظيم ، فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدّفوا لسبيه ونهبه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ، ولم يقدروا على معارضته بمثل القرءان ، إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرءان ونظمه ، هذا مع ما فيه من أخبار الأولين ، مع كونه أمياً غير ممارس للكتب ، والانباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال ، كقوله تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) وكقوله تعالى : (الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ)

ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى ، فمهما كان مقرونا بتحدى النبي صلى الله عليه وسلم ينزّل منزلة قوله : صدقت ، وذلك مثل القائم بين أيدى الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك اليهم ، فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك ، حصل للحاضرين علم ضرورى بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول

« الْحَشْرُ وَالنَّشْرُ » (١) وقد ورد بهما الشرع ، وهو حق ، والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن . ومعناه الاعادة بعد الافناء ، وذلك مقدور لله تعالى ، كابتداء الانشاء ، قال الله تعالى : (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) فاستدل بالابتداء على الاعادة . وقال عز وجل : (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) والاعادة ابتداء ثان ، فهو ممكن كالابتداء الأول

(١) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس انكم لمحشورون الى الله ــ الحديث : ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ــ الحديث : ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أبى هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق ــ الحديث : ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أفتنا فى بيت المقدس وأرض الحشر والنشر الحديث واسناده جيد

الأصل الثانى

« سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ »(١) وقد وردت به الأخبار ، فيجب التصديق به ، لأنه ممكن ، إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذى به فهم الخطاب ، وذلك ممكن فى نفسه ، ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له ، فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « يَسْمَعُ كَلاَمَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَيُشَاهِدُهُ وَمَنْ حَوْلَهُ لاَ يَسْمَعُونَهُ وَلاَ يَرَوْنَهُ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ » فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه

الأصل الثالث

« عَذَابُ الْقَبْرِ » وقد ورد الشرع به قال الله تعالى (٣) (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر ، وهو ممكن ، فيجب التصديق به ، ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور ، فان المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الادراك إليها

الأصل الرابع

الميزان ، وهو حق ، قال الله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) . وقال تعالى : (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) الآية . ووجهه أن الله تعالى يحدث فى صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى ، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد ، حتى يظهر لهم العدل فى العقاب ، أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب

---

(١) حديث سؤال منكر ونكير تقدم

(٢) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لايسمعونه ولا يرونه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ياعائشة هذا جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم

(٣) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجاه من حديث أبى هريرة وعائشة وقد تقدم

الأصل الخامس

الصراط ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أرق من الشعرة وأحد من السيف ، قال الله تعالى : (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) . وهذا ممكن ، فيجب التصديق به ، فان القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط

الأصل السادس

أن الجنة والنار مخلوقتان ، قال الله تعالى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) . فقوله تعالى :(أُعدت) ، دليل على أنها مخلوقة ، فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه . ولا يقال : لا فائدة فى خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى : « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ »

الأصل السابع

أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على رضي الله عنهم ، ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا ، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ، ولم يخف ذلك ، فكيف خفي هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة . وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجرىء على اختراعه إلا الروافض . واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنياً على الإجتهاد لا منازعة من معاوية فى الإمامة ، إذ ظن على رضى الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمر الإمامة فى بدايتها ، فرأى التأخير أصوب ، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرّض الدماء للسفك . وقدقال أفاضل العلماء : كل مجتهد مصيب . وقال قائلون : المصيب واحد ، ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلا

الاصل الثامن

أن فضل الصحابة رضى الله عنهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة ، إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل ، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل ، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عن الحق صارف

الأصل التاسع

أن شرائط الامامة بعد الإسلام والتكليف خمسة : الذكورة ، والورع ، والعلم ، والكفاية ، ونسبة قريش ، لقوله صلى الله عليه وسلم [٢] « اَلأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ » وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة أكثر الخلق ، والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق

الاصل العاشر

أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان فى صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال ، فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أثبتت لمزية المصلحة ، فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها ، كالذى يبنى قصرا ويهدم مصرا ، وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الأمام وبفساد الأقضية وذلك محال ، ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم ، فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة

فهذه الأركان الأربعة الحاوية للاصول الأربعين هى قواعد العقائد . فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة . فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ، ويهدينا الى الحق وتحقيقه ، بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى

---

(١) حديث الثناء على الصحابة تقدم

(٢) حديث الأئمة من قريش النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

الفصل الرابع

من قواعد العقائد

في الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال ، وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ، ووجه استثناء السلف فيه ، وفيه ثلاثة مسائل

مسألة

اختلفوا فى أن الاسلام هو الايمان أو غيره ، وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه ؟ فقيل : إنهما شيء واحد . وقيل : إنهما شيآن لا يتواصلان . وقيل إنهما شيآن ولكن يرتبط أحدهما بالآخر . وقد أورد أبو طالب المكى فى هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل . فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل مالا تحصيل له . فنقول : فى هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين فى اللغة ، وبحث عن المراد بهما فى إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة . والبحث الأول لغوى ، والثانى تفسيري ، والثالث فقهى شرعي

البحث الأول فى موجب اللغة

والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالي : (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) أي بمصدّق . والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد . وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمانه . وأما التسليم فإنه عام فى القلب واللسان والجوارح ؛ فأن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود ، وكذلك الاعتراف باللسان ، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح . فموجب اللغة أن الاسلام أعم ، والايمان أخص ، فكان الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام ، فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقاً

البحث الثانى عن إطلاق الشرع

والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد ، وورد على سبيل الاختلاف ، وورد على سبيل التداخل

أما الترادف فى قوله تعالي : (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد . وقال تعالي : (يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) . وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ » (٢) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فأجاب بهذه الخمس

وأما الاختلاف فقوله تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) ومعناه استسلمنا فى الظاهر فأراد بالايمان هاهنا التصديق فقط ، وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح . وفى حديث جبرائيل عليه السلام (٣) لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ . فَقَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْحِسَابِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » فقال : فَمَا الْإِسْلَامُ فأجاب بذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل . وفى الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم (٤) « أَعْطَى رَجُلاً عَطَاءً وَلَمْ يُعْطِ الْآخَرَ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَارَسُولَ اللهِ تَرَكْتَ فُلَاناً لَمْ تُعْطِهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فقال صلى الله عليه وسلم : أَوْ مُسْلِمٌ ، فَأَعَادَ عليه فَأَعَادَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

وأما التداخل فما روى أيضاً أنه سئل (٥) فقيل « أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الْإِسْلَامُ » فقال : أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ » وهذا دليل على الاختلاف ، وعلى التداخل ، وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة ، لأن الايمان عمل من

---

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

(٢) حديث سئل عن الايمان فأجاب بهذه الخمس البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس تدرون ما الأيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث فى الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا خمسا من المغنم

(٣) حديث جبريل لما سأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقى في البعث وقد تقدم

(٤) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم ـ الحديث : أخرجاه بنحوه

(٥) حديث سئل أى الاعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الايمان أحمد والطبرانى من حديث عمرو بن عنبسة بالشطر الاخير قال رجل يارسول الله أى الاسلام أفضل قال الايمان واسناده صحيح

الاعمال وهو افضلها ، والاسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب ، وهو التصديق الذي يسمى إيمانا . والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز فى اللغة

أما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط ، وهو موافق للغة . والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا ، وهو أيضا موافق للغة ، فان التسليم ببعض محالّ التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه ، فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وإن لم يستغرق جميع بدنه : فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى: (قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) . وقوله صلى الله عليه وسلم: فى حديث سعد « أَوْ مُسْلِمٌ » لأنه فضل أحدهما على الآخر ، ويريد بالاختلاف تفاضل المسّميين

وأما التداخل فموافق أيضاً للغة فى خصوص الإيمان ، وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعاً ، والإيمان عبارة عن بعض ما دخل فى الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل . وعلى هذا خرج قوله : (الايمان) ، فى جواب قول السائل : أى الاسلام أفضل؟ لأنه جعل الايمان خصوصاً من الاسلام فأدخله فيه

وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة على التسليم بالقلب والظاهر جميعاً فان كل ذلك تسليم ، وكذا الايمان ، ويكون التصرف فى الايمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر فى معناه ، وهو جائز ، لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته . وقد يطلق إسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح ، فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له ، فلا يزيد عليه ولا ينقص . وعليه خرج قوله : (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)

البحث الثالث عن الحكم الشرعى

وللاسلام والايمان حكمان أخروى ودنيوى

أما الأخروى فهو الأخراج من النار ، ومنع التخليد ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ » وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ماذا يترتب ، وعبروا عنه بأن الايمان ماذا هو ؟ فمن قائل : إنه مجرد العقد ، ومن قائل يقول : إنه عقد بالقلب وشهادة اللسان ، ومن قائل : يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان

ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول : من جمع بين هذه الثلاثة فلاخلاف فى أن مستقره الجنة : وهذه درجة

والدرجة الثانية : أن يوجد اثنان وبعض الثالث ، وهو القول والعقد وبعض الأعمال ، ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر ، فعند هذا قالت المعتزلة : خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل فى الكفر ، بل اسمه فاسق ، وهو على منزلة بين المنزلتين ، وهو مخلد فى النار وهذا باطل كما سنذكره

الدرجة الثالثة : أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح . وقد اختلفوا فى حكمه ، فقال أبو طالب المكى : العمل بالجوارح من الايمان ولا يتم دونه ، وادعى الاجماع فيه ، واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إذ هذا يدل على أن العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان ، وإلا يكون العمل فى حكم المعاد . والعجب أنه ادعى الاجماع فى هذا ، وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم: [٢] « لَا يَكْفُرُ إِلَّا بَعْدَ جُحُودِهِ لِمَا أَقَرَّ بِهِ » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر . والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له : من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال ، فهل هو فى الجنة : فلا بد أن يقول نعم ، وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل ، فنزيد ونقول : لو بقى حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات ، أو زنى ثم مات

---

(١) حديث يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان أخرجاه من حديث أبى سعيد الخدرى فى الشفاعة وفيه اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه ـ الحديث : ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان ايمان

(٢) حديث لاتكفروا أحدا لا بجحوده بما أقربه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد لن تخرج أحد من الايمان الا بجحود ما دخل فيه واسناده ضعيف

فهل يخلد فى النار ؟ فان قال نعم فهو مراد المعتزلة ، وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة به ، وإن قال : أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شىء من الأعمال الشرعية ، فنقول : فما ضبط تلك المدة ؟ وما عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الايمان ؟ وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الايمان ؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا

الدرجة الرابعة : أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات ، فهل نقول : مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى ؟ وهذا مما اختلف فيه . ومن شرط القول لتمام الإيمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد ، إذ قال صلى الله عليه وسلم « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ » . وهذا قلبه طافح بالايمان ، فكيف يخلد فى النار ولم يشترط فى حديث جبريل عليه السلام للايمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، كما سبق

الدرجة الخامسة : أن يصدّق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها ، فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول : هو مؤمن غير مخلد فى النار ، والايمان هو التصديق المحض ، واللسان ترجمان الايمان فلا بد أن يكون الايمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان ، وهذا هو الأظهر ، إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ » ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب ، كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب . وقال قائلون : القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام ، والأول أظهر وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا : هذا لا يدخل النار أصلا ، وقالوا : إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار . وسنبطل ذلك عليهم

الدرجة السادسة : أن يقول بلسانه : لا اله إلا الله محمد رسول الله ، ولكن لم يصدق بقلبه ؛ فلا نشك فى أن هذا فى حكم الآخرة من الكفار ، وأنه مخلد فى النار . ولا نشك فى أنه فى

حكم الدنيا الذى يتعلق بالأئمة والولاة ، من المسلمين ، لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه فى قلبه ، وإنما نشك فى أمر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى ، وذلك بأن يموت له فى الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى ويقول : كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن فى يدى ، فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى ؟ أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح ؟ هذا محل نظر ، فيحتمل أن يقال . أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ، ويحتمل أن يقال : تناط بالظاهر فى حق غيره ، لأن باطنه غير ظاهر لغيره ، وباطنه ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله تعالى . والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ، ويلزمه إعادة النكاح . ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين ، وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه ، والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وإن كان من من العبادات . والتوقى عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » وليس هذا مناقضاً لقولنا أن الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام ، بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن ، وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة ، فلا ينبغى أن يظن القاصر فى العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده فى فن الكلام الذى يطلب فيه القطع ، فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم فى العلوم

فان قلت : فما شبهة المعتزلة والمرجئة ؟ وما حجة بطلان قولهم ؟ فأقول شبهتهم عمومات القرءان

أما المرجئة فقالوا : لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصى لقوله عز وجل : (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً) ولقوله عز وجل : (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) الآية ولقوله تعالى : (كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) إلى قوله : (فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَىْءٍ) فقوله : « كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ » عام ، فينبغى أن يكون كل من ألقى فى النار مكذباً ، ولقوله تعالى : (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى) وهذا حصر

وإثبات ونفى ، ولقوله تعالى : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) فالإيمان رأس الحسنات ، ولقوله تعالى : (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وقال تعالى : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) ولا حجة لهم فى ذلك ، فانه حيث ذكر الايمان فى هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل ، إذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام ، وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير العقاب . وقوله صلى الله عليه وسلم « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ إِيمَانٍ » فكيف يخرج إذا لم يدخل ؟ ومن القرءان قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام ، وقوله تعالى : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) وتخصيصه بالكفر تحكم ، وقوله تعالى : (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِى عَذَابٍ مُقِيمٍ) . وقال تعالى : (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ) فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ، ولابد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين؛ لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون [1] ، بل قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) كالصريح فى أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه ، وقوله تعالى : (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصا معينا أيضا . وقوله تعالى : (كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) أى فوج من الكفار . وتخصيص العمومات قريب . ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم ؛ وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها

وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى : (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) وقوله تعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) ثم قال : (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا) وقوله

---

(١) حديث تعذيب العصاة البخارى من حديث أنس «ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها» الحديث ويأتى فى ذكر الموت عدة أحاديث

تعالى : (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) . وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونًا بالإيمان. وقوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) وهذه العمومات أيضًا مخصوصة ، بدليل قوله تعالى : (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك . وكذلك قوله عليه السلام « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ » وقوله تعالى : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) وقوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) فكيف يضيع أجر أصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة ؟ وقوله تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) أي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب

فإن قلت : فقد مال الاختيار إلى أن الايمان حاصل دون العمل ، وقد اشتهر عن السلف قولهم : الايمان عقد وقول وعمل فما معناه ؟

قلنا : لا يبعد أن يعد العمل من الايمان لأنه مكمل له ومتمم ، كما يقال الرأس واليدان من الانسان ، ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانًا بعدم الرأس ، ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد . وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدها . فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان ، إذ ينعدم بعدمه . وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض . وقد قال صلى الله عليه وسلم : [1] « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ، ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانًا تامًا كاملاً ، كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف : هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية

مسئلة

فان قلت : فقد اتفق السلف على أن الايمان يزيد وينقص : يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان

فاقول : السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول ، فما ذكروه حق ، وإنما

---

(١) حديث : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن : متفق عليه من حديث أبي هريرة

الشأن فى فهمه ، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده ، بل هو مزيد عليه يزيد به ، والزائد موجود ، والناقص موجود ، والشيء لا يزيد بذاته ، فلا يجوز أن يقال : الانسان يزيد برأسه ، بل يقال : يزيد بلحيته وسمنه ، ولا يجوز أن يقال : الصلاة تزيد بالركوع والسجود ، بل تزيد بالآداب والسنن . فهذا تصريح بان الإيمان له وجود ، ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان

فان قلت : فالإشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة ؟

فأقول : إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الأشكال

فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه

الأول — أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر ، وهو إيمان العوام ، بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص . وهذا الاعتقاد عقدة على القلب ، تارة تشتد وتقوى ، وتارة تضعف وتسترخى ، كالعقدة على الخيط مثلا ، ولا تستبعد هذا ، واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ، ولا بتخييل ووعظ ، ولا تحقيق وبرهان . وكذلك النصرانى والمبتدعة ، وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ، ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف ، مع أنه غير شاك فى عقده كالأول ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم . وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضاً . والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار . ولذلك قال تعالى : (فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) وقال تعالى : (لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) . وقال صلى الله عليه وسلم : فيما يروى فى بعض الأخبار[1] « الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ » وذلك بتأثير الطاعات فى القلب ، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الايمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك ، بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة إذا عمل

---

(١) حديث : الايمان يزيد وينقص : ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحى يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء

بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به ، ادرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل . وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة . وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ، ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر ، والأعمال بالعقائد والقلوب ، فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت ، وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس ، وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة ، والقلب من عالم الملكوت ، والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر ، وظن آخرون أنه لا عالم الا عالم الشهادة ، وهو هذه الأجسام المحسوسة . ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال :

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشا كل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فان هذا العالم خارج عن علم المعاملة ، ولكن بين العالمين أيضاً اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكشف عنها بالتكليف ، فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ، ولهذا قال على كرم الله وجهه : إن الايمان ليبدو لمعة بيضاء ، فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم ، وتلا قوله تعالى : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) الآية

الاطلاق الثانى ـ أن يراد به التصديق والعمل جميعا . كما قال صلى الله عليه وسلم :[1] « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا » وكما قال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي هُوَ مُؤْمِنٌ » وإذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه ، وهل يؤثر

---

(١) حديث : الايمان بضع وسبعون بابا : وذكر بعد هذا فزاد فيه : أدناها إماطة الأذى عن الطريق : البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة : الايمان بضع وسبعون : زاد مسلم فى رواية : وأفضلها قول لا إله الا الله وأدناها : فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه

ذلك فى زيادة الايمان الذى هو مجرد التصديق ؟ هذا فيه نظر . وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه

الاطلاق الثالث ـ أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة . وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ، ولكنى أقول : الأمر اليقيني الذى لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه ، فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك فى واحد منهما ، فان اليقينيات تختلف فى درجات الايضاح ، ودرجات طمأنينة النفس اليها . وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة ، فلا حاجة إلى الاعادة . وقد ظهر فى جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق ، وكيف لا وفى الأخبار أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان . وفى بعض المواضع فى خبر آخر[1] « مِثْقَالُ دِينَارٍ » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما فى القلب لا يتفاوت ؟ !

مسألة

فان قلت : ما وجه قول السلف : أنا مؤمن إن شاء الله ، والاستثناء شك ، والشك فى الايمان كفر ، وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه ، فقال سفيان الثورى رحمه الله : من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ، ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة ، فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ، ومن كان مؤمناً فى نفسه كان مؤمناً عند الله ، كما أن من كان طويلا وسخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله ، وكذامن كان مسروراً أو حزينا أو سميعا أو بصيراً . ولوقيل للانسان . هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله . ولما قال سفيان ذلك قيل له : فماذا نقول ؟ قال : قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ، وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن ؟ وقيل للحسن : أمؤمن أنت ؟ فقال : إن شاء الله ، فقيل له : لم تستثنى يا أبا سعيد فى الايمان ؟ فقال : أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة ، وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على فى بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب

(١) حديث: يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال دينار: متفق عليه من حديث أبى سعيد وسيأتي فى ذكر الموت وما بعده

لاقبلتُ لك عملا فأنا أعمل في غير معمل . وقال ابراهيم بن أدهم . إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل لا إله إلا الله . وقال مرة . قل : أنا لا أشك فى الايمان وسؤالك إياى بدعة . وقيل لعلقمة : أمؤمن أنت ؟ قال أرجو إن شاء الله . وقال الثورى : نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وماندرى ما نحن عند الله تعالى ، فما معنى هذه الاستثناءات ؟

فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه : وجهان مستندان إلى الشك لا فى أصل الايمان ولكن فى خاتمته أو كماله ، ووجهان لايستندان إلى الشك

الوجه الأول الذى لايستند إلى معارضة الشك : الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس ، قال الله تعالى : (فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) وقال : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ) وقال تعالى : (أُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) . وقيل لحكيم . ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . والايمان من أعلى صفات المجد ، والجزم به تزكية مطلقة ، وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر ؟ فيقول نعم إن شاء الله ، لافى معرض التشكيك ، ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه . فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ، ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء

الوجه الثانى : التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال ، وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه ، فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ) ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه ، بل قال تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة ، وأنه شاءه ، ولكن المقصود تعليمه ذلك ، فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا ، حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر [1] « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » واللحوق بهم غير مشكوك فيه ، ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى ، وربط الأمور به ، وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمنى . فاذا قيل لك : إن فلاناً

(١) حديث لما دخل المقابر قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة

يموت سريعا ، فتقول : إن شاء الله ، فيفهم منه رغبتك لا تشككك . وإذا قيل لك : فلان سيزول مرضه ويصح ، فتقول : إن شاء الله ، بمعنى الرغبة ، فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة ، وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر

الوجه الثالث

مستنده الشك ، ومعناه : أنا مؤمن حقا إن شاء الله ، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم: (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا *) فانقسموا إلى قسمين ، ويرجع هذا إلى الشك فى كمال الإيمان لا فى أصله ، وكل إنسان شاك فى كمال إيمانه ، وذلك ليس بكفر ، والشك فى كمال الإيمان حق من وجهين :

أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه

والثانى أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال. أما العمل فقد قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ *) فيكون الشك فى هذا الصدق . وكذلك قال الله تعالى: (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ *) فشرط عشرين وصفاً : كالوفاء بالعهد ، والصبر على الشدائد ، ثم قال تعالى : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا *) وقد قال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ *) . وقال تعالى : (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ *) الآية . وقد قال تعالى : (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ *)

وقال صلى الله عليه وسلم : [1] « الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » . فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال

(١) حديث الايمان عريان تقدم فى العلم

* الانفال الآية ٤ . الحجرات الآية ١٥ ـ البقرة : ١٧٧ ـ المجادلة : ١١ الحديد : ١٠ ـ آل عمران : ١٦٣

وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم: [١] « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » وفي بعض الروايات « وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ » وفي حديث أبي سعيد الخدري [٢] « الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ أَجْرَدُ وَفِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ ، وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الْعَذْبُ ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ ، فَأَيُّ الْمَادَّتَيْنِ غَلَبَ عَلَيْهِ حُكِمَ لَهُ بِهَا » وفي لفظ آخر « غَلَبَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَتْ بِهِ » وقال عليه السلام : [٣] « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَّاؤُهَا » وفي حديث [٤] « الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا »

وقال حذيفة رضي الله عنه : [٥] « كَانَ الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصِيرُ بِهَا مُنَافِقًا إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ »

وقال بعض العلماء : أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء من النفاق . وقال حذيفة : « المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذ ذاك يُخْفُونه وهم اليوم يُظْهِرونه » وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله ، وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه ، وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه ، فقد قيل للحسن البصري : يقولون أن لا نفاق اليوم ، فقال : يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق . وقال هو أو غيره : لو نبت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

---

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق ـ الحديث : متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

(٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد ـ الحديث : أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه

(٣) حديث أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها : أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر

(٤) حديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النملة على الصفا: أبو يعلى وابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر. ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسيأتي في ذم الجاه والرياء

(٥) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا . الحديث : أحمد باسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : البخاري الا أنه قال شر بدل أكثر.

وسمع ابن عمر (١) رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال : « أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ حَاضِراً يَسْمَعُ أَكُنْتَ تَتَكَلَّمُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَالَ : كُنَّا نَعُدُّ هَـذَا نِفَاقاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم »

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِى الدُّنْيَا جَعَلَهُ اللهُ ذَا لِسَانَيْنِ فِى الْآخِرَةِ » وقال أيضاً : صلى الله عليه وسلم « شَرُّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِى يَأْتِى هٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَيَأْتِى هٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ »

وقيل للحسن : إن قوماً يقولون إنا لا نخاف النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحبُّ إلىَّ من تلاع الأرض ذهباً . وقال الحسن : إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه : إنى أخاف أن أكون منافقا ، فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق، إن المنافق قد أمن من النفاق . وقال ابن أبى مليكة : « أدركت ثلاثين ومائة . وفى رواية : خمسين ومائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق »

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « كَانَ جَالِساً فِى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَذَكَرُوا رَجُلاً وَأَكْثَرُوا الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجُلُ وَوَجْهُهُ يَقْطُرُ مَاءً مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ وَقَدْ عَلَّقَ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِى وَصَفْنَاهُ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَرَى عَلَى وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : نَشَدْتُكَ اللهَ هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَشْرَفْتَ عَلَى الْقَوْمِ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ » وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه : (٣) « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا عَلِمْتُ وَلِمَا لَمْ أَعْلَمْ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

---

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج

(٢) حديث كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء ـ الحديث : أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس

(٣) حديث اللهم إنى أستغفرك لما علمت وما لم أعلم ـ الحديث : مسلم من حديث عائشة اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسله وشر ما أعلم وشر مالا أعلم

فقال : وَمَا يُؤْمِنُنِي وَالْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ » وقد قال سبحانهُ : (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ*) قيل فى التفسير: عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات

وقال سَرِيٌّ السَّقَطِي : لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال : السلام عليك يا ولى الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك، كان أسيراً فى يديها

فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي ، وأنه لا يؤمَن منه ، حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذُكر فى المنافقين ؟ وقال أبو سليمان الدارانى: سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يؤمر بقتلى ولم أخف من الموت ، ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحى فكففت . وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله

فالنفاق نفاقان :

أحدهما يُخرج من الدين ، ويُلحق بالكافرين ، ويُسلك فى زمرة المخلدين فى النار

والثانى : يفضى بصاحبه إلى النار مدة ، أو ينقص من درجات عليين، ويحط من رتبة الصدِّيقين ، وذلك مشكوك فيه ، ولذلك حُسن الاستثناء فيه

وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية ، والأمن من مكر الله ، والعجب ، وأمور أُخر لا يخلو عنها إلا الصدِّيقون

الوجه الرابع

وهو أيضا مستند إلى الشك، وذلك من خوف الخاتمة ، فانه لا يدرى أيسلم له الايمان عند الموت أم لا ، فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق ، لأنه موقوف على سلامة الآخر، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا ، فلو أفطر فى أثناء نهاره بعد

* الزمر: ٤٧.

ذلك لتبين كذبه ، إذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار ، وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ، ووصفه بالصحة قبل آخره. بناء على الإستصحاب ، وهو مشكوك فيه ، والعاقبة مخوفة، ولا جلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التى لا تظهر إلا بظهور المقضى به ، ولامطلع عليه لأحد من البشر ، فخوف الخاتمة كخوف السابقة . وربما يظهر فى الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه ، فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ؟

وقيل فى معنى قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوتِ بِالْحَقِّ *) أى بالسابقة ، يعنى أظهرتها. وقال بعض السلف : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سُلبه

وقيل : من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . وقيل : هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء

وقال بعض العارفين : لو عرضت علىّ الشهادة عند باب الدار والموتُ على التوحيد عند باب الحجرة ، لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة ، لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار

وقال بعضهم : لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بينى وبينه سارية ومات ، لم أحكم أنه مات على التوحيد

وفى الحديث [1] « مَنْ قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ ». وقيل فى قوله تعالى : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً *) صدقاً لمن مات على الإيمان ، وعدلاً لمن مات على الشرك . وقد قال تعالى : (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ *)

---

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل: الطبرانى فى الأوسط بالشطر الاخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبى سليم تقدم والشطر الاول روى من قول يحى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الاصغر بلفظ من قال أنا فى الجنة فهو فى النار وسنده ضعيف

* ق : ١٩ * الأنعام : ١١٥ * الحج : ٤١

فمها كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجباً لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنـة ، كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الذمة ، وما فسد قبل الغروب لا يبرىء الذمة ، فيخرج عن كونه صوماً ، فكذلك الإيمان ، بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه ، فيقال : أصمت بالأمس ؟ فيقول : نعم إن شاء الله تعالى . إذ الصوم الحقيقى هو المقبول ، والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى . فمن هذا حسن الإستثناء فى جميع أعمال البر ، ويكون ذلك شكا فى القبول ، إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله . فيحسن الشك فيه

فهـذه وجوه حسن الإستثناء فى الجواب عن الإيمان ، وهى آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد

تم الـكتاب بحمد الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى !

كتاب أسرار الطهارة

كتاب أسرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة ، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة. وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة ، وتنتصب جُنة بيننا وبين كل آفة :

أما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم [1] « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورِ » وقال الله تعالى (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ*) وقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم [3] « الطُّهُورُ نِصْفُ الإِيمَانِ » قال الله تعالى (مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَـكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ*) فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر ، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان » عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأخباث والأقذار هيهات هيهات

﴿ كتاب الطهارة ﴾

(١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف. والطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود : النظافة تدعو الى الايمان

(٢) حديث مفتاح الصلاة الطهور ، د ت ه من حديث على قال الترمذي هذا أصح شىء فى هذا الباب وأحسن

(٣) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بنى سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى بلفظ شطر كما فى الاحياء

☆ هذه رموز يشير بها الحافظ العراقى الى مراجع التخريج وبيانها أن خ للبخارى و م لمسلم و ت للترمذى و ن للنسائى و ه لابن ماجه و د لأبى داود وقط للدار قطنى وطس للطبرانى فى الأوسط وطص للطبرانى فى الأصغر وهق للبيهقى وحب لابن حبان وعق للعقيلى و ك للحاكم

* التوبة : ١٠٨ * المائدة : ٦

والطهارة لها أربع مراتب

المرتبة الأولى : تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات

المرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام

المرتبة الثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة

المرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى ، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين . والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها ، فإن الغاية القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر مالم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ، ولذلك قال الله عزوجل (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ*) لأنهما لايجتمعان فى قلب، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ. وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها مالم ينظف عن نقائضها ، من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة ، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى. فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى،وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول، وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى ، فهذه مقامات الإيمان، ولكل مقام طبقة ،ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة ،فلايصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات ،وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته،فلا تظن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا ،نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب ، فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ، ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء ، وغسل الثياب ، وتنظيف الظاهر ، وطلب المياه الجارية الكثيرة ، ظنا منه بحكم

* الانعام : ٩١

الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط ، وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب ، وتساهلهم في أمر الظاهر ، حتى إن عمر رضي الله عنه مع علوّ منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية ، وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة، بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم ، وعدوا الأشنان من البدع المحدثة ، ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات، ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم ، وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء ، وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة [١] « كُنَّا نأْكُلُ الشِّوَاءَ فَتقَامُ الصَّلَاةُ فَنُدْخِلُ أَصَابِعَنَا فِي الْحَصَى ثُمَّ نَفْرُكُهَا بِالتُّرَابِ وَنُكَبِّرُ » وقال عمر رضي الله عنه [٢] « مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْأُشْنَانَ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم » وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها ، ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع: المناخل، والأشنان، والموائد ، والشبع ، فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم، الصلاة في النعلين أفضل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « لَمَّا نَزَعَ نَعْلَيْهِ فِي صَلَاتِهِ بِإِخْبَارِ جِبْرَائِيلَ عليه السلام لَهُ أَنَّ بِهِمَا نَجَاسَةً » وخلع الناس نعالهم ، قال صلى الله عليه وسلم « لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ ؟ » وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم: وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها ، منكرا لخلع النعال ، فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور ، بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ، ويجلسون عليها ، ويصلون في المساجد على الأرض ، ويأكلون من دقيق البر والشعير ، وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ، ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات ، فهكذا كان تساهلهم فيها ، وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة ، فيقولون هي مبنى

---

(١) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ـ الحديث ه من حديث عبدالله بن الحارث، ابن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة

(٢) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا ـ الحديث : لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر

(٣) حديث خلع نعليه في الصلاة اذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة د ك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري

الدين ، فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها ، والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر . والعجب . والجهل . والرياء . والنفاق ، ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ، ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر ، أومشى على الأرض حافيا ، أوصلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة ، أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم ، أو توضأ من آنية عجوز ، أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ، ولقبوه بالقذر ، وأخرجوه من زمرتهم ، واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته ، فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذراة ، والرعونة نظافة ، فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه

فإن قلت : أفتقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات ؟

فأقول : حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ، ولكني أقول : إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب ، إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات ، وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات

فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه ، فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف

وأما مصيرها منكراً ، فبأن يجعل ذلك أصل الدين ، ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين ، أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق ، وتحسين موقع نظرهم ، فان ذلك هو الرياء المحظور، فيصير منكرا بهذين الاعتبارين

وأما كونه معروفاً ، فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين ، وأن لا ينكر على من ترك ذلك ، ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ، ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه ، أو عن علم ، أو غيره ، فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل

قربة بالنية ، ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني ، فيصير شغلهم به أولى ، لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات ، فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو اسراف

وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم اليه إلا قدر الحاجة ، فالزيادة عليه منكر في حقهم ، وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به . ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الأبرار سيآت المقربين . ولا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة ، إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه ، كما قيل لداود الطائي : لم لا تسرح لحيتك ؟ قال : إني إذاً لفارغ . فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة ، وتوهما بالقصار تقصيراً في الغسل ، فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ، ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ، ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة ، بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم ، حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور : لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف . فالناظر اليه مُعين له على الإسراف ، فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات النجاسة ، فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل ، فانه بالإضافة إلى التساهل خير ، وذلك العامي ينتفع بتعاطيه ، إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح في نفسه ، فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال . والنفس إن لم تشغل بشيء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات ، فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه ، وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله ، فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال ، وترتيب فضائلها ، ووجه

تقديم البعض منها على البعض ، فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها

وإذا عرفت هذه المقدمة ، واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب ، فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر ، لأنا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا إلا للظواهر

فنقول : طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث ، وطهارة عن الحدث ، وطهارة عن فضلات البدن ، وهي التي تحصل بالقلم ، والاستحداد ، واستعمال النورة والختان وغيره

القسم الأول في طهارة الخبث

والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة

الطرف الأوّل في المزال

وهي النجاسة . والأعيان ثلاثة : جمادات ، وحيوانات ، وأجزاء حيوانات

أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر ، وكل منتبذ مسكر

والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ، فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة : الآدمي ، والسمك ، والجراد ، ودود التفاح ، وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة ، وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما ، فلا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه

وأما أجزاء الحيوانات فقسمان : (أحدهما) ما يقطع منه ، وحكمه حكم الميت . والشعر لا ينجس بالجز والموت ، والعظم ينجس . (الثاني) الرطوبات الخارجة من باطنه ، فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقرّ فهو طاهر : كالدمع والعرق ، واللعاب ، والمخاط ، وماله مقر وهو مستحيل فنجس إلا ما هو مادة الحيوان : كالمني ، والبيض ، والقيح ، والدم ، والروث والبول نجس من الحيوانات كلها

ولا يعفى عن شىء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة :

(الأول) أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه ما لم يعْدُ المخرج

(الثانى) طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق . يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه ، وهو الذى لا ينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة

(الثالث) ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها ، فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة

(الرابع) دم البراغيث ما قل منه أو كثر ، إلا إذا جاوز حد العادة ، سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته

(الخامس) دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد . ودلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه ، فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل . وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا ، وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من خُرّاج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ، ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الإنسان عنها فى أحواله .

ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل ، وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها

الطرف الثانى فى المزال به

وهو إما جامد ، وإما مائع . أما الجامد فحجر الاستنجاء ، وهو مطهر تطهير تجفيف ، بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترم

وأما المائعات فلا تُزال النجاسات بشىء منها إلا الماء ، ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه

ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه . أو لونه . أو ريحه ، فان لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منًّا وهو خمسمائة رطل برطل العراق ، لم ينجس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : [1] « إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ خَبَثًا » وإن كان دونه صار نجسا عند الشافعى رضى الله عنه . هذا فى الماء الراكد

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر

وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها ، لأن جريات الماء متفاصلات . وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء ، وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين ، وإن كان جري الماء أقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر ، وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر ، إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين ، وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق . هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه

وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضي الله عنه ، في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير ، إذ الحاجة ماسة إليه ، ومثار الوسواس اشتراط القلتين ، ولأجله شق على الناس ذلك . وهو لعمري سبب المشقة ، ويعرفه من يجربه ويتأمله

ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة ، إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة . ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ، ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات ، وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات . وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية . وهذا كالصريح في أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء ، وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تُعلم بظن قريب ، فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل أول ، وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان

والدليل الثالث[1] « إِصْغَاءُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الاناءَ لِلْهِرَّةِ » وَعَدَمُ تَغْطِيَةِ الأَوَانِي مِنْهَا بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ، ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار .

والرابع : أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إذ تغيرت . وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه ؟ وأي معنى لقول القائل : إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة؛

---

(١) حديث اصغاء الاناء للهرة الطبراني في الأوسط والدار قطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة

وإن أحيل ذلك على الحاجة ، فالحاجة أيضا ماسة إلى هذا ، فلا فرق بين طرح الماء فى أجانة فيها ثوب نجس ، أو طرح الثوب النجس فى الأجانة فيها ماء ، وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأوانى

والخامس: أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ، ولا خلاف فى مذهب الشافعى رضى الله عنه أنه إذا وقع بول فى ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلا ، وأى فرق بين الجارى والراكد . وليت شعرى هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ؟ ثم ماحدُّ تلك القوة : أتجرى فى المياه الجارية فى أنابيب الحمامات أم لا ؟ فإن لم تجر فما الفرق ، وإن جرت فما الفرق بين مايقع فيها وبين مايقع فى مجرى الماء من الأوانى علي الأبدان وهى أيضا جارية ؟ ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن مايجرى عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع فى مستنقع قلتان ، فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة ؟

والسادس : أنه إذا وقع رطل من البول فى قلتين ، ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ، ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل ، وليت شعرى : هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها

والسابع : أن الحمامات لم تزل فى الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدى والأوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ، ومع العلم بأن الأيدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها

فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير ، معوّلين على قوله صلى الله عليه وسلم [1] « خُلِقَ ٱلْمَاءُ طَهُوراً لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَيَّرَ طَعْمَهُ أَوْ لَوْنَهُ أَوْ رِيحَهُ » وهذا فيه تحقيق ، وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل مايقع فيه وكان مغلوبا من جهته ، فكما ترى الكلب يقع فى المملحة فيستحيل ملحا، ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه ، فكذلك الخل يقع فى الماء ،

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لاينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه ه من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء د ن ت من حديث أبى سعيد وصححه د وغيره

وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فنبطل صفته ، ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه ، إلا إذ كثر وغلب . وتعرف غلبته بغلبة طعمه أولونه أوريحه

فهذا المعيار وقد أشار الشرع إليه فى الماء القوى على إزالة النجاسة ، وهو جدير بأن يعول عليه ، فيندفع به الحرج ، ويظهر به معنى كونه ظهورا ، إذ يغلب عليه فيطهره ، كما صار كذلك فيما بعد القلتين ، وفى الغسالة ، وفى الماء الجارى ، وفى إصغاء الإناء للهرة

ولا تظن ذلك عفوا إذ لوكان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ، ولا ينجس بالغسالة ، ولابولوغ السنور في الماء القليل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم «لَا يَحْمِلُ خَبَثًا » فهو فى نفسه مبهم ، فانه يحمل إذاتغير . فان قيل : أراد به إذا لم يتغير ، فيمكن أن يقال : إنه أراد به أنه فى الغالب لايتغير بالنجاسات المعتادة . ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين ، وترك المفهوم بأقل من الأدلة التى ذكرناها ممكن . وقوله :« لايحمل خبثا » ظاهره نفى الحمل أى يقلبه إلى صفة نفسه ، كما يقال للمملحة لاتحمل كلبا ولاغيره أى ينقلب ، وذلك لأن الناس قد يستنجون فى المياه القليلة وفى الغدران ويغمسون الأوانى النجسة فيها ثم يترددون فى أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا . فتبين أنه إذا كان قلتين لايتغير بهذه النجاسات المعتادة

فإن قلت : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يَحْمِلُ خَبثاً » ومهما كثرت حملها ، فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا ، فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا

وعلى الجملة فيلى فى أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل ، فهما من سيرة الأولين ، وحسما لمادة الوسواس ، وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه فى مثل هذه المسائل

الطرف الثالث فى كيفية الازالة

والنجاسة إن كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس ، فيكفى إجراء الماء على جميع مواردها . وإن كانت عينية فلابد من إزالة العين . وبقاء الطعم يدل على بقاء العين .

وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص . وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين . ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر إزالتها . فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون . والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين ، فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ، ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات

القسم الثاني في طهارة الأحداث

ومنها الوضوء والغسل والتيمم ، ويتقدمها الاستنجاء

فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة ، إن شاء الله تعالى

باب آداب قضاء الحاجة

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء ، وأن يستتر بشيء إن وجده ، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس ، وأن لا يستقبل الشمس والقمر ، وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء ، والعدول أيضا عنها في البناء أحب : وإن استتر في الصحراء براحلته جاز ، وكذلك بذيله ، وأن يتقي الجلوس في متحدث الناس ، وأن لا يبول في الماء الراكد ، ولا تحت الشجرة المثمرة ، ولا في الجحر ، وأن يتقي الموضع الصلب ، ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه ، وأن يتكىء في جلوسه على الرجل اليسرى : وإن كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ، ولا يبول قائما . قالت عائشة رضي الله عنها [1] « مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَبُولُ قَائِماً فَلاَ تُصَدِّقُوهُ » وقال عمر رضي الله عنه [2] رَآنِي « رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَبُولُ قَائِماً فَقَالَ : يا عُمَرُ لاَ تَبُلْ قَائِمًا قَالَ عُمَرُ : فَما بُلْتُ قَائِمًا بَعْدُ » وفيه رخصة ،

---

(١) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن ه قال ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح .

(٢) حديث عمر رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجه بإسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر

إذ روى حذيفة رضى الله عنه « أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] بَالَ قَائِمًا فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ » ولا يبول فى المغتسل ، قال صلى الله عليه وسلم[2] « عَامَّةُ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » وقال ابن المبارك : قد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ، ذكره الترمذى . وقال عليه السلام : « لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فِيهِ فَإِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » وقال ابن المبارك : إن كان الماء جاريا فلا بأس به

ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايدخل بيت الماء حاسر الرأس . وأن يقول عند الدخول : بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ، وعند الخروج : الحمد لله الذى أذهب عنى مايؤذينى وأبقى علىّ ماينفعنى . ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء ، وأن يعد النبل قبل الجلوس ، وأن لايستنجى بالماء فى موضع الحاجة . وأن يستبرىء من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وإمرار اليد على أسفل القضيب ، ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر . وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء ، فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ، ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس . وفى الخبر[3] «أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم فَعَلَهُ » أعنى رَشَّ الماء . وقد كان أخفهم استبراء أفقههم . فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه . وفى حديث سلمان رضى الله عنه[4] « عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْتَنْجِيَ بِعَظْمٍ وَلَا رَوْثٍ ، وَنَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ » وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد خاصمه : لا أحسبك تحسن الخراءة ، قال: بلى وأبيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق : أُبعد الأثر وأُعدّ المَدَر ، وأستقبل الشيح ، واستدبر

---

(١) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه

(٢) حديث قال فى البول فى المغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت واسناده صحيح

(٣) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن . من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر

(٤) حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم فى قواعد العقائد

الريح ، وأقعى إقعاء الظبى ، وأجفل إجفال النعام . الشيح : نبت طيب الرائحة بالبادية . والإقعاء هاهنا أن يستوفز على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه

ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه [1] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار ، فان أنقى بها كفى ، وإلا استعمل رابعا ، فان أنقى؟ استعمل خامسا ، لأن الإنقاء واجب والإيتار مستحب . قال عليه السلام [2] « مَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ » ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة وَيُمِرّه بالمسح ، والإدارة الى المؤخر ، ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة ، ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة ، فإن عسرت الادارة ومسح من المقدمة إلى المؤخر أجزأه ، ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أو فى ثلاثة أحجار أو فى ثلاثة مواضع من جدار ؛ إلى أن لايرى الرطوبة فى محل المسح ، فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ، ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر ، وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ، ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ، ويستنجى بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ، ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ، ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فإن ذلك منبع الوسواس

وليعلم أن كل مالا يصل إليه الماء فهو باطن ، ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر ، وكل ماهو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره أن يصل الماء اليه فيزيله، ولا معنى للوسواس

---

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة

(٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث أبى هريرة

ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش . ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت . والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى [1] (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ *) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء « مَا هَذِهِ الطَّهَارَةُ الَّتِي أَثْنَى اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ ؟ قالوا : كُنَّا نَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْحَجَرِ »

كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء ، فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط إلا توضأ ، ويبتدئ بالسواك ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقُ الْقُرْءَانِ فَطَيِّبُوهَا بِالسِّوَاكِ » فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة القرءان وذكر الله تعالى في الصلاة . وقال صلى الله عليه وسلم [3] « صَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ سِوَاكٍ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم [4] لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم [5] « مَالِي أَرَاكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَيَّ قُلْحًا ؟ اسْتَاكُوا » أي صفر الأسنان « وكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [6] يَسْتَاكُ

---

(١) حديث لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا الحديث في أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه هـ ك وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووي تبعا لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم

(٢) حديث ان أفواهكم طرق القرءان : أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه هـ موقوفا على علي وكلاهما ضعيف

(٣) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه د ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة

(٤) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٥) حديث مالي أراكم تدخلون علي قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب د والبغوي من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب

(٦) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس

---

* التوبة : ١٠٨ .

فِي اللَّيْلَةِ مِرَاراً » وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال[١] « لَمْ يَزَلْ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُنَا بِالسِّوَاكِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَنْزِلُ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ » . وقال عليه السلام[٢] « عَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ » . وقال علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه : السِّوَاكُ يزيد فى الحفظ ويُذْهِبُ البلغم[٣] « وكان أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يَرُوحُونَ وَالسِّوَاكُ عَلَى آذَانِهِمْ »

وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح، ويستاك عرضا وطولا ، وإن اقتصر فعرضا

ويستحب السواك عند كل صلاة ، وعند كل وضوء وإن لم يصلّ عقيبه ، وعند تغير النَّكهة بالنوم ، أوطول الأزم ، أوأكل ماتكره رائحته

ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال صلى الله عليه وسلم[٤] « لَاوُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى » أى لاوضوء كامل . ويقول عند ذلك : أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ . ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاناء ويقول : اللهم إنى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشوءم والهلكة ، ثم ينوى رفع الحدث أواستباحة الصلاة ، ويستديم النية إلى غسل الوجه ، فإن نسيها عند الوجه لم يُجزه ، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويُغَرْغِر : بأن يرد الماء إلى الْغَلْصَمَة إلا أن يكون صائما فيرفق ، ويقول : اللهم أعِنّى على

---

(١) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء رواه أحمد

(٢) حديث عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا فان وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى شعب الايمان

(٣) حديث كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم الخطيب فى كتاب أسماء من روى عن مالك وعند د ت أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب

(٤) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخارى أنه أحسن شىء فى هذا الباب

تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ، ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ، ويقول في الاستنشاق : اللهم أوجدلي رائحة الجنة وأنت عني راض ، وفي الاستنثار : اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار ، لأن الاستنشاق إيصال ، والاستنثار إزالة . ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى مايقبل من الذقن في الطول ، ومن الأذن إلى الأذن في العرض . ولايدخل في حد الوجه النزعتان اللتان على طرفي الجبينين فهما من الرأس ، ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو مايعتاد النساء تنحية الشعر عنه ، وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهماوضع طرف الخيط على رأس الأذن ، والطرف الثاني على زاوية الجبين ، ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة : الحاجبان ، والشاربان ، والعذاران ، والأهداب ، لأنها خفيفة في الغالب . والعذاران هما مايوازيان الأذنين من مبتدأ اللحية

ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة ، أعني ما يقبل من الوجه ، وأما الكثيفة فلا . وحكم الْعَنْفَقَة حكم اللحية في الكثافة والخفة ، ثم يفعل ذلك ثلاثا ، أو يفيض الماء على ظاهر مااسترسل من اللحية ، ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما [1] فقد رُوي أنه عليه السلام فَعَلَ ذَلِكَ . ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه ، وكذلك عند كل عضو ، ويقول عنده : اللهم بيضْ وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ، ولا تسوّد وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك . ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه مستحب ، ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ، ويحرك الخاتم ، ويطيل الغُرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد « فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ » كذلك ورد الخبر ، قال عليه السلام [2] « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ » وروى « أَنَّ [3] الْحِلْيَةَ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ » . ويبدأ باليمنى ويقول : اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ، ويقول عند غسل الشمال : اللهم إني أعوذ

---

(١) حديث ادخاله الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة كان يتعاهد الماقين ورواه الدار قطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم

(٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل خرجاه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه

بك أن تُعْطِيَنِي كتابي بِشِمالي أو مِن وراء ظهري ، ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويعدها الى القفا ، ثم يردها الى المقدمة . وهذه مسحة واحدة ، يفعل ذلك ثلاثا ، ويقول: اللهم اغشني برحمتك وأنزل عَلَيَّ من بركاتك ، وأظلني تحت ظل عرشك يوم لاظل إلا ظلك . ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ، ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ، ويقول : اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، اللهم اسمعني منادي الجنة مع الأبرار ، ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم [1] « مَسْحُ الرَّقَبَةِ أَمَانٌ مِنَ الْغُلِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ، ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ، ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ، ويقول : اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار ، ويقول عند غسل اليسرى : أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ، ويرفع الماء الى أنصاف الساقين

فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي أستغفرك اللهم وأتوب اليك فاغفرلي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، واجعلني من عبادك الصالحين ، واجعلني عبداً صبوراً شكوراً ، واجعلني أذكرك كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلا . يقال : إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة

ويكره في الوضوء أمور : منها أن يزيد على الثلاث ، فمن زاد فقد ظلم ، وأن يسرف

---

(١) حديث مسح الرقبة أمان من الغل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف

فى الماء[1] « توضأ عليه السلام ثلاثا وقال : من زاد فقد ظلم وأساء » وقال .[2] « سَيَكُونُ قَوْمٌ منْ هَذِهِ الْأُمَّة يَعْتَدُونَ فى الدُّعَاء وَالطُّهُورِ » ويقال :[3] « مِنْ وَهَنِ عِلْمِ الرَّجُلِ وَلُوعُهُ بِالْمَاء فِي الطَّهُورِ » وقال ابراهيم بن أدهم : يقال إن أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور . وقال الحسن : إن شيطانا يضحك بالناس فى الوضوء يقال له الولهان . ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء ، وأن يتكلم فى أثناء الوضوء ، وأن يلطم وجهه بالماء لطماً ، وكره قوم التنشيف وقالوا : الوضوء يوزن ؛ قاله سعيد بن المسيب والزهرى ، لكن روى معاذ رضى الله عنه أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسَحَ وَجْهَهُ[4] بِطَرَفِ ثَوْبِهِ » وروت عائشة رضى الله عنها « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم[5] كَانَتْ لَهُ مِنْشَفَةٌ » ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة . ويكره أن يتوضأ من إناء صفر ، وأن يتوضأ بالماء المشمس ، وذلك من جهة الطب . وقد روى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما كراهية الإناء الصفر . وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء فى إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه . ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما

ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق ، فينبغى أن يستحى من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه . وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى ، وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرانى من الدار . وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه أعلم

---

(١) حديث توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم د ن واللفظ له و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث سيكون قوم من هذه الامة يعتدون فى الدعاء والطهور د ه وابن حبان و ك من حديث عبدالله ابن مغفل

(٣) حديث من وهن علم الرجل ولوعه فى الماء فى التطهير لم أجد له أصلا

(٤) حديث معاذ أن النبى صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب واسناده ضعيف

(٥) حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شىء

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [١] « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وفي لفظ آخر: « لَمْ يَسْهُ فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: [٢] « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ - ثلاث مرات » وَتَوَضَّأَ صلى الله عليه وسلم [٣] مَرَّةً مَرَّةً وَقَالَ هَذَا وُضُوءٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ، وَتَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَقَالَ مَنْ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ آتَاهُ اللهُ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ، وَتَوَضَّأَ ثَلَاثاً ثَلَاثاً وَقَالَ هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي وَوُضُوءُ خَلِيلِ الرَّحْمٰنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال صلى الله عليه وسلم: [٤] « مَنْ ذَكَرَ اللهَ عِنْدَ وُضُوئِهِ طَهَّرَ اللهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ لَمْ يُطَهَّرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الْمَاءُ » وقال صلى الله عليه وسلم: [٥] « مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طُهْرٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ » وقال صلى الله عليه وسلم: [٦] « الْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلَى نُورٍ » وهذا كله حث على تجديد الوضوء. وقال عليه السلام: « إِذَا تَوَضَّأَ [٧] الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتْ

(١) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما و د من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما الحديث

(٢) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة

(٣) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به الحديث ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٤) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث دار قطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف

(٥) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٦) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجد له أصلا

(٧) حديث اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصنابحي واسناده صحيح ولكن اختلف في صحبه وعند م من حديث أبي هريرة وعمرو بن عنبسة نحوه مختصرا

الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خرجت الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أُذُنَيْهِ ، وَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ » ويروى [١] « أَنَّ الطَّاهِرَ كَالصَّائِمِ » قال عليه الصلاة والسلام [٢] « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » وقال عمر رضى الله عنه : إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد : من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه

كيفية الغسل

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ، ثم يسمى الله تعالى . ويغسل يديه ثلاثاً ، ثم يستنجى كما وصفت لك ، ويزيل ماعلى بدنه من نجاسة إن كانت ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما ، فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ، ثم على شقه الأيمن ثلاثا ، ثم على شقه الأيسر ثلاثا ، ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ، ويخلل شعر الرأس واللحية ، ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أوخف . وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لايصل إلى خلال الشعر ، ويتعهد معاطف البدن ، وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك ، فإن فعل ذلك فليعد الوضوء ، وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل

---

(١) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمى من حديث أبى هريرة وعمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف

(٢) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عندم دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزى فى الأطراف وقد رواه ن فى اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمى فى مسنده

فهذه سنن الوضوء والغسل، ذكرنا منها مالا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله، وما عداه من المسائل التي يحتاج اليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه

والواجب من جملة ماذكرناه في الغسل أمران: النية، واستيعاب البدن بالغسل

وفرض الوضوء: النية، وغسل الوجه؛ وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح ماينطلق عليه الاسم من الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين، والترتيب. وأما الموالاة فليست بواجبة

والغسل الواجب بأربعة: بخروج المني، والتقاء الختانين، والحيض، والنفاس. وماعداه من الأغسال سنة: كغسل العيدين، والجمعة، والأعياد والإحرام، والوقوف بعرفة ومزدلفة، ولدخول مكة، وثلاثة أغسال أيام التشريق، ولطواف الوداع على قول، والكافر إذا أسلم غير جنب، والمجنون إذا أفاق، ولمن غسل ميتا. فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب، أو بمانع له عن الوضوء إليه من سبع أوحابس، أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أولعطش رفيقه، أوكان ملكا لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل، أو كان به جراحة أومرض وخاف من استعماله فساد العضو أوشدة الضنا، فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة، ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار، ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه، ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة، وينوي عند ذلك استباحة الصلاة

ولايكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور خفّت أو كثُفت، ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار، ويحصل ذلك بالضربة الواحدة، فإنّ عرض الوجه لايزيد على عرض الكفين، ويكفي في الاستيعاب غالب الظن، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أَصابعه، ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لايجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى، ثم يُمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق، ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن

ساعده الأيمن ويمرها إلى الكوع ، ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ، ثم يفعل باليسرى كذلك ، ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه

وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة ، وإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة

وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء ، وإن جمع بين فريضتين فينبغى أن يعيد للتيمم للثانية ، وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم . والله أعلم

القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة

وهى نوعان : أوساخ وأجزاء ــ النوع الأول الأوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية

الأول : ما يجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل ، فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ، إزالة للشعث عنه . «وَكَانَ صلى الله عليه وسلم [١] يَدْهُنُ الشَّعْرَ وَيُرَجِّلُهُ غِبًّا » ويأمر به ويقول عليه السلام : [٢]« ادَّهِنُوا غِبًّا » وقال عليه الصلاه والسلام : [٣]« مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرَةٌ فَلْيُكْرِمْهَا » أى ليصنها عن الأوساخ . « وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ [٤] ثَائِرُ الرَّأْسِ أَشْعَثُ اللِّحْيَةِ فَقَالَ : أَمَا كَانَ لِهَذَا دُهْنٌ يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ ؟ ثم قال : يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ كَأَنَّه شَيْطَانٌ ؟ »

الثانى : ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن ، والمسح يزيل مايظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ ، فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام ، فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع

---

(١) حديث كان يدهن الشعر ويرجله غبا ت فى الشمائل باسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل أيضا باسناد حسن من حديث صحابى لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا

(٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووى غير معروف وعند د ت ن من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل إلا غبا باسناد صحيح

(٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبى هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس اسناده بالقوى

(٤) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ت وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد

الثالث : مايجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ، ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار

الرابع : مايجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القَلَح ، فيزيله السواك والمضمضة ، وقد ذكرناها

الخامس : مايجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد . ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط . وفي الخبر المشهور « أنه صلى الله عليه وسلم [١] كَانَ لَا يُفَارِقُهُ الْمُشْطُ وَالْمِدْرَى وَالْمِرْآةُ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ » وهي سنة العرب . وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم [٢] كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم [٣] كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان عليّ عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها [٤] « اجْتَمَعَ قَوْمٌ بِبَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَرَأَيْتُهُ يَطَّلِعُ فِي الْحُبِّ يُسَوِّي مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، فَقُلْتُ أَوَ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَتَجَمَّلَ لِإِخْوَانِهِ إِذَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ » . والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس ، قياساً على أخلاق غيره ، وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات ، فقد كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة ، وكان من وظائفه أن يسعى ، في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم ، كيلا تزدريه نفوسهم ، ويحسن صورته في أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك . ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل ، وهو أن

---

(١) حديث كان لايفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة واسنادها ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطولا

(٢) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط

(٣) حديث كان كث اللحية ت في الشمائل من حديث هند بن أبي هاله وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند ت

(٤) حديث عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع في الجب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدي وقال حديث منكر

يرائي من ظاهره مالا يوجب نفره الناس عنه . والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال فى أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود . فالتزين على هذا القصد محبوب ، وترك الشعث فى اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور ، وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب . وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل . والناقد بصير ، والتلبيس غير رائج عليه بحال

وكم من جاهل يتعاطي هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ، ويزعم أن قصده الخير ، فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به . وهذا أمر ينكشف يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ* ويوم يُبَعْثَرُ مافى القبور ، ويُحَصَّلُ مافى الصدور ، فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من النبهرجة ، فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر

السادس : وسخ البراجم. وهى معاطف ظهور الأنامل، كانت العرب لاتكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام ، فيجتمع فى تلك الغضون وسخ ، فأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [1] بِغَسْلِ الْبَرَاجِمِ

السابع : تنظيف الرَّوَاجِبِ ، أَمَرَ [2] رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْعَرَبَ بِتَنْظِيفِهَا . وَهِىَ رُءُوسِ الْأَنَامِلِ ومَا تَحْتَ الْأَظْفَارِ من الْوَسَخِ ، لأنها كانت لا يحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ [3] فَوَقَّتَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَلْمَ الْأَظْفَارِ وَنَتْفَ الْإِبطِ وَحَلْقَ الْعَانَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث الأمر بغسل البراجم الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجمكم ولابن عدى فى حديث لأنس وأن يتعاهد البراجم اذا توضأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم

(٢) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقيل ولم لا يبطأ وأنتم لاتستنون ولا تقلمون أظافركم ولا تقصون شواربكم ولاتنقون رواجبكم وفيه اسمعيل بن عياش

(٣) حديث التوقيت فى قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما م من حديث أنس

* الطارق : ٨ ,

(١) بتنظيف ما تحت الأظفار . وجاء فى الأثر « أن النبى صلى الله عليه وسلم (٢) استبطأ الوحى فَلَمَّا هَبَطَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ : كَيْفَ نَنْزِلُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْسِلُونَ بَرَاجِمَكُمْ وَلَا تُنَظِّفُونَ رَوَاجِبَكُمْ وَقُلْحًا لَا تَسْتَاكُونَ ؟ مُرْ أُمَّتَكَ بِذَلِكَ » والأف : وسخ الظفر . والتف : وسخ الأذن . وقوله عز وجل : (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ *) تعبهما أى بما تحت الظفر من الوسخ . وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر

الثامن : الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الحمام ، ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم : نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار . روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما . وقال بعضهم : بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته . ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته . ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات

فعليه واجبان فى عورته ، وواجبان فى عورة غيره . أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ، ويصونها عن مس الغير ، فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ، ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة . وفى إباحة مس ما ليس بسوأة لإزالة الوسخ احتمال ، ولكن الأقيس التحريم إذ الحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر ، فكذلك ينبغى أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين

والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها ، وأن ينهى عن كشفها ، لأن النهى عن المنكر واجب ، وعليه ذكر ذلك ، وليس عليه القبول ، ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام فى نفسه ، فليس عليه أن

---

(١) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبرانى من حديث وابصة بن سعيد سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن كل شىء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

(٢) حديث استبطاء الوحى فلما هبط عليه جبريل قال له كيف تنزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا بحديثين

* الاسراء : ٢٣

يصير حراما يرمى المصر عليه إلى مباشرة حرام آخر . وأما قوله . أعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به ، فهذا لا يكون عذراً بل لا بد من الذكر ، فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الإنكار ، واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصى ، وذلك يؤثر فى تقبيح الأمر فى عينه وتنفير نفسه عنه ، فلا يجوز تركه . ولمثل هـذا صـار الحزم ترك دخول الحمـام فى هـذه الأوقات ، إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة ، إذ الناس لا يعدونها عورة . وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ، ولهذا يستحب تخلية الحمام . وقال بشر بن الحارث : ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام . ورؤى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة . وقال بعضهم : لا بأس بدخول الحمـام ولـكن بإزارين : إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه

وأما السـنن فعشرة . فالأول النيـة ، وهو أن لا يدخـل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجـل هوى . بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ، ثم يعطى الحمامى الأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه مجهول وكـذا ما ينتظره الحمـامى ، فتسليم الأجـرة قبـل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ، ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ، ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم . أعوذ بالله من الرجس النجس ، الخبيث المخبث ، الشيطان الرجيم ، ثم يدخل وقت الخلوة أو يتكلف تخلية الحمـام ، فإنه إن لم يكن فى الحمام إلا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء ، وهو مذكر للنظر فى العورات ، ثم لا يخلو الإنسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدرى ؛ ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويغسل الجناحين عنـد الدخول ، ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الأول ؛ وأن لا يكثر صب المـاء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينـة الحال ، والزيادة عليه لو علمه الحمامى لـكرهه لا سيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب ، وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ، ويقدر نفسه محبوساً فى البيت الحار ساعة ، ويقيسه

إلى جهنم ، فإنه أشبه بيت بجهنم ، النار من تحت والظلام من فوق ، نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة ، فإنها مصيره ومستقره ، فيكون له فى كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة ، فإن المرء ينظر بحسب همته

فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها ، والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها ، والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها ، والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها ، فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة ، فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد ، وإن نظر إلى حية تذكر أفاعى جهنم ، وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية ، وإن سمع صوتاً هائلا تذكر نفخة الصور ، وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة ، وإن سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول . وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل ! إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا ، فإذا نسب مدة المقام فى الدنيا إلى مدة المقام فى الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته

ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول ، وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره ، وإن أحب قال : عافاك الله . ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول : عافاك الله لابتداء الكلام ، ثم لا يكثر الكلام فى الحمام ، ولا يقرأ القرءان إلا سراً . ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريباً من الغروب ، فان ذلك وقت انتشار الشياطين

ولا بأس بأن يدلكه غيره ، فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط : أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه ، وقال إنه دلكنى فى الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك . ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم [1] نَزَلَ مَنْزِلاً فِي بَعضِ أَسْفَارِهِ فَنَامَ عَلَى بَطْنِهِ وَعَبْدٌ أَسْوَدُ يَغمِزُ ظَهْرَهُ ،

(١) حديث نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبرانى فى الأوسط حديث عمر بسند ضعيف

فقلت : ما هذا يا رسول الله ؟ فقال إن الناقة تقحمت بي »

ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة ، فقد قيل : الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسأل عنه . وقال ابن عمر رضى الله عنهما : الحمام من النعيم الذى أحدثوه . هذا من جهة الشرع

أما من جهة الطب فقد قيل : الحمام بعد النورة أمان من الجذام . وقيل : النورة فى كل شهر مرة تطفىء المرة الصفراء وتنقى اللون وتزيد فى الجماع . وقيل بولة فى الحمام قائما فى الشتاء أنفع من شربة دواء . وقيل : نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء . وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس . ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه . هذا حكم الرجال

وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم : (١) « لا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُدْخِلَ حَلِيلَتَهُ ٱلْحَمَّامَ ، وَفِى ٱلْبَيْتِ ٱلْمُسْتَحَمٌّ » والمشهور (٢) « أَنَّهُ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ دُخُولُ ٱلْحَمَّامِ إِلَّا بِمِئْزَرٍ وَحَرَامٌ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ دُخُولُ ٱلْحَمَّامِ إِلَّا نُفَسَاءَ أَوْ مَرِيضَةً » ودخلت عائشة رضى الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ . ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام ، فيكون معينا لها على المكروه

النوع الثانى فيما يحدث فى البدن

من الأجزاء وهى ثمانية

الأوّل : شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ، ولا بأس بتركه لمن يدهُنه ويرجّله إلا إذا تركه قزَعاً أى قطعا ، وهو دأب أهل الشطارة ، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم ، فإنه إذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا

---

(١) حديث لا يحل لرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتى فى الذى يليه مع اختلاف

(٢) حديث حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر الحديث النسائى والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمتى قال صحيح الاسناد ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامنعوها النساء الا من مريضة أو نفساء

الثاني : شعر الشارب . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « قُصُّوا الشَّارِبَ » وفى لفظ آخر « جُزُّوا الشَّوارِبَ » وفى لفظ آخر « حُفُّوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَى » أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها ، وحفاف الشيء حوله ، ومنه (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ*) وفى لفظ آخر « احْفُوا » وهذا بشعر بالاستئصال . وقوله : حُفُّوا ، بدل على مادون ذلك . قال الله عز وجل . (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا *) أى يستقصى عليكم . وأما الحلق فلم يرد . والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة : نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال : ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة ابن شعبة « نَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [٢] وَقَدْ طَالَ شَارِبِي فَقَالَ تَعَالَ فَقَصَّهُ لِي عَلَى سِوَاكٍ »

ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب ، فعل ذلك عمر وغيره ، لأن ذلك لا يستر الفم ، ولا يبقى فيه غَمَر الطعام ، إذ لا يصل اليه . وقوله صلى الله عليه وسلم « اعْفُوا اللِّحَى » أى كثروها . وَفِي الْخَبَرِ « أَنَّ الْيَهُودَ [٣] يُعْفُونَ شَوَارِبَهُمْ وَيَقُصُّونَ لِحَاهُمْ فَخَالِفُوهُمْ » وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعه

الثالث : شعر الأبط . ويستحب نتفه فى كل أربعين يوما مرة ، وذلك سهل على من تعوّد نتفه فى الابتداء ، فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق ، إذ فى النتف تعذيب وإيلام ، والمقصود النظافة ، وأن لا يجتمع الوسخ فى خللها ، ويحصل ذلك بالحلق

الرابع : شعر العانة . ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ؛ ولا ينبغى أن تتأخر عن أربعين يوما

---

(١) حديث قصوا وفى لفظ جزوا وفى لفظ أحفوا الشوارب واعفوا اللحية متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ احفوا ولمسلم من حديث أبى هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا

(٢) حديث المغيرة بن شعبه نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك د ن ت فى الشمائل

(٣) حديث أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يارسول الله أن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور أن هذا فعل المجوس ففى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم

* الزمر : ٧٥ * محمد : ٣٧

الخامس : الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ، ولما يجتمع فيها من الوسخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَلِّمْ أَظْفَارَكَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقْعُدُ عَلَى مَا طَالَ مِنْهَا » ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء ، لأنه لا يمنع وصول الماء ، ولأنه يتساهل فيه للحاجة ، لاسيما في أظفار الرجل ، وفي الأوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم ، وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة ، ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك

ولم أر في الكتب خبراً مرويا في ترتيب قلم الأظفار ، ولكن سمعت أنه صلى الله عليه وسلم [٢] بدأ بمسبحته اليمنى ، وختم بإبهامه اليمنى ، وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الابهام . ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة ، إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة ، وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه . فالذي لاح لي فيه ، والعلم عند الله سبحانه ، أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ، ثم على اليمنى خمسة أصابع ، والمسبحة أشرفها ، إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ، ثم بعدها ينبغي أن يبتدئ بما على يمينها ، إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى ، وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالابهام هو اليمين ، وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى ، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الارض ، إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار ، واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا ، فما يقتضيه الطبع أولى ، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة ، فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة ، فتقع البداءة

---

(١) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها . الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر

(٢) حديث البداءة في قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والختم بابهامها وفي اليسرى بالخنصر الى الابهام لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به

بخنصر اليسرى ، والختم بإبهامها ، ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم . وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها ، وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف ، أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف ، فإن ذلك لايقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندى أن لم يثبت فيها نقل ، أن يبدأ بخنصر اليمنى ، ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل ، فإن المعانى التى ذكرناها فى اليد لا تتجه هاهنا إذ لامسبحة فى الرجل ، وهذه الأصابع فى حكم صف واحد ثابت على الأرض ، فيبدأ من جانب اليمنى ، فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين . وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوّة فى لحظة واحدة ، وإنما يطول التعب علينا . ثم لوسئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا ، وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى

ولا تظنن أن أفعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب ، بل جميع الأمور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أوأقسام ، كأن لايقدم على واحد معين بالاتفاق ، بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم ، فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم ، وضبط الحركات بموازين المعانى سجية أولياء الله تعالى . وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب ، وعن الإهمال وتركه سدى أبعد ، كانت مرتبته إلى رتبه الأنبياء والأولياء أكثر ، وكان قربه من الله عز وجل أظهر ، إذ القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل ، والقريب من الله لابد أن يكون قريبا ، فالقريب من القريب قرب بالإضافة إلى غيره . فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى

واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم [1] « فإِنَّهُ كَانَ يَكْتَحِلُ فِي عَيْنِهِ ٱلْيُمْنَى ثَلاَثاً ، وَفِي ٱلْيُسْرَى ٱثْنَيْنِ فَيَبْدَأُ بِالْيُمْنَى لِشَرَفِهَا » وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا ، فإن للوتر فضلا عن الزوج ، فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر ، فلا ينبغى أن يخلو

---

(١) حديث كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين الطبرانى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

فعل العبد من مناسبة لوصفه من أوصاف الله تعالى ، ولذلك استحب الايتار فى الاستجمار ، وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لايخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لاتستوعب أصول الأجفان بالكحل ، وإنما خصص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لابد منه للايتار واليمين أفضل فهى بالزيادة أحق

فإن قلت : فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهى زوج ؟

فالجواب أن ذلك ضرورة ، إذ لوجعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا ، إذ الوتر مع الوتر زوج ، ورعايته الإيتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته فى الآحاد ، ولذلك أيضاً وجه ، « وهُوَ أَنْ يَكْتَحِلَ فِى كُلِّ وَاحِدَةٍ ثَلاثًا » على قياس الوضوء ، وقد نقل ذلك فى الصحيح[1] وهو الأولى . ولو ذهبت أستقصى دقائق ماراعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الأمر ، فقس بما سمعته مالم تسمعه

واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معانى الشريعة ، حتى لا يكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة ، وهى درجة النبوة ، وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث ، إذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه ، والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له ، فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ، ولايستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام

السادس والسابع : زيادة السرة وقلفة الحشفة . أما السرة فتقطع فى أول الولادة ، وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر ، قال صلى الله عليهم وسلم[2] « الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ وَمَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ » وينبغى أن لا يبالغ فى خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم : لأم عطية وكانت تخفض « يَا أُمَّ

---

(١) حديث الاكتحال فى كل عين ثلاثا قال العزالى ونقل ذلك فى الصحيحين قلت هو عند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن

(٢) حديث الختان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقى من رواية أبى المليح بن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف

عَطِيَّةَ (١) أَشِمِّي وَلَا تَنْهَكِي فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ » أى أكثر لماء الوجه ودمه ، وأحسن فى جماعها . فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم فى الكناية ، و إلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التى هى أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا ، حتى انكشف له وهو أمى من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره ، فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ، ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم

الثامنة : ما طال من اللحية . وإنما أخرناها لنلحق بها ما فى اللحية من السنن والبدع ، إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها : وقد اختلفوا فيما طال منها : فقيل : ان قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس ، فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين ، واستحسنه الشعبى وابن سيرين ، وكرهه الحسن وقتادة ، وقالا : تركها عافية أحب ، لقوله صلى الله عليه وسلم « اعْفُوا اللِّحَى » والأمر فى هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب ، فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ اليه ، فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية : وقال النخعى : عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين ، فإن التوسط فى كل شىء حسن ، ولذلك قيل : كلما طالت اللحية تشمر العقل

فصل

وفى اللحية عشر خصال مكروهة ، وبعضها أشد كراهة من بعض . خضابها بالسواد ، وتبييضها بالكبريت ، ونتفها ، ونتف الشيب منها ، والنقصان منها ، والزيادة فيها ، وتسريحها تصنعا لأجل الرياء ، وتركها شعثة إظهارا للزهد ، والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب ، وإلى بياضها تكبرا بعلو السن ، وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين

أما الأول وهو الخضاب بالسواد . فهو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم (٢) « خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشُيُوخِكُمْ وَشَرُّ شُيُوخِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ » والمراد بالتشبه بالشيوخ

---

(١) حديث أم عطية أشمى ولا تنهكى . الحديث الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولأبى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف

(٢) حديث خير شبابكم من تشبه بكهولكم . الحديث الطبرانى من حديث واثلة باسناد ضعيف

فى الوقار لا فى تبييض الشعر [١] ونهى عن الْخِضاب بِالسّوادِ وقال : هُو خِضابُ [٢] أَهْلِ النَّارِ وفى لفظ آخر الْخِضَابُ بِالسّوَاد خِضَابُ الْكُفّار ، وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد . فنصل خضابه وظهرت شيبته ؛ فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضى الله عنه ، فرد نكاحه وأوجعه ضربا ، وقال : غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك . ويقال : أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [٣] « يكُونُ فِى آخِرِ الزّمانِ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ بِالسّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ »

الثانى: الخضاب بالصفرة والحمرة ، وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد ، فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] « الصّفْرةُ خِضابُ الْمُسْلِمِينَ والْحُمْرةُ خِضابُ الْمُؤْمِنِينَ » وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة ، وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو ، وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة

الثالث : تبييضها بالكبريت استعجالاً لإظهار علو السن ، توصلاً إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ ، وترفعا عن الشباب ، وإظهاراً لكثرة العلم ، ظناً بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً ، وهيهات ، فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا ، فالعلم ثمرة العقل ، وهى غريزة ، ولا يؤثر الشيب فيها ، ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد

---

(١) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ولمسلم من حديث جابر وغيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة

(٢) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار وفى لفظ خضاب الكفار الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبى حاتم منكر

(٣) حديث يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد ـ الحديث : أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد

(٤) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر

حماقته ، وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله فى الشباب ، ثم تلا قوله عز وجل : (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ *) وقوله تعالى (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى *) وقوله تعالى : (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا *)

وكان أنس رضى الله عنه يقول:[1] « قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَلَيْسَ فِى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ . فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا حَمْزَةَ فَقَدْ أَسَنَّ ، فَقَالَ : لَمْ يَشِنْهُ اللهُ بِالشَّيْبِ ، فَقِيلَ : أَهُوَ شَيْنٌ ؟؟ فَقَالَ كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ » ويقال [2] إِنَّ يَحيَى بْنَ أَكْثَمَ وَلِىَ الْقَضَاءَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَالَ لَهُ رَجُل فِى مَجْلِسِهِ يُرِيدُ أَنْ يُخجِلَهُ بِصِغَرِ سنه : كَمْ سِنُّ الْقَاضِى أَيَّدَهُ الله ؟ فقال مِثْلُ سِنِّ عَتَّابِ بْنِ أسيد حِينَ وَلَّاهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِمَارَةَ مَكَّةَ وَقَضَاءَهَا فَأَفْحَمَهُ »

وروى عن مالك رحمه الله أنه قال : قرأت فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية . وقال أبو عمرو بن العلاء : إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق . ولو كان أمية بن عبد شمس . وقال أيوب السختيانى : أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه . وقال على بن الحسين : من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك . وقيل لأبى عمرو بن العلاء : أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير ؟

---

(١) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له ياأبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شانه الله ببيضاء

(٢) حديث أن يحى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن الخطيب فى التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة الى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة الى معاذ فانما يتم له ذلك على قول يحى بن سعيد الانصاري ومالك وابن أبي حاتم انه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاثة وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

* الأنبياء : ٦٠ * الكهف : ١٣ * مريم : ١٢

فقال : إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به . وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي : يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد : لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول

الرابع : نتف بياضها استنكافا من الشيب . وقد « نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ وَقَالَ هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِ » وهو في معنى الخضاب بالسواد. وعلة الكراهية ماسبق، والشيب نور الله تعالى ، والرغبة عنه رغبة عن النور .

الخامس : نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس ، وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الْفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه ، فرد شهادته . ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته . وأما نتفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار ، فإن اللحية زينة الرجال ، فإن لله سبحانه ملائكة يقسمون : والذي زين بني آدم باللحى ، وهو من تمام الخلق ، وبها يتميز الرجال عن النساء . وقيل في غريب التأويل : اللحية هي المراد بقوله تعالى : (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ *) قال أصحاب الأحنف بن قيس : وددنا أن نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا . وقال شريح القاضي : وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف . وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل ، والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس ، وإقبال الوجوه اليه ، والتقديم على الجماعة ، ووقاية العرض ، فان من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية . وقد قيل : إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم ، فإن له لحية إلى سرته تخصيصا له وتفضيلا

السادس : تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع . قال كعب : يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ، ويعرقبون نعالهم كالمناجل ، أولئك لا خلاق لهم

---

(١) حديث نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن د ت وحسنه ن ه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده

* فاطر : ١

السابع : الزيادة فيها وهو أن يزيد فى شعر العارضين من الصدغين ، وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهى إلى نصف الخد ، وذلك يباين هيئة أهل الصلاح

الثامن : تسريحها لأجل الناس ، قال بشر : فى اللحية شركان : تسريحها لأجل الناس ، وتركها متفتلة لإظهار الزهد .

التاسع والعاشر : النظر فى سوادها وفى بياضها بعين العجب ، وذلك مذموم فى جميع أجزاء البدن ، بل فى جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتى بيانه

فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة ، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة : خمس منها فى الرأس ، وهى [1] فرق شعر الرأس ، والمضمضة ، والاستنشاق [2] وقص الشارب ، والسواك ، وثلاثة فى اليد والرجل ، وهى : القلم ، وغسل البراجم [3] وتنظيف الرواجب . وأربعة فى الجسد ، وهى نتف الإبط ، والاستحداد ، والختان ، والاستنجاء بالماء ، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك . وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا . وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى ، وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى إزالتها وتطهير القلب منها ، إن شاء الله عز وجل

تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

---

(١) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه

(٢) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظ قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة ضعفة ن ولأبى د ه من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر اعفاء اللحية وانتقاص الماء قال د وروى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها فى الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر اعفاء اللحية وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة الفطرة خمس الختان الحديث

(٣) حديث تنظيف الرواجب تقدم


كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر العباد بلطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه ، الذى تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه ، فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى السؤال والدعاء فقال : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ وَهَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب ، فرخص للعباد فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ، ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة ، وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة . فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه ، وأتم لطفه وأعم إحسانه ! والصلاة على محمد نبيه المصطفى ، ووليه المجتبى ، وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ، ومصابيح الدجى ، وسلم تسليما

أما بعد : فان الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات . وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها ، صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة ، لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ، ومعولا له اليها يفزع ويرجع . ونحن الآن فى هذا الكتاب نقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنه ، وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب : (الباب الأول) فى فضائل الصلاة . (الباب الثانى) فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . (الباب الثالث) فى تفضيل الأعمال الباطنة منها . (الباب الرابع) فى الإمامة والقدوة (الباب الخامس) فى صلاة الجمعة وآدابها (الباب السادس) فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها (الباب السابع) فى التطوعات وغيرها

الباب الأول

فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان

قال صلى الله عليه وسلم :(١) « ثَلَاثَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ أَسْوَدَ لَا يَهُولُهُمْ حِسَابٌ وَلَا يَنَالُهُمْ فَزَعٌ حَتَّى يُفْرَغَ مِمَّا بَيْنَ النَّاسِ: رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْءَانَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّ بِقَوْمٍ وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، وَرَجُلٌ أَذَّنَ فِي مَسْجِدٍ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ ابْتُلِيَ بِالرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَشْغَلْهُ ذَلِكَ عَنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) « لَا يَسْمَعُ نِدَاءَ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « يَدُ الرَّحْمَٰنِ عَلَى رَأْسِ الْمُؤَذِّنِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ أَذَانِهِ » وقيل فى تفسير قوله عز وجل : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا) نزلت فى المؤذنين :

وقال صلى الله عليه وسلم :(٤) « إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ » وذلك مستحب إلا فى الحيعلتين فإنه يقول فيهما : لاحول ولا قوة إلا بالله ، وفى قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض ، وفى التثويب : صدقت وبررت ونصحت ، وعند الفراغ يقول : اللهم ربَّ هـذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرّفيعـة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد .
وقال سعيد بن المسيب : من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك ، فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة

﴿ كتاب أسرار الصلاة ﴾

(١) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك ـ الحديث : ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصر وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف

(٢) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء الا شهدله يوم القيامة خ من حديث أبي سعيد

(٣) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبرانى فى الأوسط والحسن بن سعيد فى مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف

(٤) حديث اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد

* فصلت : ٣٣

فضيلة المكتوبة

قَالَ الله تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا *) وقَال صلى الله عليه وسلم : (١) « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ ٱلْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذْبٍ غَمْرٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟ قالوا لَا شَيْءَ ، قال صلى الله عليه وسلم: فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسَ تُذْهِبُ الذُّنُوبَ كَمَا يُذْهِبُ ٱلْمَاءُ الدَّرَنَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « إِنَّ الصَّلَوَاتِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا ٱجْتُنِبَتِ ٱلْكَبَائِرُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْمُنَافِقِينَ شُهُودُ ٱلْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَا يَسْتَطِيعُونَهُمَا » وقال صلى الله عليه وسلم: (٥) « مَنْ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ مُضَيِّعٌ لِلصَّلَاةِ لَمْ يَعْبَإِ اللهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ » (٧) « وَسُئِلَ صلى الله عليه وسلم أَيُّ ٱلْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : الصَّلَاةُ لِمَوَاقِيتِهَا » وقال صلى الله عليه وسلم : (٨) « مَنْ حَافَظَ عَلَى ٱلْخَمْسِ بِإِكْمَالِ طُهُورِهَا وَمَوَاقِيتِهَا

---

(١) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه حب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر .

(٢) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولهما نحوه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبي هريرة

(٤) حديث بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا

(٥) حديث من لقي الله مضيعا للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طب في الأوسط من حديث أنس

(٦) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال ك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط انه غير معروف

(٧) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٨) حديث من حافظ على الخمس با كمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا ـ الحديث : أحمد حب من حديث عبد الله بن عمرو

* النساء : ١٠٣

كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا حُشِرَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلَاةُ » وقال : (٢) « مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا لَتَعَبَّدَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ : فَمِنْهُمْ رَاكِعٌ وَمِنْهُمْ سَاجِدٌ وَمِنْهُمْ قَائِمٌ وَقَاعِدٌ »

وقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (٣) « مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ » أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده ، كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها . وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ » وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة ، وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتُمحى عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً قالوا : لم يا أبا هريرة ؟ قال : من أجل كثرة الخطا

ويروى « أَنَّ (٥) أَوَّلَ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً قُبِلَتْ مِنْهُ وَسَائِرُ عَمَلِهِ وَإِنْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً رُدَّتْ عَلَيْهِ وَسَائِرُ عَمَلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِيكَ بِالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ » وقال بعض العلماء : مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة . وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : اذا حضرت الصلاة : قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فأطفؤها

---

(١) حديث مفتاح الجنة الصلاة د الطيالسى من حديث جابر وهو عند الترمذى ولكن ليس داخلا فى الرواية
(٢) حديثماافترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاًأحب اليه من الصلاة ـ الحديث : لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر
(٣) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبى الدرداء باسناد فيه مقال
(٤) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم : حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات
(٥) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة ـ الحديث : رويناه فى الطيوريات من حديث أبى سعيد باسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح اسناده نحوه من حديث أبى هريرة وسيأتى
(٦) حديث ياأبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لاتحتسب لم أقف له على أصل

فضيلة إتمام الأركان

قال صلى الله عليه وسلم: (١) «مَثَلُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَمَثَلِ الْمِيزَانِ مَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى» وقَالَ (٢) يزيد الرقاشي: «كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُسْتَوِيَةً كَأَنَّهَا مَوْزُونَةٌ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) «إِنَّ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أُمَّتِي لَيَقُومَانِ إِلَى الصَّلَاةِ وَرُكُوعُهُمَا وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ وَإِنَّ مَا بَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) «لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْعَبْدِ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٥) «أَمَا يَخَافُ الَّذِي يُحَوِّلُ وَجْهَهُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ وَجْهَهُ وَجْهَ حِمَارٍ!» وقال صلى الله عليه وسلم: (٦) «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لِوَقْتِهَا وَأَسْبَغَ وُضُوءَهَا وَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَخُشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ تَقُولُ: حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي، وَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ وَقْتِهَا وَلَمْ يُسْبِغْ وُضُوءَهَا وَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٧) «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضى الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى، ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين

---

(١) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى: ابن مبارك فى الزهد من حديث ابن الحسن مرسلا وأسنده البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد فيه جهالة

(٢) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة: ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف

(٣) حديث أن الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث: ابن المحبر فى العقل من حديث أبى أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث بن أبى اسامة فى مسنده عن ابن المحبر

(٤) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبى هريرة باسناد صحيح

(٥) حديث أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى فى عوالى مشايخ مصر من حديث جابر ما يؤمنه اذا التفت فى صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله وجهه وجه حمار

(٦) حديث من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ وضوأها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهى بيضاء منفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى الحديث طب فى الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه

(٧) حديث أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى قتادة

فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم: [1] « صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجَةً » وروى أبو هريرة « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم فَقَدَ نَاساً فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ [2]: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَأُحَرِّقَ بُيُوتَهُمْ » وفي رواية أخرى « ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَآمُرَ بِهِمْ فَتُحَرَّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتُهُمْ بِحُزَمِ الْحَطَبِ وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْماً سَمِيناً أَوْ مِرْمَاتَيْنِ لَشَهِدَهَا » يعني صلاة العشاء. وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعاً [3] « مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَمَنْ شَهِدَ الصُّبْحَ فَكَأَنَّمَا قَامَ لَيْلَةً » وقال صلى الله عليه وسلم: [4] « مَنْ صَلَّى صَلاةً فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ مَلأَ نَحْرَهُ عِبَادَةً »

وقال سعيد ابن المسيّب: ما أذّن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد. وقال محمد بن واسع: ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة: أخاً إنه إن تعوّجت قوّمني، وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة، وصلاةً في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها. وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمّ قوما مرة فلما انصرف قال: مازال الشيطان بي آنفاحتى أريت ان لي فضلا على غيري، لاأؤم أبدا. وقال الحسن: لاتصلوا خلف رجل لايختلف إلى العلماء. وقال النخعي: مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لايدري زيادته من نقصانه. وقال حاتم الأصم: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا

---

(١) حديث صلاة الجماعة تفضل الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه

(٣) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف الليلة الحديث: م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا

(٤) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وانما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لايجيب . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له : إن الناس قد انصرفوا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق . وقال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْماً الصَّلَوات فى جَمَاعَةٍ لاَ تَفُوتُهُ فِيهَا تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بَرَاءَتَيْنِ بَرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ ، وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ »

ويقال : إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى : فتقول لهم الملائكة : ما كانت أعمالكم ؟ فيقولون : كنا إذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لايشغلنا غيرها ، ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال : كنا نتوضأ قبل الوقت ، ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون : كنا نسمع الأذان فى المسجد . وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ، ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [2] « مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ سُجُودٍ خَفِيٍّ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [3] « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً » وروى [4] « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ وَأَنْ يَرْزُقَنِي مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فقال صلى الله عليه

---

(١) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته تكبيرة الاحرام الحديث ت من حديث أنس باسناد رجاله ثقات

(٢) حديث ما تقرب العبد الى الله بشىء أفضل من سجود خفى ابن المبارك فى الزهد من حديث ضمرة ابن حبيب مرسلا

(٣) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ه من حديث عبادة ابن الصامت باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبى الدرداء

(٤) حديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك ويرزقنى مرافقتك فى الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الاسلمى نحوه وهو الذى سأله ذلك

وسلم : أعِنىّ بِكثْرةِ السُّجُودِ » وقيل : (١) « أقْربُ مايَكونُ الْعبْدُ إلى الله تعالى أنْ يكونَ ساجِدًا » وهو معنى قوله عز وجل : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ *) وقال عز وجل : (سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِم مِنْ أثَر السُّجُود *) فقيل هو ما يلصق بوجوههم من الأرض عند السجود . وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح . وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء

وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) «إذا قرأ ابنُ آدم السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتزل الشَّيْطانُ يبكى ويَقولُ : ياوَيْلاهُ أُمِرَ هذا بالسُّجُودِ فَسَجَدَ فلهُ الْجنَّةُ وَ أُمِرْتُ أنا بالسُّجُودِ فعصيْتُ فلِىَ النَّارُ » . ويروى عن على بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة ، وكانوا يسمونه السّجّاد . ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لايسجد إلا على التراب . وكان يوسف بن أسباط يقول : يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك . وقال سعيد بن جبير : ما آسى على شىء من الدنيا إلا على السجود

وقال عقبة بن مسلم : مامن خصلة فى العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل ، ومامن ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حين يخرّ ساجدا . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : أقرب مايكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى : (وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى *) وقال تعالى : (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ *) وقال عز وجل : (لاتقربُوا الصَّلاةَ وأنتُمْ سُكَارَى حتَّى تَعْلَمُوا ما تقُولُونَ *) قيل سكارى من كثرة الهم ، وقيل من حب الدنيا . وقال وهب : المراد به ظاهره ، ففيه تنبيه على سكر

(١) حديث أن أقرب ما يكون العبد الى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبى هريره
(٢) حديث اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى الحديث م من حديث أبى هريره

* العلق ١٩ * طه ١٤ * الأعراف ٢٠٥ * النساء ٤٣

الدنيا ، إذ بين فيه العلة فقال : (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) وكم من مصلٍّ لم يشرب خمراً وهو لايعلم ما يقول فى صلاته

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : [1] « مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : [2] « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَكُّنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ وَتَأَوُّهٌ وَتَنَادُمٌ وَتَضَعُ يَدَيْكَ فَتَقُولُ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خِدَاجٌ » وروى عن الله سبحانه فى الكتب السالفة أنه قال : ليس كل مصل أتقبل صلاته ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادى ، وأطعم الفقير الجائع لوجهى

وقال صلى الله عليه وسلم :[3] « إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلَاةُ وَأُمِرَ بِالْحَجِّ وَالطَّوَافِ وَأُشْعِرَتِ الْمَنَاسِكُ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى » فإذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك . وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه [4] « وَإِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ » أي مودع لنفسه ، مودع لهواه ، مودع لعمره ، سائر إلى مولاه ، كما قال عز وجل : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ ✻) وقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ✻) وقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ✻)

وقال صلى الله عليه وسلم : [5] « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ

---

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له من ذنبه ابن أبي شيبة فى المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو فى الصحيحين من حديث عثمان بزيادة فى أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس الا بخير

(٢) حديث انما الصلاة تمكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب

(٣) حديث انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح

(٤) حديث اذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب و ك من حديث سعد بن أبى وقاص وقال صحيح الاسناد والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس نحوه

(٥) حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ورواه طب واسنده ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عباس باسناد لين والطبرانى من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر الحديث واسناده صحيح .

✻ الانشقاق : ٦ ✻ البقره ٢٨٢ ✻ البقره ٢٢٣

مِنَ اللهِ إِلاَّ بُعْداً » والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة . وقال بكر بن عبد الله : باابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت . قيل : وكيف ذلك ؟ قال تسبغ وضوأك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [1] يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ » اشتغالاً بعظمة الله عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم : [2] « لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى صَلَاةٍ لاَ يَحْضُرُ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ بَدَنِهِ » وكان ابراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يُسمع وَجيبُ قلبه على ميلين . وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته . « وَرَأَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [3] رَجُلاً يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلاَةِ فَقَالَ لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ » ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول : اللهم زوجنى الحور العين . فقال : بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى ! وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها ؟ قال : لا أُعوّد نفسى شيئا يفسد على صلاتى . قيل له :

---

(١) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرته الصلاة كانه لم يعرفنا ولم نعرفه الازدى فى الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع الاذان كانه لا يعرف أحدا من الناس

(٢) حديث لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب واسناده ضعيف

(٣) حديث رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاه فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريره بسند ضعيف والمعروف انه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم

وكيف تصبر على ذلك؟ قال بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم. ويروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة . وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوّن وجهه . فقيل له : مالك ياأمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانةٍ عرَضها الله على السموات والأرض والجبال فأَبيْن أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . ويروى عن علىّ بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله : ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته : إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة؟ فاوحى الله إليه : باداود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه مَن تواضع لعظمتى ، وقطع نهاره بذكرى ، وكف نفسَه عن الشهوات من أجلى، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم المصاب ، فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس ، إن دعانى لبّيته ، وإن سألنى أعطيته ، أجعل له فى الجهل حلما ، وفى الغفلة ذكرا، وفى الظلمة نورا ، وانما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لاتيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها

ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى؛ ثم أقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعا بتواضع ، وأسجد سجودا بتخشع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام ، وأتبعها الأخلاص ، ثم لاأدرى أقبلت منى أم لا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلاة

قال الله عز وجل : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ *) وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْراً فِي الْجَنَّةِ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) « مَنْ أَلِفَ الْمَسْجِدَ أَلِفَهُ اللَّهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ ، تَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ أَوْ يَخْرُجْ مِنَ الْمَسْجِدِ »

وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حِلَقاً حِلَقاً ذِكْرُهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا ، لَا تُجَالِسُوهُمْ فَلَيْسَ لِلَّهِ بِهِمْ حَاجَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب : (٧) إِنَّ بُيُوتِي فِي أَرْضِي الْمَسَاجِدُ ، وَإِنَّ زُوَّارِي فِيهَا عُمَّارُهَا ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي ، فَحَقٌّ

---

(١) حديث من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة الحديث هـ من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة

(٢) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف

(٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس : متفق عليه من حديث أبي قتادة

(٤) حديث لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد : الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة باسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة

(٥) حديث الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه ــ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٦) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقاً ذكرهم الدنيا الحديث : ابن حبان من حديث ابن مسعود وك من حديث أنس وقال صحيح الأسناد

(٧) حديث قال الله تعالى : ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها ــ الحديث : أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل : يوم القيامة أين جيراني فتقول الملائكة من هذا الذي ينبغي له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد ؟ وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسند ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه

* التوبة : ١٨

عَلَى ٱلْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ ٱلْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ » وقال سعيد بن المسيب : من جلس فى المسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيراً . ويروى فى الأثر أو الخبر (٢) « اَلْحَدِيثُ فِى ٱلْمَسْجِدِ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْبَهَائِمُ ٱلْحَشِيشَ »

وقال النخعى : كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك : من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوؤه . وقال علىّ كرم الله وجهه : إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ، ثم قرأ (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ *) وقال ابن عباس : تبكى عليه الأرض أربعين صباحا . وقال عطاء الخراسانى : مامن عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك : مامن بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين، ومامن عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض ويقال: مامن منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم

الباب الثالث

فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء ، والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب ، وستر العورة من السرة إلى الركبة ، أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ، ويراوح بين قدميه

---

(١) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ت وحسنه و ه و ك وصححه من حديث أبى سعيد

(٢) حديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش : لم أقف له على أصل

* الدخان : ٢٩

ولا يضمهما ، فإن ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل . وقد نهى صلى الله عليه وسلم [١] « عن الصَّفْنِ وَالصَّفْدِ فِي الصَّلَاةِ » والصفد : هو اقتران القدمين معا ، ومنه قوله تعالى (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ※) . والصفن : هو رفع إحدى الرجلين ، ومنه قوله عز وجل : (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ※) هذا ما يراعيه فى رجليه عند القيام

ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب . وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام ، وإن شاء أطرق ، والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر ، وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذى يصلى عليه ، فإن لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أوليخط خطا ، فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرّق الفكر ، وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط ، وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات . هذا أدب القيام

فاذا استوى قيامه واستقباله وإطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان ، ثم ليأت بالاقامة ، وان كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أوّلا ثم ليحضر النية ، وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه : أؤدى فريضة الظهر لله ، ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء ، وبالفريضة عن النفل ، وبالظهر عن العصر وغيره ، ولتكن معانى هذه الألفاظ حاضرة فى قلبه فإنه هو النية ، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها : ويجتهدأن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يعزب

فاذا حضر فى قلبه ذلك [٢] فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ إِلَى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ بَعْدَ إرسالهما بحيث يحاذى

﴿ الباب الثانى ﴾

(١) حديث النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة : عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وانما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أوصافنا قدميه فقال أخطأ هذا السنة

(٢) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد الى شحمة أذنيه وورد الى رءوس آذنيه : متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول ود من حديث وائل بن حجر باسناد ضعيف الى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه

※ ابراهيم : ٢٩ ※ ص : ٣١

بكفيه منكبيه ، وبإبهاميه شحمتي أذنيه ، وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه ، ليكون جامعا بين الأخبار الواردة فيه ، ويكون مقبلا بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ، ويبسط الأصابع ولا يقبضها ، ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما ، بل يتركها على مقتضى طبعها ، إذ نقل في الأثر النَّشْرُ والضَّمُّ [١] وهذا بينهما ، فهو أولى

وإذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ، ويضع اليمنى على اليسرى إكراما لليمنى : بأن تكون محمولة ، وينشر المسبّحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ، ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى . وقد روى [٢] أَنَّ التَّكْبِيرَ مَعَ رَفْعِ الْيَدَيْنِ وَمَعَ [٣] اسْتِقْرَارِهِمَا وَمَعَ الْإِرْسَالِ [٤] فكل ذلك لا حرج فيه ، وأراه بالارسال أليق ، فانه كلمة العقد ، ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ، ومبدؤه الارسال وآخره الوضع . ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء ، فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد . وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ، ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا إذا فرغ من التكبير ، ويرسلهما إرسالا خفيفا رفيقا ، ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال . وفي بعض الروايات « أنه صلى الله عليه وسلم [٥] كَانَ إِذَا كَبَّرَ أَرْسَلَ يَدَيْهِ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ وَضَعَ

---

(١) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الأصابع

(٢) حديث التكبير مع رفع اليدين: البخاري من حديث ابن عمر: كان يرفع يديه حين يكبر ، ولأبي داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير

(٣) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين : مسلم من حديث ابن عمر: كان اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د وهما كذلك

(٤) حديث التكبير مع ارسال اليدين د من حديث أبي حميد : كان اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلا ، قال ابن الصلاح في المشكل فكلمة حتى التي هي للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الارسال

(٥) حديث كان اذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى : الطبراني من حديث معاذ باسناد ضعيف

الْيُمْنى على الْيُسْرى » فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الهاء من قوله : الله ، ضمة خفيفة من غير مبالغة ، ولا يدخل بين الهاء والألف شبه الواو ، وذلك ينساق إليه بالمبالغة ، ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول أكبار ، ويجزم راء التكبير ولا يضمها . فهذه هيئة التكبير وما معه

القراءة :

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح . وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر [1] « اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرا وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيرا وَسُبْحان اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً [1] » وجَّهْتُ وَجْهِيَ إلى قوله : وأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ثم يقول : [3] « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وتبارَكَ اسْمُكَ وتَعالَى جَدُّكَ وَجَلَّ ثناؤُكَ ولَا إلٰهَ غَيْرُكَ » ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الأخبار . وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها . ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم يقرأ الفاتحة ، يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ، ويقول : آمين في آخر الفاتحة ، ويمدها مداً ، ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلاً ، ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ، ويجهر بالتأمين . ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرءان فما فوقها ، ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوىّ بأن يفصل بينهما بقدر قوله : سبحان الله ، ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصّل ، وفي المغرب من قصاره ، وفي الظهر والعصر والعشاء نحو : والسماء ذات البروج وما قاربها ، وفي الصبح في السفر : قل

---

(١) حديث انه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا : م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د ه من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث

(٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث : م من حديث علي

(٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعفه ت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجمع بين وجهت وبين سبحانك اللهم

يأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية ، وهو فى جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا فى أول الصلاة

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعى فيه أموراً ، وهو أن يكبر للركوع ، وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع ، وأن يمد التكبير مداً إلى الانتهاء إلى الركوع ، وأن يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق ، وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما ، وأن يمد ظهره مستويا ، وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة ، لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع ، وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه ، وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها ، وأن يقول : سبحان ربى العظيم ثلاثاً ، والزيادة إلى السبعة وإلى العشر حسن إن لم يكن إماما ، ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ، ويرفع يديه ويقول : سمع الله لمن حمده ، ويطمئن فى الاعتدال ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، ولا يطول هذا القيام إلا فى صلاة التسبيح والكسوف والصبح [(١)] « وَيَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ » فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود

السجود

ثم يهوى إلى السجود مكبراً ، فيضع ركبتيه على الأرض ، ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ، ويكبر عند الهوىّ ، ولا يرفع يديه فى غير الركوع . وينبغى أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبتاه ، وأن يضع بعدهما يديه ، ثم يضع بعدهما وجهه ، وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض ، وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه ، ولا تفعل المرأة ذلك ، وأن يفرج بين رجليه ، ولا تفعل المرأة ذلك ، وأن يكون فى سجوده مخويا على الأرض ، ولا تكون المرأة مخوية ، والتخوية : رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين ، وأن

---

(١) حديث القنوت فى الصبح بالكلمات المأثورة : هق من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم يقنت فى صلاة الصبح وفى وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدنى فيمن هديت ـ الحديث د ت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن فى الوتر . وإسناده صحيح

يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ، ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام اليهما ، وإن لم يضم الابهام فلا بأس [١] ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب فإنه منهى عنه ، وأن يقول : سبحان ربى الأعلى ثلاثا ، فان زاد فحسن إلا أن يكون إماما

ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا ، فيرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى ، وينصب قدمه اليمنى ، ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ، ويقول : رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى . ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود التسبيح ، ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ، ويستوى منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقيبها، ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ، ولا يقدم إحدى رجليه فى حال الارتفاع ، ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام ، بحيث تكون الهاء من قوله : الله ، عند استوائه جالسا ، وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام ، وراء أكبر فى وسط ارتفاعه إلى القيام ، ويبتدئ فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله ، ولا يخلو عنه إلا طرفاه ، وهو أقرب إلى التعميم ، ويصلى الركعة الثانية كالأولى ، ويعيد التعوذ كالابتداء

التشهد

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الأول ، ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ، ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبّحة ، ولا بأس بارسال الابهام أيضا ، ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله : إلا الله ، لا عند قوله : لا إله ، ويجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين ، وفى التشهد الأخير يستكمل [٢] الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وسننه كسنن التشهد الأول ،

---

(١) حديث النهى عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب: متفق عليه من حديث أنس

(٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث على فى دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت ـ الحديث. وفى الصحيحين من حديث عائشة اذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ـ الحديث. وفى الباب غير ذلك جميعها فى الأصل

لكن يجلس في الأخير على وركه الأيسر ، لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ، ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته ، وينصب اليمنى ، ويضع رأس الابهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ، ثم يقول : السلام عليكم ورحمة الله ، ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ، ويلتفت شمالا كذلك ، ويسلم تسليمة ثانية ، وينوى الخروج من الصلاة بالسلام ، وينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين فى الأولى . وينوى مثل ذلك فى الثانية [1] ويجزم التسليم ولايمده مدا ، فهو السنة . وهذه هيئة صلاة المنفرد . ويرفع صوته بالتكبيرات ، ولا يرفع صوته إلا بقدر مايسمع نفسه

وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل ،فإن لم ينو صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ، ونالوا فضل الجماعة . ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد . ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب ، وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله : آمين فى الصلاة الجهرية ، وكذلك المأموم ، ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لاتعقيبا ، ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب اليه نفسه ، ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام ، ولايقرأ المأموم السورة فى الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام ، ويقول الامام : سمع الله لمن حمده ، عند رفع رأسه من الركوع . وكذا المأموم ، ولايزيد الإمام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ، ولايزيد فى التشهد الأول بعد قوله : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ، ولا يطول على القوم ، ولايزيد على دعائه فى التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينوى عند السلام السلام على القوم والملائكة ، وينوى القوم بتسليمهم جوابه ، ويثبت الإمام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ، ويقبل على الناس بوجهه . والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجل نساء لينصرفن قبله ، ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم ، وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلىّ ، ولايخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول : اللهم اهدنا ، ويجهر به ويؤمّن القوم ، ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ، ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه ، وإلا فالقياس أن لايرفع اليد كما فى آخر التشهد

---

(١) حديث جزم السلام سنة : د ت من حديث ابى هريرة وقال حسن صحيح وضعفه إبن القطان

المنهيات

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناهما ، وعن الإقعاء [١] ، وعن السدل [٢] والكف ، [٣] وعن الاختصار [٤] وعن الصلب [٥] وعن المواصلة [٦] وعن صلاة الحاقن [٧] والحاقب [٨] والحاذق [٩] وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم [١٠] وهو ستر الوجه .

---

(١) حديث النهى عن الاقعاء . ت ه من حديث على بسند ضعيف لا تقع بين السجدتين و م من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان و ك من حديث سمرة وصححه نهى عن الاقعاء

(٢) حديث النهى عن السدل فى الصلاة . د ت ك وصححه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث النهى عن الكفت فى الصلاة . متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا .

(٤) حديث النهى عن الاختصار . د ك وصححه من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلى الرجل مختصرا

(٥) حديث النهى عن الصلب فى الصلاة . د ن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح

(٦) حديث النهى عن المواصلة . عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده وقد فسره الغزالى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د ت وحسنه وابن ماجة من حديث سمرة سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل فى صلاته فاذا فرغ من قراءته واذا فرغ من قراءة القرءان وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة الحديث

(٧) حديث النهى عن صلاة الحاقن . ه و قط من حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن و د من حديث أبى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن وله و ت وحسنه نحوه من حديث ثوبان و م من حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان

(٨) حديث النهى عن صلاة الحاقب . لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعاً للأزهرى بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذى قبل هذا

(٩) حديث النهى عن صلاة الحاذق . عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده والذى ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأى لحاذق وهو صاحب الخف الضيق

(١٠) حديث النهى عن التلثم فى الصلاة . د ه من حديث أبى هريرة بسند حسن نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابى هو التلثم على الافواه

[illegible] ويجعل يديه على الأرض كالكلب . وعند أهل الحديث : أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين والركبتين

وأما السدل . فمذهب أهل الحديث فيه : أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك . وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم ، والقميص في معناه ، فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص . وقيل معناه : أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب

وأما الكف . فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود ، وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره ، والنهي للرجال . وفي الحديث[١] « أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ وَلاَ أَكُفَّ شَعْراً وَلاَ ثَوْباً » وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف

وأما الإختصار . فإن يضع يديه على خاصرتيه

وأما الصلب . فأن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام

وأما المواصلة فهي خمسة ، اثنان على الإمام : أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ، ولا ركوعه بقراءته ؛ واثنان على المأموم : أن يصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام ، ولا تسليمة بتسليمة ؛ وواحدة بينهما : أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية ، وليفصل بينهما

وأما الحاقن : فمن البول ، والحاقب : من الغائط ، والحاذق : صاحب الخف الضيق ، فإن كل ذلك يمنع من الخشوع ، وفي معناه الجائع والمهتم ، وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم[٢] « إِذَا حَضَرَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ » إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب . وفي الخبر[٣] « لاَ يَدْخُلَنَّ أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ وَهُوَ مُقَطِّبٌ وَلاَ

---

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا . متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء . متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة

(٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده

يصلين أحدكم وهو غضبان» وقال الحسن: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع . وفى الحديث[١] «سَبْعَةُ أَشْيَاء فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ : الرُّعَافُ وَالنُّعَاسُ وَالْوَسْوَسَةُ . وَالتَّثَاؤُبُ . وَالْحِكَاكُ وَالْالْتِفَاتُ وَالْعَبَثُ بِالشَّيْءِ» وزاد بعضهم السهو والشك . وقال بعض السلف : أربعة فى الصلاة من الجفاء : الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك ، ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه[٢] أو يفرقع أصابعه[٣] أو يستر وجهه[٤] أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه[٥] فى الركوع . وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم : كنا نفعل ذلك فنهينا عنه . ويكره أيضاً أن ينفخ فى الأرض عند السجود للتنظيف ، وأن يسوى الحصى بيده فإنها أفعال مستغنى عنها ، ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ، ولا يستند فى قيامه إلى حائط ، فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته . والله أعلم

---

(١) حديث سبعة أشياء من الشيطان فى الصلاة الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك . ت من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبى العاص يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى الحديث وللبخارى من حديث عائشة فى الالتفات فى الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبى هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبى هريرة ان أحدكم اذا قام يصلى جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدرى كم صلى

(٢) حديث النهى عن تشبيك الأصابع . أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ود ت ه حبه نحوه من حديث كعب بن عجرة

(٣) حديث النهى عن تفقيع الأصابع فى الصلاة . ه من حديث على باسناد ضعيف لا تفقع أصابعك فى الصلاة

(٤) حديث النهى عن ستر الوجه . د ه ك وصححه من حديث أبى هريرة حديث نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة قد تقدم

(٥) حديث النهى عن التطبيق فى الركوع . متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص قال كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدى على الركب

تمييز الفرائض والسنن

جملة ماذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيآت مما ينبغى لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها

فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة : النية ، والتكبير ، والقيام ، والفاتحة ، والانحناء فى الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه ، مع الطمأنينة ، والاعتدال عنه قائما ، والسجود مع الطمأنينة ، ولا يجب وضع اليدين ، والاعتدال عنه قاعدا ، والجلوس للتشهد الأخير ، والتشهد الأخير ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والسلام الأول ، فأمَّا نية الخروج فلا تجب . وما عدا هذا فليس بواجب بل هى سنن وهيآت فيها وفى الفرائض

أما السنن فمن الأفعال أربعة . رفع اليدين فى تكبيرة الاحرام ، وعند الهوىّ إلى الركوع ، وعند الارتفاع إلى القيام ، والجلسة للتشهد الأول ، فأما ماذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحدّ رفعها فهى هيآت تابعة لهذه السنة ، والتورك ، والافتراش هيآت تابعة للجلسة ، والاطراق : وترك الالتفات هيآت للقيام وتحسين صورته ، وجلسة الاستراحة لم نعدّها من أصول السنة فى الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة فى نفسها ، ولذلك لم تفرد بذكر

وأما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ، ثم التعوذ ، ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ، ثم قراءة السورة ، ثم تكبيرات الانتقالات ، ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، ثم التشهد الأوّل ، والصلاة فيه على النبى صلى الله عليه وسلم . ثم الدعاء فى آخر التشهد الاخير ، ثم التسليمة الثانية ، وهذه وإن جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو

وأما من الأفعال فواحدة وهى الجلسة الأولى للتشهد الأوّل فانها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلاة فى أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا ، بخلاف رفع اليدين فإنه لايؤثر فى تغيير النظم ، فعبر عن ذلك بالبعض . وقيل الابعاض تجبر بالسجود

وأما الأذكار فكلها لاتقتضى سجود السهو إلا ثلاثة : القنوت ، والتشهد الأول ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، لأن الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات ، فعدم تلك الأذكار لاتغير صورة العبادة

وأما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد ، فتركها ظاهر التأثير . وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لايؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها . وكذلك الدعاء فى التشهد الأخير والقنوت أبعد مايجبر بالسجود ، ولكن شرع مدّ الاعتدال فى الصبح لأجله ، فكان كمد جلسة الاستراحة ، إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأوّل فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب ، وفى الممدود احتراز عن غير الصبح ، وفى خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام فى الصلاة

فان قلت : تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها ، فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه ؟

فاعلم أن اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لايرفع تفاوتهما . ولنكشف ذلك لك بمثال ، وهو : أن الأنسان لايكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح ، والظاهر أجسام أعضائه ، ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته، وبعضها لاتفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان، وبعضها لايفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون ،و بعضها لايفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون . فهذه درجات متفاوته . فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها .

فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتى ونحن الآن فى أجزائها الظاهرة ، فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد ، إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها ، والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الإستفتاح والتشهد الأول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ، ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه ، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجرى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حيا مقطوع الأطراف

وأما الهيآت وهى ماوراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون

وأما وظائف الأذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها ، فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم ، وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر ، فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها ، فان أحسنت فلنفسك وان أسأت فعليها ، ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة الا أنه يجوز تركها فتتركها ، فان ذلك يضاهى قول الطبيب : إن فقء العين لايبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان إذا أخرجه فى معرض الهدية ، فهكذا ينبغى أن تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب ، فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الاول على صاحبها ، تقول ضيعك الله كما ضيعتنى . فطالع الاخبار التى أوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ، ثم نذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ، ثم لنذكر تفصيل ماينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة ، فمن ذلك قوله تعالى (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي *) وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره ، وقوله تعالى (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ *) نهي ، وظاهره التحريم . وقوله عزوجل : (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ*) تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا . وقوله صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ » حصر بالالف واللام ، وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد ، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام « إِنَّمَا الشُّفْعَةُ فِيمَا لَمْ يُقْسَمْ » الحصر والاثبات والنفي . وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » وصلاة الغافل لاتمنع من الفحشاء والمنكر

وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « كَمْ مِنْ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صَلَاتِهِ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ » وما أراد به إلا الغافل . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا »

﴿ الباب الثالث ﴾

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . ن ه من حديث أبي هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن

(٢) حديث ليس للعبد من صلاته الا ما عقل . لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولابن المبارك في الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه

---

* طه : ١٤ * الأعراف : ٢٠٥ * النساء : ٤٣

والتحقيق فيه أن المصلى (١) مُنَاجٍ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كما ورد به الخبر ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة . وبيانه : أن الزكاة إن غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله ، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة . وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة ، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام ، كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن

أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود . فأما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل ، فاما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة ، أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل ، كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك فى الصوم ، وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ، ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق . ولا شك أن هذا القسم باطل ، فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل ، فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل ، بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ، ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما فى الضمير ، ولا يكون معربا إلا بحضور القلب . فأى سؤال فى قوله : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *) إذا كان القلب غافلا ، وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة ، لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الأذكار

بل أقول : لو حلف الانسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ، ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم ، لم يبر فى يمينه ، ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً فى يمينه ، إذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضراً فى قلبه ، فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه ، لم يصر باراً فى يمينه ، ولا شك فى أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء ، والمخاطب هو الله عز وجل ، وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده ، بل هو غافل عن المخاطب

(١) حديث المصلى يناجى ربه متفق عليه من حديث أنس

* الفاتحة : ٦

ولسانه يتحرك بحكم العادة ، فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان به : هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها فى النطق وتميزها عن الفعل

وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ، ولو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه ، وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس ، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص

وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف اليها مقصود المناجاة ، فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره ، بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال ، قال الله تعالى : (لنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلٰـكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ *) أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة ، فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها ؟ فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب

فإن قلت : إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء ؛ فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير

فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة ، بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح ، وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان ، فأما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه . على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع ، فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته . وروى

* الحج : ٣٧

عن الحسن أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع . وعن معاذ ابن جبل : من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو فى الصلاة فلا صلاة له

وروى أيضاً مسنداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[1] « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّى الصَّلاَةَ لاَ يُكْتَبُ لَهُ سُدْسُهَا وَلاَ عُشْرُهَا وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاَتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا » وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به . وقال عبد الواحد بن زيد : أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها . فجعله إجماعا . وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى . والحق الرجوع إلى أدلة الشرع ، والأخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط ، إلا أن مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق ، فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب فى جميع الصلاة ، فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين . وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له ، إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة ، وأولى اللحظات به لحظة التكبير ، فاقتصرنا على التكليف بذلك

ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية ، فإنه على الجملة أقدمَ على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة ، وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر مّا بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة . وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطراً فى نفسه فإليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ، ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة ، فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه . ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ، ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع

(١) حديث أن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث د ن حب من حديث عمار ابن ياسر بنحوه

فلنقتصر على هـذا القدر من البحث ، فإن فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن

وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة ، وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك ، وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة ، وكم من حى لا حراك به قريب من ميت . فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به . نسأل الله حسن العون

بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة

اعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها ، ولكن يجمعها ست جمل ، وهى : حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء . فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها

أما التفاصيل فالأول حضور القلب ، ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به ، فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ، ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ، ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم . وهذا مقام يتفاوت الناس فيه ، إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرءان والتسبيحات . وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله . ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فإنها تفهم أموراً تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة

وأما التعظيم : فهو أمر وراء حضور القلب والفهم ، إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له ، فالتعظيم زائد عليهما

وأما الهيبة : فزائدة على التعظيم ، بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم ، لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا ، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من

من الأسباب الخسيسة لا نسمى مهابة ، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، والهيبة خوف مصدرها الاجلال

وأما الرجاء : فلا شك أنه زائد ، فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته ، والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل ، كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل

وأما الحياء : فهو زائد على الجملة ، لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب

وأما أسباب هذه المعانى الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة ، فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ، ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى ، فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه ، والقلب إذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها ، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى ، وأن الصلاة وسيلة اليها ، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهما تها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة ، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الإيمان . فاجتهد الآن فى تقوية الإيمان ، وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع

وأما التفهم: فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى . وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها ، أعنى النزوع عن تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر اليها ، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر ، فمن أحب شيئا أكثر ذكره ، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر

وأما التعظيم: فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان ، فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه . الثانية : معرفة حقارة النفس وخستها ، وكونها عبدا مسخرا مربوبا ، حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه ، فيعبر عنه بالتعظيم ، ومالم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لاتنتظم حالة التعظيم والخشوع ، فإن المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله ، لأن القرينة الأخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه

وأما الهيبة والخوف :فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لوأهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة ، هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف مايشاهد من ملوك الأرض . وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة . وسيأتى أسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة

وأما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها ، وقلة إخلاصها وخبث دَخْلتها ، وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها ، مع العلم بعظيم مايقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء . فهذه أسباب هذه الصفات وكل ماطلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ، ففى معرفة السبب معرفة العلاج ، ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين ، أعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ، ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك

واستيلاؤها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم ، و بقدر اليقين يخشع القلب، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ فإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ »

وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك ، وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا ، وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك ، وإذا قمت بين يدىّ فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق » وروى أن الله تعالى أوحى إليه : قل لعُصاة أمتك لايذكرونى فإنى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فإذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة . هذا فى عاص غير غافل فى ذكره ، فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان . وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها ، وإلى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة ، بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم ابن يسار بسقوط الاسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها . وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ، ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين ، وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد ، فان أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم ، حتى يدخل الواحد على ملك أووزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لايقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ، ولكلّ درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ، ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوّ ، ومن وجود النعيم بها واللذة . ولقد صدق فإنه يحشر كل على مامات عليه ، ويموت على ماعاش عليه ، ويراعى فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه . فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان الدواء النافع فى حضور القلب

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره ، فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه ، فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ، ولا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ، فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، ولا يدفع الشىء إلا بدفع سببه ، فلتعلم سببه

وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطنا ، أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ، ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سببا للافتكار ، ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ، ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ، ولكن الضعيف لابد وأن يتفرق به فكره . وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره ، أو يصلى فى بيت مظلم ، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ، ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع ، وفى المواضع المنقوشة المصنوعة ، وعلى الفرش المصبوغة ، ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم . والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ، ويرون كمال الصلاة فى أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم . وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يدع فى موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلا نزعه ولا كتابا إلا محاه

وأما الأسباب الباطنة فهى أشد ، فإن من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لا ينحصر فكره فى فن واحد ، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب ، وغض البصر لا يغنيه ، فإن ما وقع فى القلب من قبل كاف للشغل . فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره . ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهول المطلع

ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه ، فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة : [١] « إِنِّي نَسِيتُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَنْ تُخَمِّرَ ٱلْقِدْرَ ٱلَّذِي فِي ٱلْبَيْتِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي ٱلْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْغَلُ النَّاسَ عَنْ صَلَاتِهِمْ » فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق ، وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة له عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته ، وأنها إنما صارت مهمات لشهواته ، فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق ، فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه ، وجند إبليس عدوه ، فإمساكه أضر عليه من إخراجه ، فيتخلص منه بإخراجه ، كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لَبِسَ [٢] اَلْخَمِيصَةَ التي أتاه بها أبو جَهْم وعليها عَلَم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبُوا بِهَا إِلَى أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفاً عَنْ صَلَاتِي وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في صلاته إذ كان جديداً فأمر أن [٣] ينزع منها ويرد الشراك اَلْخَلَق . وكان صلى الله عليه وسلم : [٤] قَدِ احْتَذَى نَعْلاً فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا فَسَجَدَ وقَالَ : « تَوَاضَعْتُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ كَيْ لَا يَمْقُتَنِي » ثم خرج فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر علياً رضى الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جَرْدَاوَيْنِ فَلَبِسَهما . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه [٥] وقال : « شَغَلَنِي هَذَا نَظْرَةً إِلَيْهِ وَنَظْرَةً إِلَيْكُمْ » .

---

(١) حديث انى نسيت أن أقول لك تخمر القرتين اللذين فى البيت . الحديث د من حديث عثمان الحجى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند أحمد وقع للمصنف انه قل دلك لعثمان بن شيبة وهو وهم

(٢) حديث نزع الخميصة وقال ائتونى بانبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم فى العلم

(٣) حديث أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق اذ نظر اليه فى صلاته: ابن المبارك فى الزهد من حديث أبي النضر مرسلا باسناد صحيح

(٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقل تواضعت لربى. الحديث: أبوعبد الله بن حقيق فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف

(٥) حديث رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم . ن من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق

وروى أن أبا طلحة [١] صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى ، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ، ثم قال : يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت

وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى ، فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال : هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل ، فباعه عثمان بخمسين ألفا ، فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر ، وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة . وهذا هو الداء القامع لمادة العلة ، ولا يغنى غيره . فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين ، والرد إلى فهم الذكر ، فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة ، والهمم التى لا تشغل إلا حواشى القلب . فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين ، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك ، وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة . ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود إلى فكره ، فتعود العصافير ، فيعود إلى التنفير بالخشبة فقيل له إن هذا سير السوانى ، ولا ينقطع . فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة ، فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت اليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار ، وانجذاب الذباب إلى الأقذار ، والشغل يطول فى دفعها ، فإن الذباب كلما ذب آب ولأجله سمى ذبابا ؛ فكذلك الخواطر

وهذه الشهوات كثيرة ، وقلما يخلو العبد عنها ، ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وكذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد . ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شىء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة ، فلا يطمعن

---

(١) حديث ان أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه ريس طائر فى الشجر . الحديث : فى سهوه فى الصلاة وتصدقه بالحائط . مالك عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا طلحة الأنصارى فذكره بنحوه

فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته . وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لامحالة إليها همه، ولكن مع هذا فلا ينبغى أن يترك المجاهدة ، ورد القلب إلى الصلاة ، وتقليل الأسباب الشاغلة. فهذا هو الدواء المر ، ولمرارته استبشعته الطباع ، وبقيت العلة مزمنة ، وصار الداء عضالا ، حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لايحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك، فاذاً لا مطمع فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنامن الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً

وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل ، فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لامحالة ، ولا يجتمعان

بيان تفصيل ماينبغى أن يحضر فى القلب

عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

فنقول : حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لاتغفل أوّلا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها

أما الشروط السوابق فهى : الأذان ، والطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة والانتصاب قائما ، والنية . فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة ، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والإستبشار ، مشحونا بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (١) « أَرِحْنَا يَا بِلَالُ » أى أرحنا بها وبالنداء اليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث بها أرحنا يا بلال . قط فى العلل من حديث بلال ولأبى داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح

وأما الطهارة: فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى، فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على مافرطت، وتصميم العزم على الترك فى المستقبل، فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك

وأما ستر العورة: فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق، فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لايطلع عليها إلا ربك عز وجل؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لايستر عن عين الله سبحانه ساتر، وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما، فتذل بها نفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذى ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف

وأما الاستقبال: فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك؟ هيهات! فلا مطلوب سواه، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن، وضبط للجوارح، وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب، فإنها إذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها إلى جهاتها، استتبعت القلب، وانقلبت به عن وجه الله عز وجل، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لايتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « إِذَا قَامَ الْعَبْدُ إِلَى صَلاَتِهِ فَكَانَ هَوَاهُ وَوَجْهُهُ وَقَلْبُهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ انْصَرَفَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »

أما الاعتدال قائما: فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل، فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه

(١) حديث إذا قام العبد الى صلاته وكان وجهه وهواه الى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

تنبيهاً على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك هاهنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله ، بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أوممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك ، وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع . وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها . إنك تدّعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده ، أوتخشين الناس ولاتخشينه وهو أحق أن يخشى ؟ ! ولذلك لما قال [1] أبو هريرة : كيف الحياء من الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « تَسْتَحِى مِنْهُ كَمَا تَسْتَحِى مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ » وروى : مِنْ أَهْلِكَ

وأما النية : فاعزم على إجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامها ، والكف عن نواقضها ومفسداتها ، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاءً لثوابه وخوفاً من عقابه وطلبا للقربة منه ، متقلدا للمنة منه بإذنه إياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك . وعظّم فى نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجى ، وكيف تناجى ، وعما ذا تناجى ؟ وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفر وجهك من الخوف

وأما التكبير : فإذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فإن كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب ، وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله ، فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل

---

(١) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله ؟ قال تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك . الخرائطى فى مكارم الأخلاق . وهو فى الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا نحوه وأرسله هو بزيادة ابن عمر فى السند وفى العلل قط عن ابن عمر له وقال انه أشبه شىء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة

فأنت أطوع له منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه

وأما دعاء الاستفتاح: فأول كلماته قولك : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر ، فانك إنما وجهته إلى جهة القبلة ، والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه . وإنما وجه القلب هو الذى تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض . فانظر اليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات ، أو مقبل على فاطر السموات . وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه ، فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا . وإذا قلت : حنيفاً مسلماً ، فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده ، فان لم تكن كذلك كنت كاذبا ، فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ماسبق من الأحوال . وإذا قلت : وما أنا من المشركين ، فأخطر ببالك الشرك الخفى ، فان قوله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً *) نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس ، وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك ، واستشعر الخجلة فى قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك ، فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه . وإذا قلت : محياى ومماتى لله . فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده ، وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائما للحال

وإذا قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له ، مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها ، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك مايحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك ، فان من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقتله فقال :

* الكهف : ١١٠

أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه ، بل لا يعيذه إلا تبديل المكان ، فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول . فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان ، وحصنه لا إله إلا الله ، إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم[1] « لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي » والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه ، فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل

واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس ، فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها

فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره ، وهي درجات أصحاب اليمين ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ، ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب

وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه . وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه ، وأن المراد بالاسم هاهنا هو المسمى . وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جزم كان الحمد لله . ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله . ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى .

فإذا قلت : الرحمن الرحيم ، فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ، ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك : مالك يوم الدين

(١) حديث قال الله تعالى لا إله الا الله حصني . ك في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي باسناد ضعيف جدا وقول أبي منصور الديلمي انه حديث ثابت مردود عليه

أما العظمة فلأنه لا يملك إلا الله . وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ، ثم جدد الاخلاص بقولك : إياك نعبد ، وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك : وإياك نستعين ، وتحقق أنه ماتيسرت طاعتك إلا باعانته ، وأن له المنة إذ وفقك الله لطاعته ، واستخدمك لعبادته ، وجعلك أهلا لمناجاته ، ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين

ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك : بسم الله الرحمن الرحيم ، ومن التحميد ، ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا ، فعين سؤالك ، ولا تطلب إلا أهم حاجاتك، وقل : اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا إلى جوارك ، ويفضى بنا إلى مرضاتك، وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ، ثم التمس الاجابة وقل : آمين

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم [1] « قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ : نِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ : يَقُولُ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : حَمِدَنِي عَبْدِي وَأَثْنَى عَلَيَّ » وهو معنى قوله : سمع الله لمن حمده ـ الحديث الخ . فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة ، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟

وكذلك ينبغى أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سيأتى فى كتاب تلاوة القرآن ، فلا تغفل عن أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه ، ولكل واحد حق ، فالرجاء حق الوعد ، والخوف حق الوعيد ، والعزم حق الأمر والنهى ، والاتعاظ حق الموعظة ، والشكر حق ذكر المنة ، والاعتبار حق أخبار الأنبياء .

---

(١) حديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، الحديث : م عن أبى هريرة .

وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ *) خر ميتاً وكان ابراهيم النخعى إذا سمع قوله تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ *) اضطرب حتى تضرب أوصاله . وقال عبد الله بن واقد : رأيت ابن عمر يصلى مغلوبا عليه . وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده ، فانه عبد مذنب ذليل بين يدى جبار قاهر ، وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب . ودرجات ذلك لا تنحصر . والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات . فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً

ثم يراعى الهيبة فى القراءة ، فيرتل ولا يسرد ، فان ذلك أيسر للتأمل ، ويفرق بين نغماته فى آية الرحمة والعذاب ، والوعد والوعيد ، والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان النخعى إذا مر بمثل قوله عز وجل : (مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ *) يخفض صوته كالمستحى عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به . وروى « أَنَّهُ يُقَالُ[١] لِقَارِئِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا »

وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور . قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ[٢] مُقْبِلٌ عَلَى الْمُصَلِّي مَا لَمْ يَلْتَفِتْ » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات ، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة . فاذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب بأن الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع ، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر . قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته : « أَمَّا هَذَا لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ » فان الرعية بحكم الراعى . ولهذا ورد فى الدعاء[٣] « اللَّهُمَّ أَصْلِحِ الرَّاعِيَ وَالرَّعِيَّةَ » وهو القلب والجوارح

---

(١) حديث يقال لصاحب القرآن اقرا وارق . د ت ن من حديث عبدالله بن عمر وقال ت حسن صحيح

(٢) حديث أن الله يقبل على المصلى مالم يلتفت . د ن ك وصحح اسناده من حديث أبى ذر

(٣) حديث اللهم أصلح الراعى والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح

* المدثر : ٨ * الانشقاق : ١ * المؤمنون : ٩١

وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد . وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد . وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا ، فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ؟ وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا ، وتضطرب أطرافه بين يدى الله عابثاً ، فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل ، وعن اطلاعه على سره وضميره . وقال عكرمة في قوله عز وجل : (الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ *) قال : قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه

وأما الركوع والسجود : فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ، ومتبعاً سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ، ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ومؤكداً للرجاء في نفسك بقولك : سمع الله لمن حمده ، أى أجاب لمن شكره

ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول : ربنا لك الحمد . وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض . ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه ، من أذل الأشياء وهو التراب . وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل ، فإنه أجلب للخشوع ، وأدل على الذل . وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خلقت ، وإليه تعود ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى ، وأكده بالتكرار فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل ، لا إلى التكبر والبطر . فارفع رأسك مكبراً

* الشعراء : ٢١٨

وسائلاً حاجتك وقائلاً : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، أو ما أردت من الدعاء . ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك

وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا ، وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات ، أى من الأخلاق الطاهرة لله . وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات ، وأحضر فى قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم ، وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وليصدق أملك فى أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه . ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم نبيه بالرسالة ، مجدداً عهد الله سبحانه باعادة كلمتى الشهادة ، ومستأنفاً للتحصن بها . ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين ، وانو ختم الصلاة به ، واستشعر شكراً لله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها . وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه . « صَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة ، وخف أن لا تقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن ، فترد صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله ، كان يحيي بن وثاب إذا صلَّى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة . وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض

فهذا تفصيل صلاة الخاشعين ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية . فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدر الذى يسِّر له منه ينبغى أن يفرح ، وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر ، وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد

وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة ، إلا أن يتغمده الله برحمته ، والرحمة واسعة ، والكرم فائض . فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ، ويغمرنا بمغفرته ، إذ لا وسيلة لنا إلا الإعتراف بالعجز عن القيام بطاعته .

واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات ، وإخلاصها لوجه الله عز وجل ، وأداءها بالشروط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار فى القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة. فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون فى الصلاة ، لا سيما فى السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ، ولذلك قال تعالى : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ *) وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا . ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة ، وبالجلاء والخفاء ، حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه ، وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله ، كما كشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة ، والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها ، ويختلف أيضاً بما فيه المكاشفة ، فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ، ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ، ويكون لتعين تلك المعانى فى كل وقت أسباب خفية لا تحصى ، وأشدها مناسبة الهمة ، فإنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف

ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلا فى المرآئى الصقيلة ، وكانت المرآة كلها صدئة ، فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية ، بل لخبث متراكم الصدأ على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك ، إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان فى متسع الهواء. ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض. وهكذا الإنسان فى كل طور يكاد ينكر ما بعده. ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوّة ، وقد خلق الخلق أطوارا ، فلا ينبغى أن ينكر كل واحد ما وراء درجته . نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوّشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل ، فقدوه فأنكروه

ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن

* العلق : ١٩

يشاهد بالتجربة ، ففي الخبر[1] « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ رَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ وَوَاجَهَهُ بِوَجْهِهِ وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ مَنْكِبَيْهِ إِلَى الْهَوَاءِ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِ ، وَإِنَّ الْمُصَلِّيَ لَيُنْثَرُ عَلَيْهِ الْبِرُّ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ وَيُنَادِي مُنَادٍ : لَوْ عَلِمَ هَذَا الْمُنَاجِي مَنْ يُنَاجِي مَا الْتَفَتَ ، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفْتَحُ لِلْمُصَلِّينَ ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِعَبْدِهِ الْمُصَلِّي » . ففتح أبواب السماء ، ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه ، كناية عن الكشف الذي ذكرناه

وفى التوراة مكتوب : ياابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدىّ مصليا باكيا ، فأنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى . قال فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنوّ الرب سبحانه من القلب ، وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان ، فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة ، وكشف الحجاب

ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة ، كل صف منهم عشرة آلاف ، وباهى الله به مائة ألف ملك . وذلك أن العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود ، وقد فرّق الله ذلك على أربعين ألف ملك ، فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة ، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة ، وهكذا الراكعون والقاعدون : فان مارزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ، ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ *) وفارق الانسان الملائكة فى الترقى من درجة إلى درجة ، فانه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه ، وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام ، وليس لكل واحد إلا رتبته التى هى وقف عليه ، وعبادته التى هو مشغول بها ، لا ينتقل إلى غيرها ، ولا يفتر عنها (فَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ *) مفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات ، قال الله عز وجل (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ

---

(١) حديث ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث : لم أجده

* الصافات : ١٦٤ * الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ * المؤمنون : ١

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *) مدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع ، ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ *) ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *) فوصفهم بالفلاح أولا ، وبوراثة الفردوس آخرا . وما عندى أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى إلى هذا الحد ، ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ *) فالمصلون هم ورثة الفردوس ، وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم

نسأل الله أن يجعلنا منهم ، وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله ، إنه الكريم المنان القديم الإحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى.

حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين

رضى الله عنهم

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ، ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة ، بل فى خلوته ، وفى بيت الماء عند قضاء الحاجة ، فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ، ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد . فمن هذه المعارف يتولد الخشوع ، وليست مختصة بالصلاة . ولذلك روي عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له

وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى . وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة ، فاذ رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء . فكان يضحك ابن مسعود من قولها . وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقا غاضا بصره . وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول «(وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ *) أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك » وفى لفظ آخر : لأحبك . وفى لفظ آخر : لضحك

---

* المؤمنون : ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، * المدثر : ٤٢ ، ٤٣ * الحج : ٣٤

ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلتهب ، صعق وسقط مغشيا عليه . وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق ، فحمله على ظهره إلى منزله ، فلم يزل مغشيا عليه إلى مثل الساعة التى صعق فيها ، ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول : هذا والله هو الخوف . وكان الربيع يقول : مادخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها إلاما أقول وما يقال لى

وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين ، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ، ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله . وقيل له ذات يوم : هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشيء ؟ قال نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إلى احدى الدارين . قيل : فهل تجد شيئا مما نجد من أمور الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فىّ أحب الىّ من أن أجد فى صلاتى ماتجدون . وكان يقول : لوكشف الغطاءماازددت يقينا . وقدكان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط أسطوانة فى المسجد وهو فى الصلاة . وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه فقيل : إنه فى الصلاة لا يحس بما يجرى عليه فقطع وهو فى الصلاة

وقال بعضهم : الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا . وقيل لآخر : هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا فى الصلاة ؟ فقال : لافى الصلاة ولافى غيرها . وسئل بعضهم هل تذكر فى الصلاة شيأ ؟ فقال : وهل شيء أحب إلىّ من الصلاة فأذكره فيها . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلاة ليدخل فى الصلاة وقلبه فارغ . كان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس . وروى أن (١) عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ صَلَّى صَلاَتاً فَأَخَفَّهَا ، فقيل له : خَفَّفْتَ يَاأَبَا الْيَقْظَانِ . فقال : هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئا ؟ قالوا لا قال : إِنِّى بَادَرْتُ سَهْوَ الشيطان ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّى الصَّلاَةَ لاَ يُكْتَبُ لَهُ نِصْفُهَا وَلاَ ثُلُثُهَا وَلاَ رُبُعُهَا وَلاَ خُمُسُهَا وَلاَسُدُسُهَا وَلاَ عُشْرُهَا » وكان يقول : إنما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها

---

(١) حديث ان عمار بن ياسر صلى فأخفها وقيل له خففت ياأباليقظان . الحديث وفيه ان العبد ليصلى صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها الى آخره احمد باسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند د ن

ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة ، وقالوا : نبادر بها وسوسة الشيطان

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر : إن الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لايتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها * وسئل أبو العالية عن قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ *) قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف : أعلى شفع أم على وتر ؟ وقال الحسن : هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم : هو الذى إن صلاها فى أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن ، فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثما

واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول ، إن الصلاة فى الصحة لاتتجزأ ، ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه ، وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث ، إذ ورد[1] جَبْرُ نقصانِ الفرائضِ بالنَّوافِلِ . وفى الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى : بالفرائض نجامنى عبدى ، وبالنوافل تقرب إلىّ عبدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم : [2]« قَالَ اللهُ تَعَالَى لَا يَنْجُو مِنِّى عَبْدِى إِلَّا بِأَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم [3] صَلَّى صَلَاتًا فَتَرَكَ مِنْ قِرَاءَتِهَا آيَةً ، فَلَمَّا انْفَتَلَ قَالَ : مَا ذَا قَرَأْتُ ؟ فسكت القوم ، فسأل أبى بن كعب رضى الله عنه فقال : قَرَأْتَ سُورَةَ كَذَا وَتَرَكْتَ آيَةَ كَذَا فَمَا نَدْرِى أَنُسِخَتْ أَمْ رُفِعَتْ ، فقال : أَنْتَ لَهَا يَاأُبَىُّ ، ثم أقبل على الآخرين فقال « مَابَالُ أَقْوَامٍ يَحْضُرُونَ صَلَاتَهُمْ وَيُتِمُّونَ صُفُوفَهُمْ وَنَبِيُّهُمْ بَيْنَ

---

(١) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل. أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فان انتقص من فرضه شيأ قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة

(٢) حديث قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى الا بأداء ما افترضت عليه لم أجده

(٣) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ما ذا قرأت فسكت القوم فسأل أبى بن كعب الحديث : رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمى من حديث أبى بن كعب ورواه ن مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبزى باسناد صحيح

أَيْدِيهِمْ لَايَدْرُونَ مَا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ ، أَلَا إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَذَا فَعَلُوا فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ : تُحْضِرُونِي أَبْدَانَكُمْ وَتُعْطُونِي أَلْسِنَتَكُمْ وَتَغِيبُونَ عَنِّي بِقُلُوبِكُمْ ، بَاطِلٌ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ » وهذا يدل على أن استماع مايقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه

وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولوقسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا ، قيل : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ، ومشاهد لباطل ، قد استولى عليه . فهذه صفة الخاشعين

فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ماسبق على أن الأصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب ، وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد . والله أعلم . نسأل الله حسن التوفيق

الباب الرابع

فى الإمامة والقدوة ، وفى أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة

أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فستة :

أولها : أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه ، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فان كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر اليهم أولى . وفى الحديث :[1] « ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ رُءُوسَهُمْ : الْعَبْدُ الْآبِقُ وَامْرَأَةٌ زَوْجُهَا سَاخِطٌ عَلَيْهَا ، وَإِمَامٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ » وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم ، فكذلك ينهى عن التقدمة

﴿ الباب الرابع ﴾

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق . الحديث : ت من حديث أبى أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق

إن كان وراءه من هو أفقه منه ، إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة

ويكره عند ذلك المدافعة ، فقد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم وما روى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه إيثارهم من رأوه أنه أولى بذلك ، أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم ، فإن الأئمة ضمناء . وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص فى صلاته حياء من المقتدين ،لاسيما فى جهره بالقراءة ، فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس

الثانية : إذا خير المرء بين الآذان والإمامة فينبغى أن يختار الإمامة ، فإن لكل واحد منهما فضلا ، ولكن الجمع مكروه ، بل ينبغى أن يكون الإمام غير المؤذن . وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى . وقال قائلون : الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : (١) « اَلْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ » فقالوا فيها خطر الضمان . وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « الْإِمَامُ أَمِينٌ فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا » وفى الحديث (٣) « فَإِنْ أَتَمَّ فَلَهُ وَلَهُمْ وَإِنْ نَقَصَ فَعَلَيْهِ لَا عَلَيْهِمْ » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال : (٤) « اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ » والمغفرة أولى بالطلب فأن الرشد يراد للمغفرة . وفى الخبر (٥) « مَنْ أَمَّ فِي مَسْجِدٍ سَبْعَ سِنِينَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ بِلَا حِسَابٍ وَمَنْ أَذَّنَ أَرْبَعِينَ عَامًا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة

---

(١) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن : د ت من حديث أبى هريرة وحكى عن ابن المدينى أنه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبى أمامة باسناد حسن

(٢) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا . الحديث : خ من حديث أبى هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة

(٣) حديث فان أتم فله ولهم وان انتقص فعليه ولاعليهم . د ه ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وان أخطؤا فلكم وعليهم

(٤) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين

(٥) حديث من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشطر الأول نحوه قال ت حديث غريب

والصحيح أن الإمامة أفضل ، إذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والأئمة بعدهم . نعم فيها خطر الضمان . والفضيلة مع الخطر ، كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل ، لقوله صلى الله عليه وسلم [1] « لَيَوْمٌ مِنْ سُلْطَانٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً » ولكن فيها خطر ، ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : [2] « أَئِمَّتُكُمْ شُفَعَاؤُكُمْ » أو قال : « وَفْدُكُمْ إِلَى اللهِ » فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم . وقال بعض السلف : ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ، ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه : هذا بالنبوة ، وهذا بالعلم ، وهذا بعماد الدين وهو الصلاة

وبهذه الحجة احتج الصحابة [3] فى تقديم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا : « نَظَرْنَا فَإِذَا الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ فَاخْتَرْنَا لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لِدِينِنَا » وما قدموا [4] بلالاً احتجاجا بأنه رضيه للأذان . وما روى « أَنَّهُ قَالَ

---

(١) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة : الطبرانى من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين

(٢) حديث أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم: قط هق وضعف اسناده من حديث ابن عمر والبغوي وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم و ك من حديث مرثد ابن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمى وهو ضعيف

(٣) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين فى شرح مذاهب اهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وانى لشاهد ما أنا بغائب ولا بى مرض فرضينا لدنيانا مارضى به النبى صلى الله عليه وسلم لديننا والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس

(٤) حديث تقديم ه الصحابة بلالا احتجاجاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه للأذان أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد فى بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ـ الحديث : وأما تقديمهم له بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فروى الطبرانى أن بلالا جاء الى أبى بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسى فى سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما

لَهُ رَجُلٌ : يا رسول الله [١] دُلَّنِي على عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ قالَ : كُنْ مُؤَذِّنًا قالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : كُنْ إِمَامًا ، قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ ، فَقَالَ صَلِّ بِإِزَاءِ الْإِمَامِ » فلعله ظن أنه لا يرضى بإمامته ، إذ الأذان اليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له . ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها

الثالثة : أن يراعى الإمام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رِضْوَانَ اللهِ سُبْحَانَهُ [٢] فَفَضْلُ أَوَّلِ الْوَقْتِ عَلَى آخِرِهِ كَفَضْلِ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا . هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى الحديث : [٣] « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فِي آخِرِ وَقْتِهَا وَلَمْ تَفُتْهُ وَلَمَا فَاتَهُ مِنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

ولا ينبغى أن يؤخر الصّلاة لانتظار كثرة الجماعة ، بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت ، فهى أفضل من كثرة الجماعة ، ومن تطويل السورة . وقد قيل : كانوا إذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث ، وإذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس . وقد [٤] تَأَخَّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَكَانُوا فِي سَفَرٍ . وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر ، وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها ، قال فأشفقنا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قَدْ أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا فَافْعَلُوا » وقد [٥] تَأَخَّرَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فَقَدَّمُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ

توفى أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ماقال لأبى بكر فأبى عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال الى سعد فانه قد أذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان الى سعد وعقبة وفى أسناده جهالة

(١) حديث قال له رجل يارسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا ـ الحديث : البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء و طب فى الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

(٢) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٣) حديث ان العبد ليصلي الصلاة فى أول وقتها ولم تفته ـ الحديث : الدارقطنى من حديث أبى هريرة نحوه باسناد ضعيف

(٤) حديث تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر وكان فى سفر وانما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف ـ الحديث : متفق عليه من حديث المغيرة

(٥) حديث تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر ـ الحديث : متفق عليه من حديث سهل بن سعد

اللهُ عَنْهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِى الصَّلَاةِ فَنَامَ إِلَى جَانِبِهِ

وليس على الإمام انتظار المؤذن ، وإنما على المؤذن انتظار الامام للاقامة ، فاذا حضر فلا ينتظر غيره

الرابعة : أن يؤم مخلصاً لله عز وجل ، ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته

أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة ، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن أبى العاص الثقفى وقال : (١) « اتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى الْأَذَنِ أَجْراً » فالأذان طريق إلى الصَّلاة ، فهى أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر ، فان أخذ رزقاً من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه ، والكراهية فى الفرائض أشد منها فى التراويح ، وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ، ومراقبة مصالح المسجد فى إقامة الجماعة ، لا على نفس الصَّلاة

وأما الأمانة : فهى الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر . فالمترشح للإمامة ينبغى أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم ، فينبغى أن يكون خير القوم . وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث ، فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر فى أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغى أن يستحى ، بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه ، فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) الجنابة فى أثناء الصَّلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل فى الصَّلاة .. وقال سفيان : صلِّ خلف كل بر وفاجر إلا مُدمن خمر ، أو معلن بالفسوق ، أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة ، أو عبد آبق

الخامسة : أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف ، فليلتفت يميناً وشمالاً فان رأى خللاً أمر بالتسوية . قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ، ولا يكبر حتى يفرغ

---

(١) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرة . أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبى العاص الثقفى

(٢) حديث تذكر النبى صلى الله عليه وسلم الجنابة فى صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبى بكرة باسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وانما قال ثم أرمأ اليهم أن مكانكم الحديث : وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر فى قصة طعنه

المؤذن من الاقامة ، والمؤذن يؤخر الاقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة ، ففى الخبر [1] « لِيَتَمَهَّلِ ٱلْمُؤَذِّنُ بَيْنَ ٱلْأَذَانِ وَٱلْإِقَامَةِ بِقَدْرِ مَا يَفْرُغُ ٱلْآ كِلُ مِنْ طَعَامِهِ وَٱلْمُعْتَصِرُ مِنَ اعْتِصَارِهِ » وذلك لأنه « نَهَى [2] عَنْ مُدَافَعَةِ ٱلْأَخْبَثَيْنِ » [3] « وَأَمَرَ بِتَقْدِيمِ ٱلْعَشَاءِ عَلَى ٱلْعِشَاءِ » طلبا لفراغ القلب

السادسة : أن يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ، ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر مايسمع نفسه ، وينوى الإمامة لينال الفضل ، فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الإقتداء ، ونالوا فضل القدوة ، وهو لاينال فضل الإمامة . وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الامام ، فيبتدىء بعد فراغه . والله أعلم

وأما وظائف القراءة فثلاثة :

أولها : أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ، ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها فى جميع الصبح واولى العشاء والمغرب ، وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله : آمين فى الصلاة الجهرية ، وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لاتعقيبا [4] ، ويجهر بسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة [5] . واختيار الشافعى رضى الله عنه الجهر

---

(١) حديث يمهل المؤذن بين الأذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره : ت ك من حديث جابر يابلال اجعل بين أذانك واقامتك قدرما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت اسناده مجهول وقال ك ليس فى اسناده مطعون فيه غير عمرو بن فايد قلت بل فيه عبد المنعم الدياجى منكر الحديث قاله خ وغيره

(٢) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لاصلاة وللبيهقى لايصلين أحدكم الحديث

(٣) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه

(٤) حديث الجهر بسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححه من حديث ابن عباس

(٥) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وللنسائى يجهر بسم الله الرحمن الرحيم

الثانيه : أن يكون للامام فى القيام ثلاث سكتات . هكذا رواه[١] سَمُرة بن جُنْدُب وعِمْران بن الُحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولاهن) إذا كبر وهى الطولى منهنّ مقدار مايقرأ مَن خلفه فاتحة الكتاب ، وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح ، فانه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع ، فيكون عليه مانقص من صلاتهم ، فان لم يقرءوا الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لاعليهم (السكة الثانية) إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى فاتحته ، وهى كنصف السكتة الأولى (السكتة الثالثة) إذا فرغ من السورة قبل أن يركع ، وهى أخفها ، وذلك بقدر ماتنفصل القراءة عن التكبير ، فقد نهى عن الوصل فيه ، ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة ، فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه ، والمقصر هو الامام ، وإن لم يسمع المأموم فى الجهرية لبعده أو كان فى السرية فلا بأس بقراءته السورة

الوظيفة الثالثة : أن يقرأ فى الصبح سورتين من المثانى مادون المائة ، فان الاطالة فى قراءة الفجر والتغليس بها سنة ، ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ، ولا بأس بأن يقرأ فى الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها ، لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا ، فيكون أبلغ فى الوعظ ، وأدعى إلى التفكر ، وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها . وقد روى «أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم[٢] قَرَأَ بَعْضَ سُورَةِ يُونُسَ

---

(١) حديث سمرة بن حندب وعمران بن حصين فى سكتات الأمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتات فى صلاته وقال عمران أنا أحفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا فى ذلك الى أبى بن كعب فكتب أن سمرة قد حفظ هكذا وجدته فى غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف ان عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا فى غير موضع من المسند و د ه حب و ت فأنكر ذلك عمران وقال حفظنا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس فى حديث سمرة الاسكتتان ولكن اختلف عنه فى محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبى هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الأمام فليقرأ بفاتحة الكتاب فى سكتاته

(٢) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبدالله ابن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ

فلمَّا انتهى إلى ذِكْرِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ قَطَعَ فَرَكَعَ » وروى « أنَّهُ صلى الله عليه وسلم[١] قَرَأَ فى الْفَجْرِ آيَةً مِنَ الْبَقَرَةِ وهى قوله : (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا *) وفى الثانية (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ *) »[٢] وسمع بلالا يقرأ من هاهنا وهاهنا فسأله عن ذلك فقال : أخلط الطيب بالطيب فقال : أَحْسَنْتَ

ويقرأ فى الظهر بطول المفصل إلى ثلاثين آية ، وفى العصر بنصف ذلك ، وفى المغرب بأواخر المفصل

وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] الْمَغْرِب قرأ فيها سورة الْمُرْسَلَاتِ ماصلى بعدها حتى قبض

وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع ، قال صلى الله عليه وسلم فى هذه الرخصة[٤] « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ » وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد « كَانَ[٥] مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُصَلِّى بِقَوْمٍ الْعِشَاءَ ، فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّ لِنَفْسِهِ ، فَقَالُوا : نَافَقَ الرَّجُلُ ! فَتَشَاكَيَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَزَجَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُعَاذاً فَقَالَ : أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ اقْرَأْ سُورَةَ سَبِّحْ ، وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا »

---

(١) حديث قرأ فى الفجر ـ قولوا آمنا بالله ـ الآية وفى الثانية ـ ربنا آمنا بما أنزلت ـ م من حديث ابن عباس كان يقرأ فى ركعتى الفجر فى الأولى منهما ـ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ـ الآية التى فى البقرة وفى الآخرة منهما ـ آمنا بالله واشهدوا بأنا مسلمون ـ و د من حديث أبى هريرة ـ قل آمنا بالله وما أنزل علينا ـ الآية وفى الركعة الآخرة ـ ربنا آمنا بما أنزلت أو إنا أرسلناك بالحق ـ

(٢) حديث سمع بلالا يقرأ من هاهنا ومن هاهنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبى هريرة باسناد صحيح نحوه

(٣) حديث قراءته فى المغرب بالمرسلات وهى آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل

(٤) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف . الحديث: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة . الحديث: متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهى عند البيهقى

* البقرة : ١٣٦ * آل عمران : ٥٣

وأما وظائف الأركان فثلاثة :

أولها : أن يخفف الركوع والسجود ، فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث ، فقد روى عن أنس أنه قال [١] « مَا رَأَيْتُ أَخَفَّ صَلَاةً مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي تَمَامٍ » نعم روى أيضا أن أنس بن مالك [٢] لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال « مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ أَشْبَهَ صَلَاةً بِصَلَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ هَذَا الشَّابِّ. قَالَ : وَكُنَّا نُسَبِّحُ وَرَاءَهُ عَشْراً عَشْراً » وروى مجملا أنهم قالوا [٣] « كُنَّا نُسَبِّحُ وَرَاءَ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ عَشْراً عَشْراً » وذلك حسن ، ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن ، فاذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس ، لعشر . هذا وجه الجمع بين الروايات . وينبغى أن يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع : سمع الله لمن حمده

الثانية فى المأموم : ينبغى أن لايساوى الامام فى الركوع والسجود بل يتأخر ، فلايهوى للسجود الا إذا وصلت جبهة الامام إلى المسجد [٤] هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا . وقد قيل : إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام : طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام ، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه ، وطائفة بلاصلاة وهم الذين يسابقون الأمام . وقد اختلف فى أن الإمام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة : ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لابأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين ، فإن حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم

الثالثة : لايزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ، ولا يخص نفسه

---

(١) حديث أنس مارأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام متفق عليه

(٢) حديث أنس انه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب الحديث: د ن باسناد جيد وضعفه ابن القطان

(٣) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا الافى الحديث الذى قبله وفيه فخررنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات

(٤) حديث كان الصحابة لايهوون للسجود الا إذا وصلت جبهة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب

فى الدعاء ، بل يأتى بصيغة الجمع فيقول : اللهم اغفر لنا ، ولا يقول : اغفر لى ، فقد كره للامام أن يخص نفسه . ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فيقول : « نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ » . وقيل سمى مسيحا لأنه يمسح الأرض بطولها . وقيل لأنه ممسوح العين أى مطموسها

وأما وظائف التحلل فثلاثة :

أولها : أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة

الثانية : أن يثبت عقيب السلام (٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فيصلى النافلة فى موضع آخر ، فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن . وفى الخبر المشهور « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم (٣) لَمْ يَكُنْ يَقْعُدُ إِلَّا قَدْرَ قَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »

الثالثة : إذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس . ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام ، فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للامام : ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئا واحدا : إنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ، ثم قالا للناس : ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم ! ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله ، واليمين أحب . هذه وظيفة الصلوات

---

(١) حديث التعوذ فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر ـ الحديث : تقدم وزاد فيه الغزالى هنا واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين . ولم أجده مقيدا بآخر الصلاة وللترمذى من حديث ابن عباس واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون و ك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش وصححهما وسيأتى فى الدعاء .

(٢) حديث المكث بعد السلام خ من حديث أم سلمة

(٣) حديث انه لم يكن يقعد الا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام : م من حديث عائشة

وأما الصبح فزيد فيها القنوت ، فيقول الامام : اللهم اهـدنى ، ويؤمن المأموم . فإذا انتهى إلى قوله : إنك تقضى ولا يقضى عليك ، فلا يليق به التأمين، وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، أو صدقت وبررت ، وما أشبه ذلك وقد روى حديث[1] فى رفع اليدين فى القنوت، فإذا صح الحديث استحب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد ، اذلا يرفع بسببها اليـد ، بل التعويل على التوقيف ، وبينهما أيضا فرق ، وذلك أن للأيدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ، ولاوظيفة لهما هاهنا ، فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت ، فانه لائق بالدعاء . والله أعلم

فهذه جمل آداب القدوة والامامة ، والله الموفق

الباب الخامس

فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة

اعلم أن هـذا يوم عظيم عظَّم الله به الإسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى : (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ *) فحرّم الاشتغال باموز الدنيا ، وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة . وقال صلى الله عليه وسلم:[2] « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْكُمُ ٱلْجُمُعَةَ فِى يَوْمِى هَذَا فِى مَقَامِى هَذَا » وقال صلى الله عليه سلم:[3] « مَنْ تَرَكَ ٱلْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ » وفى لفظ آخر[4] « فَقَدْ نَبَذَ

---

(١) حديث رفع اليدين فى القنوت: البيهقى من حـديث أنس بسند جيد فى قصـة قتل القراء : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم

﴿ الباب الخامس ﴾

(٢) حديث ان الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا ــ الحديث ه من حديث جابر باسناد ضعيف

(٣) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه: أحمد واللفظ له وأصحاب السنن و ك وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى

(٤) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره: البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس

* الجمعة : ٩

ٱلْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال : في النار ، فلم يزل يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول : في النار

وفي الخبر[1] « إِنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَابَيْنِ أُعْطُوا يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ فَٱخْتَلَفُوا فِيهِ فَصُرِفُوا عَنْهُ وَهَدَانَا ٱللهُ تَعَالَى لَهُ ، وَأَخَّرَهُ لِهَذِهِ ٱلْأُمَّةِ وَجَعَلَهُ عِيداً لَهُمْ فَهُمْ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِهِ سَبْقاً وَأَهْلُ ٱلْكِتَابَيْنِ لَهُمْ تَبَعٌ » وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [2] « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ ، وَقَالَ هَذِهِ ٱلْجُمُعَةُ يَفْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيداً وَلِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، قُلْتُ فَمَا لَنَا فِيهَا ؟ قَالَ : لَكُمْ فِيهَا خَيْرُ سَاعَةٍ مَنْ دَعَا فِيهَا بِخَيْرٍ قُسِمَ لَهُ أَعْطَاهُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ إِيَّاهُ أَوْ لَيْسَ لَهُ قَسْمٌ ذُخِرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، أَوْ تَعَوَّذَ مِنْ شَرٍّ هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِلَّا أَعَاذَهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ وهو سَيِّدُ الأيامِ عِنْدَنَا وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي ٱلْآخِرَةِ يَوْمَ ٱلْمَزِيدِ ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ ٱتَّخَذَ فِي ٱلْجَنَّةِ وَادِياً أَفْيَحَ مِنَ ٱلْمِسْكِ أَبْيَضَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ نَزَلَ تَعَالَى مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ »

وقال صلى الله عليه وسلم :[3] « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ : فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُهْبِطَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ مَاتَ ، وَفِيهِ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ، وَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمُ ٱلْمَزِيدِ ، كَذَلِكَ تُسَمِّيهِ ٱلْمَلَائِكَةُ فِي ٱلسَّمَاءِ ، وَهُوَ يَوْمُ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلْجَنَّةِ »

وفي الخبر[4] « إِنَّ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ ٱلنَّارِ » وفي حديث

---

(١) حديث ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه

(٢) حديث أنس أتاني جبريل في كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة ـ الحديث : الشافعي في المسند والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف

(٣) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ـ الحديث : م من حديث أبي هريرة

(٤) حديث ان لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار : عد حب في الضعفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في العلل : والحديث غير ثابت

أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[١] قال : « إِذَا سَلِمَتِ الْجُمُعَةُ سَلِمَتِ الْأَيَّامُ » وقال صلى الله عليه وسلم:[٢] «إِنَّ الْجَحِيمَ تُسَعَّرُ فِى كُلِّ يَوْمٍ قَبْلَ الزَّوَالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ الشَّمْسِ فِى كَبِدِ السَّمَاءِ فَلاَ تُصَلُّوا فِى هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ صَلاَةٌ كُلُّهُ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَا تُسَعَّرُ فِيهِ»

وقال كعب إن الله عز وجل فضّل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ، ومن الأيام الجمعة ، ومن الليالى ليلة القدر . ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضاً فى يوم الجمعة فتقول : سلام سلام ، يوم صالح . وقال صلى الله عليه وسلم :[٣] « مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ ، وَوُقِىَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ »

بيان شروط الجمعة

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات فى الشروط ، وتتميز عنها بستة شروط :

الأول: الوقت ، فان وقعت تسليمة الامام فى وقت العصر فاتت الجمعة ، وعليه أن يتمها ظهرا أربعا . والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف

الثانى: المكان ، فلا تصح فى الصحارى والبرارى وبين الخيام ، بل لابد من بقعة جامعة لأبنية لاتنقل ، بجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة ، والقرية فيه كالبلد ، ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ، ولكن الأحب استئذانه

الثالث : العدد،فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا ، مكلفين ، أحراراً ، مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا ، فان انفضوا حتى نقص العدد إما فى الخطبة أو فى الصلاة ، لم تصح الجمعة ، بل لابد منهم من الأول إلى الآخر

---

(١) حديث أنس اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام: حب فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية وهق فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس

(٢) حديث ان الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس الى أن قال الا يوم الجمعة ـ الحديث: د من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع

(٣) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر: أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وهو وت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس اسناده بمتصل. قلت وصله ت الحكيم فى النوادر .

الرابع : الجماعة ، فلو صلى أربعون فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ، ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية ، وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر ، وإذا سلم الامام تمها ظهرا

الخامس : أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى فى ذلك البلد ، فان تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة ، وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى يقع بها التحريم أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين ، فان تساويا فالمسجد الأقدم ، فان تساويا ففى الأقرب ، ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى

السادس : الخطبتان ، فهما فريضتان ، والقيام فيهما فريضة ، والجلسة بينهما فريضة . وفى الأولى أربع فرائض : التحميد ، وأقله الحمد لله ، والثانية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى ، والرابعة قراءة آية من القرءان ، وكذا فرائض الثانية أربعة ، إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة ، واستماع الخطبتين واجب من الأربعين

وأما السنن :

فاذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية ، والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ، ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام ، فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، ويشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر ، كى لا يعبث بهما ، أو يضع إحداهما على الأخرى ، ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ، ولا يستعمل غريب اللغة ، ولا يمطط ، ولا يتغنى ، وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة . ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضا ، ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب ، فان سلم لم يستحق جوابا ، والاشارة بالجواب حسن ، ولا يشمت العاطسين أيضا . هذه شروط الصحة

فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على ذكر ، بالغ ، عاقل ، مسلم ، حر ، مقيم فى

قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات، أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها، والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت، لقوله تعالى: (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ *) ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره، ثم يستحب لهم أعني أصحاب الأعذار تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة، فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر. والله أعلم

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة

وهي عشرة جمل

الأول: أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها، فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس، لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة. قال بعض السلف: إن لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة. ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها، ويعد الطيب إن لم يكن عنده، ويفرغ قلبه من الأشغال التي تمنعه من البكور إلى الجمعة، وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا، وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو السبت لا مفردا، فإنه مكروه. ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن، فلها فضل كثير، وينسحب عليها فضل يوم الجمعة، ويجامع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة، فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم [1] « رَحِمَ اللهُ مَنْ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَغَسَّلَ وَاغْتَسَلَ » وهو حمل الأهل على الغسل. وقيل: معناه غسل ثيابه، فروي بالتخفيف، واغتسل لجسده. وبهذا تم آداب الاستقبال، ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا: ما هذا اليوم؟ قال بعض السلف: أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس، وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول إيش اليوم؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها

(١) حديث رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل الحديث: أصحاب السنن. وحسنه الترمذي وصححه من حديث أوس بن أوس. من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر - الحديث وحسنه ت.

* الجمعة: ٩

الثانى : إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لايبكر فأقربه إلى الرواح أحب ، ليكون أقرب عهدا بالنظافة ، فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا . وذهب بعض العلماء إلى وجوبه ، قال صلى الله عليه وسلم: [1] « غُسْلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ » والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما [2] « مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « مَنْ شَهِدَ الْجُمُعَةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَلْيَغْتَسِلْ » وكان أهل المدينة إذا تسابَّ المتسابان يقول أحدهما للآخر : لأنت أشر ممن لايغتسل يوم الجمعة [4] وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب : أهذه الساعة !منكرا عليه ترك البكور، فقال : مازدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت ، فقال : والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل!

وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله عنه ، وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم [5] قال « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ » ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة ، فان اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة . وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له : أللجمعة ؟ فقال : بل عن الجنابة ، فقال أعد غسلا ثانياً ، وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم ، وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه . وكان لا يبعد أن يقال : المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ، ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا ، وقد جعل فى الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها . ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله ، والأحب أن يحترز عن ذلك .

---

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم : متفق عليه من حديث أبى سعيد

(٢) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل : متفق عليه . وهذا لفظ حب

(٣) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا : حب وهق من حديث ابن عمر

(٤) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة ـ الحديث: الى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل: متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى عثمان

(٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ـ الحديث: د ت وحسنه و ن من حديث سمرة

الثالث : الزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم ، وهى ثلاثة : الكسوة ، والنظافة ، وتطييب الرائحة

أما النظافة فبالسواك ، وحلق الشعر ، وقلم الظفر وقص الشارب ، وسائر ماسبق فى كتاب الطهارة . قال ابن مسعود : من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء ، فان كان قد دخل الحمام فى الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود ، فليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ، ليغلب بها الروائح الكريهة ، ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين فى جواره . [1] وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه ، وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه . روى ذلك فى الأثر . وقال الشافعى رضى الله عنه : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله

وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب ، إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ، ولا يلبس مافيه شهرة ، ولبس السواد ليس من السنة ، ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لأنه بدعة محدثه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمامة مستحبة فى هذا اليوم [2] روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى أَصْحَابِ الْعَمَائِمِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » فإن أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ، ولكن لاينزع فى وقت السعى من المنزل إلى الجمعة ، ولا فى وقت الصلاة ، ولا عند صعود الامام المنبر ولا فى خطبته

الرابع : البكور إلى الجامع ، ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين ، وثلاث ، وليبكر . ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر ، وفضل البكور عظيم . وينبغى أن يكون فى سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف فى المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه ، والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه.

---

(١) حديث طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه: د ت وحسنه و ن من حديث أبى هريرة

(٢) حديث واثلة بن الأسقع ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة: ط وعد وقال منكر من حديث أبى الدرداء ولم أره من حديث واثلة

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ ، فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا جَاءَ لِحَقِّ الصَّلَاةِ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ شَيْءٌ » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال ، وفضلها قليل ، ووقت الزوال حق الصلاة ، ولا فضل فيه

وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « ثَلَاثٌ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِيهِنَّ لَرَكَضُوا رَكْضَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِهِنَّ : الْأَذَانُ ، وَالصَّفُّ الْأَوَّلُ ، وَالْغُدُوُّ إِلَى الْجُمُعَةِ » وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : أفضلهن الغدو إلى الجمعة . وفي الخبر: (٣) « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ بِأَيْدِيهِمْ صُحُفٌ مِنْ فِضَّةٍ وَأَقْلَامٌ مِنْ ذَهَبٍ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ » وجاء في الخبر : (٤) « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَفَقَّدُونَ الرَّجُلَ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ

---

(١) حديث من راح الى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ـ الحديث متفق عليه : من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل في طلبهن الأذان والصف الأول والغدو الى الجمعة : أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ما أخذته الا بالاستهام عليها حرصا على مافيهن من الخير والبركة ـ الحديث قال والتهجير الى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس مافي النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون مافي التهجير لاستبقوا اليه

(٣) حديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب ـ الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب

(٤) حديث ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً مافعل فلان

يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْهُ : مَا فَعَلَ فُلاَنٌ وَمَا الَّذِى أَخَّرَهُ عَنْ وَقْتِهِ ؟ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَخَّرَهُ فَقْرٌ فَأَغْنِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ مَرَضٌ فَاشْفِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ شُغْلٌ فَفَرِّغْهُ لِعِبَادَتِكَ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ لَهْوٌ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِهِ إِلَى طَاعَتِكَ »

وكان يرى فى القرن الأول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ، ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك . فقيل : أول بدعة حدثت فى الإسلام ترك البكور إلى الجامع ، وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ، وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح ، فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة

ويقال إن الناس يكونون فى قربهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة . ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور ، فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبا لها : رابع أربعة ، وما رابع أربعة من البكور ببعيد

الخامس : فى هيئة الدخول ، ينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس ، ولا يمر بين أيديهم ، والبكور يسهل ذلك عليه ، فقد ورد وعيد شديد [١] فى تَخَطِّى الرِّقَابِ وهو أنه يُجْعَلُ جِسْراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَخَطَّاهُ النَّاسُ [٢] وروى ابن جريج مرسلا : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ رَأَى رَجُلاً يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى تَقَدَّمَ فَجَلَسَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ عَارَضَ الرَّجُلَ حَتَّى لَقِيَهُ فَقَالَ : يَا فُلاَنُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجَمِّعَ الْيَوْمَ مَعَنَا ؟ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ جَمَّعْتُ مَعَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ نَرَكَ تَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ! ؟ » أشار به إلى أنه أحبط عمله

هق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص باسناد حسن واعلم أن المصنف ذكر هذ أثرا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وانما ذكرناه احتياطا

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم : ت وضعفه و هو من حديث معاذ بن أنس

(٢) حديث ابن جريج مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب اذ رآى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك فى الرقائق

وفى حديث مسند أنه قال : [١] « مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا ؟ قَالَ : أَوَلَمْ تَرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُكَ تَأَنَّيْتَ وَآذَيْتَ » : أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور . ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس ، لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم . وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله

السادس : أن لا يمر بين يدى الناس ويجلس حيث هو إلى قرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه ، أعنى بين يدى المصلى ، فإن ذلك لا يقطع الصلاة ، ولكنه منهى عنه ، قال صلى الله عليه وسلم [٢] : « لَأَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ عَاماً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي » وقال صلى الله عليه وسلم : [٣] « لَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ رَمَاداً رَمْدِيداً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي » وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع ، فقال : « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي وَالْمُصَلِّي مَا عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » والإسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلى ، فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه ، قال صلى الله عليه وسلم : [٤] « لِيَدْفَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيَدْفَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ »

وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه ، فربما

---

(١) حديث مامنعك أن تصلى معنا فقال أولم ترنى قال رأيتك آنيت وآذيت : د ن حب ك من حديث عبد الله بن بسر مختصرا

(٢) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى: البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لاأدرى أربعين يوما أو شهراً أو سنة و ه وحب من حديث أبى هريرة مائة عام

(٣) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى: أبو نعيم فى تاريخ اصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا

(٤) حديث لو يعلم المار بين المصلى والمصلى ماعليها فى ذلك ـ الحديث : رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح

(٥) حديث أبى سعيد فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان ـ متفق عليه

تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان ، فيخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فإن لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده

السابع:أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما رويناه وفى الحديث :[١] « مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ وَزِيَادَةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ » وفى لفظ آخر : « غَفَرَ اللهُ لَهُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى »[٢]

وقد اشترط فى بعضها : ولم يتخط رقاب الناس

ولا يغفل فى طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور :

أولها : أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير أو غيره من الإمام أو غيره ، أو صلى فى سلاح كثير ثقيل شاغل ، أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الإنكار ، فالتأخر له أسلم وأجمع للهم . فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة . قيل لبشر بن الحارث : نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف . فقال : إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد ، وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه . ونظر سفيان الثورى إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبى جعفر المنصور ،فلما فرغ من الصلاة قال: شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال ياأبا عبد الله أليس فى الخبر[٣] أُدْنُ وَاسْتَمِعْ؟ فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل . وقال سعيد بن عامر : صليت إلى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صلينا قلت له : أليس يقال :خير الصفوف أولها؟

---

(١) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع ـ الحديث : ك من حديث أوس ابن أوس وأصله عند أصحاب السنن

(٢) حديث انه اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس: د حب ك من حديث أبى سعيد وابى هريرة وقال صحيح على شرط م

(٣) حديث أدن فاستمع: د من حديث سمرة أحضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد

قال نعم [١] إلا أن : هذه الأمة : مرحومة منظور إليها من بين الأمم ، فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ، فانما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله إليه · وروى بعض الرواة أنه قال سممت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك · فمن تأخر على هذه النية إيثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس . وعند هذا يقال : الأعمال بالنيات

ثانيها : إن لم تكن مقصورةٌ عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الأوّل محبوب ، وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة. كان الحسن وبكر المزنى لايصليان فى المقصورة ، ورأيا أنها قصرت على السلاطين ، وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساجد ، والمسجد مطلق لجميع الناس ، وقد اقتطع ذلك على خلافه ، وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب . ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع . فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة

وثالثها : أن المنبر يقطع بعض الصفوف ، وإنما الصف الأوّل الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر ، وما على طرفيه مقطوع . وكان الثورى يقول : الصف الأوّل هو الخارج بين يدى المنبر . وهو متجه لأنه متصل ، ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه . ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأوّل ، ولا يراعى هذا المعنى . وتكره الصّلاة فى الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد . وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب

الثامن : أن يقطع الصّلاة عند خروج الأمام ، ويقطع الكلام أيضاً بل يشتغل بجواب المؤذن ، ثم باستماع الخطبة ، وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ، ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ، ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء ، لأنه وقت فاضل ، ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه .

---

(١) حديث أبى الدرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور اليها من بين الأمم وإن الله اذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده

وقد روى عن على وعثمان رضى الله عنهما أنهما قالا: من استمع وأنصت فله أجران، ومن لم يستمع وأنصت فله أجر، ومن سمع ولغا فعليه وزران، ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد

وقال صلى الله عليه وسلم: [1] « مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ أَوْ مَهْ فَقَدْ لَغَا وَمَنْ لَغَا وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلَا جُمْعَةَ لَهُ » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغى أن يكون بإشارة أو رمى حصاة لا بالنطق وفى حديث أبى ذر: [2] « أَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ أُبَيًّا وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ فَقَالَ مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنِ اسْكُتْ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ أُبَيٌّ اذْهَبْ فَلَا جُمْعَةَ لَكَ، فَشَكَاهُ أَبُو ذَرٍّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: صَدَقَ أُبَيٌّ. وإن كان بعيداً من الإمام فلا ينبغى أن يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت، لأن كل ذلك يتسلسل ويفضى إلى هينمة حتى ينتهى إلى المستمعين، ولا يجلس فى حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب. وإذا كانت تكره الصلاة فى وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية

وقال على كرم الله وجهه: تكره الصلاة فى أربع ساعات: بعد الفجر، وبعد العصر، ونصف النهار، والصلاة والإمام يخطب

التاسع: أن يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيرها، فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة، فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم، وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعاً سبعاً. وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاً له من الشيطان

---

(١) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لاجمعة له: ت ن عن أبى هريرة د و ت قوله ومن لغا فلا جمعة له قال ت حديث حسن صحيح وهو فى الصحيحين بلفظ اذا قلت لصاحبك و د من حديث على من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له

(٢) حديث أبى ذر لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة ـ الحديث: هق وقال فى المعرفة أسناده صحيح د هـ من حديث أبى بن كعب بسند صحيح ان السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولاحمد من حديث أبى الدرداء انه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر أن السائل عبد الله بن مسعود ولأبى يعلى من حديث جابر قال: قال سعد بن أبى وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: لم يا سعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد

ويستحب أن يقول بعد الجمعة : اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغننى بحلالك عن حرامك و بفضلك عمن سواك . يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب . ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما : « أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم [٣] كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ » وروى أبو هريرة أربعاً [٤] وروى على وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما ستا [٥] والكل صحيح فى أحوال مختلفة ، والأكمل أفضل

العاشر : أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر ، فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل . يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ، ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة ، فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعنى . فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً الله عز وجل ، مفكراً فى آلائه ، شاكراً لله تعالى على توفيقه ، خائفاً من تقصيره ، مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس ، حتى لا تفوته الساعة الشريفة . ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا ، قال صلى الله عليه وسلم : [٦] « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ أَمْرُ دُنْيَاهُمْ لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ حَاجَةٌ فَلَا تُجَالِسُوهُمْ »

بيان السنن والآداب الخارجة عن الترتيب السابق

الذى يعم جميع النهار ، وهى سبعة أمور

الأول : أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ، ولا يحضر مجالس القُصاص فلا خير فى كلامهم ، ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات

---

(١) حديث ابن عمر فى الركعتين بعد الجمعة ـ متفق عليه

(٢) حديث أبى هريرة فى الأربع ركعات بعد الجمعة : م اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا

(٣) حديث على وعبد الله فى صلاة ست ركعات بعد الجمعة: هق مرفوعا عن على وله موقوفا على ابن مسعود أربعا و د ·من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا

(٤) حديث يأتى على أمتى زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ـ الحديث: هق فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده ك من حديث أنس وصحح اسناده وحب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم

حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير ، ولا ينبغى أن يحضر الحلق قبل الصّلاة . وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] نَهَى عَنِ التَّحَلُّقِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ » إلا أن يكون عالما بالله ، يذكر بأيام الله ، ويفقه فى دين الله ، يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع ، واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل [٢] فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ، قال أنس بن مالك فى قوله تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ *) : أما إنه ليس بطلب دنيا ، ولكن عيادة مريض وشهود جنازة ، وتعلم علم ، وزيارة أخ فى الله عز وجل

وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع : قال تعالى : (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا *) وقال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً *) يعنى العلم . فتعلمُ العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات ،

والصّلاة أفضل من مجالس القُصّاص ، إذ كانوا يرونه بدعة ، ويخرجون القصاص من الجامع . بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه فى المسجد الجامع فاذا قاصٌ يقص فى موضعه ، فقال : قم عن مجلسى ، فقال : لا أقوم وقد جلست وسبقتك اليه . فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه . فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته ، فقد قال صلى الله عليه وسلم: [٣] « لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا» وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه . وروى أن قاصّاً كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها ، فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى ، فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده

---

(١) حديث عبد الله بن عمر فى النهى عن التحلق يوم الجمعة : د ن و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر

(٢) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم فى العلم

(٣) حديث لايقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر

* الجمعة : ١٠ * النساء : ١١٣ * سبأ : ١٠

الثانى : أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ، ففى الخبر المشهور [١] « إِنَّ فِى الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ » وفى خبر آخر [٢] « لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ يُصَلِّى » واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس . وقيل عند الزوال . وقيل مع الأذان . وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ فى الخطبة . وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة . وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار . وقيل قبل غروب الشمس [٣] . وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها ، فتأخذ فى الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس ، وتخبر بأن تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم وعليها . وقال بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر ، حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها . وقيل إنها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر . وهذا هو الأشبه ، وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ، ولكن ينبغى أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِى أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام ، فينبغى أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها بإحضار القلب ، وملازمة الذكر ، والنزوع عن وساوس الدنيا ، فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات

وقد قال كعب الأحبار : [٥] إنها فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، وذلك عند الغروب ، فقال أبو هريرة : وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة ، فقال كعب : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث ان فى الجمعة ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه: ت ه من حديث عمرو ابن عوف المزنى

(٢) حديث لا يصادفها عبد مصل : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث فاطمة فى ساعة الجمعة : قط فى العلل هق فى الشعب وعلته الاختلاف

(٤) حديث إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ـ الحديث: الحكيم فى النوادر وطب فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث أبى هريرة واختلف فى أسناده

(٥) حديث اختلاف كعب وأبى هريرة فى ساعة الجمعة وقول أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام

« مَنْ قَعَدَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ » قال بلى ، قال فذلك صلاة ، فسكت أبو هريرة . وكان كعب مائلاً إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم ، وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل . وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر ، فليكثر الدعاء فيهما

الثالث : يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَمَانِينَ مَرَّةً غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَ ثَمَانِينَ سَنَةً . قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَتَعْقِدُ وَاحِدَةً ، وَإِنْ قُلْتَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً وَلِحَقِّهِ أَدَاءً وَأَعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ وَاجْزِهِ عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ وَاجْزِهِ أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم ، وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة (٢) فقال « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَضَائِلَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ وَشَرَائِفَ زَكَوَاتِكَ وَرَأْفَتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَتَحِيَّتَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَائِدِ الْخَيْرِ وَفَاتِحِ الْبِرِّ وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَسَيِّدِ الْأُمَّةِ اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا تُزْلِفُ بِهِ قُرْبَهُ وَتُقِرُّ بِهِ عَيْنَهُ يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ اللَّهُمَّ أَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالْوَسِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الشَّامِخَةَ الْمُنِيفَةَ ، اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا

من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة قلت وقع فى الاحياء أن كعبا هو القائل أنها آخر ساعة وليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فانما قال إنها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه د ت ن حب من حديث أبى هريرة و ه نحوه من حديث عبد الله بن سلام

(١) حديث من صلى فى يوم الجمعة ثمانين مرة ـ الحديث : قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن

(٢) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك ـ الحديث : ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود

سُؤْلَهُ وَبَلِّغْهُ مَأْمُولَهُ وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ ، اللَّهُمَّ عَظِّمْ بُرْهَانَهُ وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ وَأَبْلِغْ حُجَّتَهُ وَارْفَعْ فِي أَعْلَى الْمُقَرَّبِينَ دَرَجَتَهُ ؛ اللَّهُمَّ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ وَأَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ وَلَا شَاكِّينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا فَاتِنِينَ وَلَا مَفْتُونِينَ ، آمِينَ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ »

وعلى الجملة فكل ماأتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا ، وينبغى أن يضيف إليه الاستغفار ، فإن ذلك أيضاً مستحب فى هذا اليوم

الرابع : قراءة القرآن فليكثر منه ، وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما [1] « أَنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْيَوْمَ الْجُمُعَةِ أُعْطِيَ نُورًا مِنْ حَيْثُ يَقْرَؤُهَا إِلَى مَكَّةَ وَغُفِرَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَصَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَعُوفِيَ مِنَ الدَّاءِ وَالدُّبَيْلَةِ وَذَاتِ الْجَنْبِ وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ » ويستحب أن يختم القرءان فى يوم الجمعة وليلتها إن قدر، وليكن ختمه للقرءان فى ركعتى الفجر إن قرأ بالليل . أوفى ركعتى المغرب ، أو بين الأذان والإقامة للجمعة ، فله فضل عظيم . وكان العابدون يستحبون أن يقرءوا يوم الجمعة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ألف مرة ، ويقال إن من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة ، وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة . وكانوا يقولون : سبحان الله والحمدلله ولا إله إلاالله والله أكبر ألف مرة ، وإن قرأ المسبعات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن ، وليس يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورا بأعيانها إلا فى يوم الجمعة وليلتها « كَانَ [2] يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ »

---

(١) حديث ابن عباس وأبى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ـ الحديث : لم أجده من حديثهما

(٢) حديث القراءة فى المغرب ليلة الجمعة قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى عشائها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث سمرة وفى ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لايصح مسندا ولا مرسلا

وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] كَانَ يَقْرَؤُهُمَا فِى رَكْعَتَىِ الْجُمُعَةِ وَكَانَ يَقْرَأُ فِى الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سُورَةَ سَجْدَةِ لُقْمَانَ وَسُورَةَ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ »

الخامس : الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لايجلس حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن [٢] قل هو الله أحد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة ، فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ مَنْ فَعَلَهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ » أَوْ يرى لَهُ ، ولايدع ركعتى التحية وإن كان الإمام يخطب ، ولكن يخفف [٣] أَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وفى حديث غريب « أنَّهُ صلى الله عليه وسلم [٤] سَكَتَ لِلدَّاخِلِ حَتَّى صَلَّاهُمَا » فَقَالَ الكوفيون إن سكت له الإمام صلاهما . ويستحب فى هذا اليوم أوفى ليلته أن يصلى أربع ركعات بأربع سور : الأنعام ، والكهف ، وطه ، ويس . فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ، ولايدع قراءة هذه الأربع سور فى ليلة الجمعة ، ففيها فضل كثير . ومن لايحسن القرءان قرأ مايحسن فهو له بمنزلة الختمة ، ويكثر من قراءة سورة الإخلاص . ويستحب أن يصلى صلاة التسبيح كما سيأتى فى باب التطوّعات كيفيتها [٥] لأنَّهُ صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس « صَلِّهَا فِى كُلِّ جُمُعَةٍ » وكان ابن عباس رضى الله عنهما لايدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال ، وكان يخبر عن جلالة فضلها . والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة ، وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم ، وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار

---

(١) حديث القراءة فى الجمعة بالجمعة والمنافقين وفى صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى: م من حديث ابن عباس وأبى هريرة

(٢) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتى مرة ـ الحديث الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا

(٣) حديث الامر بالتخفيف فى التحية إذا دخل والامام يخطب: م من حديث جابر وخ الامر بالركعتين ولم يذكر التخفيف

(٤) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية: قط من حديث أنس وقال أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلا

(٥) حديث صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها فى كل جمعة : د ه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عق وغيره ليس فيها حديث صحيح

السادس : الصدقة مستحبة فى هذا اليوم خاصة ، فإنها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم فى كلام الإمام ، فهذا مكروه . وقال صالح بن محمد : سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبى ، فأعطى رجل أبى قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبى . وقال ابن مسعود : إذا سأل رجل فى المسجد فقد استحق أن لا يعطى ، وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه . ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال فى الجامع الذين يتخطون رقاب الناس ، إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً فى مكانه من غير تخط وقال كعب الأحبار : من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول : اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم ، وباسمك الذى لا إله إلا الله هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه . وقال بعض السلف : من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام : بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفر لى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له

السابع : أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ، ويكثر فيه الأوراد ، ولا يبتدئ فيه السفر[1] فقد روى « أَنَّهُ مَنْ سَافَرَ فِى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ دَعَا عَلَيْهِ مَلَكَاهُ » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت . وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فان البيع والشراء فى المسجد مكروه ، وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أوسبل فى المسجد

وبالجملة ينبغى أن يزيد فى الجمعة فى أوراده وأنواع خيراته ، فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله فى الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال ، وإذا مقته استعمله فى الأوقات الفاضلة بسيئ الأعمال ، ليكون ذلك أوجع فى عتابه ، وأشد لمقته ، لحرمانه بركة الوقت ، وانتهاكه حرمة الوقت . ويستحب فى الجمعة دعوات وسيأتى ذكرها فى كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى . وصلى الله على كل عبد مصطفى

---

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه : قط فى الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

الباب السادس

فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها

فأما المسائل التى تقع نادرة فقد استقصيناها فى كتب الفقه

مسألة :

الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصّلاة فهو مكروه إلا لحاجة ، وذلك فى دفع المار ، وقتل العقرب التى تخاف ويمكن قتلها بضربة أوبضربتين ، فإذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصّلاة ، وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعها ، وكذلك حاجته إلى الحك الذى يشوش عليه الخشوع . كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث فى الصّلاة ، وابن عمر كان يقتل القملة فى الصّلاة حتى يظهر الدم على يده . وقال النخعى . يأخذها ويوهنها ولا شىء عليه إن قتلها . وقال ابن المسيب يأخذها ويخدّرها ثم يطرحها . وقال مجاهد : الأحب إلىّ أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى ثم يلقيها . وهذه رخصة ، وإلا فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن قل ، ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب ، وقال : لا أعود نفسى ذلك فيفسد علىّ صلاتى ، وقد سمعت أن الفساق بين يدى الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون . ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى ، وإن عطس حمد الله عز وجل فى نفسه ولا يحرك لسانه ، وإن تجشأ فينبغى أن لا يرفع رأسه إلى السماء ، وإن سقط رداؤه فلا ينبغى أن يسويه ، وكذلك أطراف عمامته ، فكل ذلك مكروه إلا لضرورة

مسألة :

الصّلاة فى النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة فى الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفى معناها المداس « صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] فِى نَعْلَيْهِ ثُمَّ نَزَعَ فَنَزَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ ، فَقَالَ لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَاكَ

﴿ الباب السادس ﴾

(١) حديث صلى فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم ـ الحديث : أحمد واللفظ له دك وصححه من حديث أبى سعيد

خَلَعْتَ نَخَلَعْنَا ، فَقَالَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ بِهِمَا خَبَثًا ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَقْلِبْ نَعْلَيْهِ وَلْيَنْظُرْ فِيهِمَا فَإِنْ رَأَى خَبَثًا فَلْيَمْسَحْهُ بِالْأَرْضِ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا » وقال بعضهم : الصّلاة فى النعلين أفضل ، لأنه صلى الله عليه وسلم قال : لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ ؟ وهذه مبالغة ، فإنه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب[1] « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَعَ نَعْلَيْهِ » فإذاً قد فعل كليهما ، فمن خلع فلا ينبغى أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف ، بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما . ولعل من رأى الصّلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما ، . روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم[2] قال : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ نَعْلَيْهِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما « وَوَضَعَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] عَلَى يَسَارِهِ وَكَانَ إِمَامًا » فللإمام أن يفعل ذلك ، إذ لا يقف أحد على يساره ، والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ، ولعله المراد بالحديث . وقد قال جبير بن مطعم : وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة

مسألة :

إذا بزق فى صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ، وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام ، إلا أنه مكروه ، فينبغى أن يحترز منه ، إلا كما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : إذ روى بعض الصحابة « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] رَأَى فِي الْقِبْلَةِ نُخَامَةً فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ثُمَّ حَكَّهَا بِعُرْجُونٍ كَانَ فِي يَدِهِ وَقَالَ ائْتُونِي بِعَبِيرٍ فَلَطَخَ أَثَرَهَا بِزَعْفَرَانٍ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُبْزَقَ فِي وَجْهِهِ ؟

---

(١) حديث عبد الله بن السائب فى خلع النبى صلى الله عليه وسلم نعليه : م

(٢) حديث أبى هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه : د بسند صحيح وضعفه المنذرى وليس بجيد

(٣) حديث وضعه نعليه على يساره : م من حديث عبد الله بن السائب

(٤) حديث رأى فى القبلة نخامة فغضب ـ الحديث : م من حديث جابر واتفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبى سعيد وأبى هريرة وابن عمر

فَقُلْنَا لَا أَحَدَ ، قَالَ : فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ » وفي لفظ آخر : « وَاجَهَهُ اللهُ تَعَالَى فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ شِمَالِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى فَإِنْ بَدَرَتْهُ بَادِرَةٌ فَلْيَبْصُقْ فِي ثَوْبِهِ وَلْيَقُلْ بِهِ هَكَذَا » وَدَلَكَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ

مسألة :

لوقوف المقتدى سنة وفرض . أما السنة فأن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخراً عنه قليلا ، والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام ، فان وقفت بجنب الإمام لم يضر ذلك ، ولكن خالفت السنة ، فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الإمام وهي خلف الرجل ، ولا يقف أحد خلف الصف منفرداً ، بل يدخل في الصف ، أو يجرّ إلى نفسه واحداً من الصف ، فان وقف منفرداً صحت صلاته مع الكراهية

وأما الفرض فاتصال الصف ، وهو أن يكون بين المقتدى والإمام رابطة جامعة ، فإنهما في جماعة ، فإن كانا في مسجد كفي ذلك جامعاً لأنه بني له ، فلا يحتاج إلى اتصال صف ، بل إلى أن يعرف أفعال الإمام . صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الإمام . وإذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرّق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم ، وكفى بها رابطة ، إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر ، وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطىء في المسجد ، فالشرط أن يمد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه ، وهكذا حكم الأبنية المختلفة ، فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء

مسألة :

المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أوّل صلاته ، فليوافق الإمام وليبن عليه ، وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الإمام ، وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء ، وليبدأ بالفاتحة وليخففها ، فان ركع الإمام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم ، فان عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق

وإن ركع الإمام وهو فى السورة فليقطعها ، وإن أدرك الإمام فى السجود أو التشهد كبّر للإحرام ثم جلس ولم يكبر ، بخلاف ما إذا أدركه فى الركوع فإنه يكبر ثانيا فى الهوى ، لأن ذلك انتقال محسوب له ، والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ، ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعاً فى الركوع والامام بعد فى حدّ الراكعين ، فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حدّ الراكعين فاتته تلك الركعة

مسألة :

من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أوّلا ثم العصر ، فان ابتدأ بالعصر أجزأه ، ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف ، فان وجد إماماً فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده ، فإن الجماعة بالأداء أوّلى ، فان صلى منفردا فى أوّل الوقت ثم أدرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت ، والله يحتسب أيهما شاء ، فانْ نوى فائتة أو تطوّعا جاز ، وان كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة ، فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له ، وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة

مسألة :

من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ، ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم ، والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة

مسألة :

من ترك التشهد الأوّل أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأول أو فعل فعلا سهوا ، وكانت تبطل الصلاة بتعمده ، أوشك فلم يدر أصلى ثلاثا أو أربعا ، أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام ، فان نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب ، فإن سجد بعد السلام ، وبعد أن أحدث ، بطلت صلاته ، فإنه لما دخل

في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا فى غير محله ، فلا يحصل التحلل به ، وعاد إلى الصلاة ، فلذلك يستأنف السلام بعد السجود ، فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد ، أو بعد طول الفصل فقدفات

مسألة :

الوسوسة فى نية الصلاة : سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع ، لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره ، وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ، ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى ، كان سفها فى عقله ، بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما ، إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة . واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل ، وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما ، فانه لوقام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكون معظما . ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة ، وأن تكون مقصودة ، ثم لايطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة ، وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها ، إما تلفظا باللسان ، وإما تفكراً بالقلب ، فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية ، فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت ، فالوسوسة محض الجهل ، فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ، ولا تكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها ، وفرق بين حضور الشيء فى النفس وبين تفصيله بالفكر ، والحضور مضاد للعزوب والغفلة وإن لم يكن مفصلا ، فان من علم الحادث مثلا فيعامه بعلم واحد فى حالة واحدة ، وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وإن لم تكن مفصلة ، فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدّم والتأخر والزمان ، وأن التقدم للعدم ، وأن التأخر للوجود . فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث ، بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لوقيل له : هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط ، كان كاذبا ، وكان قوله مناقضاً لقوله : إنى أعلم الحادث

ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس ، فان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها ، وذلك محال، ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لأجل العالم لتعذر عليه ، فبهذه المعرفة يندفع الوسواس ، وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه فى النية كامتثال أمر غيره

ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول : لولم يفهم الموسوس النية إلا باحضار هذه الأمور مفصلة ، ولم يتمثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة ، وأحضر جملة ذلك فى أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية ، كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأوّل التكبير أو آخره ، فان ذلك تكليف شطط ، ولوكان مأموراً به لوقع للأوّلين سؤال عنه ، ولوسوس واحد من الصحابة فى النية ، فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل ، فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغى أن يقنع به حتى يتعوّد ذلك وتفارقه الوسوسة ، ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك ، فان التحقيق يزيد فى الوسوسة . وقد ذكرنا فى الفتاوى وجوهاً من التحقيق فى تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها ، أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس ، فلذلك تركناها

مسألة :

ينبغى أن لا يتقدّم المأموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الأعمال ، ولا ينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره ، فهذا معنى الاقتداء ، فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه ، فان تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف ، ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الإمام ، بل هذا أولى ، لأن الجماعة اقتداء فى الفعل لا فى الموقف ، فالتبعية فى الفعل أهمّ ، وإنما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلاً للمتابعة فى الفعل ، وتحصيلا لصورة التبعية ، إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم ، فالتقدم عليه فى الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً ، ولذلك شدد رسول الله

صلى الله عليه وسلم النكير فيه فقال[1] « أَما يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ » وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة ، وذلك بأن يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ، ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه ، فان وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته ، وكذا إن وضع الامام جبهته للسجود الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الأوّل

مسألة :

حق على من حضر الصّلاة إذا رأى من غيره إساءة فى صلاته أن يغيره وينكر عليه ، وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه ، فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد الوقوف خارج الصف ، والانكار على من يرفع رأسه قبل الإمام ، إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم [2] « وَيْلٌ لِلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَا يُعَلِّمُهُ » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها . وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها ، فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة . وجاء[3] فى الحديث « أَنَّ بِلَالاً كَانَ يُسَوِّى الصُّفُوفَ وَيَضْرِبُ عَرَاقِيبَهُمْ بِالدِّرَّةِ » وعن عمر رضى الله عنه قال : تفقدوا اخوانكم فى الصلاة فإذا فقدتموهم ، فان كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم . والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ، ولا ينبغى أن يتساهل فيه . وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى . ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ، ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] حتى قيل له . تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ عَمَرَ مَيْسَرَةَ الْمَسْجِدِ كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ » ومهما وجد غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه ، أعنى إذا لم يكن بالغا . وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى . وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

---

(١) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام : متفق عليه . من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ويل للعالم من الجاهل ـ الحديث : صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة : لم أجده

(٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد ـ الحديث : ه من حديث ابن عمر بسند ضعيف

الباب السابع

في النوافل من الصلوات

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : سنن ، ومستحبات ، وتطوعات . ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه : كالرواتب عقيب الصلوات ، وصلاة الضحى ، والوتر ، والتهجد ، وغيرها ، لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ، ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع ، وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه ، وأمثاله . ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصّلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقاً فكأنه متبرع به ، إذ لم يندب إلى تلك الصّلاة بعينها وإن ندب إلى الصّلاة مطلقاً . والتطوع عبارة عن التبرع . وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض . فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ، ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح ، فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد . وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعرّفة لفضلها ، وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ، وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ، ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد ، وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ، ثم الكسوف ، ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ، ثم ركعتا الفجر ، ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها

واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء ، وإلى ما يتعلق بأوقات ، والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة ، أو بتكرر الأسبوع ، أو بتكرر السنة . فالجملة أربعة أقسام

القسم الأول

ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية : خمسة هي رواتب الصلوات الخمس ، وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح ، وهي ركعتان : قال رسول الله صلى الله عليه سلم : [1] « رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . ويدخل وقتهـا بطلوع الفجر الصـادق ، وهو المستطير دون المستطيل ، وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله ، إلا أن يتعلم منـازل القمر ، أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر ، فيستدل بالكواكب عليه ، ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر ، فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ، ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر . هذا هو الغالب . ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج . وشرح ذلك يطول . وتعلُّم منازل القمر من المهات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح. ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض ، فان دخل المسجد وقد قامت الصَّلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم [2] قال : « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما . والصحيح أنهما أداء ما وقعتا قبل طـلوع الشمس ، لأنهما تابعتان للفرض في وقته ، وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة ، فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء . والمستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ، ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة ، وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة

الثانية : راتبة الظهر ، وهي ست ركعات : ركعتان بعدها وهي أيضاً سنة مؤكدة ، وأربع قبلها وهي أيضاً سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين . روى أبو هريرة

﴿ الباب السابع ﴾

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا ـ الحديث : م من حديث عائشة

(٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال : « مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ يُحْسِنُ قِرَاءَتَهُنَّ وَرُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى اللَّيْلِ » « وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] لا يَدَعُ أَرْبَعاً بَعْدَ الزَّوَالِ ، يُطِيلُهُنَّ وَيَقُولُ إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفَتَّحُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهَا عَمَلٌ » رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ، ودل عليه أيضاً ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم [3] أنه قال : « مَنْ صَلَّى فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ : رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَأَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [4] فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ رَكَعَاتٍ فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فانه قال : تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن حدثتني أختي حفصة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج . وقال في حديثه : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد العشاء ، فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة . ويدخل وقت ذلك بالزوال

والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق ، إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل ، فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار ، فيكون ذلك منتهى نقصان الظل ، فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة ،

---

(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن ـ الحديث : ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة

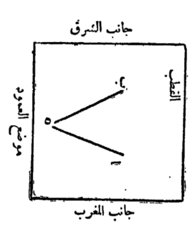
(٢) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعا بعد الزوال ـ الحديث : أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود و ه مختصرا و ت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن

(٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة ـ الحديث : ن ك وصحح إسناده على شرط م ورواه م مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات

(٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات ـ الحديث متفق عليه واللفظ خ ولم يقل في كل يوم

فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ، ويعلم قطعاً أن الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ، ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس . والقدر الباقى من الظل الذى منه يأخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ، ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ، ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان . ويعرف ذلك بالأقدام والموازين

ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القلب الشمالى بالليل ويضع على الأرض لوحا مربعاً وضعاً مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين ، أى لا يكون الخط مائلا إلى أحد الضلعين ، ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستويا فى موضع علامة ه وهو بازاء القطب ، فيقع ظله على اللوح فى أول النهار مائلا إلى جهة المغرب فى صوب خط ا ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ، ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل إلى أحدهما فاذا بطل ميله إلى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع ، فإذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس . وهذا يدرك بالحس تحقيقاً فى وقت هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ، ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة ، فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر . فهذا القدر لا بأس بمعرفته فى علم الزوال . وهذه صورته



الثالثة : راتبة العصر ، وهى أربع ركعات قبل العصر ، روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [١] : « رَحِمَ اللهُ عَبْداً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعاً » ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكداً ، فان دعوته تستجاب لامحالة. ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر

الرابعة : راتبة المغرب ، وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما . وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبىّ ابن كعب وعبادة بن الصامت وأبى ذر وزيد بن ثابت وغيرهم ، قال عبادة أو غيره « كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَذَّنَ لِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ ابْتَدَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] السَّوَارِيَ يُصَلُّونَ رَكْعَتَيْنِ » وقال بعضهم : [٣] « كُنَّا نُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَدْخُلَ الدَّاخِلُ فَيَحْسَبُ أَنَّا صَلَّيْنَا فَيَسْأَلُ : أَصَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ ؟ » وذلك يدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم : [٤] « بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ لِمَنْ شَاءَ » وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما ، فقيل له فى ذلك فقال : لم أر الناس يصلونهما فتركتهما ، وقال: لئن صلاهما الرجل فى بيته أو حيث لا يراه الناس لحسن

ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار فى الأراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال ، فإن كانت محفوفة بها فى جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق ، قال صلى الله عليه وسلم [٥] « إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ » والأحب المبادرة فى صلاة المغرب خاصة ، وإن أخرت وصليت

---

(١) حديث أبى هريرة رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر : دت حب من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبى هريرة

(٢) حديث عبادة أو غيره فى ابتدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه : من حديث أنس لا من حديث عبادة وروى عبد الله ابن أحمد فى زيادات المسند أن أبى بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب

(٣) حديث كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا : م من حديث أنس

(٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء : متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل

(٥) حديث اذا أقبل الليل من هاهنا ـ الحديث : متفق عليه من حديث عمر

قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء، ولكنه مكروه. وأخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة، وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين

الخامسة: راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة، قالت عائشة رضى الله عنها «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)] يُصَلِّي بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ يَنَامُ» واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة: ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وأربع قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وثلاث بعد العشاء الآخرة، وهى الوتر [(٢)] ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير، فقد قال صلى الله عليه وسلم [(٣)] «الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ فَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ وَمَنْ شَاءَ أَقَلَّ» فإذًا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته فى الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض، وترك الآكد أبعد، لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل، فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر

السادسة: الوتر، قال أنس بن مالك «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٤)] يُوتِرُ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الثَّانِيَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الثَّالِثَةِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» وجاء فى الخبر «أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٥)] كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْوِتْرِ رَكْعَتَيْنِ جَالِسًا وَفِي بَعْضِهَا مُتَرَبِّعًا» وفى بعض الأخبار [(٦)] «إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِرَاشَهُ زَحَفَ إِلَيْهِ وَصَلَّى فَوْقَهُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ يَقْرَأُ فِيهِمَا إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ وَسُورَةَ التَّكَاثُرِ» وفى رواية أخرى «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» ويجوز الوتر

---

(١) حديث عائشة كان يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام: د

(٢) حديث الوتر بثلاث بعد العشاء: أحمد واللفظ له والنسائى من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن

(٣) حديث الصلاة خير موضوع: أحمد وابن حبان ك وصححه من حديث أبى ذر

(٤) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ فى الأولى سبح ـ الحديث: ابن عدى فى ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح

(٥) حديث كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا: م من حديث عائشة

(٦) حديث اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه ثم صلى ركعتين ـ الحديث: هق من حديث أبى أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف اليه ولا ذكر ألهاكم التكاثر

مفصولا وموصولاً بتسليمة واحدة وتسليمتين : وَقَدْ « أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَكْعَةٍ [١] وَثَلَاثٍ [٢] وَخَمْسٍ [٣] وَهَكَذَا بِالْأَوْتَارِ [٤] إِلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً [٥] » والرواية مترددة فى ثلاث عشرة [٦] وفى حديث شاذ سبع عشرة ركعة [٧] وكانت هذه الركعات أعنى ماسمينا جملتها وترا صلاته بالليل ، وهو التهجد . والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتى ذكر فضلها فى كتاب الأوراد .

وفى الأفضل خلاف . فقيل إن الإيتار بركعة فردة أفضل ، إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الإيتار بركعة فردة . وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الإمام ، إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة ، فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر ، وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتى العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح ، لأن شرط الوتر أن يكون فى نفسه وترا ، وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله ، وقد أوتر الفرض ، ولو أوتر قبل العشاء لم يصح ، أى لاينال فضيلة الوتر [٨] الذى هو « خَيْرٌ لَهُ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » كما ورد به الخبر ، وإلا فركعة فردة صحيحة فى أىّ وقت كان ، وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ، ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا ،

---

(١) حديث الوتر بركعة متفق عليه : من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة

(٢) حديث الوتر بثلاث تقدم

(٣) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس فى شىء الا فى آخرها

(٤) حديث الوتر بسبع : م د ن واللفظ من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لايقعد الا فى السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو فى الذى قبله

(٥) حديث الوتر باحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر باربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث ـ الحديث : ولمسلم من حديثها كان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة ـ الحديث

(٦) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم فى الذى قبله وللترمذى والنسائى من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد فى رواية بركعتى الفجر

(٧) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا كان يصلى سبع عشرة ركعة من الليل

(٨) حديث الوتر خير من حمر النعم : د ت ه من حديث خارجة بن حذافة ان الله امدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره

فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر ، فانه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر ، وإن نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا ، وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر ، ولكن للوتر معنيان : أحدهما أن يكون في نفسه وترا ، والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده ، فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث ، إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة ، وإذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوي بهما الوتر ، والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها ، والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ، ولكنهما موترتان بغيرهما . والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل ، فيقع بعد التهجد . وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الأوراد

السابعة : صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها . أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثماني ركعات ، روت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)] صَلَّى الضُّحَى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ أَطَالَهُنَّ وَحَسَّنَهُنَّ » ولم ينقل هذا القدر غيرها . فأما عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٢)] « كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ » فلم تحد الزيادة ، أي أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها ، وقد يزيد زيادات . وروى في حديث مفرد « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٣)] كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى سِتَّ رَكَعَاتٍ » : وأما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى سِتًّا فِي وَقْتَيْنِ : [(٤)] إِذَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَامَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وهو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي ،

---

(١) حديث أم هانئ صلى الضحى ثماني ركعات أطالهن وأحسنهن : متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهي منكرة

(٢) حديث عائشة كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله : م

(٣) حديث كان يصلي الضحى ست ركعات : ك في فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات

(٤) حديث كان اذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا : ت ن ه من حديث علي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل

وَإِذا انْبَسَطَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ فِي رُبُعِ السَّمَاءِ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ صلَّى أَرْبَعاً » فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح ، والثانى إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر ، فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه ، والظهر على منتصف النهار . ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب . وهذا أفضل الأوقات . ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة

الثامنة : إحياء ما بين العشاءين ، وهى سنة مؤكدة . ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بين العشاءين سِتُّ رَكَعَاتٍ . ولهذه الصلاة فضل عظيم . وقيل إنها المراد بقوله عز وجل : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ *) وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال : « مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَإِنَّهَا مِنْ صَلَاةِ الْأَوَّابِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « مَنْ عَكَفَ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ إِلَّا بِصَلَاةٍ أَوْ بِقُرْآنٍ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ كُلِّ قَصْرٍ مِنْهُمَا مِائَةُ عَامٍ وَيَغْرِسُ لَهُ بَيْنَهُمَا غِرَاساً لَوْ طَافَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَوَسِعَهُمْ » وسيأتى بقية فضائلها فى كتاب الأوراد ، إن شاء الله تعالى

حتى اذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن

(١) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات : ابن منده فى الصحى به وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف و ت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة

(٢) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوابين : ابن المبارك فى الرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا

(٣) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة : أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر

* السجدة : ١٦

القسم الثاني

ما يتكرر بتكرر الأسابيع

وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد

يوم الأحد :

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَحَدِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَآمَنَ الرَّسُولُ مَرَّةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ نَصْرَانِيٍّ وَنَصْرَانِيَّةٍ حَسَنَاتٍ وَأَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ نَبِيٍّ وَكَتَبَ لَه حَجَّةً وَعُمْرَةً وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفَ صَلَاةٍ وَأَعْطَاهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ بِكُلِّ حَرْفٍ مَدِينَةً مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ »

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال : « وَحِّدُوا اللهَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْأَحَدِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فَمَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَحَدِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ وَالسُّنَّةِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَتَنْزِيلِ السَّجْدَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَتَبَارَكَ الْمُلْكُ ثُمَّ تَشَهَّدَ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ وَسَأَلَ اللهَ سُبْحَانَهُ حَاجَتَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ »

يوم الاثنين :

روى عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً

---

(١) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات ـ الحديث : أبو موسى المديني من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث علي وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد ـ الحديث : ذكره أبو موسى المديني فيه بغير أسناد

(٣) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين ـ الحديث : أبو موسى المديني من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر

وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً فَإِذَا سَلَّمَ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عشر مرَّاتٍ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا » وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً فَإِذَا فَرَغَ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَاسْتَغْفَرَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً يُنَادَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ لِيَقُمْ فَلْيَأْخُذْ ثَوَابَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَوَّلُ مَا يُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ أَلْفُ حُلَّةٍ وَيُتَوَّجُ وَيُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَسْتَقْبِلُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ هَدِيَّةٌ يُشَيِّعُونَهُ حَتَّى يَدُورَ عَلَى أَلْفِ قَصْرٍ مِنْ نُورٍ يَتَلَأْلَأُ »

يوم الثلاثاء :

روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم : [2] « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ عِنْدَ انْتِصَافِ النَّهَارِ ـ وفي حديث آخر : عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ إِلَى سَبْعِينَ يَوْماً فَإِنْ مَاتَ إِلَى سَبْعِينَ يَوْماً مَاتَ شَهِيداً وَغُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً »

يوم الأربعاء :

روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [3] « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ

---

(١) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة ـ الحديث : ذكره أبو موسى المديني بغير سند وهو منكر

(٢) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف ـ الحديث : أبو موسى المديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه

(٣) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة ـ الحديث : أبو موسى المديني وقال رواته ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين

فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ نَادَى مُنَادٍ عِنْدَ الْعَرْشِ : يَا عَبْدَ اللهِ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَرَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْكَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَضِيقَهُ وَظُلْمَتَهُ وَرَفَعَ عَنْكَ شَدَائِدَ الْقِيَامَةِ وَرَفَعَ لَهُ مِنْ يَوْمِهِ عَمَلَ نَبِيٍّ »

يوم الخميس :

عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مِائَةَ مَرَّةٍ وَفِي الثَّانِيَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مِائَةَ مَرَّةٍ وَيُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ مَنْ صَامَ رَجَبَ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَكَانَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ حَاجِّ الْبَيْتِ وَكُتِبَ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ حَسَنَةً »

يوم الجمعة :

روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) أنه قال : « يَوْمُ الْجُمُعَةِ صَلَاةٌ كُلُّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ قَامَ إِذَا اسْتَقَلَّتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَدْرَ رُمْحٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَسْبَغَ الْوُضُوءَ فَصَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَتَيْ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ مِائَةَ سَيِّئَةٍ وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ رَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعَمِائَةِ دَرَجَةٍ وَمَنْ صَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ رَفَعَ اللهُ تَعَالَى لَهُ فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِمَائَةِ دَرَجَةٍ وَغَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا وَمَنْ صَلَّى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْ دَرَجَةٍ » وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أنه قال : « مَنْ دَخَلَ الْجَامِعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ

(١) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين ـ الحديث : أبوموسى المديني بسند ضعيف جدا

(٢) حديث علي يوم الجمعة مامن عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس ـ الحديث : لم أجد له أصلا وهو باطل

(٣) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات ـ الحديث: الدارقطني في غرائب مالك وقال لايصح وعبدالله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا

قَبْلَ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ خَمْسِينَ مَرَّةً لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ يُرَى لَهُ

يوم السبت :

روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (١) « مَنْ صَلَّى يَوْمَ السَّبْتِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَإِذَا فَرَغَ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَجَّةً وَعُمْرَةً وَرَفَعَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَجْرَ سَنَةٍ صِيَامٍ نَهَارُهَا وَقِيَامٍ لَيْلُهَا وَأَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُلِّ حَرْفٍ ثَوَابَ شَهِيدٍ وَكَانَ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ »

وأما الليالي ـ ليلة الأحد :

روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم (٢) قال : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَحَدِ عِشْرِينَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ خَمْسِينَ مَرَّةً وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ مَرَّةٍ وَاسْتَغْفَرَ لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَالْتَجَأَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ آدَمَ صَفْوَةُ اللَّهِ وَفِطْرَتُهُ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَمُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَمُحَمَّداً حَبِيبُ اللَّهِ كَانَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ بِعَدَدِ مَنْ دَعَا لِلَّهِ وَلَداً وَمَنْ لَمْ يَدْعُ لِلَّهِ وَلَداً وَبَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْآمِنِينَ وَكَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ مَعَ النَّبِيِّينَ »

---

(١) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات ـ الحديث : أبو موسى المديني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا

(٢) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثني عشرة ركعة ـ الحديث : لم أجد له أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة ـ الحديث : ذكره أبو موسى المديني بغير أسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد عشرين الخ لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا مالم يخرجه تأمل

ليلة الاثنين :

روى الأعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [١] « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ عِشْرِينَ مَرَّةً وَفِي الثَّالِثَةِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ثَلَاثِينَ مَرَّةً وَفِي الرَّابِعَةِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ أَرْبَعِينَ مَرَّةً ثُمَّ يُسَلِّمُ وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ خَمْسًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً وَاسْتَغْفَرَ اللّٰهَ لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ خَمْسًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً ثُمَّ سَأَلَ اللّٰهَ حَاجَتَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللّٰهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤَالَهُ مَا سَأَلَ » وهي تسمى صلاة الحاجة

ليلة الثلاثاء :

« مَنْ صَلَّى [٢] رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَيَقْرَأُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَاسْتَغْفَرَ اللّٰهَ تَعَالَى خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً كَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ جَسِيمٌ » روى عن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعْتَقَ اللّٰهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ وَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدَهُ وَدَلِيلَهُ إِلَى الْجَنَّةِ »

ليلة الأربعاء :

روت فاطمة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] أنه قال : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ

---

(١) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات ـ الحديث : ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش بغير أسناد وأسند من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر

(٢) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين ـ الحديث : ذكره أبو موسى بغير أسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرة

(٣) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين ـ الحديث : لم أجد فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروي من حديث أنس ثلاثين ركعة

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ إِذَا سَلَّمَ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ نَزَلَ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَكْتُبُونَ ثَوَابَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وفى حديث آخر : « سِتَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ مَاشَاءَ اللَّهُ وَيَقْرَأُ فِي آخِرِ الرَّكْعَتَيْنِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ثَلَاثِينَ مَرَّةً وَفِي الْأُولَيَيْنِ ثَلَاثِينَ مَرَّةً قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُشَفَّعُ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ النَّارُ » روت فاطمة رضى الله عنها أنها قالت[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ سِتَّ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ يَقُولُ : جَزَى اللَّهُ مُحَمَّدًا عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ »

ليلة الخميس :

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم :[2] « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْخَمِيسِ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَجَعَلَ ثَوَابَهُ لِوَالِدَيْهِ فَقَدْ أَدَّى حَقَّ وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَاقًّا لَهُمَا وَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يُعْطِي الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ »

ليلة الجمعة :

قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[3] « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً فَكَأَنَّمَا عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً صِيَامُ نَهَارِهَا وَقِيَامُ لَيْلِهَا »

---

(١) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أى ليلة الأربعاء ـ الحديث : أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا

(٢) حديث أبى هريرة من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين ـ الحديث : أبو موسى المديني وأبو منصور الديلمي فى مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر

(٣) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة ـ الحديث : باطل لا أصل له

وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ صَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فِي جَمَاعَةٍ وَصَلَّى رَكْعَتَيِ السُّنَّةِ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهُمَا عَشْرَ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ وَنَامَ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ وَوَجْهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَّاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ : لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ »

لیلة السبت

قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٣) « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ السَّبْتِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَتَبَرَّأَ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ »

القسم الثالث

ما يتكرر بتكرر السنين

وهى أربعة : صلاة العيدين ، والتراويح ، وصلاة رجب وشعبان

الأولى : صلاة العيدين

وهى سنة مؤكدة ، وشعار من شعائر الدين ، وينبغى أن يراعى فيها سبعة أمور

الأول : التكبير ثلاثا نسقا ، فيقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لااله إلاالله وحده لاشريك له ، مخلصين له الدين ولو كره

---

(١) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات ـ الحديث : باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجانى فى كتاب فضائل القرءان وابراهيم بن المظفر فى كتاب وصول القرءان للميت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذازلزلت خمسة عشرمرة وقال ابراهيم بن المظفر خمسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح فى أيام الاسبوع ولياليه شىء والله أعلم

(٢) حديث أكثروا على من الصلاة فى الليلة الغراء واليوم الازهر طب فى الاوسط من حديث أبى هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان

(٣) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة ـ الحديث : لم أجد له أصلا

الكافرون ، يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع فى صلاة العيد ، وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر . وهذا أكمل الأقاويل . ويكبر عقب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل ، وهو عقيب الفرائض آكد

الثانى : إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة ، والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال ، وليجتنب الصبيان الحرير ، والعجائز التزين عند الخروج

الثالث : أن [1] يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] يَأْمُرُ بِإِخْرَاجِ الْعَوَاتِقِ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ »

الرابع : المستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس ، فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة فى المسجد ، ويجوز فى يوم الصحو أن يأمر الإمام رجلا يصلى بالضعفة فى المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين

الخامس : يراعى الوقت ، فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر اليوم الثالث عشر . ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها . هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [3]

السادس : فى كيفية الصّلاة ، فليخرج الناس مكبرين فى الطريق ، وإذا بلغ الإمام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ، ويقطع الناس التنفل ، ثم ينادى مناد : الصّلاة جامعة . ويصلى الإمام بهم ركعتين ، يكبر فى الأولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات ، يقول بين كل تكبيرتين : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ويقول : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض عقيب تكبيرة الافتتاح ، ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ، ويقرأ سورة ق فى الأولى بعد الفاتحة ، واقتربت فى الثانية ،

---

(١) حديث الخروج فى العيد فى طريق والرجوع فى أخرى م من حديث أبى هريرة

(٢) حديث كان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه : من حديث أم عطية

(٣) حديث تعجيل صلاة الاضحى وتأخير صلاة الفطر الشافعى من رواية أبى الحويرث مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الأضحى وأخر الفطر

والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع ، وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ، ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ، ومن فاتته صلاة العيد قضاها

السابع : أن يضحى بكبش « ضَحَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ وَذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّى وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِى » وقال صلى الله عليه وسلم : [٢] « مَنْ رَأَى هِلَالَ ذِى الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يُضَحِّىَ فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا » قال أبو أيوب الأنصارى : [٣] « كَانَ الرَّجُلُ يُضَحِّى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّاةِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ » وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، ووردت فيه الرخصة بعد النهى عنه [٤] وقال سفيان الثورى : يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة ، وبعد عيد الأضحى ست ركعات ، وقال هو من السنة

الثانية : التراويح

وهى عشرون ركعة ، وكيفيتها مشهورة ، وهى سنة مؤكدة ، وإن كانت دون العيدين واختلفوا فى أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد . وقد « خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٥] فِيهَا لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لِلْجَمَاعَةِ ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ وَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تُوجَبَ عَلَيْكُمْ »

---

(١) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى متفق عليه دون قوله عنى الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود و ت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع

(٢) حديث من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره وأظفاره : م من حديث أم سلمة

(٣) حديث أبى أيوب كان الرجل يضحى على عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم الشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون : ت ه حسن صحيح

(٤) قال سفيان الثورى من السنة أن يصلى بعد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد الأضحى ست ركعات : لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذلك كالثورى فهو مقطوع

(٥) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم

وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي ، فقيل : إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ، ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ، ولأنه ربما يكسل في الانفراد ، وينشط عند مشاهدة الجمع . وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فألحقها بصلاة الضحى ، وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة . وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معاً ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ، ولقوله صلى الله عليه وسلم[1] « فَضْلُ صَلَاةِ التَّطوُّعِ فِي بَيْتِهِ عَلَى صَلَاتِهِ فِي الْمَسْجِدِ كَفَضْلِ صَلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى صَلَاتِهِ فِي الْبَيْتِ » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : [2] « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَجُلٌ يُصَلِّي فِي زَاوِيَةِ بَيْتِهِ رَكْعَتَيْنِ لَا يَعْلَمُهُمَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع ، ويأمن منه في الوحدة . فهذا ما قيل فيه . والمختار أن الجماعة أفضل ، كما رآه عمر رضي الله عنه ، فان بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة ، وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر . وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع ، والكسل في الانفراد ، فعدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة . وكأن قائله يقول : الصلاة

---

(١) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت ـ رواه آدم بن أبي اياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفا وفي سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا الا المكتوبة

(٢) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمها إلا الله ـ أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بارض الرباط تعدل بألفي ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليها العبد في جوف الليل لايريد بها الا وجه الله عز وجل وأسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزاعي قال دخلت على يحيى فاسند لي حديثا فذكره الا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة

خير من تركها بالكسل ، والإخلاص خير من الرياء . فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ، ولا يرائى لو حضر الجمع ، فأيهما أفضل له ؟ فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب فى الوحدة ، فيجوز أن يكون فى تفضيل أحدهما على الآخر تردد . ومما يستحب القنوت فى الوتر فى النصف الأخير من رمضان .

أما صلاة رجب

فقد روى باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (1) « مَا مِنْ أَحَدٍ يَصُومُ أَوَّلَ خَمِيسٍ مِنْ رَجَبٍ ثُمَّ يُصَلِّى فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْعَتَمَةِ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ بِتَسْلِيمَةٍ يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ مَرَّةً وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ مَرَّةً فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ صَلَّى عَلَىَّ سَبْعِينَ مَرَّةً يَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ وَعَلَى آلِهِ ، ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَقُولُ فِى سُجُودِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ سَبْعِينَ مَرَّةً : رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَةً أُخْرَى وَيَقُولُ فِيهَا مِثْلَ مَا قَالَ فِى السَّجْدَةِ الأُولَى ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ فِى سُجُودِهِ فَإِنَّهَا تُقْضَى ـ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لا يُصَلِّى أَحَدٌ هَذِهِ الصَّلاةَ إِلاَّ غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ وَعَدَدِ الرَّمْلِ وَوَزْنِ الْجِبَالِ وَوَرَقِ الأَشْجَارِ وَيُشَفَّعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى سَبْعِمَائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِمَّنْ قَدِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ » فهذه صلاة مستحبة ، وإنما أوردناها فى هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين ، وإن كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد ، لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ، ولكنى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها ، فأحببت إيرادها

وأما صلاة شعبان

فليلة الخامس عشر منه ، يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة ، يقرأ فى كل ركعة

---

(1) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ـ الحديث : فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو حديث موضوع

بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد . فهذا أيضاً مروى فى جملة الصلوات ، كان السلف يصلون هذه الصّلاة ويسمونها صلاة الخير ، ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة . روى عن الحسن أنه قال : حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم [1] « أَنَّ مَنْ صَلَّى هَـذِهِ الصَّلاَةَ فى هَـذِهِ اللَّيْلَةِ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ نَظْرَةً وَقَضَى لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ » .

القسم الرابع

من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة

صلاة الخسوف ، والكسوف ، والاستسقاء ، وتحية المسجد وركعتى الوضوء ، وركعتين بين الأذان والإقامة ، وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ، ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن

الأولى : صلاة الخسوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [2] « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَ يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاَةِ » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس : إنما كسفت لموته . والنظر فى كيفيتها ووقتها

أما الكيفية : فإذا كسفت الشمس فى وقت الصّلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى : الصّلاة جامعة ، وصلى الإمام بالناس فى المسجد ركعتين ، وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلها أطول من أواخرها ، ولا يجهر ، فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة ، وفى الثانية الفاتحة وآل عمران ، وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء

---

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان: حديث باطل و ه من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وأسناده ضعيف

(٢) حديث ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ــ الحديث : أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة

وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة، أو مقدار ذلك من القرءان من حيث أراد؛ ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه، ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس. ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء، ويسبح فى الركوع الأول قدر مائة آية، وفى الثانى قدر ثمانين، وفى الثالث قدر سبعين، وفى الرابع قدر خمسين، وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة، ثم يخطب خطبتين بعد الصّلاة بينهما جلسة، ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة، وكذلك يفعل بخسوف القمر، إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية

فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء، ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة، وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس، إذ يبطل سلطان الليل، ولا تفوت بغروب القمر خاسفا، لأن الليل كله سلطان القمر، فان انجلى فى أثناء الصّلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثانى مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول

الثانية: صلاة الاستسقاء

فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة، فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام، وما أطاقوا من الصدقة، والخروج من المظالم، والتوبة من المعاصى، ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع، وبالعجائز والصبيان، متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة، متواضعين، بخلاف العيد. وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم: [1] « لَوْلَا صِبْيَانٌ رُضَّعٌ وَمَشَايِخُ رُكَّعٌ وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا » ولو خرج أهل الذمة أيضاً متميزين لم يمنعوا، فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودى: الصلاة جامعة، فصلى بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير، ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة، وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغى فى وسط الخطبة الثانية [2] أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال. هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه

---

(١) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع ـ الحديث: هق وضعفه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى الاستسقاء أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازنى

أسفله ، وما على اليمين على الشمال ، وما على الشمال على اليمين ، وكذلك يفعل الناس ، ويدعون في هذه الساعة سراً ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ، ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك ، فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا ، اللهم فامنن علينا بمغفرة ماقارفنا وإجابتك في سقيانا وسعة أرزاقنا . ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها ، وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات

الثالثة : صلاة الجنائز

وكيفيتها مشهورة ، وأجمع دعاء مأثور ما روى في الصحيح عن عوف بن مالك قال : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ » حتى قال عوف : تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت . ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرة الإمام ، فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق ، فإنه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة في هذه الصلاة معنى . فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة ، وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات . هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا . والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة ، فلا نطيل بإيرادها ، وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات ، وإنما تصير نفلا في حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين ، لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم ، فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد . ويستحب طلب

---

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنازة اللهم اغفرلي وله وارحمني وارحمه وعافني وعافه الحديث : مسلم دون الدعاء للمصلي

كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذى دعوة مستجابة ، لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته ، فقال تقول هم أربعون ؟ قلت : نعم ، قال : أخرجوه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئاً إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ » وإذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال : السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت ، فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال : اللهم عبدك رد إليك فارأف به وارحمه ، اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن ، اللهم إن كان محسناً فضاعف له فى إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه

الرابعة : تحية المسجد

ركعتان فصاعداً سنة مؤكدة ، حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الإصغاء إلى الخطيب ، وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل ، إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ، ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء ، فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، يقولها أربع مرات . يقال إنها عدل ركعتين فى الفضل . ومذهب الشافعى رحمه الله أنه لا تكره التحية فى أوقات الكراهية ، وهى بعد العصر ، وبعد الصبح ، ووقت الزوال ، ووقت الطلوع والغروب ، لما روى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] صَلَّى رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَمَا نَهَيْتَنَا عَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ: هُمَا رَكْعَتَانِ كُنْتُ أُصَلِّيهِمَا بَعْدَ الظُّهْرِ فَشَغَلَنِي عَنْهُمَا الْوَفْدُ » فأفاد هذا الحديث فائدتين

(١) حديث ابن عباس ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون ـ الحديث : م

(٢) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليها بعد الظهر ـ الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى ركعتين قبل العصر ثم انه شغل عنها ـ الحديث

إحداها : أن الكراهية مقصورة على صلاة لاسبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل ، إذ اختلفت العلماء في أن النوافل هل تقضى ؟ وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء ؟ وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوى ، ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ، ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسبابا

الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولنا فيه أسوة حسنة . وقالت عائشة رضي الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ مَرَضٌ فَلَمْ يَقُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً » وقد قال العلماء : من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب ، وإن كان المؤذن سكت . ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى عليه وسلم في وقت الكراهة . نعم من كان له ورد ففاته عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه ، بل يتداركه في وقت آخر ، حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية ، وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم [2] قال : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله . وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم [3] أنه قال : « مَنْ عَبَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا مَلَالَةً مَقَتَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد . وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة ، فلولا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة عليه

الخامسة : ركعتان بعد الوضوء

مستحبتان ، لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة ، فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي ، فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء

---

(١) حديث عائشة كان اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة ــ الحديث : م

(٢) حديث أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل : أخرجاه من حديث عائشة

(٣) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله : ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة

قبل الفوات ، وعرف ذلك بحديث بلال ، إذ قال صلى الله عليه وسلم [(١)] « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ بِلَالاً فِيهَا فَقُلْتُ لِبِلَالٍ : بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ بِلَالٌ : لَا أَعْرِفُ شَيْئًا إِلَّا أَنِّي لَا أُحْدِثُ وُضُوءًا إِلَّا أُصَلِّي عَقِيبَهُ رَكْعَتَيْنِ »

السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه

روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [(٢)] « إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ يَمْنَعَانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ ، وَإِذَا دَخَلْتَ إِلَى مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ يَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ » وفى معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ، ولذلك ورد : « رَكْعَتَانِ [(٣)] عِنْدَ الْإِحْرَامِ وَرَكْعَتَانِ [(٤)] عِنْدَ ابْتِدَاءِ السَّفَرِ ، وَرَكْعَتَانِ [(٥)] عِنْدَ الرُّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ فِي الْمَسْجِدِ قَبْلَ دُخُولِ الْبَيْتِ » فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين ، وإذا شرب شربة صلى ركعتين ، وكذلك فى كل أمر يحدثه

وبداية الأمور ينبغى أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل ، وهى على ثلاث مراتب ، بعضها يتكرر مراراً كالأكل والشرب ، فيبدأ فيه باسم الله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم : [(٦)] « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَبْتَرُ »

---

(١) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتنى إلى الجنة ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث أبى هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك ـ الحديث : هق فى الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم قال بكر حسبته عن أبى هريرة فذكره وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة اذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدى وهو بهذا الأسناد منكر وقال خ لا أصل له

(٣) حديث ركعتى الاحرام خ من حديث ابن عمر

(٤) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أنس مااستخلف فى أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات يصليهن العبد فى بيته اذا شد عليه ثياب سفره ـ الحديث وهو ضعيف

(٥) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك

(٦) حديث كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه بيسم الله فهو أبتر د ن هـ حب فى صحيحه من حديث أبى هريرة

الثانية : ما لا يكثر تكرره وله وقع ، كعقد النكاح ، وابتداء النصيحة والمشورة ، فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله ، فيقول المزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ، ويقول القابل: الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح . وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد

الثالثة : ما لا يتكرر كثيراً وإذا وقع دام وكان له وقع ، كالسفر ، وشراء دار جديده ، والإحرام وما يجري مجراه ، فيستحب تقديم ركعتين عليه ، وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه ، فانه نوع سفر قريب

السابعة : صلاة الاستخارة

فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه ، فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « بِأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ الْفَاتِحَةَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَإِذَا فَرَغَ دَعَا وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ ثُمَّ يَسِّرْهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَآجِلِهِ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ أَيْنَمَا كَانَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » رواه جابر ابن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرءان ، وقال صلى الله عليه وسلم : إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لِيُسَمِّ الْأَمْرَ وَيَدْعُو بِمَا ذَكَرْنَا . وقال بعض الحكماء : من أعطى أربعاً لم يمنع أربعاً : من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب

---

(١) حديث صلاة الاستخارة: خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

الثامنة : صلاة الحاجة

فمن ضاق عليه الأمر ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة ، فقد[1] روى عن وهيب بن الورد أنه قال : إن من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد ، فاذا فرغ خر ساجداً ثم قال : سبحان الذى لبس العز وقال به ، سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان الذى أحصى كل شيء بعلمه ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى المنّ والفضل ، سبحان ذى العز والكرم ، سبحان ذى الطول ، أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، أن تصلى على محمد وعلى آل محمد . ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها ، فيجاب إن شاء الله عز وجل ، قال وهيب : بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل

التاسعة : صلاة التسبيح

وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ، ولا تختص بوقت ولا بسبب ، ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم[2] قال للعباس بن عبد المطلب : « أَلاَ أُعْطِيكَ أَلاَ أَمْنَحُكَ أَلاَ أَحْبُوكَ بِشَيْءٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَهُ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ سِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ ؟ تُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ تَقُولُ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا قَائِماً عَشْراً ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْراً ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا جَالِساً

(١) حديث ابن مسعود فى صلاة الحاجة اثنى عشر ركعة : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسنادين ضعيفين جدا فيها عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال ت حديث غريب وفى أسناده مقال

(٢) حديث صلاة التسبيح تقدم

عَشْراً ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْراً ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْراً فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي السَّنَةِ مَرَّةً » وفي رواية أخرى أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كما سبق عشراً عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً. وهذا هو الأحسن، وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة، فان صلاها نهاراً فبتسليمة واحدة، وإن صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن، إذ ورد « أَنَّ صَلَاةَ[1] اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى » وإن زاد بعد التسبيح قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن، فقد ورد ذلك في بعض الروايات

فهذه الصلوات المأثورة. ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد، وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا، لأن النهي مؤكد، وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية. وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد، لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء، فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه توضأ، وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى، ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية، بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوء كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء. وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء، فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء، بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة، وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فلينو قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمه صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب، فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها

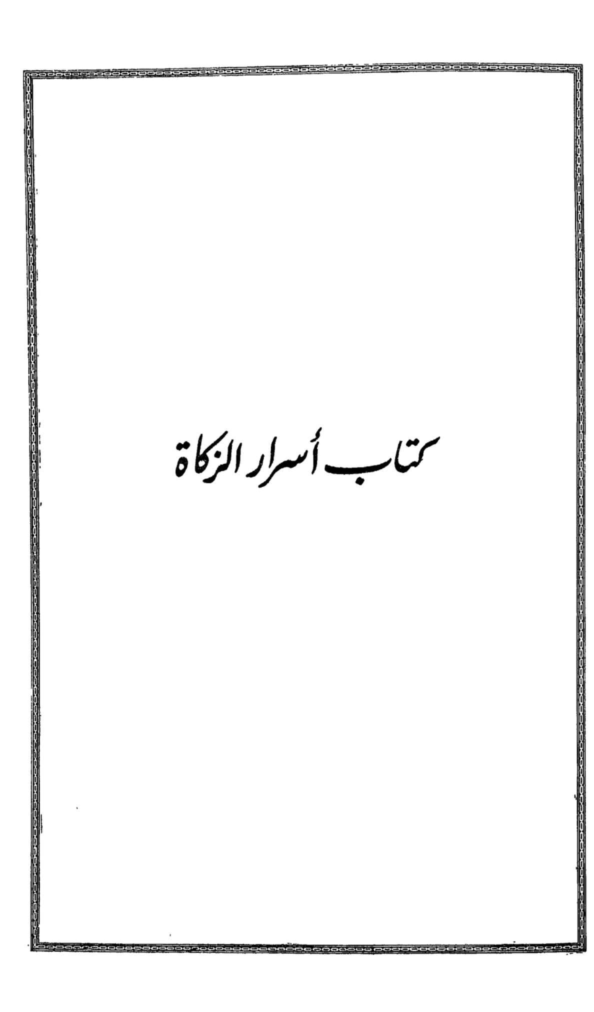
(١) حديث صلاة الليل مثنى مثنى: أخرجاه من حديث ابن عمر

ففى النهى فى أوقات الكراهية مهمات ثلاثة : (أحدهـا) التوقى من مضاهـاة عبدة الشمس . و (الثانى) الاحتراز من انتشـار الشيـاطين ، إذ قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ الشَّمْسَ لَتَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ فَإِذا طَلَعَتْ قَارَنَهَا، وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا ، فَإِن اسْتَوَتْ قَارَنَهَا ، فَإِذَا زَالَت فَارَقَهَا ، فَإِذَا تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا ، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا » ونهى عن الصلوات فى هـذه الأوقات ونبه به على العلة . و (الثالث) أن سالـكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الأوقات ، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منهـا سـاعة زاد النشـاط وانبعثت الدواعى ، والإنسـان حريص على ما منـع منـه ، ففى تعطيل هـذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظـار انقضاء الوقت ، فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار ، حذراً من الملل بالمداومة ، وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ، ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقـال وملال ، ولذلك لم تـكن الصَّلاة سجوداً مجرداً ولا ركوعا مجرداً ولا قياما مجرداً ، بل رتبت العبادات من أعمـال مختلفة وأذكار متباينة ، فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليها ، ولو واظب على الشىء الواحد لتسارع إليه الملل . فإذا كانت هذه أموراً مهمة فى النهى عن ارتـكاب أوقات الـكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخر ، ليس فى قوة البشر الاطلاع عليهـا ، والله ورسوله أعلم بها . فهذه المهات لا تترك إلا بأسبـاب مهمة فى الشرع مثل قضـاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد ، فأما ماضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم به مقصود النهى . هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم

كمل كتاب أسرار الصَّلاة من كتاب إحيـاء علوم الدين ، يتلوه إن شـاء الله تعـالى كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمـد لله وحده ، وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

---

(١) حديث أن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها ـ الحديث : ن من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم



كتاب أسرار الزكاة

كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسعد وأشقى ، وأمات وأحيا ، وأضحك وأبكى ، وأوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأضر وأقنى ، الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ، ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ، ثم خصص بعض عباده بالحسنى ، فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى ، وأحوج إليه من أخفق فى رزقه وأكدى ، إظهاراً للامتحان والابتلا ، ثم جعل الزكاة للدين أساساً ومبنى ، وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى . والصّلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى ، وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الإسلام ، وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ *) وقال صلى الله عليه وسلم :[1] « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *)ومعنى الإنفاق فى سبيل الله إخراج حق الزكاة . قال الأحنف بن قيس : كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال : بشر الكانزين بكىّ فى ظهورهم يخرج من جنوبهم ، وبكىّ فى أقفائهم يخرج من جباههم . وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل . وقال أبوذر : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال : « هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ » فقلت ومن هم ؟ قال « الْأَكْثَرُونَ

﴿ كتاب أسرار الزكاة ﴾

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

(٢) حديث أبي ذر انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة ــ الحديث : أخرجاه م وخ

* البقرة : ١١٠ * التوبة : ٣٤

أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَلِيلٌ : مَا هُمْ مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وإذا كان هذا التشديد مخرجاً في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ، ومعانيها الظاهرة والباطنة ، مع الإقتصار على مالا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها .

وينكشف ذلك في أربعة فصول :

الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

الثاني : في آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة

الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه

الرابع : في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الأول

في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم ، والنقدين ، والتجارة ، وزكاة الركاز والمعادن ، وزكاة المعشرات ، وزكاة الفطر

النوع الأول زكاة النعم

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ، ولا يشترط البلوغ ، بل تجب في مال الصبي والمجنون . هذا شرط من عليه

وأما المال فشروطه خمسة : أن يكون نعما ، سائمة ، باقية حولا ، نصابا كاملا ، مملوكا على الكمال

الشرط الأول : كونه نعما ، فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم . فلا زكاة فيها

الثانى : السوم ، فلا زكاة فى معلوفة ، وإذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها

الثالث : الحول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « لاَزَكَاةَ فِي مَالٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ اَلْحَوْلُ » . ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال . وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ، ومهما باع المال فى أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول

الرابع : كمال الملك والتصرف ، فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لأنه الذى حجر على نفسه فيه ، ولاتجب فى الضال والمغصوب إلا إذاعاد بجميع نمائه ، فتجب زكاة مامضى عندعوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنياً به إذ الغنى مايفضل عن الحاجة

الخامس : كمال النصاب

أما الإبل

فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن ، والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة ، وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية ، فإن لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنه الثالثة يؤخذوإن كان قادرا على شرائها وفى ست وثلاثين ابنة لبون ، ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة ، فاذ صارت احدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة ، فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون ، فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان ، فاذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون ، فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين بنت لبون

وأما البقر

فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى أربعين مُسنة وهى التى فى السنة الثالثة ثم فى ستين تبيعان ، واستقر الحساب بعد ذلك ففى كل أربعين مسنة ، وفى كل ثلاثين تبيع

---

(١) حديث لازكاة فى مال حتى يحول عليه الحول: أبو داود من حديث على باسناد جيد وه من حديث عائشة باسناد ضعيف

وأما الغنم : فلازكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، ففيها شاة جَذَعَة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لاشيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان ، إلى مائتى شاة وواحدة ففيها ثلاث شياة إلى ، أربعمائة ففيها أربع شياه ، ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة . وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب ، فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة ، وإن كان بين ثلاثة نفرمائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم ، وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ، ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ، ويكون المرعى معا ، ويكون انزاء الفحل معا ، وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة . ولاحكم للخلطة مع الذمى والمكاتب ، ومهما نزل فى واجب الابل عن سن إلى سن فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض فى النزول ، ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أوعشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد فى السن مالم يجاوز الجذعة فى الصعود ، ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ، ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ، ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة ، ولا يؤخذ من المال الأكولة ولاالماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال

النوع الثانى زكاة المعشرات

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة مَنّ ، ولا شىء فيما دونها ، ولافى الفواكه والقطن ولكن فى الحبوب التى تقتات ، وفى التمر والزبيب . ويعتبر أن تكون ثمانمائة مَنّ تمرا أو زبيبا ، لارطبا وعنبا . ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة مَنّ من زبيب ، فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ، ولايعتبر خلطة الجوار فيه ، ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ، ويكمل نصاب الشعير بالسُّلت فانه نوع منه . هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح أوقناة

فان كان يسقى بنضح أودالية فيجب نصف العشر ، فان اجتمعا فالأغلب يعتبر

رأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب البابس بعد التنقية ، ولا يؤخذ عنب

ولا رطب الا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الإدراك ، فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير . ولا يمنع من هذه القسمة قولنا : إن القسمة بيع ، بل يرخص فى مثل هذا للحاجة

ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وأن يشتد الحب . ووقت الأداء بعد الجفاف

النوع الثالث زكاة النقدين

فإذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر ، ومازاد فبحسابه ولو درهما . ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر ومازاد فبحسابه ، وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة . وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة . وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلي المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ، ولا تجب فى الحلى المباح . وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ، ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل

النوع الرابع زكاة التجارة

وهى كزكاة النقدين ، وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذى به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا ، فإن كان ناقصاً أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء . وتؤدى الزكاة من نقد البلد ، وبه يقوّم ، فإن كان مابه الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد . ومن نوى التجارة من مال قُنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيئاً ، ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة . والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة . وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ، ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج . وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة . هذا وهو الأقيس

النوع الخامس الركاز والمعدن

والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الاسلام ملك ، فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس ، والحول غير معتبر . والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة ، واعتباره أيضاً ليس ببعيد ، لأن مصرفه مصرف الزكاة ، ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين . وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ، ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب. وفى الحول قولان ، وفى قول يجب الخمس . فعلى هذا لا يعتبر . وفى النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب ، وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ، ويعتبر النصاب كالمعشرات . والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ، ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض ، وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه

النوع السادس فى صدقة الفطر

وهى « وَاجِبَةٌ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَضَلَ عَنْ قُوتِهِ وَقُوتِ مَنْ يَقُوتُهُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَلَيْلَتَهُ صَاعٌ مِمَّا يُقْتَاتُ بِصَاعِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وهو . مَنَوَانِ وثلثا مَنٍّ يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه ، فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير ، وإن اقتات حبوباً مختلفة اختار خيرها ، ومن أيها أخرج أجزأه . وقسمتها كقسمة زكاة الأموال ، فيجب فيها استيعاب الأصناف ، ولا يجوز أخراج الدقيق والسويق

ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته ، أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد ، قال صلى الله عليه وسلم [2] « أَدُّوا صَدَقَةَ الْفِطْرِ عَمَّنْ تَمُونُونَ » وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ، ولا تجب صدقة

---

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم : أخرجاه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان ـ الحديث

(٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون : قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق أسناده غير قوى

العبد الكافر ، وإن تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأها ، وللزوج الاخراج عنها دون إذنها ؛ وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم ، وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد . وقد «قَدَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] نَفَقَةَ الْوَلَدِ عَلَى نَفَقَةِ الزَّوْجَةِ وَنَفَقَتَهَا عَلَى نَفَقَةِ الْخَادِمِ » فهذه أحكام فقهية لابد للغنى من معرفتها . وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار

الفصل الثانى

فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور :

الأول : النية ، وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض . ويسن عليه تعيين الأموال ؛ فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة ، جاز ، لأنه لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ، ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى ، ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ، ولكن فى ظاهر حكم الدنيا أعنى فى قطع المطالبة عنه ، أما فى الآخرة فلا ، بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة ، وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه ، لأن توكيله بالنية نية

الثانى : البدار عقيب الحول . وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر . ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ، ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ، ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق ، وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه ، وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول . ويجوز تعجيل زكاة حولين ، ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أوارتد أوصار غنياً بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أومات فالمدفوع ليس بزكاة ، واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع ، فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة

---

(١) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم :د من حديث أبى هريرة بسند صحيح.وحب ك وصححه ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتى

الثالث : أن لايخرج بدلا باعتبار القيمة ، بل يخرج المنصوص عليه ، فلا يجزئ ورق عن ذهب ولاذهب عن ورق ، وإن زاد عليه فى القيمة . ولعل بعض من لايدرك غرض الشافعي رضى الله عنه يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة ، وما أبعده عن التحصيل ، فان سد الخلة مقصود ، وليس هو كل المقصود ، بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام :

قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، وذلك كرمى الجمرات مثلا ، إذ لا حظّ للجمرة فى وصول الحصى اليها ، فقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالا يعقل له معنى ، لأن مايعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية ، إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لالمعنى آخر ، وأكثر أعمال الحج كذلك ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] في إحرامه « لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا تَعَبُّداً وَرِقًّا » تنبيهاً على أن ذلك إظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه

القسم الثانى : من واجبات الشرع ماالمقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب ، فلا جرم لايعتبر فيه فعله ونيته ، ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع . فهذان قسمان لاتركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس

والقسم الثالث : هو المركب الذى يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد ، فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق . فهذا قسم فى نفسه معقول ، فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ، ولا ينبغى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ، ولعل الأدق هو الأهم . والزكاة من هذا القبيل ، ولم يتنبه له غير الشافعى رضى الله عنه ، فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق إلى الأفهام ، وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع ، وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الاسلام ولا شك فى أن على المكلف تعبا فى تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ، ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى ،

---

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا : البزار والدارقطنى فى العلل من حديث أنس

والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد . ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات ، ومن أوضحها أن الشرع أوجب فى خمس من الابل شاة ، فعدل من الابل إلى الشاة ، ولم يعدل إلى النقدين والتقويم ، وإن قدر أن ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهماً فى الجبران مع الشاتين ، فلم لم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ، ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ، وإن كانت الثياب والأمتعة كلها فى معناها . فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ، ولكن جمع بين المعنيين ، والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات . فهذا شأن الغلط فيه

الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر ، فان أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها ، وفى النقل تخييب للظنون ، فان فعل ذلك أجزأه فى قول ، ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى ، فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة ، ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء فى تلك البلدة

الخامس : أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده ، فان استيعاب الأصناف واجب ، وعليه يدل ظاهر قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ *) الآية فانه يشبه قول المريض : إنما ثلث مالى للفقراء والمساكين ، وذلك يقتضى التشريك فى التمليك والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر . وقد عدم من الثمانية صنفان فى أكثر البلاد ، وهم المؤلفة قلوبهم ، والعاملون على الزكاة ، ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء ، والمساكين ، والغارمون ، والمسافرون أعنى أبناء السبيل . وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون ، فان وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة ، وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة ؛ وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف ، فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين ، فينقص نصيب كل واحد ، وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان ، فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف عن ثلاثة إن وجد ، ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً ،

* التوبة : ٦٠

ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد ، فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة ، وليخلط مال نفسه بمالهم ، وليجمع المستحقين ، وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه فإن ذلك لا بد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف

الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ، ووجه الامتحان فيها ، وأنها لم جعلت من مبانى الإسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان : وفيه ثلاثة معان

الأول : أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بافراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فان المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب ، واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم، ولذلك قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ *) وذلك بالجهاد ، وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عزوجل ، والمسامحة بالمال أهون . ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام :

قسم صدّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما ، فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم ؟ فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع[1] ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشطر ماله ، فقال صلى الله عليه وسلم : مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ فقال مثله . وقال لأبى بكر رضى الله عنه : ما أبقيت لأهلك ؟ قال الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَكُمَا مَا بَيْنَ كَلِمَتَيْكُمَا » فالصديق وفّى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله ـ الحديث : د ت ك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما مابين كلمتيكما

* التوبة : ١١١

القسم الثانى : درجتهم دون درجة هـذا ، وهم الممسكون أموالهـم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصـدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم ، وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهمـا ظهر وجوهها ، وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة . وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد ، قال الشعبى بعد أن قيل له : هل فى المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم أما سمعت قوله عز وجـل (وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى ٱلْقُرْبَى *) الآية ، واستدلوا بقوله عز وجـل : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *) وبقوله تعالى : (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ *) وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة

والذى يصح فى الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية ، إذ لا يجوز تضييع مسلم ، ولـكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم مايزيل الحاجة قرضا ، ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه . ويحتمل أن يقال يلزمه بذله فى الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لايجوز له تـكليف الفقير قبول القرض ، وهـذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب ، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه ، وهى أقل الرتب . وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة ، قال الله تعالى : (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا *) يحفكم أى يستقص عليكم ، فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة ، وبين عبد لايستقصى عليه لبخله : فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال

المعنى الثانى : التطهير من صفة البخل ، فانه من المهلكات ، قال صلى الله عليه وسـلم [(١)] « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » وقال تعالى : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ *) وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا ،

(١) حديث ثلاث مهلكات ـ الحديث : تقدم

* البقرة : ١٧٧ * الأنفال : ٣ * المنافقون : ١٠ * محمد : ٣٧ * التغابن : ١٦

وكيفية التفصى منه ، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال ، فحب الشىء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا. فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى

المعنى الثالث : شكر النعمة ، فإن لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكراً لنعمة البدن ، والمالية شكراً لنعمة المال ،وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله !

الوظيفة الثانية : فى وقت الأداء . ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة فى الامتثال ، بايصال السرور إلى قلوب الفقراء ، ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات ، وعلماً بأن فى التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ، ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم ، فان ذلك لمة الملك ، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فما أسرع تقلبه ، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر ، وله لمة عقيب لمة الملك ، فليغتنم الفرصة فيه ، وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعاً شهراً معلوما ، وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته ، وذلك كشهر المحرم ، فانه أول السنة وهو وهو من الأشهر الحرم ، أو رمضان فقد « كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)] أَجْوَدَ الْخَلْقِ وَكَانَ فِي رَمَضَانَ كَالرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ لَا يُمْسِكُ فِيهِ شَيْئاً » ولرمضان فضيلة ليلة القدر ، وأنه أنزل فيه القرءان . وكان مجاهد يقول : لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان . وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام ، وفيه الحج الأكبر ، وفيه الأيام المعلومات وهى العشر الأول ، والأيام المعدودات وهى أيام التشريق ، وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر ، وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول

---

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود مايكون فى رمضان ـ الحديث : أخرجاه من حديث ابن عباس

كتاب الشعب

إحياء علوم الدّين

للإمام أبى حامد الغزالى

الجزء الثالث

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العينى - القاهرة ت: ٣١٨١٠

الوظيفة الثالثة : الإسرار ، فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم :[١] « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ إِلَى فَقِيرٍ فِي سِرٍّ » وقال بعض العلماء[٢] « ثَلَاثٌ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ مِنْهَا إِخْفَاءُ الصَّدَقَةِ » وقد روى أيضاً مسنداً وقال صلى الله عليه وسلم:[٣] « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلاً فِي السِّرِّ فَيَكْتُبُهُ اللهُ لَهُ سِرًّا ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَكُتِبَ فِي الْعَلَانِيَةِ ، فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَكُتِبَ رِيَاءً » وفى الحديث المشهور :[٤] « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ أَحَدُهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ بِمَا أَعْطَتْ يَمِينُهُ » وفى الخبر:[٥] « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » وقال تعالى : (وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ *) وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم[٦] : « لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُسْمِعٍ وَلَا مُرَاءٍ وَلَا مَنَّانٍ » والمتحدث بصدقته يطلب السمعة ، والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء ، والإخفاء والسكوت هو المخلص منه .

وقد بالغ فى فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى ، فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى ، وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى ، وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم ، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه ، كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه ، واحترازاً من الرياء والسمعة

---

(١) حديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر: أحمد حب ك من حديث أبى ذر ولأبى داود من حديث أبى هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد المقل

(٢) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها اخفاء الصدقة: أبو نعيم فى كتاب الايجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٣) حديث ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر ـ الحديث : الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف

(٤) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث صدقة السر تطفىء غضب الرب: طب من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب و هق فى الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ان الصدقة لتطفىء غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا

(٦) حديث لايقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان : لم أظفر به هكذا

* البقرة ٢٧١

ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى، إذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً، وليس فى معرفة المتوسط إلا الرياء، ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال، وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال، وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا، وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الأفاعى، وهو مأمور بتضعيفهما أوقتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما، فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية، فبقدر ما ضعف من العقرب زاد فى قوة الحية، ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه، وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها، والعمل بخلاف مقتضاها، فأى فائدة فى أن يخالف دواعى البخل ويجيب دواعى الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى. وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات

الوظيفة الرابعة: أن يُظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيباً للناس فى الاقتداء، ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء، فقد قال الله عز وجل: (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ *) وذلك حيث يقتضى الحال الابداء، إما للاقتداء، وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس، فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الإظهار، بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان، وهذا لأن فى الاظهار محذوراً ثالثاً سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بان يُرى فى صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى إظهاره، وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور، والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه، فأما من أظهره فاقامة الحد عليه إشاعة، ولكن هو السبب فيها، وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ » وقد قال الله تعالى (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً *) ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص

---

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له: عد حب فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف

* البقرة ٢٧١ * فاطر ٢٨

فقد يكون الاعلان فى بعض الأحوال لبعض الاشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة ، اتضح له الأولى والأليق بكل حال

الوظيفة الخامسة: أن لا يفسد صدقته بالمنّ والأذى ، قال الله تعالى (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى *) واختلفوا فى حقيقة المنّ والأذى ، فقيل المنّ أن يذكرها ، والأذى أن يظهرها . قال سفيان : من منّ فسدت صدقته ، فقيل له كيف المنّ ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به . وقيل المنّ أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل المنّ أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « لَا يَقْبَلُ اللهُ صَدَقَةَ مَنَّانٍ »

وعندى أن المنّ له أصل ومغرس ، وهو من أحوال القلب وصفاته ، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح ، فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه ، وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار ، وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهناً به ، فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [2] « إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِى يَدِ السَّائِلِ » . فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه ، والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفهاً وجهلا ، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه ، أما هو فإنما يقضى الذى لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمنّ به على غيره ، ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه ، إما ببذل ماله إظهاراً لحب الله تعالى ، أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل ، أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد ؛ وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه ، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى

---

(١) حديث لا يقبل الله صدقة منان : هو كالذى قبله بحديث لم أجده

(٢) حديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل : قط فى الافراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق فى الشعب بسند ضعيف

* البقرة : ٢٦٤

نفسه محسناً إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المنّ ، وهو التحدث به ، وإظهاره ، وطلب المكافأة منه ، بالشكر والدعاء ، والخدمة والتوقير ، والتعظيم والقيام بالحقوق ، والتقديم فى المجالس ، والمتابعة فى الأمور . فهذه كلها ثمرات المنة : ومعنى المنة فى الباطن ما ذكرناه

وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه وهو منبعه أمران .(أحدهما) كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه ، فان ذلك يضيق الخلق لامحالة و(الثانى) رؤيته أنه خير من الفقير ، وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه ، وكلاهما منشؤه الجهل . أما كراهية تسليم المال فهو حمق ، لأن من كره بذل درهم فى مقابلة مايساوى ألفا فهو شديد الحمق ، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب فى الدار الآخرة ، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكراً لطلب المزيد ، وكيفما فرض فالكراهة لاوجه لها . وأما الثانى فهو أيضا جهل ، لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير ، بل تبرك به وتمنى درجته ، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ، ولذلك قال صلّى الله عليه وسلم « هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ وَربِّ ٱلْكَعْبَةِ . فَقَالَ أَبُوذَرٍّ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ ٱلْأَكْثَرُونَ أمْوَالاً » الحديث . ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له ، إذ يكتسب المال بجهده ، ويستكثر منه ، ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة . وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذى يضره لو سلم اليه . فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ، ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات ، إلى أن يموت فيأكله أعداؤه ، فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له فى أداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه ، انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه ، وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة . فهذا منشأ المن والأذى

فإن قلت : فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض ، فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا ؟

فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة ، وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أومالأ عدوا له عليه مثلا ، هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق ؟ فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة ، لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك

فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه ، فما دواؤه ؟

فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا ، أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب ، وأن الفقير هو المحسن اليه فى تطهيره بالقبول . وأما الظاهر فالأعمال التى يتعاطاها متقلد المنة ، فإن الأفعال التى تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتى أسراره فى الشطر الأخير من الكتاب ،ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين ، وهو يستشعر مع ذلك كراهية لوْ رَدَّهُ وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا

وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول : احفظ مايدعو به ، ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان : هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا . فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله . وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما ، وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ، ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها ، هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ، ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل. وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: [1] « لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا » وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « لَا يَتَقَبَّلُ اللهُ صَدَقَةَ مَنَّانٍ » وكقوله عز وجل : (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى *) وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر ، وقد أشرنا إلى معناه فى كتاب الصلاة

---

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ماعقل منها : تقدم فى الصلاه

* البقرة : ٢٦٤

الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فانه إن استعظمها أعجب بها، والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال ، قال تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا *) ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل ، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل . وقيل : لا يتم المعروف الا بثلاثة أمور : تصغيره ، وتعجيله ، وستره . وليس الاستعظام هو المنّ والأذى، فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أورباط أمكن فيه الاستعظام ، ولا يمكن فيه المنّ والاذى ، بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات

ودواؤه علم وعمل ، أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أوربع العشر قليل من كثير ، وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا فى فهم الوجوب ، فهو جدير بأن يستحى منه ، فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا : فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ما ذا يصرفه ، فالمال لله عز وجل ، وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله ، فلم يستعظم فى حق الله تعالى ماهو عين حق الله سبحانه ، وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ماينتظر عليه أضعافه . وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عز وجل ، فتكون هيئته الانكسار والحياء ، كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض ، لأن المال كله لله عز وجل ، وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه ، وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله ، كما قال الله عز وجل : (فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا *)

الوظيفة السابعة : أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه ، فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث أبان عن أنس بن مالك[1] « طُوبَى لِعَبْدٍ أَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ » وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب ، إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله ، فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام

(١) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عدو البزار

* التوبة : ٢٥ محمد : ٣٧

فى بيته لأوغر بذلك صدره . هـذا إن كان نظره إلى الله عز وجـل ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى ، أو أكل فأفنى ، والذى يأكله قضاء وَطَر فى الحال ، فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار . وقد قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ *) أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم . وفى الخبر [١] « سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ » وذلك بأن يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده ، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبدل ، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجـل بشىء مما يحبه ، وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون ، فقال تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا *) وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ، ثم ابتدأ وقال : (جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ *) أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ، ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فان فى عمومهم خصوص صفات ، فليراع خصوص تلك الصفات ، وهى ستة:

الأولى : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم [٢] « لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » . وهـذا لأن التقى يستعين به على التقوى ، فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك إياه . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « أَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الْأَتْقِيَاءَ وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ » وفى لفظ آخر [٤] « أَضِفْ بِطَعَامِكَ مَنْ تُحِبُّهُ فِى اللَّهِ تَعَالَى » . وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم

---

(١) حديث سبق درهم مائة ألف : ن حب وصححه من حديث أبى هريرة ،

(٢) حديث لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى : د ت من حديث أبى سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى

(٣) حديث أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين : ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول

(٤) حديث أضف بطعامك من يحبه الله : ابن المبارك أنبأنا جويبر عن الضحاك مرسلا

* البقرة : ٢٦٧ * النحل : ٦٢

فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل ، فقال : لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت همّ أحدهم فلأن أردهمة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا ، فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه ، وقال هذا : ولى من أولياء الله تعالى ، وقال : ماسمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ، ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال : اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك . وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه

الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة ، فان ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية . وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم ، فقيل له : لو عممت ! فقال : إنى لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء ، فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم ، فتفريغهم للعلم أفضل

الصفة الثالثة : أن يكون صادقا فى تقواه وعامه بالتوحيد ، وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة . فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه ، وهو أن يرى أن النعمة كلها منه . وفى وصية لقمان لابنه : لا تجعل بينك وبين الله منعما ، وأعدد نعمة غيره عليك مغرما . ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل ، إذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله . فمهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ، ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه ، والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ، ومزيل للضعف والتردد عنها ، ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث ، فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب ، وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره ، فذلك حركة لسان يقل فى الأكثر جدواه ، وإعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع . وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ، ويدعو بالشر عند الإيذاء ، وأحواله متفاوتة .

وقد روى « أَنَّهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] بَعَثَ مَعْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْفُقَرَاءِ وَقَالَ لِلرَّسُولِ: احْفَظْ مَا يَقُولُ فَلَمَّا أَخَذَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ وَلَا يُضَيِّعُ مَنْ شَكَرَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تَنْسَ فُلَانًا ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ فَاجْعَلْ فُلَانًا لَا يَنْسَاكَ يَعْنِي بِفُلَانٍ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَسُرَّ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِمْتُ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده! وقال صلى الله عليه وسلم [٢] لرجل: تُبْ، فَقَالَ: أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ » [٣] ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه قومى فقبِّلى رأسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: والله لَا أَفْعَلُ ولا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، فقال صلى الله عليه وسلم: دَعْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ. وفى لفظ آخر: أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه: بِحَمْدِ اللهِ لَا بِحَمْدِكَ وَلَا بِحَمْدِ صَاحِبِكَ، فَلَمْ يُنْكِرْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك، مع أن الوحى وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين،

---

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء، وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ـ الحديث: لم أجد له أصلا إلا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هـذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حدير فقد روينا من طريق البيهقى أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شيء قال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل أن هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين

(٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ـ الحديث: أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف

(٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث: د من حديث عائشة بلفظ فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أحمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال أبواى قومى اليه فقلت لا والله لاأقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال أبوبكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لاأدنو منه ـ الحديث: وفيه أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك

قال الله تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ *) ومن لم يصفُ باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره ، فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه

الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لايكثر البث والشكوى ، أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته ، فهو يتعيش فى جلباب التجمل ، قال الله تعالى: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا *) أى لا يلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم ، أعزة بصبرهم . وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ، ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل ، فثواب صرف المعروف اليهم أضعاف مايصرف إلى المجاهرين بالسؤال

الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب ، فيوجد فيه معنى قوله عز وجل (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ *) أى حبسوا فى طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضربا فى الأرض لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف . فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها ، « وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] يُعْطِي الْعَطَاءَ عَلَى مِقْدَارِ الْعَيْلَةِ » وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال

الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام ، فتكون صدقة وصلة رحم ، وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى ، قال علىّ رضى الله عنه : لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن أتصدق بمائه درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة . والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب . فليراع هذه الدقائق

(١) حديث كان يعطى العطاء على مقدار العيلة : لم أر له أصلا ولابى داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفيء قسمه فى يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا

* الزمر : ٤٥ * البقرة : ٢٧٣

فهذه هى الصفات المطلوبة ، وفى كل صفة درجات ، فينبغى أن يطلب أعلاها ، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ، ومهما اجتهد فى ذلك وأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، فانّ أحَدَ أجْرَيه فى الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل فى قلبه واجتهاه فى طاعته . وهذه الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوّقه إلى لقاء الله عز وجل . والأجر الثانى : مايعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته ، فإن قلوب الأبرار لها آثار فى الحال والمآل ، فان أصاب حصل الاجران ، وإن أخطا حصل الاوّل دون الثانى فبهذا يضاعف أجر المصيب فى الاجتهاد هاهنا وفى سائر المواضع ، والله أعلم

الفصل الثالث

فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لايستحق الزكاة إلاحر مسلم ليس بها شمى ولامطابي اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل. ولاتصرف زكاة إلى كافر، ولا إلى عبد، ولا إلى هاشمي ، ولا إلى مطلبي . أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما إذا قبض وليهما. فلنذكر صفات الأصناف الثمانية

الصنف الأول : الفقراء :

والفقير : هو الذى ليس له مال ولا قدرة له على الكسب ، فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين ، وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير ، لانه فى الحال قد عدم ماهو محتاج اليه وما هو عاجز عنه ، فلا ينبغى أن يشترط فى الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة ، فان هـذا غلو ، والغالب انه لا يوجد مثله ، ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال ، فلا يجعل السؤال كسبا ، بخلاف مالو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر ، فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير، ويجوز أن يشترى له آلة ، وإن قدر على كسب لايليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير

وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته ، وإن كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الاوقات فليكتسب ، لان الكسب أولى من ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » وأراد به السعى فى الاكتساب . وقال عمر رضى الله عنه : كسب فى شبهة خير من مسألة ، وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب ، فليس بفقير

الصنف الثانى : المساكين

والمسكين : هو الذى لا يفى دخله بخرجه ، فقد يملك ألف درهم وهو مسكين ، وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا وهو غنى ، والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين ، وكذا أثاث البيت ، أعنى مايحتاج إليه ، وذلك مايليق به ، وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة ، وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر ، وحكم الكتاب حكم الثوب ، وأثاث البيت فانه محتاج إليه ، ولكن ينبغى أن يحتاط فى قطع الحاجة بالكتاب ، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم ، والاستفادة ، والتفرج بالمطالعة . أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع فى الآخرة ولا يجرى فى الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس ، فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطر ، ويمنع اسم المسكنة . وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته ، فلا تباع فى الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين ، وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة . وأما حاجة الاستفادةُ والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به ، فان كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه ، وإن لم يكن فهو محتاج إليه ، ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة ، فينبغى أن يضبط مدة الحاجة . والأقرب أن يقال : مالا يحتاج إليه فى السنة فهو مستغنى عنه ، فان من فضل من قوت يومه شىء لزمته الفطرة ، فاذا قدرنا القوت باليوم

---

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة: الطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ا. مسعود بسند ضعيف

لحاجة أثاث البيت ، وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة ، فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه ،وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما ، فان قال إحداهما أصح والأخرى أحسن فانا محتاج اليهما ، قلنا : اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه ، وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة ، فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط ، وإن كان قصده التدريس فيحتاج اليهما ، إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى ، وأمثال هذه الصور لا تنحصر ، ولم يتعرض له في فن الفقه ، وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره ، فان استقصاء هذه الصور غير ممكن ، إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها ، وليس لهذه الأمور حدود محدودة ، ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ، ويقرب في التحديدات بما يراه ، ويقتحم فيه خطر الشبهات ، والمتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها إلا الاحتياط . والله أعلم

الصنف الثالث : العاملون

وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ، ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ، ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل ، فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف ، وإن نقص كمل من مال المصالح

الصنف الرابع : المؤلفة قلوبهم على الإسلام

وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم

الصنف الخامس : المكاتبون

فيدفع إلى السيد سهم المكاتب ، وإن دفع إلى المكاتب جاز ، ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبداً له

الصنف السادس : الغارمون

والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير ، فإن استقرض في معصية

فلايعطى إلا إذا تاب،وإن كان غنيالم يقض دينه إلا إذا كان قداستقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة

الصنف السابع : الغزاة الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة

فيصرف اليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو

الصنف الثامن : ابن السبيل

وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها ، فيعطى إن كان فقيرا ، وإن كان له مال ببلد آخر أعطي بقدر بلغته

فإن قلت : فبم تعرف هذه الصفات

قلنا : أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ، ولا يطالب ببينة ، ولا يحلف ، بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه . وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز ، فان لم يف به استرد . وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة ،فهذه شروط الاستحقاق . وأما مقدار مايصرف إلى كل واحد فسيأتى

بيان وظائف القابض

وهى خمسة

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة اليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحدا، فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *) ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفى الحاجات ، فأكثر الأموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم ، فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه فى الخطر ، ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق مريضه ، فزوى عنه فضولها ، وساق اليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب ، والتعب فى الجمع والحفظ عليهم ، وفائدته تنصب إلى الفقراء ، فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت ، فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ، ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة ، وهذا منتهى النعمة . فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ،

* الذاريات : ٥٦

ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه ، كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى . فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة . ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله ، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ماأباحه الله عز وجل ، فان استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل ، مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه

الثانية : أن يشكر المعطى ويدعوله ويثنى عليه ، ويكون شكره ودعاؤه بحيث لايخرجه عن كونه واسطة ، ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه ، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة ، وذلك لاينافى رؤية النعمة من الله سبحانه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ ٱللَّهَ » وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها ، نحو قوله تعالى : (نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [1]) إلى غير ذلك ، وليقل القابض فى دعائه : طهر الله قلبك فى قلوب الأبرار ، وزكى عملك فى عمل الأخيار ، وصلى على روحك فى أرواح الشهداء . وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ، ولايحقره ، ولايذمه ، ولايعيره بالمنع إذا منع ، ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه ، فوظيفة المعطى الاستصغار ، ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام ، وعلى كل عبد القيام بحقه ، وذلك لاتناقض فيه ، إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض ، والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ، ويضره خلافه ، والآخذ بالعكس منه : وكل ذلك لايناقض رؤية النعمة من الله عز وجل ، فإن من لايرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا

الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه ، فان لم يكن من حل تورع عنه (وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [2]) ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال ،

---

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله : ت وحسنه من حديث أبى سعيد وله ولأبى داود وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح

(٢) حديث من أسدى اليكم معروفا فكافئوه ـ الحديث : د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح بلفظ من صنع

(١) ص : ٤٤ (٢) الطلاق : ٢ ، ٣

فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان مايسلم إليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، فان فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتى بيانه فى كتاب الحلال والحرام ، وذلك إذا عجز عن الحلال ، فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة ، إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام

الرابعة : أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه ، فلا يأخذ إلا المقدار المباح ، ولا يأخذ الا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق ، فان كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين ، وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل ، وإن أعطى زيادةً أبى وامتنع ، اذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به ، وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده ، وإن كان غازيا لم يأخذ الاما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة ، وتقدير ذلك بالاجتهاد ، وليس له حدّ ، وكذا زاد السفر ، والورع ترك مايريبه إلى مالا يريبه ، وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أوّلا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها مايستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته ، فيمكن أن يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته ، وكل ذلك إلى اجتهاده ، وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق ، وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق ، وبينهما أوساط مشتبهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا

وللمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ، ولا تنحصر مراتبه . وميل الورع إلى التضييق ، وميل المتساهل إلى التوسيع ، حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع ، وهو ممقوت فى الشرع

ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالاً كثيراً ، بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة . فهذا أقصى مايرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ، ومن حيث « إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] ادَّخَرَ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَةٍ » فهذا أقرب مايحدّ به حدّ الفقير والمسكين . ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى

(١) حديث ادخر لعياله قوت سنة: أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر

ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة ، فمن مبالغ فى التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته ، وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] نَهَى عَنِ السُّؤَالِ مَعَ الْغِنَى فَسُئِلَ عَنْ غِنَاهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَدَاؤُهُ وَعَشَاؤُهُ » . وقال آخرون : يأخذ إلى حد الغنى . وحد الغنى نصاب الزكاة ، إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الاغنياء ، فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة . وقال آخرون : حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب ، لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم [2] قال « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَالٌ يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِى وَجْهِهِ خُمُوشٌ » فسئل : وماغناه ؟ قال : خمسون درهما أوقيمتها من الذهب . وقيل راويه ليس بقوى . وقال قوم أربعون ، لمارواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم [3] قال « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أُوقِيَّةٌ فَقَدْ أَلْحَفَ فِى السُّؤَالِ » . وبالغ آخرون فى التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره ، أو يهيء بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره ، لأن هذا هو الغنى . وقد قال عمر رضى الله عنه : إذا أعطيتم فأغنوا . حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم ، إلا إذا خرج عن حد الاعتدال [4] ولما شُغل أبو طَلْحَةَ ببستانه عن الصَّلاة قال جَعَلْتُهُ صَدَقَةً فقال صلى الله عليه وسلم « اجْعَلْهُ فِى قَرَابَتِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » فأعطاه حسان وأبا قتادة ، فحائط من نخل لرجلين كثير مغن . وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظائرلها . فهذا ما حكى فيه

فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الأبواب ، وذلك مستنكر ، وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال ، وهو أيضا مائل إلى الإسراف

---

(١) حديث سهل بن الحنظلية فى النهى عن السؤال مع الغنى فيسال مايغنيه فقال غداؤه وعشاؤه: د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم ـ الحديث :

(٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش ـ الحديث : أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائى والخطابى

(٣) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال: د ن من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابى فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبى سعيد

(٤) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة : تقدم فى الصلاة

والأقرب إلى الاعتدال كفاية سَنَة ، فما وراءه فيه خطر ، وفيما دونه تضييق . وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف ، فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع[1] « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » كما قاله صلى الله عليه وسلم ، إذ الاثم حِزَازُ القلوب ، فإذا وَجد القابض فى نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر ، فان لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات ، وفيها تخمينات واقتحام شبهات ، والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة

الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه ، فان كان مايعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لايستحق مع شريكه الا الثمن ، فلينقص من الثمن مقدار مايصرف إلى اثنين من صنفه . وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق ، فانهم لايراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل . وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم . وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

من الأخبار :

قوله صلى الله عليه وسلم :[2] « تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[3] « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا

---

(١) حديث استفت قلبك وان أفتوك تقدم فى العلم

(٢) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار: ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استترى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان ولابى يعلى والبزار من حديث أبى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان وأسناده ضعيف وللترمذى و ن فى الكبرى و ه فى حديث معاذ والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار

(٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم

فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم:[١] « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا طَيِّبًا إِلَّا كَانَ اللهُ آخِذَهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَبْلُغَ التَّمْرَةُ مِثْلَ أُحُدٍ » وقال صلى الله عليه وسلم:[٢] لأبي الدرداء « إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ثُمَّ انْظُرْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٣] « مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ إِلَّا أَحْسَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخِلَافَةَ عَلَى تَرِكَتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٤] « كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٥] « الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الشَّرِّ » وقال صلى الله عليه وسلم : « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ »

وقال صلى الله عليه وسلم :[٦] « مَا الَّذِي أَعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَفْضَلَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يَقْبَلُ مِنْ حَاجَةٍ » ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين ، فيكون مساوياً للمعطى الذي يقصد بإعطائه عمارة دينه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم :[٧] « أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَنْ تَصَدَّقَ . وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَتَخْشَى الْفَاقَةَ وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى

---

(١) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا ـ الحديث : خ تعليقا و م ت ن فى الكبرى واللفظ له ه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث قال لأبي الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ـ الحديث : م من حديث أبي ذر انه قال ذلك له وماذكره المصنف انه قال لابى الدرداء وهم

(٣) حديث ماأحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته : ابن المبارك فى الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا باسناد صحيح واسنده الخطيب فيمن روي عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه

(٤) حديث كل امرىء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس : حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر

(٥) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر : ابن المبارك فى البر من حديث أنس بسند ضعيف أن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء

(٦) حديث ماالمعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة : حب فى الضعفاء وطب فى الأوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٧) حديث سئل أي الصدقة أفضل ؟ قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبي هريرة

إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومُ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] يوماً لأصحابه : « تَصَدَّقُوا ، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ عِنْدِى دِينَاراً ، فَقَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَ إِنَّ عِنْدِى آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى زَوْجَتِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِى آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِى آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِى آخَرَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ أَبْصَرُ بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم: [2] « لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ » وقَالَ : [3] « رُدُّوا مَذَمَّةَ السَّائِلِ وَلَوْ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّائِرِ مِنَ الطَّعَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم : [4] « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ »

وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائباً من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام « وَكَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [5] لَا يَكِلُ خَصْلَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَضَعُ طَهُورَهُ بِاللَّيْلِ وَيُخَمِّرُهُ ، وَكَانَ يُنَاوِلُ الْمِسْكِينَ بِيَدِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : [6] « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِى تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَاللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً » وقال صلى الله عليه وسلم [7] « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِماً إِلَّا كَانَ فِي حِفْظِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رُقْعَةٌ »

الآثار :

قال عروة بن الزبير : لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفاً وإن درعها لمرقع .

---

(١) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك ـ الحديث : د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل بيسير

(٢) حديث لاتحل الصدقة لآل محمد ـ الحديث : م من حديث المطلب بن ربيعة

(٣) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام : العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة

(٤) حديث لو صدق السائل ماأفلح من رده : العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة قال العقيلى لايصح فى هذا الباب شىء وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف

(٥) حديث كان لايكل خصلتين إلى غيره ـ الحديث : الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا

(٦) حديث ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

(٧) حديث مامن مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله ـ الحديث : ت وحسنه و ك وصحح أسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

وقال مجاهد فى قول الله عز وجل : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً[1]) فقال : وهم يشتهونه . وكان عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا . وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه . وقال ابن أبى الجعد : إن الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء ، وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفاً ، وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا . وقال ابن مسعود : إن رجلا عَبَدَالله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ، ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة . وقال لقمان لابنه : اذا أخطأت خطيئة فاعط الصدقة . وقال يحي بن معاذ . ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان المرض ، وكتمان الصدقة ، وكتمان المصائب ، وروى مسنداً . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة . أنا أفضلكن . وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقوا مِمَّا تُحِبُّونَ[2]) والله يعلم أنى أحب السكر . وقال النخعى . اذا كان الشىء لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله . ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ، ومن كسا لله عز وجل كساه الله . وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته ، فقد أبطل صدقته ، وضرب بها وجهه . وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لأنه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص . ويقال : إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال لا ، قال فاذهب فان الله عز وجل رضي فى الحور العين بالفلس واللقمة

---

(١) الانسان : ٨ (٢) آل عمران : ٩٢

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص فى ذلك ، فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل . ونحن نشير إلى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ، ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه .

أما الاخفاء ففيه خمسة معان :

الأول : أنه أبقى للستر على الآخذ ، فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة ، وكشف عن الحاجة ، وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف

الثانى : أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم ، فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء ، أو ينسبونه إلى أخذ زيادة ، والحسدُ وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر ، وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السختيانى : إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يُحدث فى جيرانى حسدا . وقال بعض الزهاد : ربما تركت استعمال الشيء لأجل اخوانى : يقولون : من أين له هذا ؟ وعن ابراهيم التيمى أنه رئى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : من أين لك هذا ؟ فقال كسانيه أخى خَيْثَمَة» ولو علمت أن أهله علموا به ماقبلته

الثالث : إعانة المعطى على إسرار العمل ، فان فضل السر على الجهر فى الاعطاء أكثر ، والاعانة على إتمام المعروف معروف ، والكتمان لايتم إلا باثنين : فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى . ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه اليه ، ودفع اليه آخر شيئاً فى السر فقبله ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إن هذا عمِلَ بالأدب فى إخفاء معروفه فقبلته ، وذاك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه . وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئا فى الملا فردّه ، فقال له: لم ترد على الله عز وجل ماأعطاك ؟ فقال : إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل ، فرددتُ عليك شِرْكك . وقبل بعض العارفين فى السر شيئاً كان رده فى العلانية ، فقيل له فى ذلك ، فقال : عصيتَ الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية ،

وأطعته بالاخفاء فأعنتك على برك . وقال الثورى : لو علمت أن أحدهم لايذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته

الرابع : أن فى إظهار الأخذ ذلا وامتهانا ، وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول : إن فى إظهاره إذلالاً للعلم وامتهانا لأهله، فما كنت بالذى أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله

الخامس : الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ أُهْدِيَ لَهُ هَدِيَةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاؤُهُ فِيهَا » وبأن يكون ورقا أوذهبا لايخرج عن كونه هدية . قال صلى الله عليه وسلم [2] « أَفْضَلُ مَا يُهْدِي الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ وَرِقًا أَوْ يُطْعِمُهُ خُبْزًا » فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى فى الملأ مكروه إلابرضا جميعهم ، ولايخلو عن شبهة ، فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة

أما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة :

الأول : الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة

والثانى : إسقاط الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء ، وإسقاط النفس من أعين الخلق . قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً ، فانك لاتخلو عن أحد رجلين : رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك ، فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك واقل لآفات نفسك ، أورجل تزداد فى قلبه باظهارك الصدق ، فذلك الذى يريده أخوك ، لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك ، فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه

الثالث : هو أن العارف لانظرله إلاإلى الله عز وجل ، والسر والعلانية فى حقه واحد ،

---

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها: العقيلى وابن حبان فى الضعفاء وطب فى الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال عق لا يصح فى هذا المتن حديث

(٢) حديث أفضل مايهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يعطيه خبزا: عد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولأحمد و ت وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق أو منحة لبن أو هدى رفاقا فهو كعتاق نسمة

فاختلاف الحال شرك فى التوحيد . قال بعضهم : كنا لانعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويردفى العلانية . والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال ، بل ينبغى أن يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين ، فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد ، فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال . لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لايراه أحد ، فانفرد كل واحد وذبح ، إلا ذلك المريد فانه رد الدجاجة ، فسألهم فقالوا : فعلنا ما أمرنا به الشيخ ، فقال الشيخ للمريد:مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال ذلك المريد : لم أقدر على مكان لايرانى فيه أحد فان الله يرانى فى كل موضع، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل

الرابع : أن الاظهار إقامة لسنة الشكر ، وقد قال تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] والكتمان كفران النعمة ، وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَيْهِ » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا فى السر فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل . ولذلك قال بعضهم : إذا أعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر . والشكر فيه محثوث عليه ، قال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » والشكر قائم مقام المكافأة ، حتى قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِهِ خَيْراً وَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » (٣) ولما قال المهاجرون فى الشكر يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّ مَا شَكَرْتُمْ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ فَهُوَ مُكَافَأَةٌ »

---

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه: أحمد من حديث عمران ابن حصين بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكره الله تقدم

(٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم ـ الحديث : ت وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن فى اليوم والليلة و ك وصححه هـ

[1] الضحى : ١١ [2] النساء : ٣٧

فالآن إذا عرفت هـذه المعانى فاعـلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسألة بل هو اختلاف حال

فكشف الغطاء فى هذا أنا لا نحكم حكما بتًّا بأن الاخفاء أفضل فى كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات ، وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص ، فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه ، حتى لا يتدلى بحبل الغرور ، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ، ومكر الشيطان . والمكر والخداع أغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار ، مع أن له دخلا فى كل واحد منهما ، فأما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل الطبع إليه ، لما فيه من خفض الجاه والمنزلة ، وسقوط القدر عن أعين الناس ، ونظر الخلق إليه بعين الازدراء ، وإلى المعطى بعين المنعم المحسن . فهذا هو الداء الدفين ، ويستكن فى النفس ، والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها :

ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد ، وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله ، فانه إن كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن ، أو يتقي انتهاك الستر ، أو إعانة المعطى على الاسرار ، أو صيانة العلم عن الابتذال ، فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه ، فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره : فتقديره الحذر من هـذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه ، فإن اذلال العلم محذور من حيث إنه علم لا من حيث إنه علم زيد أو علم عمرو ، والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لا من حيث إنها تعرض لعرض زيد على الخصوص . ومن أحسن من ملاحظة مثل هـذا ربما يعجز الشيطان عنه ، والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ .

وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى إكرامه وتفقده . وهذا داء دفين فى الباطن ، والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ، ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الاظهار ، وقصده الباطن ماذكرناه

ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لاينتهي الخبر إلى المعطي، ولا إلى من يرغب في عطائه ، وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها ، وعادتهم أنهم لايعطون الامن يخفي ولايشكر ، فان استوت هـذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة ، وإلافهو مغرور

ثم إذا علم أن باعثه السنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر : فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي أن يخفي ولا يشكر ، لأن قضاء حقه أن لاينصره على الظلم ، وطلبه الشكر ظلم

وإذا علم من حاله أنه لايحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] للرجل الذي مدح بين يديه : « ضَرَبْتُمْ عُنُقَهُ ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد [2] « إِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] في آخر « إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم [4] « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً » وقال صلى الله عليه وسلم [5] « إِذَا عَلِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ خَيْراً فَلْيُخْبِرْهُ فَإِنَّهُ يَزْدَادُ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم [6] « إِذَا مُدِحَ الْمُؤْمِنُ رَبَا الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ » وقال الثوري : من عرف نفسه لم يضره مدح الناس

---

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ماأفلح: متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لو سمعها ماأفلح أبدا وفي سنده علي ابن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى

(٢) حديث أنه سيد الوبر: العنبري و طب وابن قانع في معاجمهم وحب في الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك

(٣) حديث اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه: ه من حديث ابن عمر ورواه د في المراسيل من حديث الشعبي مرسلا بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف و ك نحوه من حديث معبد بن خالد الانصاري عن أبيه وصحح أسناده

(٤) حديث أن من البيان لسحرا :خ من حديث ابن عمر

(٥) حديث اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير: قط في العلل من رواية ابن المسيب عن أبي هريرة وقال لايصح عن الزهري وروى عن ابن المسيب مرسلا

(٦) حديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه : طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

وقال أيضاً ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفاً كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر

ودقائق هذه المعانى ينبغى أن يلحظها من يراعى قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان ، وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع . ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر كله ، وتتعطل

وعلى الجملة فالأخذ فى الملأ والرد فى السر أحسن المسالك وأسلمها، فلا ينبغى أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية ، وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

بيان الأفضل من أخذ الصدقة والزكاة*

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الاخذ من الصدقة أفضل ، فان فى أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ، ولأنه ربما لا يكمل فى أخذه صفة الإستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز ، وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع ، وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ، ولأن الزكاة لامنة فيها ، وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ، ولأنه أخذ بالحاجة ، والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين ، فإن الغالب أن المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيرا ولأن مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة فى معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته

والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية ، فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغى أن يأخذ الزكاة ، فاذا علم أنه مستحق قطعا كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا ، فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة ، فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال

لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة ، فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ، ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين ، وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير ، والأمر فيهما يتفاوت . وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال . والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين . والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب أسرار الصوم

كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنه ، بما دَفَعَ عنهم كيد الشيطان وفنَّه ، ورد أمله وخيب ظنه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجُنَّه ، وفتح لهم به أبواب الجنه ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنه ، وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة، ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة . والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنه ، وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول المرجحة ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فان الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم [١] « الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ » وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم [٢] « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ » ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان ، إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم [٣] « كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » وقد قال الله تعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [١]) والصوم نصف الصبر ، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ، وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم [٤] « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ » وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ

﴿ كتاب أسرار الصيام ﴾

(١) حديث الصوم نصف الصبر: ت وحسنه من حديث رجل من بنى سليم و ه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث الصبر نصف الايمان: أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن

(٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم ـ الحديث: أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث والذي نفسى بيده لخلوف فم الصائم ـ الحديث : أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله

(٥) حديث للجنة باب يقال له الريان ـ الحديث : أخرجاه من حديث سهل بن سعد

(٦) حديث للصائم فرحتان ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(١) الزمر : ١٠

وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم[١] « لِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ ، وَبَابُ الْعِبَادَةِ الصَّوْمُ » . وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[٣] قال : « إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَنَادَى مُنَادٍ : يَابَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ وَيَابَاغِيَ الشَّرِّ اقْصِرْ »

وقال وكيع فى قوله تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ[(١)]) هى أيام الصيام اذ تركوا فيها الأكل والشرب . وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا و بين الصوم[٤] فقال « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالشَّابِّ الْعَابِدِ فَيَقُولُ أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتَهُ لِأَجْلِي الْمُبْذِلُ شَبَابَهُ لِي أَنْتَ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلَائِكَتِي » وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[٥] انْظُرُوا يَا مَلَائِكَتِي إِلَى عَبْدِي تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَلَذَّتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي » وقيل فى قوله تعالى : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[(٢)]) قيل كان عملهم الصيام لأنه قال : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ[(٣)]) فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ، ويجازف جزافا ، فلا يدخل تحت وَهْمٍ وتقدير . وجدير بأن يكون كذلك ، لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له ، كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه ، والأرض كلها له ، لمعنيين

---

(١) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم: ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

(٢) حديث نوم الصائم عبادة: رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبدالله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية الا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبى أوفى وفيه سليمان ابن عمرو النخعي أحد الكذابين

(٣) حديث اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ـ الحديث : ت وقال غريب و هو ك وصححه على شرطها من حديث أبى هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد رأصله متفق عليه دون قوله ونادمناد

(٤) حديث ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته ـ الحديث : عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٥) حديث يقول الله تعالي لملائكته ياملائكتى انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى

(١) الحاقة : ٢٤ (٢) السجدة : ١٧ (٣) الزمر : ١٠

أحدهما : أن الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد ، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لا يراه إلا الله عز وجل ، فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد

والثانى : أنه قهر لعدوّ الله عز وجل ، فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وانما تقوى الشهوات بالأكل والشرب . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ » . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « دَاوِمِى [٢] قَرْعَ بَابِ الْجَنَّةِ . قَالَتْ : بِمَاذَا ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالْجُوعِ » . وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات

فلما كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه ، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ، ففى قمع عدو الله نصرة لله سبحانه ، وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له ، قال الله تعالى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [١]) فالبداية بالجهد من العبد ، والجزاء بالهداية من الله عز وجل ، ولذلك قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [٢]) وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [٣]) وانما التغيير تكثير الشهوات ، فهى مرتع الشياطين ومرعاهم ، فمادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم ، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِى آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة ، وصار جنة .

وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة ، بذكر أركانه ، وسننه ، وشروطه الباطنة . ونبين ذلك بثلاثة فصول :

---

(١) حديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ـ الحديث : متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع

(٢) حديث قال لعائشة داومى قرع باب الجنة ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم ـ الحديث : أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه

(١) محمد : ٧ (٢) العنكبوت : ٦٩ (٣) الرعد : ١١

الفصل الأول

فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

أما الواجبات الظاهرة فستة

الأوّل : مراقبة أوّل شهر رمضان ، وذلك برؤية الهلال ، فإن غمّ فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان . ونعنى بالرؤية العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد ، ولا يثبت هلال شوّال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ، ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضى به ، فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه ، وإذا رؤى الهلال ببلدة ولم يُرَ بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ، ولا يتعدّى الوجوب

الثانى : النية . ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة ، فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه ، وهو الذى عنينا بقولنا كل ليلة ، ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع ، وهو الذى عنينا بقولنا مبيتة ، ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل ، واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم ، أو يستند إلى استصحاب حال كالشك فى الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النية ، أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ، ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ، ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك ، كما لو قال فى وسط رمضان : أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ، ومحل النية لا يتصور فيه تردد ، بل هو قاطع بأنه من رمضان . ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته . ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها

الثالث : الإمساك عن إيصال شىء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم ، فيفسد صومه بالأكل ، والشرب ، والسعوط ، والحقنة . ولا يفسد بالفصد ، والحجامة ، والاكتحال ،

وإدخال الميل فى الأذن والاحليل ، إلا أن يقطر فيه مايبلغ المثانة . وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه ، أو مايسبق إلى جوفه فى المضمضة فلا يفطر ، إلا إذا بالغ فى المضمضة فيفطر لأنه مقصر ، وهو الذى أردنا بقولنا : عمدا . فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسى فإنه لايفطر ، أما من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء ، وإن بقى على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه . ولا ينبغى أن يأكل فى طرفى النهار إلا بنظر واجتهاد

الرابع : الإمساك عن الجماع ، وحده مغيب الحشفة . وإن جامع ناسيا لم يفطر ، وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر ، وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع فى الحال صح صومه ، فان صبر فسد ولزمته الكفارة

الخامس : الامساك عن الاستمناء ، وهو إخراج المنى قصداً بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر . ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل ، لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه ، فلا بأس بالتقبيل ، وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المنى أفطر لتقصيره

السادس : الامساك عن إخراج القىء ، فالاستقاء يفسد الصوم ، وإن ذرعه القىء لم يفسد صومه . وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به ، إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه ، فانه يفطر عند ذلك

وأما لوازم الافطار فأربعة :

القضاء ، والكفارة ، والفدية ، وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين

أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضى الصوم ، وكذا المرتد . أما الكافر والصبى والمجنون فلا قضاء عليهم . ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ، ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا .

وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع . وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لاتجب به كفارة . فالكفارة عتق رقبة ، فان أعسر فصوم شهرين متتابعين ، وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مُدًّا مُدًّا

وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ، ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ، ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين . ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك ، والصوم فى السفر أفضل من الفطر الا إذا لم يطق ، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ، ولا يوم يقدم إذا قدم صائما

وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما ، لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا

وأما السنن فست : تأخير السحور ، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة ، وترك السواك بعد الزوال ، والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ، ومدارسة القرآن والاعتكاف فى المسجد لاسيما فى العشر الأخير ، فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] «كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ طَوَى الْفِرَاشَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ وَدَأَبَ وَأَدْأَبَ أَهْلَهُ» أى أداموا النصب فى العبادة ، إذ فيها ليلة القدر ، والأغلب أنها فى أوتارها ، وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع ، والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى ، فان نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة : كما لو خرج لعيادة ، أو شهادة أو جنازة أو زيارة ، أو تجديد طهارة . وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع ، وله أن يتوضأ فى البيت . ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر «كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] لَا يَخْرُجُ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَسْأَلُ عَنِ الْمَرِيضِ إِلَّا مَارًّا» . وينقطع التتابع بالجماع ، ولا ينقطع بالتقبيل ، ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح ، وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست ، فكل ذلك قد يحتاج إليه فى التتابع . ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه «كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [3] يُدْنِي رَأْسَهُ فَتُرَجِّلُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ فِي الْحُجْرَةِ» ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغى أن يستأنف النية ، الا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا ، والأفضل مع ذلك التجديد .

---

(١) حديث كان اذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر

(٢) حديث كان لا يخرج الا لحاجته ولا يسأل عن المريض الا مارا: متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى رواه أبو داود بنحوه بسند لين

(٣) حديث كان يدنى رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

الفصل الثانى

فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص

أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله

وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام

وأما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية . ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ، وبالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين ، فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا ، حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة ، فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل ، وقلة اليقين برزقه الموعود . وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين . ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا ، فانه اقبال بكنه الهمة على الله عز وجل ، وانصراف عن غير الله سبحانه ، وتلبس بمعنى قوله عز وجل : (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ[1])

وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين : فهو كف الجوارح عن الآثام . وتمامه بستة أمور

الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل مايذم ويكره ، وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللهِ آتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] أنه قال « خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ : الْكَذِبُ وَالْغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ »

---

(١) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ـ الحديث : ك وصحح أسناده من حديث حذيفة

(٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرون الصائم ـ الحديث : الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب

(١) الأنعام : ٩١

الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، والزامه السكوت ، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرءان فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه ، وروى ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصيام: الغيبة والكذب . وقال صلى الله عليه وسلم[١] « إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ » وجاء فى الخبر « أَنَّ[٢] امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَدَهُمَا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ حَتَّى كَادَتَا أَنْ تَتْلَفَا فَبَعَثَتَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنَانِهِ فِي الْإِفْطَارِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا قَدَحًا وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لَهُمَا قِيئَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا فَقَاءَتْ إِحْدَاهُمَا نِصْفَهُ دَمًا عَبِيطًا وَلَحْمًا غَرِيضًا وَقَاءَتِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى مَلَأَتَاهُ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا قَعَدَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَتَا يَغْتَابَانِ النَّاسَ ، فَهَذَا مَا أَكَلَتَا مِنْ لُحُومِهِمْ »

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، لأن كل ماحرُم قوله حرُم الاصغاء إليه ، ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت ، فقال تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ[١]) وقال عز وجل (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ[٢]) فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى : (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ[٣]) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم[٣] « الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ »

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد ، والرجل ، وعن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار ، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام ، فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا ، فإن الطعام الحلال إنما يضر

---

(١) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما ـ الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : فى الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : بسند فيه مجهول

(٣) حديث المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم غريب وللطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة

(١) المائدة : ٤٢ (٢) المائدة : ٦٣ (٣) النساء : ١٠٤

بكثرته لا بنوعه ، فالصوم لتقليله . وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها ، والحرام سم مهلك للدين ، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله . وقد قال صلى الله عليه وسلم : (١)« كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » فقيل هو الذي يفطر على الحرام ، وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام

الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء جوفه ، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال ، وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه مالا يؤكل في عدة أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى ، لتقوى النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها ، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل ، وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فأما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه ، بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى ، فيصفو عند ذلك قلبه ، ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده ، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)) ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل ؛ وذلك هو الأمر كله ، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام . وسيأتى له مزيد بيان في كتاب الأطعمة ، إن شاء الله عز وجل

---

(١) حديث كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ن ه من حديث أبي هريرة

(١) القدر : ١

السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبَلُ صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين . وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرُغ منها ، فقد روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال : « إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه لطاعته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون ! أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسىء باساءته ! أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب ، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك . وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك ، فقال إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه . فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم .

فان قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح ، فما معناه ؟

فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هى أضعف من هذه الأدلة التى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة ، لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته ، فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول ، وبالقبول الوصول الى المقصود ، ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل ، وهو الصمدية ، والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان ، فأنهم منزهون عن الشهوات ، والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط إلى أسفل السافلين ، والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين ، والتحق بأفق الملائكة ، والملائكة مقربون من الله عز وجل ، والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم ، فان الشبيه من القريب قريب ، وليس القرب ثَمّ بالمكان بل بالصفات

وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب ، فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء ، مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار ؟ ولو كان لمثله جدوى

فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلاَّ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » ؟ ولهذا قال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف لايعيبون صوم الحمقى وسهرهم ، ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين، ولذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر ؛ وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات ، فقد وافق فى الظاهر العدد ، إلا أنه ترك المهم وهو الغسل ، فصلاته مردودة عليه بجهله . ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة ، فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل ، وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال . وقد قال صلى الله عليه وسلم(١) « إِنَّ الصَّوْمَ أَمَانَةٌ فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ » (٢) ولما تلا قوله عز وجل : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا(١)) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة ، والبصر أمانة . ولو لا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فَلْيَقُلْ إِنِّى صَائِمٌ » أى انى أودعت لسانى لاحفظه فكيف أطلقه بجوابك

فإذاً قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ، ولقشورها درجات ، ولكل درجة طبقات ، فاليك الْخِيَرَةَ الآن فى أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب

---

(١) حديث انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته : الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث فى الامانة والصوم واسناده حسن

(٢) حديث لما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة : د من حديث أبى هريرة دون قوله السمع أمانة

(١) النساء : ٥٨

الفصل الثالث

فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة ، وبعضها يوجد فى كل شهر ، وبعضها فى كل أسبوع

أما فى السنة بعد أيام رمضان : فيوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذى الحجة ، والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم ، وهى أوقات فاضلة وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) يُكْثِرُ صَوْمَ شَعْبَانَ حَتَّى كَانَ يُظَنُّ أَنَّهُ فِى رَمَضَانَ (٢) وفى الخبر « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ » لأنه ابتداء السنة ، فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . قال صلى الله عليه وسلم(٣) « صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ ثَلاَثِينَ مِنْ غَيْرِهِ وَصَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ ثَلاَثِينَ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ » (٤) وفى الحديث « مَنْ صَامَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ : الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِبَادَةَ تِسْعِمِائَةِ عَامٍ » (٥) وفى الخبر « إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَلاَ صَوْمَ حَتَّى رَمَضَانَ » ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما ، فان وصل شعبان برمضان فجائز ، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّةً (٦) وَفَصَلَ مِرَاراً كَثِيرَةً(٧) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له . وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان

---

(١) حديث كان يكثر صيام شعبان ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم : من حديث أبى هريرة

(٣) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين ـ الحديث : لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما

(٤) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت ـ الحديث : الأزدى فى الضعفاء من حديث أنس

(٥) حديث اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان : الاربعة من حديث أبى هريرة حب فى صحيحه عنه اذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يجىء رمضان وصححه ت

(٦) حديث وصل شعبان برمضان مرة : الاربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان و د ن نحوه من حديث عائشة

(٧) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا : د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال اسناده صحيح و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

فالأشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان ، والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد . وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات ، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج [1] وفى الخبر «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ أَفضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِى الْحِجَّةِ ، إِنَّ صَوْمَ يَوْمٍ مِنْهُ يَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ . وَقِيَامَ لَيْلَةٍ مِنْهُ تَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، قِيلَ : وَلَا الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»

وأما ما يتكرر فى الشهر : فأول الشهر ، وأوسطه ، وآخره . ووسطه الأيام البيض ، وهى الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر

وأما فى الأسبوع : فالاثنين ، والخميس ، والجمعة فهذه هى الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام ، وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات

وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة . وللسالكين فيه طرق : فمنهم من كره ذلك ، إذ وردت أخبار تدل على كراهته [2] والصحيح أنه إنما يكره لشيئين : أحدهما أن لا يفطر فى العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله ، والآخر أن يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه ، مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، فاذا لم يكن شىء من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك ، فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم [3] فيما رواه أبو موسى الأشعرى «مَنْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ وَعَقَدَ تِسْعِينَ» ومعناه لم يكن له فيها موضع

(١) حديث مامن أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله من عشر ذى الحجة ـ الحديث: ت ه من حديث أبى هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء

(٢) الاحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر: خ م من حديث عبد الله بن عمرو فى حديث له لاصام من صام الابد ولمسلم من حديث أبى قتادة قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر قال لاصام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبدالله بن الشخير

(٣) حديث أبى موسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين: أحمد ن فى الكبرى و حب وحسنه أبو على الطوسى

ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر : بأن يصوم يوما ويفطر يوما ، وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها . وقد ورد في فضله أخبار كثيرة ، لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « عُرِضَتْ عَلَيَّ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَكُنُوزُ الْأَرْضِ فَرَدَدْتُهَا وَقُلْتُ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا أَحْمَدُكَ إِذَا شَبِعْتُ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ إِذَا جُعْتُ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ : كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا » ومن ذلك [3] مُنَازَلَتُهُ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا » ، فَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ » وقد روي « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [4] مَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ »

ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه ، وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع في الأوقات الفاضلة ، وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث . وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل . والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضي حاله دوام الصوم ، وقد يقتضي دوام الفطر ، وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه ، وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ، ولذلك روي « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [5] كَانَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات

---

(١) حديث عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا ـ الحديث : ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا وقال حسن

(٢) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود ـ الحديث : أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو

(٣) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وافطر يوما ـ الحديث : أخرجاه من حديثه

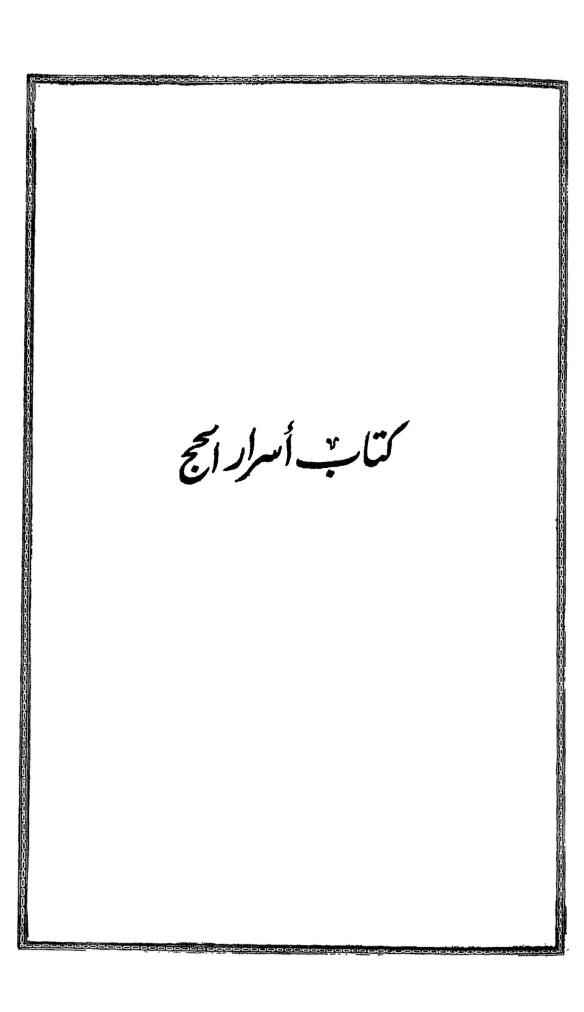
(٤) حديث ماصام شهرا كاملا قط إلا رمضان: أخرجاه من حديث عائشة

(٥) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر ـ الحديث: م أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم و خ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته

وقد كره العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام ، تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق ، وذكروا أن ذلك يقسى القلب ، ويولد ردىء العادات ، ويفتح أبواب الشهوات . ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق ، لا سيما من يأكل فى اليوم والليلة مرتين . فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوّع به . والله أعلم بالصواب

تم كتاب أسرار الصوم ، والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم . وعلى جميع نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم ، وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج ، والله المعين لا رب غيره ،
وما توفيقى إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل



كتاب أسرار الحج

كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنّاً ، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنّاً والصلاة على محمد نبى الرحمة ، وسيد الأمة ، وعلى آله وصحبه قادة الحق ، وسادة الخلق ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه ، عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الاسلام ، وكمال الدين فيه ، أنزل الله عزوجل قوله (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا[(1)]) وفيه قال صلى الله عليه وسلم[(1)] « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأجدر بها أن تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها . وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق ، وجمل أركانها وشرائط وجوبها

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها المخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأوّل وفيه فصلان :

الفصل الأوّل : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد

﴿كتاب أسرار الحج﴾

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث أبى هريرة : و ت نحوه من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال

(١) المائدة : ٣

فضيلة الحج

قال الله عز وجل (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ[١]) وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج ، نادى : يأيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه . وقال تعالى (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ[٢]) قيل التجارة فى الموسم، والأجر فى الآخرة . ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة . وقيل فى تفسير قوله عز وجل: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ[٣]) أى طريق مكة يقعد الشيطان عليه ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم [٢] « مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ فِي يَوْمٍ أَصْغَرَ وَلاَ أَدْحَرَ وَلاَ أَحْقَرَ وَلاَ أَغْيَظَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ » وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة ، وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام ، إذ يقال [٣] « إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوباً لَا يُكَفِّرُهَا إِلاَّ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ » وقد أسنده جعفر ابن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة ، فاذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكى العين ، مقصوف الظهر ، فقال له : ما الذى أبكى عينك؟ قال: خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك ، قال فما الذى أنحل جسمك؟ قال صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلىَّ ، قال فما الذى غير لونك؟ قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلىَّ ، قال فما الذى قصف ظهرك؟ قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن

---

(١) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه: أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر ـ الحديث: مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا

(٣) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة : لم أجد له أصلا

(١) الحج : ٢٧ (٢) الحج : ٢٨ (٣) الاعراف : ١٦

وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً فَمَاتَ أُجْرِيَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَاتَ فِي إِحْدَى الْحَرَمَيْنِ لَمْ يُعْرَضْ وَلَمْ يُحَاسَبْ وَقِيلَ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا وَحِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ لَيْسَ لَهَا جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَزُوَّارُهُ إِنْ سَأَلُوهُ أَعْطَاهُمْ وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وَإِنْ دَعَوْا اسْتُجِيبَ لَهُمْ وَإِنْ شَفَعُوا شُفِّعُوا » وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام (٤) « أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْباً مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَظَنَّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَغْفِرْ لَهُ »

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) أنه قال : « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً : سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ » (٦) وفي الخبر : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ فَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ شَيْءٍ تَجِدُونَهُ فِي صُحُفِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَغْبَطِ عَمَلٍ تَجِدُونَهُ » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة (٧) وفي الخبر : « مَنْ طَافَ أُسْبُوعًا حَافِياً حَاسِراً كَانَ لَهُ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ ، وَمَنْ طَافَ أُسْبُوعًا فِي الْمَطَرِ غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبده ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف

---

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أومعتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة: هق في الشعب بالشطر الاول من حديث أبي هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف

(٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة: أخرجاه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج المبرور وقال أن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة

(٣) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره ـ الحديث: ه من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله ان سألوه أعطاهم وان شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب

(٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له : الخطيب في المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٥) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة : حب في الضعفاء وهق في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر

(٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت ـ الحديث : حب و ك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين

(٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ماسلف من ذنوبه: لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه

وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة ، وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حَجَّ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَكَانَ وَاقِفًا إِذْ نَزَلَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [١]) قال أهل الكتاب : لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر رضى الله عنه: أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين : يوم عرفة ، ويوم جمعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة . وقال صلى الله عليه وسلم : [٢] « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ »

ويروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا ، قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : ياابن موفق حججت عني ؟ قلت نعم ، قال ولبيت عني قلت نعم ، قال فاني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب، وقال مجاهد وغيره من العلماء : إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل ، وصافحوا ركبان الحمر ، واعتنقوا المشاة اعتناقا

وقال الحسن : من مات عقيب رمضان أوعقيب غزو أوعقيب حج ، مات شهيدا .

وقال عمر رضى الله عنه . الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول .

وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة،وأن يستقبلوا الحاج ، ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ، ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام .

ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر ،فنادى أحدهما صاحبه : ياعبد الله فقال الآخر : لبيك ياعبد الله ، قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة قال : لاأدرى ، قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس

---

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم الحديث: أخرجاه من حديث عمر
(٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج : ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م

(١) المائدة : ٣

قال : ثم ارتفعا فى الهواء فعاباعنى ، فانتبهت فزعا ، واغتممت غما شديدا ، وأهمنى أمرى ، فقلت إذا قبل حج ستة أنفس ؟ فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ، فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ، ثم قال : أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟ قال لا ، قال فانه وهب لكل واحد من الستمائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف

وعنه أيضا رضى الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت : اللهم إنى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته ، قال فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى : ياعلى تتسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء ، وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، وأحق بالجود والكرم من العالمين : قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم :[1] « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَ هَذَا الْبَيْتَ أَنْ يَحُجَّهُ فِى كُلِّ سَنَةٍ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ، فَإِنْ نَقَصُوا أَكْمَلَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّ الْكَعْبَةَ تُحْشَرُ كَالْعَرُوسِ الْمَزْفُوفَةِ وَكُلُّ مَنْ حَجَّهَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِهَا يَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا » وفى الخبر :[2] « إِنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ وَصِدْقٍ » و« كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] يُقَبِّلُهُ كَثِيرًا » وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] سَجَدَ عَلَيْهِ » و« كَانَ يَطُوفُ عَلَى الرَّاحِلَةِ

---

(١) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة ألف ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٢) حديث ان الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان ـ الحديث : ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقي الحديث رواه ت وحسنه و ه وحب و ك وصحح اسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح اسناده ورواه ن حب ك من حديث عبدالله بن عمرو

(٣) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا و ن أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا

(٤) حديث انه كان يسجد عليه : البزار و ك من حديث عمر وصحح أسناده

فيضع المِحْجَنَ عليه ثم يقبل طرف المحجن »(١) « وقبّله عمر رضي الله عنه ثم قال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبّلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال يا أبا الحسن هاهنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات ، فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع ، قال : وكيف؟ قال : إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود » قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك

وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم ، وكذلك كل حسنة بمائة ألف ، ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة (٢) وفي الخبر الصحيح : « عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ مَعِي » وقال صلى الله عليه وسلم :(٣) « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي أهل مكة فأحشر بين الحرمين » وفي الخبر :(٤) « إن آدم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام » وجاء في الأثر : « إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام ، فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له »

---

(١) حديث قبله عمر وقال اني لأعلم انك حجر : أخرجاه دون الزيادة التي رواها علي ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين

(٢) حديث عمرة في رمضان كحجة معي : أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معي فهي عند مسلم على الشك تقضي حجة أو حجة معي ورواه ك بزيادتها من غير شك

(٣) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ـ الحديث : ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر

(٤) حديث ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحجك يا آدم ـ الحديث : رواه المفضل الجندي ومن طريقه ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقي في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس

وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم، قال: إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان، ورأيت عبادان ساجدة لجدة. ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها. وفى الخبر [1] « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهذَا الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ وَيُرْفَعُ فِى الثَّالِثَةِ » وروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى: [2] « إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُخَرِّبَ الدُّنْيَا بَدَأْتُ بِبَيْتِى فَخَرَّبْتُهُ ثُمَّ أُخَرِّبُ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ »

فضيلة المقام بمكة المكرمة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة:

الأول: خوف التبرم والانس بالبيت، فإن ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول: يا أهل اليمن يمنكم، ويا أهل الشام شامكم، ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت

الثانى: تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود، فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا. وقال بعضهم: تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر. وقال بعض السلف: كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به. ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل

---

(١) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت ـ الحديث: البزار و حب و ك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة

(٢) حديث قال الله اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره: ليس له أصل

الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها، فإن ذلك مخطر ، وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع . وروى عن وهيب بن الورد المكى قال : كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك ياجبرائيل ماألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم ، لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه

وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة ، وتلا قوله تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[1]) أى أنه على مجرد الارادة ويقال إن السيآت تضاعف بها كما تضاعف الحسنات . وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : الإحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم . وقيل الكذب أيضاً وقال ابن عباس : لأن أذنب سبعين ذنباً بركية أحب إلى من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة . وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة . وبعضهم أقام شهرا ، وما وضع جنبه على الأرض . وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة

ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة ، لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع . فمعنى قولنا : إن ترك المقام به أفضل ، أى بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات ، وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال[1] « إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ تَعَالَى إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنِّي اخرجتُ مِنْك لَمَا خَرَجْتُ » وكيف لا . والنظر إلى البيت عبادة ، والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه ؟

---

(١) حديث انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ماخرجت : ت وصححه و ن فى الكبرى و هو من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء

(١) الحج : ٢٥

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

مابعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالأعمال فيها أيضا مضاعفة، قال صلى الله عليه وسلم[١] « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف، و بعد مدينته الأرض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام، وكذلك سائر الأعمال. وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم[٢] أنه قال: « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِأَلْفِ صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم:[٣] « مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّتِهَا وَلَأْوَائِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٤] « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:[٥] « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »

وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء، وماتبين لى أن الأمر كذلك ، بل الزيارة مأمور بها ، قال صلى الله عليه وسلم[٦] « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْراً » .

---

(١) حديث صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام: متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر

(٢) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة: غريب لم أجده بجملته هكذا و ه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس إئتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ليس فى أسناده من ضعف وقال الذهبي انه منكر

(٣) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة: م من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد

(٤) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـ الحديث: ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح

(٥) حديث لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

(٦) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب

والحديث إنما ورد فى المساجد، وليس فى معناها المشاهد، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ، ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر . وأما المشاهد فلا تتساوى ، بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ، نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد ، وينتقل إليه بالكلية إن شاء

ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام ، مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام ! فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة ، فاذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها ، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة ، كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة

أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه ، فان لم يسلم فيطلب من المواضع ماهو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة ، فهو أفضل المواضع له ، قال صلى الله عليه وسلم [(١)] « اَلْبِلَادُ بِلَادُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخَلْقُ عِبَادُهُ فَأَىُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتَ فِيهِ رِفْقًا فَأَقِمْ وَاحْمَدِ اللهَ تَعَالَى » وفى الخبر: [(٢)] « مَنْ بُورِكَ لَهُ فِى شَىْءٍ فَلْيَلْزَمْهُ وَمَنْ جُعِلَتْ مَعِيشَتُهُ فِى شَىْءٍ فَلَا يَنْتَقِلْ عَنْهُ حَتَّى يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ »

وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده ، فقلت إلى أين ياأباعبد الله ؟ قال : إلى بلد أملا فيه جرابى بدرهم . وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها ، قال : فقلت وتفعل هذا ياأباعبد الله ؟ فقال نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك . وكان يقول : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين ؟ هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن

---

(١) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم : أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف

(٢) حديث من رزق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه: ه من حديث أنس بالجملة الاولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له

ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟ فقيل له : خراسان ، فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ؟ قيل :فالشام ، قال : يشار اليك بالأصابع . أراد الشهرة قيل : فالعراق . قال : بلد الجبابرة . قيل مكة . قال : مكة تذيب الكيس والبدن . وقال له رجل غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى . قال : أوصيك بثلاث : لاتصلين فى الصف الأول ، ولاتصحبن قرشيا ، ولا تظهرن صدقة . وإنما كره الصف الأول لانه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثانى

فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط : فشرط صحة الحج اثنان : الوقت ، والاسلام . فيصح حج الصبى ، ويحرم بنفسه إن كان مميزا ، ويحرم عنه وليه أن كان صغيرا ، ويفعل به مايفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر . فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة ، وجميع السنة وقت العمرة ، ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لايتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى

وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام ، والحرية ، والبلوغ ، والعقل ، والوقت . فان أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد و بلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر ، أجزأهما عن حجة الاسلام ، لأن الحج عرفة ، وليس عليهما دم إلاشاة . وتشترط هذه الشرائط فى قوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت

وإما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ : فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام . فحج الاسلام متقدم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ، ثم النذر ،ثم النيابة . ثم النفل وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وإن نوى خلافه

وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ ، والاسلام ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة . ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة . ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ، ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج

وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة ، وذلك له أسباب : أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلابحر مخطر ولاعدو قاهر ، وأما فى المال فبأن يجد نفقته ذهابه وايابه إلى وطنه ، كان له أهل أولم يكن ، لأن مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة ، وأن يملك مايقضى به ديونه ، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بحمل أوزاملة إن استمسك على الزاملة

وأما النوع الثانى : فاستطاعة المعضوب بماله ، وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ، ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ، ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا ، لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المال فيه منة على الوالد . ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ، ولكنه فيه على خطر ، فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه ، وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج ، وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص ، كسائر ديونه . وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولاحج عليه

ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى ، قال عمر رضى الله عنه : لقد هممت أن أكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا ! وعن سعيد ابن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس : لوعلمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه . وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه . وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا ، وقرأ قوله عزوجل « (١) رَبِّ أَرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » قال الحج

وأما الأركان التى لايصح الحج بدونها فخمسة : الاحرام ، والطواف ، والسعى بعده ، والوقوف بعرفة ، والحلق بعده على قول . وأركان العمرة كذلك إلاالوقوف

والواجبات المجبورة بالدم ست : الاحرام من الميقات ، فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة ، والرمى فيه الدم قولا واحدا . وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس . والمبيت بمزدلفة

(١) المؤمنون : ٩٩

والمبيت بمنى . وطواف الوداع . فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحـد القولين ، وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب

وأما وجوب أداء الحج والعمرة فثلاثة : الأول الافراد وهو الأفضل، وذلك أن يقدم الحج وحده ، فاذا فرغ خرج إلى الحـل فأحرم واعتمر. وأفضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية : وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع

الثانى : القران وهو أن يجمع فيقول : لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهـما ، ويكفيه أعمال الحج ، وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل ، إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين . وأما طوافه فغـير محسوب لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه ، لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة

الثالث : التمتع ، وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ، ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط :

أحدها: أن لايكون من حاضرى المسجد الحرام، وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة

الثانى : أن يقدم العمرة على الحج

الثالث : أن تـكون عمرته فى أشهر الحج

الرابع : أن لا يرجع إلى ميقات الحج ، ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج

الخامس : أن يكون حجـه وعمرته عن شخص واحـد

فاذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة ، فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة ، وسبعة إذا رجع إلى الوطن. وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا. وبدل دم القران والتمتع سواء . والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران

وأما محظورات الحج والعمرة فستة :

الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة ، بل ينبغى أن يلبس أزارا ورداء ونعلين ، فان لم يجد نعلين فكعبين ، فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ، ولـكن لا ينبغى أن يغطي رأسـه فان احرامه فى الرأس . وللمرأة أن تلبس

كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها فى وجهها

الثانى : الطيب ، فليجتنب كل مايعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة

الثالث : الحلق والقلم ، وفيهما الفدية أعنى دم شاة . ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر

الرابع : الجماع ، وهو مفسد قبل التحلل الأول ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه ، وأن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه

الخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء ، فهو محرم ، وفيه شاة ، وكذا فى الاستمناء . ويحرم النكاح والانكاح ، ولادم فيه لأنه لا ينعقد

السادس : قتل صيد البر أعنى مايؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام ، فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة ، وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثانى

فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشر جمل

الجملة الاولى فى السير من أول الخروج إلى الاحرام ، وهى ثمانية :

الأولى فى المال : فينبغى أن يبدأ بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، ويرد ماعنده من الودائع ، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، ويتصدق بشىء قبل خروجه ، ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف ، أو يكتريها ، فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه

الثانية : فى الرفيق : ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ، وإن عجز قواه ، وإن ضاق صدره صبره . ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه ؛ فيودعهم ويلتمس أدعيتهم ؛ فان الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا

والسنة في الوداع أن يقول[1] «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» وكان صلى الله عليه وسلم [2] يقول لمن أراد السفر « فِي حِفْظِ اللهِ وَكَنَفِهِ ، زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا كُنْتَ »

الثالثة : في الخروج من الدار : ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أولا ، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، وفي الثانية الاخلاص ، فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة ، وقال : اللهم أنت الصاحب في السفر ، وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة ، اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم انا نسألك أن تطوى لنا الأرض ، وتهون علينا السفر ، وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال ، وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب ، اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ، ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ، ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك

الرابعة : إذ حصل على باب الدار قال : بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أوأذل أو أذل ، أوأزل أوأزل ، أوأظلم أوأظلم ، أو أجهل أو يجهل على ، اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك . فاذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت ، وبك اعتصمت وإليك توجهت ، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي ، فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ، اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت . ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه

﴿ الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة ﴾

(١) حديث استودع الله دينك وأماناتك وخواتيم عملك : د ت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل اذا اراد سفرا ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا

(٢) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد سفرا في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت في الدعاء : الطبراني من حديث أنس وهو عند ت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكنفه

الخامسة فى الركوب : فاذا ركب الراحلة يقول : بسم الله وبالله والله أكبر ، توكلت على الله ، ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى كله اليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك ، أنت حسبي ونعم الوكيل ؛ فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال ، سبحان الله والحمدلله ولا إله إلاالله والله أكبر، سبع مرات ، وقال : الحمد لله الذى هدانالهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور

السادسة فى النزول: والسنة أن لاينزل حتى يحمى النهار ، ويكون أكثر سيره بالليل ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ » وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ، ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وماجرين ، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شره وشر مافيه ، اصرف عنى شرشرارهم ، فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامة التى لايجوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق . فاذا جن عليه الليل يقول : ياأرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر مافيك ، وشر مادب عليك ،أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وماولد ، ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [(١)] ﴾

السابعة فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار ، فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظا عند النوم[2] فان نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه ، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه ، هكذا كان ينام

(١) حديث عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار : د من حديث أنس دون قوله مالا تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا

(٢) حديث كان اذا نام فى أول الليل افترش ذراعه واذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه : أحمد و ت فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى الى م ولم أره فيه

(١) الانعام : ١٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره ، لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لايدرى، فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج . والأحب فى الليل [١] أَنْ يَتَنَاوَبَ الرَّفِيقَانِ فِى الْحِرَاسَةِ ، فاذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة ، فان قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله ، والاخلاص والمعوذتين ، وليقل : بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ، حسبى الله توكلت على الله ، ماشاء الله لا يأتى بالخير الا الله ، ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، تحصنت بالله العظيم ، واستغثت بالحى الذى لايموت ، اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام ، واكنفنا بركنك الذى لا يرام ، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا ، اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين

الثامنة : مهما علا نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ، ثم يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبّح ، ومهما خاف الوحشة فى سفره قال: سبحان الله الملك القدوس، رب الملائكة والروح، جللت السموات بالعزة والجبروت

الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة :

الأول: أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام ، أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ، ويتمم غسله بالتنظيف، ويسرح لحيته ورأسه ، ويقلم أظفاره ، ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة

الثانى : أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الاحرام ، فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ، ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام [٢] فقد « رُوِىَ بَعْضُ الْمِسْكِ عَلَى مَفْرِقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْإِحْرَامِ » مما كان استعمله قبل الاحرام

---

(١) حديث تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر: هق من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى أى الليل أحب اليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال له اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى ـ الحديث: والحديث عند أبى داود لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى

(٢) حديث رؤية وبيض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام : متفق عليه من حديث عائشة قالت كأنما أنظر الى وبيض المسك ـ الحديث :

الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا ، أو يبدأ بالسير إن كان راجلا ، فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما أراد ، ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ، ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وان زاد قال: لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والرغباء اليك ، لبيك بحجة حقا ، تعبدا ورقا ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

الرابع : إذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول : اللهم إني أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله مني ، اللهم انى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك ، واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم ، اللهم فيسرلى أداء مانويت من الحج ، اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبي ومخى وعظامى ، وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة . ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل ، فليجتنبها

الخامس : يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق ، وعند اجتماع الناس ، وعند كل صعود وهبوط ، وعند كل ركوب ونزول ، رافعا بها صوته بحيث لايبح حلقه ولاينبهر [1] فانه لَا يُنَادِي أَصَمَّ وَلا غَائِبًا كما ورد فى الخبر . ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة ، فانها مظنة المناسك ، أعنى المسجد الحرام ، ومسجد الخيف ، ومسجد الميقات . وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت . وكان صلى الله عليه وسلم [2] إذا أعجبه شيء قال « لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ » .

---

(١) حديث انكم لاتنادون أصم ولا غائبا : متفق عليه من حديث أبى موسى

(٢) حديث كان اذا أعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة : الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخير خير الآخرة

الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف ، وهي ستة :

الأول : أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة . والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة : الأول للاحرام من الميقات ، ثم لدخول مكة ، ثم لطواف القدوم ، ثم للوقوف بعرفة ، ثم للوقوف بمزدلفة ، ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ، ولا غسل لرمي جمرة العقبة ، ثم لطواف الوداع . ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع ، فتعود إلى سبعة

الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة : اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على النار ، وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك

الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف « عَدَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] مِنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا » فالتأسي به أولى . وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى ، والاولى هي العليا

الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت ، فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، ودارك دار السلام ، تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته ، اللهم فزده تعظيما ، وزده تشريفاً وتكريماً ، وزده مهابة ، وزد من حجه برا وكرامة ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك ، وأعذني من الشيطان الرجيم

الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل : بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قرب من البيت قال : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ، وليرفع يديه وليقل : اللهم اني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري ، الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا ، وجعله مباركا وهدى للعالمين ، اللهم إني عبدك

---

(١) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف : متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالبطحاء الحديث

والبلد بلدك، والحرم حرمك، والبيت بيتك، جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك، الراجى لرحمتك، الطالب مرضاتك .

السادس: أن تقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة ، فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة فى الطواف :

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وأما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة :

الأول: أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام ، وليضطبع قبل ابتداء الطواف، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ، ويشتغل بالادعية التى سنذكرها

الثانى : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ، ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان ، فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف فى البيت . والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ، ثم من هذا الموقف يبتدىء الطواف

الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف : بسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . ويطوف ، فأول مايجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك ، وهذا الحرم حرمك ، وهذا الامن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار . وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام ابراهيم عليه السلام: اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين

فأعذني من النار ، من الشيطان الرجيم ، وحرم لحمي ودمي على النار ، وآمني من أهوال يوم القيامة ، واكفني مؤنة الدنيا والآخرة . ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي، فعنده يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك ، والكفر والنفاق ، والشقاق وسوء الاخلاق ، وسوء المنظر في الاهل والمال والولد . فاذا بلغ الميزاب قال : اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لاظل إلاظلك ، اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا . فاذا بلغ الركن الشامي قال : اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا عليه مشكورا ، وذنبا مغفورا ، وتجارة لن تبور ، ياعزيز ياغفور ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم . فاذا بلغ الركن اليماني قال : اللهم إني أعوذ بك من الكفر ، وأعوذ بك من الفقر ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة . ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود : اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار . فاذا بلغ الحجر الأسود قال : اللهم اغفرلي برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر ، وضيق الصدر وعذاب القبر . وعند ذلك قدتم شوط واحد : فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط

الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط،ويمشي في الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة . ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطأ، وهو دون العدو،وفوق المشي المعتاد ؛ والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة .هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار و بقيت تلك السنة[1] والأفضل الرمل مع الدنو من البيت؛ فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل ؛ فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ؛ثم ليقرب إلى البيت في المزدحم

---

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل : فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمي يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ـ الحديث : وأما الاضطباع فروى د ه ك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وليمش أربعا ؛ وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب ؛ وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبّل يده ؛ وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان . وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) كَانَ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ وَيُقَبِّلُهُ (٢) وَيَضَعُ خَدَّهُ عَلَيْهِ » (٣) ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى

الخامس : إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم ؛ وهو بين الحجر والباب ؛ وهو موضع استجابة الدعوة ؛ وليلتزق بالبيت ؛وليتعلق بالأستار ؛وليلصق بطنه بالبيت؛ وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه ، وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم ؛ وأعذنى من كل سوء ؛ وقنعنى بما رزقتنى ؛ وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك ؛ والعبد عبدك ؛ وهذا مقام العائذ بك من النار ؛ اللهم اجعلنى أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى

السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى

---

(١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى : متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة اذا استلم الركن الاسود ـ الحديث : ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الاركان الا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى اذا أتيت البيت معه استلم الركن

(٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له : متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا استلم الركن اليمانى قبله

(٣) حديث وضع الخد عليه: قط ك من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى ـ الحديث : قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور

قل ياأيها الكافرون ، وفى الثانية الاخلاص ، وهما ركعتا الطواف ، قال الزهرى[١] مَضت السُّنة أن يصلى لكل سبع ركعتين ، وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز[٢] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل أسبوع طواف ، وليدع بعد ركعتى الطواف ، وليقل: اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى ، واغفرلى فى الآخرة والاولى ، واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك ، وأعنىّ على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك ، واجعلنى ممن يُحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين ، اللهم فكما هديتنى إلى الاسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك ، واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك ، وأجرنى من مضلات الفتن . ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف . قال صلى الله عليه وسلم:[٣] « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ اسْبُوعًا وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ » : وهذه كيفية الطواف . والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت ، وأن يبتدىء بالحجر الاسود ويجعل البيت على يساره ، وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت ، لاعلى الشاذروان ولافى الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولايفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد ، وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

الجملة الخامسة فى السعى :

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر ، فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل ، فيرقى فيه درجات

---

(١) حديث الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين : ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين

(٢) حديث قرانه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع : ابن أبى حاتم من حديث بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفى أسنادهما عبد السلام بن أبى الجبوب منكر ـ الحديث :

(٣) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة : ت وحسنه و ن ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة

فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] حَتَّى بَدَتْ لَهُ الْكَعْبَةُ » وابتداء السعي من أصل الجبل كاف . وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة ، فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متما للسعي . وإذا ابتدأ من هاهنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات

وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول : الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله على ماهدانا ، الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا ، وعلما نافعا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة . ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوا لله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء

ثم ينزل ويبتدىء السعي وهو يقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ويمشى على هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول مايلقاه إذا نزل من الصفا ، وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرميل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين ، ثم يعود إلى الهينة

فإذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا ، وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء ، وقد حصل السعي مرة واحدة ، فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان ، يفعل ذلك سبعا

---

(١) حديث انه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة : م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت

ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ، ويسكن فى موضع السكون كما سبق ، وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة ، فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة ؛ بخلاف الطواف. وإذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف . ويكتفى بهذا ركنا ، فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن، نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف . وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة، فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدوّ منها إلى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال ؛ إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر . فينبغى أن يخرج إلى منى ملبيا . ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه ، والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد.

فاذا انتهى إلى منى قال : اللهم هذه منى فامنن علىّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك . وليمكث هذه الليلة بمنى ، وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك، فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح ، فاذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول : اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك ، اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل

فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فَثَمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَّتَهُ [1] . ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف .

---

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة : مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة ـ الحديث :

فاذا زالت الشمس خطب الأمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن فى الأذان والامام فى الخطبة الثانية، ووصل الاقامة بالاذان ، وفرغ الامام مع تمام إقامة المؤذن،ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وقصر الصلاة ، وراح إلى الموقف، فليقف بعرفة ولا يقفن فى وادى عرنة

وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ، ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم . والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا ، وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ، ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ، ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل لأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى

وينبغى أن لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار ، وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات

ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ، ثم يريق دما لأجل الفوات ، ثم يقضى العام الآتى . وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ، ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات

والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وعن السلف فى يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ،

(١) حديث الدعاء المأثور فى يوم عرفة لااله الا الله وحده لاشريك له ـ الحديث : ت من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلى لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى اللهم انى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح وقال ليس بالقوى اسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه ياعلى ان أكثر دعاء من قبلى يوم عرفة أن أقول لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبي نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمري اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر وشر مايلج

وفى بصري نورا ، وفى لسانى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى. وليقل: اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما نقول ،لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى واليك ثوابى اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر ، اللهم إنى أعوذ بك من شرما يلج فى الليل ،ومن شر مايلج فى النهار ، ومن شر ماتهب به الرياح، ومن شر بوائق الدهر ، اللهم إنى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك، اللهم اهدنى بالهدى ، واغفرلى فى الآخرة والأولى ،ياخير مقصود ، وأسنى منزول به ، وأكرم مسؤل مالديه ، أعطنى العشية أفضل ماأعطيت أحدا من خلقك وحجاج بيتك ياأرحم الراحمين اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ، ويافاطر الأرضين والسموات : ضجت اليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى اليك أن لاتنسانى فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا، اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولايخفى عليك شيء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه . اللهم لاتجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا . رحيما ، ياخير المسؤلين ، وأكرم المعطين . الهى من مدح لك نفسه فانى لائم نفسى ، الهى أخرست المعاصى لسانى فمالى وسيلة من عمل ، ولاشفيع سوى الأمل . الهى إنى أعلم أن ذنوبي لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين . إلهى إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغنى ، ورحمتك وسعت كل شيء ، وأنا شيء . إلهى إن ذنوبى وإن كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم . إلهى أنت أنت وأنا أنا العواد إلى الذنوب، وأنت العواد إلى المغفرة . إلهي إن كنت لاترحم إلا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون .

فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم انك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولايخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر الحديث : الى قوله ياخير المسؤلين وياخير المعطين واسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف وفى بعضه ماهو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

إلهى تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصدا ، فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى ، فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك وفقرى اليك وغناك عنى إلا غفرت لى ، يا خير من دعاه داع ، وأفضل من رجاه راج ، بحرمة الاسلام ، وبذمة محمد عليه السلام أتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى ، واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج ، وهب لى ماسألت، وحقق رجائى فيما تمنيت . إلهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه . إلهى ماأنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه ، خاشع لك بذلته ، مستكين بجرمه ، متضرع اليك من عمله ، تائب اليك من اقترافه ، مستغفر لك من ظلمه ، مبتهل اليك فى العفو عنه ، طالب اليك نجاح حوائجه ، راج اليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه ، فياملجأ كل حى ، وولى كل مؤمن ، من أحسن فبرحمتك يفوز ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك . اللهم اليك خرجنا ، وبفنائك أنخنا ، وإياك أملنا ، وما عندك طلبنا ، ولإحسانك تعرضنا ، ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا ، واليك بأثقال الذنوب هربنا ، ولبيتك الحرام حججنا ، يامن يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمائر الصامتين ، يامن ليس معه رب يدعى ، ويامن ليس فوقه خالق يخشى ، ويامن ليس له وزير يؤتى ، ولا حاجب يرشى ، يامن لا يزداد على كثرة السؤال إلا جودا وكرما ، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا . اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ، ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة . اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ، ولكل سائل عطية ، ولكل راج ثوابا ، ولكل ملتمس لما عندك جزاء ، ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ، ولكل متوسل إليك عفوا ، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ، ووقفنا بهذه المشاعر العظام ، وشهدنا هذه المشاهد الكرام ، رجاء لما عندك ، فلا تخيب رجاءنا . إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك ، وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك ، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك ، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك ، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك ، وعنت الوجوه لعظمتك ، إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت ، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت ، وإن عصوا سترت ، وإن أذنبوا عفوت وغفرت ، وإذا دعونا أجبت ، وإذا نادينا سمعت ، وإذا أقبلنا إليك قربت ،

وإذا ولينا عنك دعوت . إلهنا إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ [1]) فأرضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود ، وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ، ولمحمد بالرسالة مخلصين ، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام ، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الاسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فأعتقنا ، وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول : يامن لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ، يامن لا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا تضجره مسئلة السائلين ، أذقنا برْد عفوك وحلاوة مناجاتك ، وليدع بمابداله . وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وليلح فى الدعاء ، وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة : اللهم لا ترد الجميع من أجلى . وقال بكر المزنى قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم

الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار . وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الابل كما يعتاده بعض الناس ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « نَهَى عَنْ وَجِيفِ الْخَيْلِ وَإِيضَاعِ الْإِبِلِ ، وقَالَ : اتَّقُوا اللهَ وَسِيرُوا سَيْراً جَمِيلاً لَا تَطَؤُا ضَعِيفاً وَلَا تُؤْذُوا مُسْلِماً » فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم ، فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم ، ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية

---

(١) حديث نهى النبى عن وجيف الخيل وايضاع الابل: ن ك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس فى ايضاع الابل وقال ك ليس البر ابا يجاف الخيل والابل وللبخارى من حديث ابن عباس فان البر ليس بالايضاح

(١) الأنفال : ٣٨.

فاذا بلغ المزدلفة ، قال : اللهم إن هذه مزدلفة ، جمعت فيها ألسنة مختلفة ، تسألك حوائج مؤتنفة، فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له ، وتوكل عليك فكفيته ، ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ، ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين ، فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر ، وتكليف ايقاعها في الاوقات إضرار وقطع للتبعية بينها و بين الفرائض. فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى . ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك . ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه

ثم إذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل، ويتزود الحصى منها ، ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة . ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ، ثم ليغلس بصلاة الصبح ، وليأخذ في المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام ، والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام ، أبلغ روح محمد منا التحية والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، ياذا الجلال والاكرام

ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له وادى محسر ، فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلا أسرع في المشى

ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير : فيلبي تارة ويكبر أخرى ، فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة ، فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر ؛ حتى ينتهى الى جمرة العقبة ، وهى على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل ، وهو ظاهر بمواقع الجمرات ، ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح

وكيفيته : أن يقف مستقبلا للقبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ، ويرمى سبع حصيات رافعا يده ، ويبدل التلبية بالتكبير ، ويقول مع كل حصاة : الله أكبر على طاعة الرحمن

ورغم الشيطان ، اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك ، فاذا رمى قطع التلبية والتكبير ، الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق . ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله

وصفة التكبير أن يقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحانه الله بكرة وأصيلا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لااله الاالله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله إلا الله والله أكبر. ثم ليذبح الهدى إن كان معه ، والأولى أن يذبح بنفسه ، وليقل : بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وأليك ، تقبل مني كما تقبلت من خليك ابراهيم

والتضحية بالبدن أفضل ، ثم بالبقر ، ثم بالشاة ، والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة ، والضأن أفضل من المعز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] «خَيْرُ الْأُضْحِيَةِ الْكَبْشُ الْأَقْرَنُ» والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء . وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل في الأضحى من دم سوداوين . وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع . ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء . والجدع في الأنف والاذن القطع منهما . والغضب في القرن : وفي نقصان القوائم . والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق . والخرقاء من أسفل . والمقابلة المخروقة الأذن من قدام . والمدابرة من خلف . والعجفاء المهزولة التي لاتنقى أي لا مخ فيها من الهزال

ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ، ثم ليحلق الباقي ويقول : اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة ، وارفع لي بها عندك درجة . والمرأة تقصر الشعر ، والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه . ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الأول ، وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد

ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه . وهذا الطواف طواف ركن في الحج ، ويسمى طواف الزيارة . وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر . وأفضل وقته يوم النحر ،

---

(١) حديث خير الاضحية الكبش: د من حديث عبادة بن الصامت و ت ه من حديث أبي أمامة قال ت غريب وعفير يضعف في الحديث

ولا آخر لوقته بل أن يؤخر إلى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الاحرام ، فلا تحل له النساء إلى أن يطوف ، فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ، ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم. فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ، وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى

وأسباب التحلل ثلاثة : الرمى ، والحلق، والطواف الذى هو ركن. ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف

والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال، وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الحج أربع خطب : خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة . وخطبة[1] يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الأول . وكلها عقيب الزوال ، وكلها افراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة

ثم إذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى ، فيبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون، فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ، ويرمى اليها بسبع حصيات ، فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ، ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ، ويقف كما وقف للاولى ، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعا ، ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ، ويصبح

---

(١) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم: خ من حديث أبى بكرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله هـ من حديث ابن عمر وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا ـ الحديث : وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع

فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هـذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ، ثم هو مخـير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة ، فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه ، وان صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى في يوم النفر الثاني أحـدا وعشرين حجرا كما سبق . وفي ترك المبيت والرمى اراقة دم ، وليتصدق باللحم ، وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ (١) ولا يتركن حضور الفرائض مع الأمام في مسجد الخيف ، فان فضله عظيم ، فاذا أفاض من مني فالاولى أن يقيم بالمحصب من منى ، ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة (٢) رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه

الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ، ويحرم بالعمرة من ميقاتها

وأفضل مواقيتها الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية . وينوى العمرة ويلبي ، ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ، ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام ، فاذا دخـل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا . فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته

والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف . وليكثر النظر إلى البيت . فاذا دخـله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل ، وليدخله حافيا موقرا ، قيل لبعضهم : هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقـال : والله ما أرى هاتين القـدمين أهـلا للطواف حول بيت ربى

---

(١) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت بمنى: د في المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى وفيـه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الاسناد ولأبى داود من حـديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق

(٢) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة :خ من حـديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة ـ الحديث:

فكيف أراهما أهلا لأن ألقاهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا ؟ وليكثر شرب ماء زمزم ، وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه ، وليرتو منه حتى يتضلع ، وليقل : اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم، وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة!

قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » أي يشفي ماقصد به

الجملة التاسعة في طواف الوداع

مهما عنّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله ، وليشد رحاله ، وليجعل آخر أشغاله وداع البيت . ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع ، فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام ، وشرب من ماء زمزم ، ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول : اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك ، وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك ، فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا ، وإلا فمُنَّ الآن قبل تباعدي عن بيتك ، هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم أصحبني العافية في بدني ، والعصمة في ديني ، وأحسن منقلبي ، وارزقني طاعتك أبدا ما أبقيتني ، واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ، اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام ، وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة ! والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها

قال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له: ه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزي

(٢) حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي : الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر

(١)« وَمَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي » وقال صلى الله عليه وسلم(٢) « مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يُهِمُّهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا » فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه كثيرا

فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال : اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب . وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ، وليلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما ، وليقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلنى مُدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا

ثم يقصد المسجد ويدخله ، ويصلى بجنب المنبر ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد . وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه

ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على رأسه : وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله ، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يانبى الله ، السلام عليك ياأمين الله ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك ياصفوة الله ، السلام عليك ياخيرة الله ، السلام عليك ياأحمد ، السلام عليك يامحمد ، السلام عليك ياأبا القاسم ، السلام عليك ياماحى ، السلام عليك ياعاقب ، السلام عليك ياحاشر ، السلام عليك يابشير ، السلام عليك يانذير ،

---

(١) حديث من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى : ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرنى فقد جفانى وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر

(٢) حديث من جاءنى زائرا لاتهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا : الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن

السلام عليك يا طهر ، السلام عليك يا طاهر ، السّلام عليك ياأكرم ولد آدم ، السلام عليك ياسيد المرسلين ، السلام عليك ياخاتم النبيين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك ياقائد الخير ، السلام عليك يافاتح البر ، السلام عليك يا نبي الرحمة ، السلام عليك ياهادى الأمة ، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبياً عن قومه ورسولا عن أمته. وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وكلما غفل عنك الغافلون ، وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجلّ وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا بك من الضلالة ، وبصرنا بك من العماية ، وهدانا بك من الجهالة ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله ، وأمينه وصفيه ، وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدوك ، وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرّف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول : السلام عليك من فلان، السلام عليك من فلان

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول : السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا ، والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين، تتبعان فى ذلك آثاره، وتعملان بسنته ، فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانه اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عز وجل ، وليمجده ، وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول : اللهم إنك قد قلت وقولك الحق: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا [1]) اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك

(١) النساء : ٦٤

وقصدنا نبيك ، متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفّع نبيك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقهِ عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك ياأرحم الراحمين

ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء مااستطاع لقوله صلى الله عليه وسلم[1] « مَا بَيْنَ قَبْرِى وَمِنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِى عَلَى حَوْضِى » ويدعو عند المنبر . ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] يضع يده عليها عند الخطبة . ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ، فيصلى الغداة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ، ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر ، فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد . ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما ، وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ، ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك كله بالبقيع

ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه ، لماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] قال « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِىَ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَيُصَلِّىَ فِيهِ كَانَ لَهُ عِدْلُ عُمْرَةٍ » ويأتى بئر أريس ، يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم[4] تَفَلَ فيها ، وهى عند المسجد ، فيتوضأ منها ويشرب من مائها . ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق ، وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد

---

(١) حديث مابين قبري ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى : متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله بن زيد.

(٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر : لم أقف له على أصل وذكر محمد ابن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكها صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان

(٣) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة : النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح

(٤) حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس : لم أقف له على أصل وانما ورد أنه تفل فى بئر البصة وبئر غرس كما سيأتى عند ذكرها

ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد، فيقصد ماقدر عليه. وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه

---

(١) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار: قلت وهي بئر أريس وبئرحا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ـ الحديث: وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ـ الحديث: وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين ـ الحديث: قال ت حديث حسن وفي رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل ـ الحديث: وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الاسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث: وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال ائتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا اذا أنامت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا ان النبي صلي الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي: وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية انه يستقي لك من بئر بضاعة ـ الحديث: قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن وللطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة ورويناه أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسي فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار في مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد ابن أبي وقاص قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ائتوني بوضوء فلما توضأ قام ـ الحديث:

الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم ، قال صلى الله عليه وسلم[١] « لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٢] « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ، ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ، ويسأل السلامة فى سفره ، ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة ، وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد ، فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ، ثم اليمنى ، وليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما ياأرحم الراحمين . وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه ، وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها ، وهى عشرون موضعا

فصل فى سنن الرجوع من السفر

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣] إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ وَيَقُولُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ

وأما بئر جمل فى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل ـ الحديث : وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمي من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى ـ الحديث : وهو عند خ دون قوله من آبار شتى

(١) حديث لايصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة : تقدم فى الباب قبله

(٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـ الحديث : تقدم فى الباب قبله

(٣) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو أوحج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك إلاوجهه له الحكم واليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد

صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » وفى بعض الروايات « وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه

وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول : اللهم اجْعَلْ لنا بها قرارا ورزقا حسنا [1] ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كى لايقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنة ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا [2] وليصل ركعتين فهو السنة . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاذا دخل بيته قال : توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ماأنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث

فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهى عشرة

الأوّل : أن تكون النفقة حلالا ، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم ، حتى يكون الهم مجردا لله تعالى ، والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت [3] « إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْحَجِّ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ : سَلَاطِينُهُمْ لِلنُّزْهَةِ ، وَأَغْنِيَاؤُهُمْ لِلتِّجَارَةِ ، وَفُقَرَاؤُهُمْ لِلْمَسْأَلَةِ ، وَقُرَّاؤُهُمْ لِلسُّمْعَةِ »

---

(١) حديث ارسال المسافر إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة : لم أجد فيه ذكر الارسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة

(٢) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر : تقدم فى الصلاة

{ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة }

(٣) حديث اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة : الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتي للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للرياء والسمعة

وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصوَّر أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ، ويخرجه عن حيز حج الخصوص؛ لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة . وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له مايبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لاليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين ، فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه . وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « يُدْخِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْحَجَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثَةً الْجَنَّةَ : الْمُوصِى بِهَا ، وَالْمُنَفِّذَ لَهَا ، وَمَنْ حَجَّ بِهَا عَنْ أَخِيهِ » ولست أقول لاتحل الاجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ، ولكن الأولى أن لايفعل ، ولايتخذ ذلك مكسبه ومتجره ، فان الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا . وفى الخبر (٢) « مَثَلُ الَّذِى يَغْزُو فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْخُذُ أَجْراً مَثَلُ امِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : تُرْضِعُ وَلَدَهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا » فمن كان مثاله فى أخذ الاجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه ، فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم

الثانى : أن لايعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس ، وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق ، فان تسليم المال اليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم ، فهو كالاعانة بالنفس ، فليتلطف فى حيلة الخلاص ، فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله . إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة ، فان هذه بدعة أحدثت ، وفى الانقياد لها مايجعلها سنة مطردة ، وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ، ولامعنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر ، فانه لو قعد فى البيت أورجع من الطريق لم يؤخذ منه شىء ، بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته ، فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب ، فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار

---

(١) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه : هق من حديث جابر بسند ضعيف

(٢) حديث مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها : ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن

الثالث : التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا إسراف ، بل على الاقتصاد ، وأعنى بالاسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلاسرف فيه ، إذلاخير فى السرف ولا سرف فى الخير كما قيل ، وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل ، والدرهم بسبعمائة درهم ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره . وكان يقول : أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة . وأحسنهم يقينا . وقال صلى الله عليه وسلم[1] « اَلْحَجُّ اَلْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا اَلْجَنَّةَ . فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ : مَا بِرُّ اَلْحَجِّ ؟ فَقَالَ : طِيبُ اَلْكَلاَمِ وَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ »

الرابع : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرءان . والرفث اسم جامع لكل لغو وخناء وفحش من الكلام ، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن ، والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور ، والداعى إلى المحظور محظور . والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل . والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق . وقد قال سفيان : من رفث فسد حجه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج ، والمماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله ، وعلى غيره من أصحابه ، بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ، ويلزم حسن الخلق . وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى . وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال لا ، فقال : ماأراك تعرفه

الخامس : أن يحج ماشيا إن قدر عليه ، فذلك الأفضل . أوصى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال : يابنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم : قال الحسنة بمائة ألف . والاستحباب فى المشى فى المناسك ، والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه فى الطريق ،

---

(١) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له مابر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام : أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الأسناد

وإن أنشأ إلى المتى الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعليّ وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ [(1)]) وقال بعض العلماء: الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة، ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه، وأقرب إلى سلامته وتمام حجه. وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول؛ بل ينبغي أن يفصّل ويقال: من سهل عليه المشي فهو أفضل، فإن كان يضعف ويؤدي به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق

وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيها أو يكترى حماراً بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي، وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي له أفضل، فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس؛ وله وجه، ولكن الأفضل له أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير، فهو أولى من صرفه إلى المكارى عوضاً عن ابتذال الدابة فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه

السادس: أن لا يركب إلا زاملة، أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر، وفيه معنيان: أحدهما التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه. والثاني اجتناب زي المترفين المتكبرين «حَجَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(1)] عَلَى رَاحِلَةٍ وَكَانَ تَحْتَهُ رَحْلٌ رَثٌّ وقَطِيفَةٌ خَلَقَةٌ قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ» [(2)] «وَطَافَ عَلَى الرَّاحِلَةِ لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَى هَدْيِهِ وَشَمَائِلِهِ» وقال صلى الله عليه وسلم: [(3)] «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها، فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال: برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوا لقات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا محملين. وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحامل يقول: الحاج قليل والركب كثير. ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج

---

(١) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم: الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته: تقدم

(٣) حديث خذوا عني مناسككم: م ن واللفظ له من حديث جابر

(١) البقرة: ١٩٦

السابع : أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر، غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في ديوان المتكبرين المترفين، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين، فقد « أَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] بِالشَّعَثِ وَالِاخْتِفَاءِ » . وَ« نَهَى عَنِ التَّنَعُّمِ وَالرَّفَاهِيَةِ » في حديث فضالة بن عبيد[2] وفي الحديث[3] « إِنَّمَا الْحَاجُّ الشَّعِثُ التَّفِثُ »[4] ويقول الله تعالى: انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق . وقال تعالى : (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ[1]) والتفث : الشعث والاغبرار ، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد. اخلولقوا واخشوشنوا ، أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء . وقد قيل. زين الحجيج أهل اليمن. لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف ، فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم، فقد روى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5] كَانَ فِي سَفَرٍ فَنَزَلَ أَصْحَابُهُ مَنْزِلاً فَسَرَحَتِ الْإِبِلُ فَنَظَرَ إِلَى أَكْسِيَةٍ حُمْرٍ عَلَى الْأَقْتَابِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى هَذِهِ الْحُمْرَةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ قَالُوا فَقُمْنَا إِلَيْهَا وَنَزَعْنَاهَا عَنْ ظُهُورِهَا حَتَّى شَرَدَ بَعْضُ الْإِبِلِ »

الثامن : أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق ، والمحمل خارج عن حد طاقتها ، والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها . كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود ، وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل . قال صلى الله عليه وسلم[6] « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيَّ »

---

(١) حديث الامر بالشعث والاختفاء : البغوى والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حدرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف

(٢) حديث فضالة بن عبيد في النهى عن التنعم والرفاهية وان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاه ولأحمد من حديث معاذ اياك والتنعم ـ الحديث :

(٣) حديث انما الحاج الشعث التفث : ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب

(٤) حديث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق : الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبدالله بن عمرو

(٥) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الي أكسية حمر على الاقتاب : فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم ـ الحديث : د من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم

(٦) حديث لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى : أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه

---

(1) الحج : ٢٩

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروّحها بذلك[١] فهو سنة وفيه آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل. ويوفى الأجرة، ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة، فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى. وكل من آذى بهيمة وحمّلها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة. قال أبو الدرداء لبعيرله عند الموت: يأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فانى لم أكن أحمّلك فوق طاقتك. وعلى الجملة فى كل كبد حرّاء أجر. فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا. وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى. قال رجل لابن المبارك: احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال: حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت. فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له؟ وهو طريق الحزم فى الورع، فانه إذا فتح باب القليل انجرّ إلى الكثير يسيراً يسيراً

التاسع: أن يتقرب باراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه. ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا. قيل فى تفسير قوله تعالى: (ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ[١]) إنه تحسينه وتسمينه. وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده، وليترك المكاس فى شرائه، فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن: الهدى والأضحية والرقبة، فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله[٢] وروى ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطُلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون. وفى ثلثمائه دينار قيمة ثلاثين بدنة، وفيها تكثير اللحم، ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أوقل

(١) حديث النزول عن الدابة غدوه وعشية يريحها بذلك: الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقي فى الأدب وقال مشى قليلا وناقته تقاد

(٢) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيبه فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها: أخرجه د وقال انحرها

(١) الحج: ٣٢

« وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (١) مَا بِرُّ الْحَجِّ ؟ فَقَالَ : الْعَجُّ وَالثَّجُّ » والعج هو رفع الصوت بالتلبيـة . والثج هو نحر البـدن . وروت عائشة رضى الله عنهـا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قال : « مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ إِهْرَاقِهِ دَمًا وَ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَ إِنَّ الدَّمَ يَقَعُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِالْأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا » وفى الخبر : (٣) « لَكُمْ بِكُلِّ صُوفَةٍ مِنْ جِلْدِهَا حَسَنَةٌ وَكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا حَسَنَةٌ وَ إِنَّهَا لَتُوضَعُ فِى الْمِيزَانِ فَأَبْشِرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم: « اسْتَنْجِدُوا هَدَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

العاشر : أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهـدى ، وبما أصـابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك ، فان ذلك من دلائـل قبول حجه ، فإن المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل : الدرهم بسبعمائة درهم ، وهو بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد ؛ فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب ، فلا يضيع منه شيء عنـد الله عز وجـل . ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليـه من المعاصى ، وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعـلم أن أول الحج الفهم ، أعنى فهم موقع الحج فى الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة

(١) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج فقال العج والثج : ت واستغربه وه وك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقولى أى الحج أفضل

(٢) حديث عائشة ماعمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من اهراقـه دما ـ الحـديث : ت وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ انه مرسل ووصله ابن خزيمة

(٣) حديث لـكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وأنها لتوضع فى الميزان فابشروا ه ك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لايصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حـديث على أما انها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك يقولها لفاطمة

ثم الخروج ، ثم المسير فى البادية ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق . وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر، وعبرة للمعتبر، وتنبيه للمريد الصادق ، وتعريف وإشارة للفطن . فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه

أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات ، والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قلل الجبال ، وآثروا التوحش عن الخلق ، لطلب الأنس بالله عز وجل ، فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة ، وألزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة ، وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال (ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ [1])

فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات ، وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل، وفتروا عنه ، بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها [1] فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم « أَبْدَلَنَا اللهُ بِهَا الْجِهَادَ وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ » يعنى الحج . « وَسُئِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] عَنِ السَّائِحِينَ فَقَالَ هُمُ الصَّائِمُونَ » فانعم الله عز وجل على هذه الامة بأن جعل الحج رهبانية لهم . فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ، ونصبه مقصدا لعباده ، وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه،

---

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف: أبو داود من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله رواه الطبرانى بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله انى أريد ان أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف

(٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

(١) المائدة : ٨٢

وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق ، شعثا غبراً متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم ، وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لاتأنس بها النفوس ، ولاتهتدى إلى معانيها العقول : كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فان الزكاة ارفاق ، ووجهه مفهوم ، وللعقل إليه ميل . والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله ، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل ؛ والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل . فأما ترددات السعى ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولاأنس للطبع فيها ، ولااهتداء للعقل إلى معانيها ، فلايكون فى الاقدام عليها باعث إلاالأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاًما ، فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل ، فلايكاد يظهر به كمال الرق والانقياد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص[1] « لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا تَعَبُّداً وَرِقًّا » ولم يقل ذلك فى صلاة ولاغيرها

وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وأن يكون زمامها بيد الشرع ، فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستعباد وكان مالايهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق . وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى

وأما الشوق : فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل ، وأنه وضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له ، وإن من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لايضيع زيارته ، فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له ، وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا

---

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم فى الزكاة

لاتتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ، ولاتطيق احتماله ، ولاتستعد للاكتحال به لقصورها ، وإنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ، ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم . فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لامحالة . هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة ، والبيت مضاف إلى الله عز وجل ، فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الاضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ماوعد عليه من الثواب الجزيل

وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشهوات واللذات ، متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل . وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت ، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم ، وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة . وليتحقق أنه لايقبل من قصده وعمله إلا الخالص ، وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره ، فليصحح مع نفسه العزم ، وتصحيحه باخلاصه ، وإخلاصه باجتناب كل مافيه رياء وسمعة . فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى ، فكل مظلمة علاقة ، وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول له : إلى أين تتوجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ، ومستهين به ، ومهمل له : أولا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك ، فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ، ورد المظالم ، وتب إليه أولا من جميع المعاصى ، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ماوراءك ، لتكون متوجها إليه بوجه قلبك ، كما انك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك ، فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء ، وآخراً إلا الطرد والرد . وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لايعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله ، فان المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه . وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة ، فان ذلك بين يديه على القرب ، وما يقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير . فلا ينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر .

وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال ، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد ، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى ، وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه ، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له . فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت ، بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير

وأما الراحلة : إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة ، وليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها ، فان أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ، فما أقرب ذلك منه ، وما يدريه لعل الموت قريب ، ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل ، وركوب الجنازة مقطوع به ، وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه ، فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن

وأما شراء ثوبي الاحرام : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه ، فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه ، وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة ، فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزي والهيئة ، فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه ، وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له ، الذين نودوا فأجابوا ، وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا ، وقطعوا العلائق ، وفارقوا الخلائق ، وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره ، تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت ، إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم . وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول

لا إدلالاً بأعماله في الارتحال بمفارقة الأهل والمال ، ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته ، وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ[(1)])

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات . وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادي عقاربَ القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشةَ القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر

وأما الاحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل ، فارج أن تكون مقبولا ، وأخش أن يقال لك : لا لبيك ولا سعديك . فكن بين الرجاء والخوف متردداً ، وعن حولك وقوّتك متبرئا ، وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر . قال سفيان بن عيينة : حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي ، فقيل له : لم لا تلبي ؟ فقال : أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد بن أبي الحواري : كنت مع أبي سليمان الداراني رضي الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال . يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام : مُرْ ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ، ويحك يا أحمد : بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك ، فما نأمن أن يقال لنا ذلك ! وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله عز وجل ، إذ قال :(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ[(2)]) ونداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين ، ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا

(1) النساء : ١٠٠ . (2) الحج : ٢٧

وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا ، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل ، وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت ، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالبا ، فالكرم عميم ، والرب رحيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزائر مرعى ، وذمام المستجير اللائذ غير مضيع

وأما وقوع البصر على البيت . فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ، ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه ، وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم . واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه ، واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين ، انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين . ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شيء مما تراه ، فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة

وأما الطواف بالبيت : فاعلم أنه صلاة فاحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت ، كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب ، وأن عالم الملك والشهادة مَدْرَجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب . والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة ، فان طواف الملائكة به كطواف الأنس بهذا البيت . ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ، ووعدوا بأن [1] « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به ، على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى

---

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم: أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح

وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته ؛ فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك ، فمن غدر في المبايعة استحق المقت ، وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال « اُلْحَجَرُ اُلْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى اُلْأَرْضِ يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ كَمَا يُصَافِحُ الرَّجُلُ أَخَاهُ »

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم . فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت ، وتبركا بالمماسة ، ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لافى البيت . ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان ، كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لاملجأله منه إلا اليه ، ولامفزع له إلا كرمه وعفوه ، وأنه لايفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل

وأما السعي بين الصفا والمروة فى فناء البيت : فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى ، إظهارا للخلوص فى الخدمة ، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لايدرى ماالذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أورد ، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى . وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيآت . وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللغات ، واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر ، اقتفاء لهم ، وسيرا بسيرهم ، عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة ، واقتفاء كل أمة نبيها ، وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول . واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل ، فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين . وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف ، والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض . ولاينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد ، وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب . فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم ،

(١) حديث ابن عباس الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه ـ الحديث : تقدم فى العلم من حديث عبدالله بن عمرو

وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم . ولذلك قيل : إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده ، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد

وأما رمى الجمار : فاقصد به الانقياد للأمر اظهارا للرق والعبودية ،وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ، ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله،فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به . فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان. واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة ، وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه ، وأما ذبح الهدى فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكمل الهدى وارج [1] أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار، فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم

وأما زيارة المدينة : فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته ، وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته ، وجاهد عدوه وأظهر بها دينه ، إلى أن توفاه الله عز وجل ، ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما. ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله

---

(١) حديث انه يعتق بكل جزء من الأضحية جزأ من المضحى من النار: لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ماتقدم من ذنوبك يقوله لفاطمه واسناده ضعيف

صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها ، وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة ، فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل ، وتذكر مشيه وتخطيه في سككها ، وتصور خشوعه وسكينته في المشي ، وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه ، وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته . ثم تذكر ما منّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه ، وأعظم تأسفك على مافاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر ، وأنك ربما لاتراه إلا بحسرة وقد حيل بينك و بينه قبوله إياك بسوء عملك ، كما قال صلى الله عليه وسلم[1] « يَرْفَعُ اللهُ إِلَيَّ أَقْوَاماً فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ! فَأَقُولُ يَارَبِّ أَصْحَابِي ! فَيَقُولُ إِنَّكَ لَاتَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ بُعْداً وَسُحْقاً » فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك و بينه بعدولك عن محجته . وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الايمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا ، بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لمافاتتك رؤيته ، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة

فاذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة ، وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة ، وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا ، فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه ، فادخله خاشعا معظما ، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال : حج أويس القرني رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له : هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فغشي عليه ، فلما أفاق قال: أخرجوني فليس يلذلي بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون !

---

(١) حديث يرفع الى أقوام فيقولون يامحمد يامحمد فأقول يارب أصحابي فيقول انك لاتدري ماأحدثوا بعدك فأقول بعداوسحقا : متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهمادون قوله يامحمد يامحمد

وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتاً كما تزوره حياً ، ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً ، وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه ، فكذلك فافعل ، فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك ، فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم[1] « أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَكَّلَ بِقَبْرِهِ مَلَكاً يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ » هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً » فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ؟ ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبى صلى الله عليه وسلم المنبر ، ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته ، وسل الله عز وجل أن لا يفرق فى القيامة بينك وبينه . فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج

فاذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين . وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعالى ، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع ، فليثق بالقبول ، فان الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ، ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته . وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله ، فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب . نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك

تم كتاب أسرار الحج ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرءان

---

(١) حديث ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته: ن حب ك من حديث ابن مسعود بلفظ ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام

(٢) حديث من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا: م من حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمرو

كتاب آداب تلاوة القرآن

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتنّ على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم ، وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار ، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصّل فيه من الأحكام ، وفرّق بين الحلال والحرام ، فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء لما فى الصدور . من خالفه من الجبابرة قصمه الله ، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والعروة الوثقى ، والمعتصم الأوفى ، وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تتناهى غرائبه ، لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد . هو الذى أرشد الأوّلين والآخرين ، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [١]) فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ، ومن تمسك به فقد هدى ، ومن عمل به فقد فاز . وقال تعالى :(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [٢]): ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه ، والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة ، وذلك لابد من بيانه وتفصيله

وتنكشف مقاصده فى أربعة أبواب

الباب الأول : فى فضل القرءان وأهله

الباب الثانى : فى آداب التلاوة فى الظاهر

الباب الثالث : فى الأعمال الباطنة عند التلاوة

الباب الرابع : فى فهم القرءان وتفسيره بالرأى وغيره

(١) الجن : ١ ، ٢ (٢) الحجر : ٩

الباب الأول

فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته

فضيلة القرآن

قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ قَرَأَ الْقُرْءانَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَهُ اللهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلَ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْقُرْءانِ لاَ نَبِيٌّ وَلاَ مَلَكٌ وَلاَ غَيْرُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « لَوْ كَانَ الْقُرْءانُ فِي إِهَابٍ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي تِلاَوَةُ الْقُرْءانِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) أيضاً « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَأَ طٰه وَيٰس قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفِ عَامٍ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلاَئِكَةُ الْقُرْءانَ قَالَتْ طُوبَى لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هٰذَا، وَطُوبَى لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هٰذَا، وَطُوبَى لِأَلْسِنَةٍ تَنْطِقُ بِهٰذَا » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْءانَ وَعَلَّمَهُ »

﴿ كتاب آداب تلاوة القرءان ﴾

﴿ الباب الأول فى فضل القرءان وأهله ﴾

(١) حديث من قرأ القرءان ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ماعظمه الله: طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

(٢) حديث مامن شفيع أعظم منزلة عندالله من القرءان لانبي ولاملك ولا غيره: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبرانى من حـديث ابن مسعود القرءان شافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة اقرءوا القرءان فانه يجيء يوم القيامة شفيعا لصاحبه

(٣) حديث لو كان القرءان فى اهاب مامسته النار : الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حـديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمى والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة بن مالك باسناد ضعيف

(٤) حديث أفضل عبادة أمتى تلاوة القرءان: أبو نعيم فى فضائل القرءان من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف

(٥) حديث ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام ــ الحديث : الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٦) حديث خيركم من تعلم القرءان وعلمه: خ من حديث عثمان بن عفان

وقال صلى الله عليه وسلم: (١) « يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) « ثَلَاثَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ أَسْوَدَ لَا يَهُولُهُمْ فَزَعٌ وَلَا يَنَالُهُمْ حِسَابٌ حَتَّى يُفْرَغَ مَا بَيْنَ النَّاسِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْءَانَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ أَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ » . وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) « أَهْلُ الْقُرْءَانِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ، فَقِيلَ يَارَسُولَ اللهِ وَمَاجِلَاؤُهَا؟ فَقَالَ: تِلَاوَةُ الْقُرْءَانِ وَذِكْرُ الْمَوْتِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « للهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى قَارِئِ الْقُرْءَانِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ »

الآثار : قال أبو أمامة الباهلى : اقرءوا القرءان ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة : فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرءان .وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرءان فان فيه علم الأولين والآخرين . وقال أيضا : اقرءوا القرءان فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات ، أمَّا إنى لاأقول الحرف الم ، ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف . وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرءان ، فان كان يحب القرءان ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان يبغض القرءان فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقال عمرو بن العاص: كل آية فى القرءان درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم. وقال أيضاً من قرأ القرءان فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى اليه

وقال أبو هريرة : إن البيت الذى يتلى فيه القرءان اتسع بأهله ، وكثر خيره ، وحضرته الملائكة ، وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله ، وقل خيره ، وخرجت منه الملائكة ، وحضرته الشياطين . وقال أحمد بن حنبل :

---

(١) حديث يقول الله من شغله قراءة القرءان عن دعائى ومسألتى أعطيته ثواب الشاكرين: ت من حديث أبى سعيد من شغله القرءان عن ذكرى أو مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك ـ الحديث : تقدم فى الصلاة

(٣) حديث أهل القرءان أهل الله وخاصته: ن فى الكبرى و هـ ك من حديث أنس باسناد حسن .

(٤) حديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ماجلاؤها قال تلاوة القرءان وذكر الموت: البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٥) حديث لله أشد أذنا الى قارىء القرءان من صاحب القينة الى قينته : هـ حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد

رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت : يارب ماأفضل ماتقرب به المتقربون اليك ؟ قال بكلامى ياأحمد . قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم . وقال محمد بن كعب القرظى : اذا سمع الناس القرءان من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط

وقال الفضيل بن عياض : ينبغى لحامل القرءان أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء ، فمن دونهم ، فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه . وقال أيضا : حامل القرءان حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيما لحق القرءان . وقال سفيان الثورى : إذا قرأ الرجل القرءان قبل الملك بين عينيه . وقال عمرو بن ميمون : من نشر مصحفاً حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا

ويروى [٢] أَنَّ خَالِدَ بْنَ عُقْبَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: أَقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْءَانَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى [١]) الآية فقال له : أَعِدْ فَأَعَادَ ، فَقَالَ وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُورِقٌ ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ » وقال الحسن : والله مادون القرءان من غنى ولا بعده من فاقة . وقال الفضيل : من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ، ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء . وقال القاسم بن عبد الرحمن : قلت لبعض النساك : ماهاهنا أحد تستأنس به ، فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال : هذا . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ثلاث يزدن فى الحفظ ، ويذهبن البلغم : السواك ، والصيام ، وقراءة القرءان

فى ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك : رب تال للقرءان والقرءان يلعنه . وقال ميسرة : الغريب هو القرءان فى جوف الفاجر . وقال أبو سليمان الدارنى : الزبانية أسرع إلى حملة القرءان الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرءان . وقال بعض العلماء : إذا قرأ ابن آدم القرءان ثم خلط ثم عاد فقرأ ، قيل له : مالك ولكلامى

---

(٢) حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر : ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة بنحوه

وقال ابن الرماح : ندمت على استظهارى القرءان لأنه بلغنى أن أصحاب القرءان يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة . وقال ابن مسعود : ينبغى لحامل القرءان أن يعرف بليله اذا الناس ينامون ، وبنهاره اذا الناس يفرطون ، وبحزنه اذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته اذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغى لحامل القرءان أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا

وقال صلى الله عليه وسلم:[١] « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَّاؤُهَا » وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « اقْرَإِ الْقُرْءَانَ مَا نَهَاكَ ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « مَا آمَنَ بِالْقُرْءَانِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ »

وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرءان فيلعن نفسه وهو لا يعلم ، يقول . ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ، ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم! وقال الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرءان مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار

وقال ابن مسعود: أنزل القرءان عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ، إن أحدكم ليقرأ القرءان من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به . وفى حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما[٤] « لَقَدْ عِشْنَا دَهْراً طَوِيلاً وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْءَانِ فَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْءَانَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتِمَتِهِ لَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ »

---

(١) حديث أكثر منافقى أمتى قراؤها: أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيها ابن لهيعة
(٢) حديث اقرأ القرءان مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه: طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف
(٣) حديث ما آمن بالقرءان من استحل محارمه: ت من حديث صهيب وقال ليس اسناده بالقوى
(٤) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرءان الحديث : تقدما فى العلم

وقد ورد فى التوراة : ياعبدى أما تستحى منى : يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شىء منه ، وهذا كتابى أنزلته إليك ، أنظركم فصلت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك! ياعبدى يقعد اليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف ، وها أناذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى ، أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك ؟

الباب الثانى

فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة

الأول فى حال القارىء :

وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إماقائما ، وإما جالساً مستقبل القبلة ، مطرقاً رأسه ، غير متربع ولامتكىء ولاجالس على هيئة التكبر، ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى أستاذه . وأفضل الأحوال أن يقرأ فى الصلاة قائما ، وأن يكون فى المسجد ، فذلك من أفضل الأعمال . فان قرأعلى غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك ، قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ [1]) فأثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا . قال علىّ رضى الله عنه : من قرأ القرءان وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات ، وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب. قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل

الثانى فى مقدار القراءة :

وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار ، فمنهم من يختم القرءان فى اليوم والليلة مرة ، وبعضهم مرتين ، وانتهى بعضهم إلى ثلاث ، ومنهم من يختم فى الشهر مرة .

(١) آل عمران ١٩١

وأولى مايرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ قَرَأَ الْقُرْءانَ فِى أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ » وذلك لان الزيادة عليه تمنعه الترتيل . وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرءان هذرا : إن هذا ماقرأ القرءان ولاسكت . « وَأَمَرَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْءانَ فِى كُلِّ سَبْعٍ » وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرءان فى كل جمعة : كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبىّ بن كعب رضى الله عنهم . ففى الختم أربع درجات : الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة ، والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا ، وكانه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأوّل مبالغة فى الاستكثار ، وبينهما درجتان معتدلتان : إحداهما فى الأسبوع مرة ، والثانية فى الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث

والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ، ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته ، فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح ، وإن كان نهارا حتى يمسى فتشمله بركتهما جميع الليل والنهار . والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الاسبوع ، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة ، وإن كان نافذ الفكر فى معانى القرءان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل

الثالث فى وجه القسمة :

أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرءان [٣] سبعة أحزاب ، فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرءان أحزابا ، فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة

﴿ الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة ﴾

(١) حديث من قرأ القرءان فى أقل من ثلاث لم يفقهه : أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه

(٢) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرءان فى كل أسبوع : متفق عليه من حديثه

(٣) حديث تحزيب القرءان على سبعة أحزاب د ه من حديث أوس بن حذيفة فى حديث فيه طرأ على حزبى من القرءان قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرءان قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية للطبرانى فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزىء القرءان فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا واسناده حسن

وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس . وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب . وقيل أحزاب القرءان سبعة : فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثانى خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشر سورة ، والسابع المفصل من ق إلى آخره . فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم ، وكانوا يقرءونه كذلك . وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء ، فما سوى هذا محدث .

الرابع فى الكتابة :

يستحب تحسين كتابة القرءان وتبيينه ، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها ، فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه . وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء . وروى عن الشعبى وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك ، وكانوا يقولون : جردوا القرءان . والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى إلى احداث زيادات وحسما للباب ، وتشوقا إلى حراسة القرءان عما يطرق اليه تغييراً ، وإذا لم يؤد إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ، ولا يمنع من ذلك كونه محدثا ، فكم من محدث حسن ، كما قيل فى إقامة الجماعات فى التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه ، وإنها بدعة حسنة ، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضى إلى تغييرها . وبعضهم كان يقول : أقرأ فى المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى . وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير : كان القرءان مجرداً فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به ، فانه نور له ، ثم أحدثوا بعده نقطا كباراً عند منتهى الآى فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح . قال أبو بكر الهذلى : سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال : وما تنقيطها ؟ قلت : يعربون الكلمة بالعربية . قال : أما إعراب القرءان فلا بأس به

وقال خالد الحذاء : دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط . وقيل إن الحجاج هو الذى أحدث ذلك ، وأحضر القراء حتى عدّوا كلمات القرءان وحروفه وسوّوا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر

الخامس الترتيل :

هو المستحب فى هيئة القرءان لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر ، والترتيل معين عليه ، ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا. وقال ابن عباس رضى الله عنه: لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ القرءان كله هذرمةً . وقال أيضا : لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلىَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا. وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرءان كله فقال: هما فى الأجر سواء. واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرءان يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ؛ وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال

السادس البكاء :

البكاء مستحب مع القراءة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « اتْلُوا الْقُرْءَانَ وَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوا » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْءَانِ » وقال صالح المرّى : قرأت القرءان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى: يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه . وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن ، فمن الحزن ينشأ البكاء . قال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِنَّ الْقُرْءَانَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازَنُوا » ووجه احضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى، فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب

---

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا: د ن ت وقال حسن صحيح

(٢) حديث اتلوا القرءان وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا : ه من حديث سعد ابن أبى وقاص بأسناد جيد

(٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرءان: خ من حديث أبى هريرة

(٤) حديث أن القرءان نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا: أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف

السابع: ان يراعى حق الآيات فاذا مر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى ، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة . وفى القرءان أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان ، وليس فى ص سجدة . وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض ، وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها ، مثل أن يقرأ قوله تعالى: (خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[1]) فيقول: اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك . وإذا قرأ قوله تعالى : (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا[2]) فيقول : اللهم اجعلنى من الباكين إليك ، الخاشعين لك . وكذلك كل سجدة . ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة: من ستر العورة ، واستقبال القبلة ، وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث . ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد . وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ، ثم يكبر للهوىّ للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم . وزاد زائدون التشهد ، ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد ، فانه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر ، وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بُعد. ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الامام ، ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما

الثامن: أن يقول فى مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون . وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله ، وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى و بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه ، الحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الحى القيوم ، وفى أثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبّح وكبّر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر عرجوّ سأل ، وإن مر بمخوّف استعاذ . يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول : سبحان الله نعوذ بالله ، اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا . قال حذيفة : « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابْتَدَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ[1] فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا اسْتَعَاذَ ،

---

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح: م مع اختلاف لفظ

(١) السجدة : ١٥ (٢) الاسراء : ١٠٩

وَلَا بِآيَةِ تَنْزِيهٍ إِلَّا سَبَّحَ» فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه[1] عند ختم القرآن «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»

التاسع في الجهر بالقراءة :

ولا شك في أنه لابد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف، ولابد من صوت فأقله ما يسمع نفسه ، فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته. فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر

ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه وسلم[2] قال: «فَضْلُ قِرَاءَةِ السِّرِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْعَلَانِيَةِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ» وفي لفظ آخر : «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمُسِرُّ بِهِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ» وفي الخبر العام:[3] «يَفْضُلُ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا» وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم[4] «خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ» وفي الخبر[5] «لَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ» وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام : إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته

---

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين : رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود ابن قيس معضلا

(٢) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية: قال وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة: د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثاني

(٣) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا : البيهقي في الشعب من حديث عائشة

(٤) حديث خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي: أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص

(٥) حديث لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء : رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف.

وقال : ياأيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته ، فلما سلم أخذ نعليه وانصرف ، وهو يومئذ أمير المدينة

ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم [1] سَمِعَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يَجْهَرُونَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ فَصَوَّبَ ذَلِكَ وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى فَلْيَجْهَرْ بِالْقِرَاءَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعُمَّارَ الدَّارِ يَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ» ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفى الأحوال [3] فمر على أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت ، فسأله عن ذلك ، فقال : إن الذى أناجيه هو يسمعنى . ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر ، فسأله عن ذلك، فقال : أوقظ الوَسْنَانَ وأزجر الشيطان، ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة ، فسأله عن ذلك ، فقال : أخلط الطيب بالطيب . فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّكُمْ قَدْ أَحْسَنَ وَأَصَابَ »

فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر مايشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره ، فالخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارىء ، ويجمع همه الى الفكر فيه ، ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ، ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه . ولأنه قد يراه بطال

---

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك : فى الصحيحين من حديث عائشة ان رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا ـ الحديث : ومن حديث أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة ـ الحديث : ومن حديثه أيضا انى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن : الحديث

(٢) حديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته : رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع

(٣) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبى بكر وهو يخافت وبعمر وهو يجهر وببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ـ الحديث : تقدم فى الصلاة

غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة ، فمتى حضره شيء من هـذه النيات فالجهر أفضل ، وإن اجتمعت هـذه النيات تضاعف الأجر ، وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم ، فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور .

ولهـذا نقول : قراءة القرءان فى المصاحف أفضـل ، إذ يزيد فى العمل النظر ، وتأمل المصحف ، وحمله ، فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع ، لأن النظر فى المصحف أيضا عبادة . وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لـكثرة قراءته منهما ، فـكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف. ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضى الله عنه فى السحَر وبين يديه مصحف ، فقال له الشافعي: شغلكم الفقه عن القرءان، إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف بين يدى فما أطبقه حتى أصبح

العاشر: تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم، فذلك سنة . قال صلى الله عليه وسلم[1] « زَيِّنُوا ٱلْقُرْءَانَ بِأَصْوَاتِكُمْ » وقال عليه السلام :[2] « مَا أَذِنَ ٱللَّهُ لِشَىْءٍ إِذْنَهُ لِحَسَنِ ٱلصَّوْتِ بِٱلْقُرْءَانِ» وقال صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِٱلْقُرْءَانِ» فقيل أراد به الاستغناء ، وقيـل أراد به الترنم . وترديد الألحان به ، وهو أقرب عند أهـل اللغة . وروى أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم كان ليلة[3] ينتظر عائشة رضى الله عنها فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم مَاحَبَسَكِ ؟ قالت : يارسول الله كُنْتُ أستمع قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه ، فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع ، فقال صلى الله عليه وسلم : هَـٰذَا سَالِمٌ مَوْلَىٰ أَبِى حُذَيْفَةَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى أُمَّتِى مِثْلَهُ[4] واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما

---

(١) حديث زينوا القرءان بأصواتكم: د ن ه حب ك وصححه من حديث البراء بن عازب

(٢) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرءان: متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ ما آذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرءان زاد م لنبي حسن الصوت وفى رواية له كأذنه لنبي يتغنى بالقرءان

(٣) حديث كان ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يارسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله: ه من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات

(٤) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرءان غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد: أحمد ن فى الكبرى من حديث عمر و ت ه من حديث ابن مسعود ان أبابكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرءان ـ الحديث : قال ت حسن صحيح

فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْءانَ غَضًّا طَرِيًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ »

وقال صلى الله عليه وسلم[1] لابن مسعود : اقْرَأْ عَلَيَّ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ، فَكَانَ يَقْرَأُ وَعَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفِيضَانِ »[2] واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبى موسى فقال « لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » فبلغ ذلك أباموسى فقال : يارسول الله لو علمت أنك تسمع لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا . ورأى هيثم القارىء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال فقال لى : أنت الهيثم الذى تزين القرءان بصوتك ؟ قلت : نعم . قال : جزاك الله خيرا .
وفى الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرءان

وقد كان عمر يقول لأبى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا ، فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط ، فيقال ياأمير المؤمنين الصلاة الصلاة ، فيقول أولسنا فى صلاة ؟ إشارة إلى قوله عز وجل (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ[1]) وقال صلى الله عليه وسلم[3] « مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفى الخبر : كتب له عشر حسنات . ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الأجر ، إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث

فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة

فهم أصل الكلام ، ثم التعظيم ، ثم حضور القلب ، ثم التدبر ، ثم التفهم ، ثم التخلى عن موانع الفهم ، ثم التخصيص ، ثم التأثر ، ثم الترقى ، ثم التبرى ،

فالأول : فهم عظمة الكلام وعلوه ، وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه . فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه

---

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ فقال يارسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال انى أحب أن أسمعه من غيرى ـ الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٢) حديث استمع الى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود : متفق عليه من حديث أبى موسى

(٣) حديث من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات : أحمد من حديث أبى هريرة من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع

(١) العنكبوت : ٤٥

الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر ، اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه . ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لماثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لماأطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة ، على حدّ فهم الخلق . ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف ، وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ماأطاقوه ، حتى يأتى إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ، ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به

ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته ، وضرب له مثلا لم يقصر فيه ، وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام ، فسأله الملك عن أمور فاجاب بما لا يحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ماتأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير مايريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها وادبارها، ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه ، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم ، وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها ، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت بالدواب من الناس ، ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوأة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا ، والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها ،

والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل ، وهو القاضى العدل ، والشاهد المرتضى ، يأمر وينهى ، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة ، كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة ، كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ماتحيا به أبصارهم ، ويستدلون به على حوائجهم فقط ، فالكلام كالملك المحجوب ، الغائب وجهه ، النافذ أمره ، وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها ، وكالنجوم الزاهرة التى قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها ، فهو مفتاح الخزائن النفيسة ، وشراب الحياة الذى من شرب منه لم يمت ، ودواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم . فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام ، والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة ، فينبغى أن يقتصر عليه

الثانى : التعظيم للمتكلم . فالقارىء عند البداية بتلاوة القرءان ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر ، وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر ، فانه تعالى قال : (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [1]) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا ، فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير ، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ، ولا لنيل معانيه كل قلب ، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربى ، هو كلام ربى فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ، ولن تحضره عظمة المتكلم مالم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله ، فاذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ، إن أنعم فبفضله ، وإن عاقب فبعدله ، وأنه الذى يقول: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى ، فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس . قيل فى تفسير (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ [2])

(١) الواقعة : ٧٩ (٢) مريم : ١٢

أي بجد واجتهاد ، وأخذه الجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمه إليه عن غيره
وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرءان تحدث نفسك بشيء؟ فقال : أو شيء احب إلي من القرءان
حتى أحدث به نفسي؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آيه لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وهـذه
الصـفة تتولد عما قبلها من التعظيم ، فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به و يستأنس
ولا يغفل عنه ، ففي القرءان ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلا له ، فكيف يطلب الأنس
بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج ، والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ،
فقد قيل: إن في القرءان ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودياييج ورياضا وخانات ، فالميمات
ميادين القرءان ، والراءات بساتين القرءان ، والحاءات مقاصيره ، والمسبحات عرائس القرءان ،
والحاميات دياييج القرءان ، والمفصّل رياضه ، والخانات ماسوى ذلك فاذا دخل القارى
الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدياييج وتنزه في الرياض
وسكن غرف الخانات ، استغرقه ذلك ، وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرق فكره

الرابع :التدبر وهو وراء حضور القلب ، فانه قدلا يتفكر في غير القرءان ، ولـكنه
يقتصر على سماع القرءان من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر ، ولذلك
سن فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن . قال علي رضي الله عنه :
لا خير في عبادة لافقه فيها ، ولا في قراءة لاتدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد
فليردد إلا أن يكون خلف إمام ، فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان
مسيئا ، مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه ، وكذلك
إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس ، فقد روى عن
عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة ، فقيل في أمر الدنيا فقال : لأن
تختلف في الأسنة أحب إلي من ذلك ، ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدى ربي عز وجل
واني كيف أنصرف . فعد ذلك وسواسا ، وهو كذلك ، فانه يشغله عن فهم ما هو فيه ،
والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني ، ولـكن يمنعه به عن الأفضل . ولما ذكر
ذلك للحسن قال : إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا

ويروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَرَدَّدَهَا عِشْرِينَ مَرَّةً » وإنما ردَّدها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها . وعن أبى ذر قال : « قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) بِنَا لَيْلَةً فَقَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا وَهِيَ (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ (١)) » الآية وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ (٢)) الآية وقام سعيد ابن جبير ليلة يردد هذه الآية (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٣)) وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر . وكان بعضهم يقول: آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعدّلها ثوابا . وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال : إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها . وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها . وقال بعض العارفين : لى فى كل جمعة ختمة ، وفى كل شهر ختمة ، وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه . وكان هذا أيضا يقول : أقمت نفسى مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة

الخامس : التفهم ، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٤)) وكقوله تعالى : (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ (٥)) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها ، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين ، وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله (٣) « مَا أَسَرَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا كَتَمَهُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ » فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم

---

(١) حديث انه اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة: رواه أبو ذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث أبى ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهى إن تعذبهم فانهم عبادك: ن ه بسند صحيح

(٣) حديث علي ما أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كتمه عن الناس الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه

(١) المائدة : ١١٨ (٢) الجاثية : ٢١ (٣) يس : ٥٩ (٤) الشورى : ١١ (٥) الحشر : ٢٣

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرءان، وأعظم علوم القرءان تحت أسماء الله عز وجل وصفاته ، إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها . فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله ، إذا لفعل يدل على الفاعل ، فتدل عظمته على عظمته ، فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحق رآه فى كل شىء ، إذ كل شىء فهو منه واليه وبه وله ، فهو الكل على التحقيق ، ومن لا يراه فى كل مايراه فكأنه ما عرفه ، ومن عرفه عرف أن كل شىء ماخلا الله باطل ، وأن كل شىء هالك إلا وجهه ، لأنه سيبطل فى ثانى الحال ، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو ، إلا أن يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وبقدرته ، فيكون له بطريق التبعية ثبات ، وبطريق الاستقلال بطلان محض . وهذا مبدأ من مبادىء علم المكاشفة . ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله عز وجل : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ [١]) (أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ [٢]) (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ [٣]) (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ [٤]) فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى ، بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ، ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب ، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ، ثم الى ماظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ، ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة ، كما قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ [٥]) فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب ، فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع

ن من رواية أبى جحيفة قال سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء سوى القرءان فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فيها فى كتابه ـ الحديث : وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس فى القرءان وفى رواية وقال مرة ماليس عند الناس ولأبى داود والنسائى فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس قال لا الا مافى كتابى هذا ـ الحديث : ولم يذكر الفهم فى القرءان

(١) الواقعة : ٦٣ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧١ (٢) يس : ٧٧

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام: فاذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئا، واذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق

وأما أحوال المكذبين: كعاد وثمود وما جرى عليهم، فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية، وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرءان، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لانهاية له، وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا [١]) ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب. فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه، ومن لم يكن له فهم ما في القرءان ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ [٢]) والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم، وقد قيل: لايكون المريد مريدا حتى يجد في القرءان كل ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد

السادس: التخلي عن موانع الفهم، فان أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرءان لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرءان قال صلى الله عليه وسلم [١] «لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى الْمَلَكُوتِ» ومعاني القرءان من جملة الملكوت، وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت

وحجب الفهم أربعة:

أولها: أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف

---

(١) حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت: تقدم في الصلاه

(١) الكهف: ١٠٩ (٢) محمد: ١٦

فأنى تنكشف له المعانى ؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هـذا التلبيس

ثانيها: أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال : كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ، ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب ، وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد، أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم، فأما العلم الحقيق الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب ؟وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا: كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكن والاستقرار ، فان خطر له مثلا فى القدوس أنه المقدس عن كل مايجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ،ولو استقر فى نفسه لانجر إلى كشف ثان وثالث ، ولتواصل ، ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل ، وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات ، وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد

ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر ، مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكثرون . وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معانى الكلام أشد احتجابا ، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه ، فالقلب مثل المرآة ، والشهوات مثل الصدأ ، ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة ، والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] « إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ نُزِعَ مِنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ ، وَإِذَا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) حديث اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحى: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمُوا بَرَكَةَ الْوَحْيِ » قال الفضيل : يعني حرموا فهم القرءان . وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكير فقال تعالى (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ[١]) وقال عز وجل (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ[٢]) وقال تعالى (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ[٣]) فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب، ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرءان إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى ، وأن من فسر القرءان برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، فهذا أيضا من الحجب العظيمة . وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه : إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن ، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه

السابع : التخصيص ، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرءان ، فإن سمع أمراً أو نهيا قدّر أنه المنهى والمأمور ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه ، فما من قصة في القرءان إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ[٤]) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء ، وصبرهم على الايذاء ، وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى ، وكيف لا يقدر هذا والقرءان ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة ، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ[٥]) وقال عز وجل (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[٦]) (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[٧]) (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ[٨]) (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ[٩]) (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[١٠]) (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ[١١]) وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد، فهذا القارىء

---

(١) ق : ٨ (٢) غافر : ١٣ (٣) الرعد : ١٩ (٤) هود : ١٢٠ (٥) البقرة : ٢٣١ (٦) الأنبياء : ١٠
(٧) النحل : ٤٤ (٨) محمد : ٣ (٩) الزمر : ٥٥ (١٠) الجاثية : ٢٠ (١١) آل عمران : ١٣٨

الواحد مقصود، فما له ولسائر الناس؟ فليقدر أنه المقصود قال تعالى (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ[1]) قال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرءان فكأنما كلمه الله. وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرءان عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه، ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرءان رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات. وكان مالك بن دينار يقول: ما زرع القرءان في قلوبكم يا أهل القرءان؟ إن القرءان ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض. وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرءان إلا قام بزيادة أو نقصان، قال الله تعالى: (هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا[2])

الثامن: التأثر، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فان التضييق غالب على آيات القرءان، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها، كقوله عز وجل (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ[3]) ثم أتبع ذلك بأربعة شروط (لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) وقوله تعالى (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[4]) ذكر أربعة شروط، وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[5]) فالاحسان يجمع الكل. وهكذا من يتصفح القرءان من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك. فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن، ولذلك قال الحسن: والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرءان يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه، وكثر بكاؤه وقل ضحكه، وكثر نصبه وشغله، وقلت راحته وبطالته

وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرءان وتفهمه وتدبره، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته

(1) الانعام: ١٩ (2) الاسراء: ٨٢ (3) طه: ٨٢ (4) العصر (5) الاعراف: ٥٦

وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم ، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها ، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها . ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] لابن مسعود : اقرأ علىّ قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً [١]) رأيت عينيه تذرفان بالدمع ، فقال لى : حسبك الآن . وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية

ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات فى سماع الآيات . فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه فاذا قال (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [٢]) ولم يكن خائفا كان حاكيا ، واذا قال (عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [٣]) ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا، واذا قال(وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا [٤]) فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى (أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [٥]) وفى قوله تعالى (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [٦]) وفى قوله عز وجل (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [٧]) وفى قوله (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [٨]) وفى قوله تعالى :(وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [٩]) الى غير ذلك من الآيات ، وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ [١٠]) يعنى التلاوة المجردة ، وقوله عز وجل : (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [١١]) لأن القرءان هو المبين لتلك الآيات فى السموات والأرض . ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها . ولذلك قيل : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرءان فاذا قرأ القرءان ناداه الله تعالى : مالك ولكلامى وأنت معرض عنى ! دع عنك كلامى إن لم تتب إلىّ

---

(١) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ على : الحديث تقدم فى الباب قبله

---

(١) النساء : ٤١ (٢) الانعام : ١٥ (٣) الممتحنة : ٤ (٤) ابراهيم : ١٢ (٥) هود : ١٨ (٦) الصف : ٣
(٧) الانبياء : ١ (٨) النجم : ٢٩ (٩) الحجرات : ١١ (١٠) البقرة : ٧٨ (١١) يوسف : ١٠٥

ومثال العاصي اذا قرأ القرءان وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه ، فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت . ولذلك قال يوسف ابن أسباط : إنى لأهم بقراءة القرءان فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار . والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ [1]) ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [1] « اقْرَأُوا القُرْءانَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ وَلاَنَتْ لَهُ جُلُودُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَهُ » وفى بعضها (فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ) قال الله تعالى : (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [2]) وقال صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْءانِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « لاَ يُسْمَعُ الْقُرْءانُ مِنْ أَحَدٍ أَشْهَى مِنْهُ مِمَّنْ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ »

فالقرءان يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة . ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرءان على شيخ لى ثم رجعت لاقرأ ثانياً فانتهرنى وقال : جعلت القرءان علىَّ عملا ، اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك . وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم فى الأحوال والأعمال ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] عَنْ عِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْءانَ مِنْهُمْ إِلاَّ سِتَّةٌ

---

(١) حديث اقرؤا القرءان ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه : متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله ولانت جلودكم

(٢) حديث ان أحسن الناس صوتا بالقرءان الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى : ه بسند ضعيف

(٣) حديث لايسمع القرءان من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى : رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقى فى كتاب فضائل القرءان

(٤) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرءان منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفا لعله أراد بالمدينة والا فقد روينا عن أبى زرعة الرازى . انه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى

---

(١) آل عمران : ١٨٧ (٢) الأنفال : ٢

اختلاف فى اثنين منهم . وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين . وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم [1] ولما جاء واحد ليتعلم القرءان فانتهى إلى قوله عز وجل (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [1]) قال يكفى هذا وانصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التى منّ الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية ، فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى ، بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [2]) وبقوله عز وجل (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [3]) أى تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها ، فان المقصر فى الأمر يقال إنه نسى الأمر

وتلاوة القرءان حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظ العقل تفسير المعانى ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ

وأما من حفظ القرءان فى عهده ففى الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرءان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومتى وزاد ابن أبى شيبة كالمصنف من رواية الشعبى مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو استقرءوا القرءان من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأنباري بسنده الى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الامة من يحفظ من القرءان السورة ونحوها ــ الحديث : وسنده ضعيف وللترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرءان فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك يافلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم ــ الحديث :

(١) حديث الرجل الذى جاء ليتعلم فانتهى الي قوله تعالى ــ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ــ فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه : د ن فى الكبرى وحب ك وصححه من حديث عبدالله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يارسول الله ــ الحديث : وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذى بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل ولاحمد ون فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لاأبالى أن لاأسمع غيرها

---

(1) الزلزلة : ٧ ، ٨ (2،3) طه : ١٢٤ ، ١٢٦

التاسع الترقى : وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث .

أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل ، واقفا بين يديه ، وهو ناظر اليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤالَ والتملقَ والتضرعَ والابتهالَ

الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ، ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم

الثالثة : أن يرى فى الكلام المتكلم ، وفى الكلمات الصفات ، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث إنه منعَم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين وماقبله درجة أصحاب اليمين ، وماخرج عن هذا فهو درجات الغافلين . وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال:والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون ! وقال أيضاً. وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : مازلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته . ففى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة . ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرءان فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على أصحابه ، ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به ، فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرءان. وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم فى الكلام . ولذلك قال ثابت البنانى : كابدت القرءان عشرين سنة ، وتنعمت به عشرين سنة . وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل : (فَفِرُّوا إِلَى اللهِ [1]) ولقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ [2]) فمن لم يره فى كل شئ فقد رأى غيره ، وكل ماالتفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته

(١) (٢) الذاريات : ٥٠ ، ٥١

شيئا من الشرك الخفى ، بل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شىء إلا الله عز وجل

العاشر : التبرى ، وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك ، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ، ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم . وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا . ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى . فقيل له : هذا الظلم فما بال الكفر ؟ فتلا قوله عز وجل : (إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ[1])

وقيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرءان بماذا تدعو ؟ فقال : بماذا أدعو ؟ أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه ، فان من شهد العبد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب وراءها ، ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه ، ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه ، فاذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت . قال أبو سليمان الدارنى رضى الله عنه : وعد ابن ثوابان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر ، فلقيه أخوه من الغد فقال له : وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال : لو لا ميعادى معك ما أخبرتك بالذى حبسنى عنك : إنى لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن ما يحدث من الموت ، فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت إلىّ روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر اليها حتى أصبحت

وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف : فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها ، وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف

(1) إبراهيم : ٣٤

والشديد العسوف والمرجو والمخوف ، وذلك بحسب أوصافه ، إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لايبالى وكلام حنان متعطف لايهمل .

الباب الرابع

فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول : عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرءان وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه ، فكيف يستحب ذلك . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْءانَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المفسرين المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرءان على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين ، وذهبوا إلى أنه كفر ، فان صح ماقاله أهل التفسير فما معنى فهم القرءان سوى حفظ تفسيره ؟ وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْءانَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »

فاعلم أن من زعم أن لامعنى للقرءان إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه ، وهو مصيب فى الإخبار عن نفسه ، ولكنه مخطىء فى الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه [٢] بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرءان متسعا لأرباب الفهم ، قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهماً فى القرءان . فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِنَّ لِلْقُرْءانِ ظَهْراً وَبَطْناً وَحَدّاً وَمَطْلَعاً » ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير ، فما معنى الظهر

﴿ الباب الرابع فى فهم القرءان وتفسيره بالرأى من غير نقل ﴾

(١) حديث من فسر القرءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم فى الباب الثالث من العلم

(٢) حديث الاخبار والآثار الدالة على أن فى معانى القرءان متسعا لأرباب الفهم تقدم فى قول على فى الباب قبله الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه

(٣) حديث ان للقرءان ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم فى قواعد العقائد

والبطن والحد والمطلع ؟ وقال علي كرم الله وجهه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ، فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار ؟ وقال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرءان وجوها . وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر . وقال آخرون : القرءان يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع . وترديدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم [١] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها ، وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرءان . وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر

وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفى القرءان شرح ذاته وأفعاله وصفاته . وهذه العلوم لانهاية لها ، وفى القرءان إشارة الى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع إلى فهم القرءان . ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك ، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرءان إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها ، فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [٢] « اقْرَءُوا الْقُرْءانَ وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] في حديث عَلِيّ كرم الله وجهه « والَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًا لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَنْ أَصْلِ دِينِهَا وَجَمَاعَتِهَا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَلَالَةٌ مُضِلَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ فِيهِ نَبَأَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبَأَ مَا يَأْتِي بَعْدَكُمْ وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ قَصَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ

---

(١) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم فى الباب قبله

(٢) حديث اقرءوا القرءان والتمسوا غرائبه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف

(٣) حديث على والذى بعثنى بالحق لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم ـ الحديث : بطوله هو عندت دون ذكر افتراق الامة بلفظ ألا انها ستكون فتنة مضلة فقلت ماالمخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وأسناده مجهول

ٱلْمَتِينُ وَنُورُهُ ٱلْمُبِينُ وَشِفَاؤُهُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ وَلَا يُزِيغُ فَيُسْتَقِيمُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ التَّرْدِيدِ » الحديث . وفى حديث حُذَيفة لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت يارسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ فقال: تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَهُوَ ٱلْمَخْرَجُ مِنْ ذٰلِكَ. قال: فأعدت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا : تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَفِيهِ النَّجَاةُ وقال على كرم الله وجهه : من فهم القرءان فسر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرءان يشير إلى مجامع العلوم كلها : وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [١]) يعنى الفهم فى القرءان : وقال عز وجل : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا [٢]) سمى ما آتاهما علما وحكما ، وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ، وجعله مقدما على الحكم والعلم . فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرءان مجالا رحبا ومتسعا بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه

فأما قوله صلى الله عليه وسلم [٢] مَنْ فَسَّرَ الْقُرْءَانَ بِرَأْيِهِ ، ونهيه عنه صلى الله عليه وسلم، وقول أبى بكر رضى الله عنه أىّ أرض تقلنى وأىّ سماء تظلنى اذا قلت فى القرءان برأيى إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرءان بالرأى فلا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم ، أو المراد به أمرا آخر. وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرءان إلا بما يسمعه لوجوه

أحدها : أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه ، وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرءان فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ، ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم

---

(١) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة بعده فقلت ما تأمرنى ان أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ــ الحديث د ن فى الكبرى وفيه تعلم كتاب الله وتبع ما فيه ثلاث مرات

(٢) حديث النهى عن تفسير القرءان بالرأى غريب

(١) البقرة ٢٦٩ : (٢) الانبياء : ٧٩

والثانى : أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات. فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال، ولو كان الواحد مسموعا لرُدَّ الباقى فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه، حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل إن (الر) هى حروف من الرحمن وقيل : إن الألف الله، واللام لطيف ، والراء رحيم . وقيل غير ذلك ، والجمع بين الكل غير ممكن ، فكيف يكون الكل مسموعا

والثالث : أنه صلى الله عليه وسلم[1] دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال: « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّين وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك

والرابع : أنه قال عز وجل (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ[1]) فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع ، وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرءان يناقض هذا الخيال، فبطل أن يشترط السماع فى التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرءان بقدر فهمه وحد عقله

وأما النهى فانه ينزل على أحد وجهين .

أحدهما : أن يكون له فى الشيء رأى ، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرءان على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرءان ذلك المعنى، وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرءان على تصحيح بدعته ، وهو يعلم أنه ليس المراد بالآيه ذلك ولكن يلبس به على خصمه ، وتارة يكون مع الجهل ، ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه ، أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه ، وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرءان ، ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم[2] « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِى السُّحُورِ بَرَكَةً » ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر، وهو يعلم أن المراد به الأكل، وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى

---

(١) حديث دعائه لا بن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل تقدم فى الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان فى السحور بركة تقدم فى الباب الثالث من العلم

(١) النساء : ٨٣

يقول: قال الله عز وجل: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١)) ويشير الى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون: وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرءان على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى

والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرءان بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرءان، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأى. فالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولا، ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط

والغرائب التي لاتفهم إلا بالسماع كثيرة، ونحن نرمز إلى جمل منها، ليستدل بها على أمثالها، ويعلم أنه لايجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا، ولامطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. ومن ادعى فهم أسرار القرءان ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لايفهم لغة الترك، فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التي لابد منها للفهم

ومالابد فيه من السماع فنون كثيرة: منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى: (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا (٢)) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم. وقوله تعالى: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ (٣)) أي حب العجل، فحذف الحب. وقوله عز وجل: (إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ (٤)) أي ضعف عذاب الأحياء، وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى

---

(١) طه: ٢٤ (٢) الاسراء: ٥٩ (٣) البقرة: ٩٣ (٤) الاسراء: ٧٥

بذكر الحياة والموت ، وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة . وقوله تعالى :(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا [1]) أى أهل القرية وأهل العير ، فالأهل فيهما محذوف مضمر . وقوله عز وجل (ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ [2]) معناه خفيت على أهل السموات والأرض ، والشىء إذا خفى ثقل ، فأبدل اللفظ به وأقيم فى مقام على ، وأضمر الأهل وحذف . وقوله تعالى:(وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [3])أى شكر رزقكم. وقوله عز وجل : (آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [4]) أى على ألسنة رسلك فحذف الألسنة . وقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [5]) أراد القرءان وماسبق لهذكر. وقال عز وجل: (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ [6]) أراد الشمس وما سبق لها ذكر . وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى [7]) أى يقولون مانعبدهم . وقوله عزوجل (فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا. مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [8]) معناه لا يفقهون حديثا ، يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله ، فانلم يرد هذا كان مناقضا لقوله(قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ [9]) وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب : كقوله تعالى (وَطُورِ سِينِينَ [10])أى طور سيناء(سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ [11]) أى على الياس ، وقيل ادريس لان فى حرف ابن مسعود سلام على ادراسين

ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر : كقوله عز وجل:(وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ [12]) معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن . وقوله عز وجل : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ [13]) معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا

ومنها المقدم والمؤخر: وهو مظنة الغلط . كقوله عز وجل: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى [14]) معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام. وقوله تعالى:(يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا [15]) أى يسئلونك عنها كأنك حفى بها . وقوله عز وجل: (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ [16]) "

---

(1) يوسف : ٨٢ (٢، ١٥) الاعراف: ١٨٧ (٣) الواقعة: ٨٢ (٤) آل عمران : ١٩٤ (٥) القدر: ١ (٦) ص : ٣٢
(٧) الزمر: ٣ (٨، ٩) النساء: ٧٩ ، ٧٨ (١٠) التين : ٢ (١١) الصافات : ١٣٠ (١٢) يونس: ٦٦ (١٣) الاعراف: ٧٥
(١٤) طه : ١٢٩ (١٦) الأنفال : ٤ ، ٥

فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد إلى قوله السابق قل الانفال لله والرسول. كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، أى فصارت أنفال الغنائم لك، إذا أنت راض بخروجك وهم كارهون، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره، ومن هذا النوع قوله عز وجل: (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ [١]) الآية

ومنها المبهم: وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف، أما الكلمة فكالشيء والقرين، والامة، والروح، ونظائرها. قال الله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ [٢]) أراد به النفقة مما رزق. وقوله عز وجل: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ [٣]) أى الأمر بالعدل والاستقامة. وقوله عز وجل: (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ [٤]) أراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق. وقوله عز وجل: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ [٥]) أى من غير خالق، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء

وأما القرين. فكقوله عز وجل: (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ. أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ [٦]) أراد به الملك الموكل به، وقوله تعالى: (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ [٧]) أراد به الشيطان

وأما الأمة: فتطلق على ثمانية أوجه، الامة الجماعة. كقوله تعالى: (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ [٨]) وأتباعُ الأنبياء، كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورجل جامع للخير يقتدى به. كقوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ [٩]) والأمة الدينُ. كقوله عز وجل: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ [١٠]) والأمة الحين والزمان. كقوله عز وجل (إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ [١١]) وقوله عز وجل: (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ [١٢]) والأمة القامة، يقال فلان حسنُ الأمة أى القامة، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد. قال صلى الله عليه وسلم [١] « يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنُ نُفَيْلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ » والأمة الأم. يقال هذه امة زيد أى أم زيد

والروح أيضا ورد فى القرءان على معان كثيرة فلا نطول بايرادها

---

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبى بكر باسنادين جيدين

(١) الممتحنة : ٤ (٢،٣) النحل : ٧٥، ٧٦ (٤) الكهف : ٧٠ (٥) الطور : ٣٥ (٦) ق : ٢٣ (٧) ق : ٢٧

(٨) القصص : ٢٣ (٩) النحل : ١٢٠ (١٠) الزخرف : ٢٢ (١١) هود : ٨ (١٢) يوسف : ٤٥

وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل: (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً [١]) فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهى الموريات ، أى أثرن بالحوافر نقعا . والثانية كناية عن الاغارة ، وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا ، جمع المشركين فأغاروا بجمعهم . وقوله تعالى (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ [٢]) يعنى السحاب (فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ [٣]) يعنى الماء وأمثال هذا فى القرءان لا ينحصر

ومنها التدريج فى البيان . كقوله عز وجل: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ [٤]) إذ لم يظهر به انه ليل أونهار . وبان بقوله عز وجل : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ [٥]) ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [٦]) وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات ؛ فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسماع ، فالقرءان من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس ، لأنه أنزل بلغة العرب ، فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية ، وبادر إلى تفسير القرءان ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الأمور ، فهو داخل فيمن فسر القرءان برأيه ، مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه ، فيميل طبعه ورأيه إليه ، فإذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه إلى ماسمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه ، فهذا مايمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعانى كما سبق : فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى ، ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال ، وهو أن الله عز وجل : قال (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [٧]) فظاهر تفسيره واضح ، وحقيقة معناه غامض ، فانه اثبات للرمى ، ونفى له ، وهما متضادان فى الظاهر ، مالم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل ، وكذلك قال تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ [٨]) فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب ، وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم ، فما معنى أمرهم بالقتال؟ فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات

---

(١) العاديات : ٤ ، ٥ (٢ ، ٣) الاعراف : ٥٧ (٤) البقرة : ١٨٥ (٥) الدخان : ٣ (٦) القدر : ١
(٧) الانفال : ١٧ (٨) التوبة : ١٤

لا يغنى عنه ظاهر التفسير ، وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ، ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجـل حتى ينكشف بعد ايضاح أمور كثيرة غامضة صدقُ قوله عز وجـل : (وَمَا رَمَيْتَ إِذ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (١)) ولعل العمر لوأنفق فى استكشاف أسرار هـذا المعنى ، وما يرتبط بمقدماته ولواحقه ، لانقضى العمر قبـل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرءان إلا وتحقيقها مُحوِج إلى مثل ذلك ، وإنما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم ، وصفاء قلوبهم ، وتوفر دواعيهم على التدبر ، وتجردهم للطلب ، ويكون لـكل واحـد حـد فى الترقى إلى درجة أعلى منه ، فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار أقلاما ، فاسرار كلمات الله لانهاية لها ، فتنفد الابحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل ، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير ، وظاهر التفسير لايغنى عنه ، ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسـلم (١) فى سجوده « أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » أنه قيل له اسجد واقترب ، فوجـد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض ، فان الرضا والسخط وصفان ، ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات ، فقال « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ » ثم علم أن ذلك قصور فقال « أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ، ثم لها أغوار وراء هذا ، وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ، ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به ، وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه ، وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ، ووصول إلى لبابه عن ظاهره ، فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لاما يناقض الظاهر والله أعلم :

تم كتاب آداب التلاوة ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد خاتم النبيين ، وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين ، وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات ، والله المستعان لارب سواه

---

(١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك . الحديث : مسلم من حديث عائشة

(١) الانفال : ١٧

كتاب الأذكار والدعوات

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته ، العامة رحمته ، الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [1]) ورغبهم فى السؤال والدعاء بامره فقال (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [2]) فأطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط إلى حضرة جلاله ، برفع الحاجات والأمانى ، بقوله (فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [3]) والصلاة على محمد سيد أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ، ورفع الحاجات بالادعية الخالصة إلى الله تعالى ، فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الاذكار، وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ، ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ، ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة

الباب الأول : فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا

الباب الثانى: فى فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث : فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها

الباب الرابع : فى أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثوره

الباب الخامس: فى الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الأول

فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [4]) قال ثابت البنانى رحمه الله . انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك؟ فقال إذا ذكرته ذكرنى، وقال تعالى: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [5]) وقال تعالى (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ [6])

(١و٤) البقرة : ١٥٢ (٢) غافر : ٦٠ (٣) البقرة : ١٨٦ (٥) الأحزاب : ٤١ (٦) البقرة : ١٩٨

وقال عزوجل : (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا [١]) وقال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ [٢]) وقال تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ [٣]) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية ، وقال تعالى فى ذم المنافقين (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا [٤]) وقال عز وجل : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ . [٥]) وقال تعالى : (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [٦]) قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان ، أحدهما . أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر . أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه ، إلى غير ذلك من الآيات

وأما الأخبار: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ فِي وَسَطِ الْهَشِيمِ [١] » وقال صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ بَيْنَ الْفَارِّينَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] يقول الله عز وجل : « أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ بِي » وقال صلى الله عليه وسلم : [٣] « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٤] « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ

---

(١) حديث ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم :أبو نعيم فى الحلية والبيهقي فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال فى وسط الشجر – الحديث

(٢) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه:ه حب من حديث أبى هريرة وك من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الأسناد

(٣) حديث ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسفك حتى ينقطع ثلاث مرات: ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ باسناد حسن

(٤) حديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى: ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا: وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم

---

(١) البقرة : ٢٠٠ (٢) آل عمران : ١٩١ (٣) النساء : ١٠٣ (٤) النساء : ١٤٢ (٥) الاعراف : ٢٠٥

(٦) العنكبوت : ٤٥

ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أي الأعمال أفضل؟ فقال: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) «أَصْبِحْ وَأَمْسِ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تُصْبِحُ وَتُمْسِي وَلَيْسَ عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) « لَذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ سَحًّا » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) يقول الله تبارك وتعالى: « إِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا مَشَى إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْهِ » يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم (٥) «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » من جملتهم « رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٦) « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الْوَرِقِ وَالذَّهَبِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُونَ أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُونَ أَعْنَاقَكُمْ » قالوا وماذاك يارسول الله؟ قال « ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دَائِمًا » وقال صلى الله عليه وسلم (٧) قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ،

---

(١) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى: حب وطب في الدعاء والبيهقي في الشعب من حديث معاذ

(٢) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة: أبو القاسم الاصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف

(٣) حديث لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا: رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الاصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر في التمهيد

(٤) حديث قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٥) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه: متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضا

(٦) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ـ الحديث: ت هـ ك وصحح اسناده من حديث أبي الدرداء

(٧) حديث قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين: خ في التاريخ والبزار في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي الثقات أيضا

وأما الآثار: فقد قال الفضيل : بلغنا أن الله عز وجل قال : عبدي، اذكرني بعد الصبح ساعة ، وبعد العصر ساعة ، أكفك ما بينهما . وقال بعض العلماء : ان الله عز وجل يقول : أيما عبد اطّلعت على قلبه ، فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى ، توليت سياسته وكنت جليسه ، ومحادثه وأنيسه . وقال الحسن: الذكر ذكران ، ذكر الله عز وجل، بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره ، وأفضلُ من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرّم الله عز وجل. ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . والله تعالى أعلم

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « مَاجَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ» وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ لَكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ» وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم[3] « مَاقَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال داود صلى الله عليه وسلم : « إِلٰهِي إِذَا رَأَيْتَنِي أُجَاوِزُ مَجَالِسَ الذَّاكِرِينَ إِلَى مَجَالِسِ الْغَافِلِينَ فَاكْسِرْ رِجْلِي دُونَهُمْ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تُنْعِمُ بِهَا عَلَيَّ » وقال صلى الله عليه وسلم[4]: «الْمَجْلِسُ الصَّالِحُ يُكَفِّرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ أَلْفَيْ أَلْفِ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ السُّوءِ»

---

(١) حديث ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده : م من حديث أبي هريرة

(٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات: أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس

(٣) حديث ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة: ت وحسنه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء : ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له أسنادا

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله ، إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى ، اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا الا ترين مايصنعون ؟ فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك .[١] وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه دخل السوق وقال : اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد ! فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ، فلم يروا ميراثا ، فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد ، قال فماذا رأيتم ؟ قالوا رأينا قوما يذكرون الله عزوجل ويقرؤن القرءان ، قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[٢] « إِنَّ لِلّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِى الْأَرْضِ فَضْلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ . فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . أَىَّ شَىْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِى يَصْنَعُونَهُ . فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ . فَيَقُولُ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهَلْ رَأَوْنِى فَيَقُولُونَ لَا . فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَسْبِيحاً وَتَحْمِيداً وَتَمْجِيداً . فَيَقُولُ لَهُمْ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَتَعَوَّذُونَ . فَيَقُولُونَ مِنَ النَّارِ . فَيَقُولُ تَعَالَى وَهَلْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَا فَيَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا . فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ هَرَباً مِنْهَا وَأَشَدَّ نُفُوراً . فَيَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَىَّ شَىْءٍ يَطْلُبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ تَعَالَى وَهَلْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَا . فَيَقُولُ تَعَالَى فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً . فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ إِنِّى أُشْهِدُكُمْ . أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَيَقُولُونَ كَانَ فِيهِمْ فُلَانٌ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . فَيَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ . هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ

---

(١) حديث أبى هريرة أنه دخل السوق وقال اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق ـ الحديث : الطبرانى فى المعجم الصغير باسناد فيه جهالة أو انقطاع

(٢) حديث الاعمش عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس ـ الحديث : رواه ت من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم

فضيلة التهليل

قال صلى الله عليه وسلم (١) « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ قَالَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَا مِنْ عَبْدٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نُشُورِهِمْ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ يَنْفُضُونَ رُؤُوسَهُمْ مِنَ التُّرَابِ وَيَقُولُونَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) أيضاً لأبي هريرة « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ تَعْمَلُهَا تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهَا لَا تُوضَعُ فِي مِيزَانٍ لِأَنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي مِيزَانِ مَنْ قَالَهَا صَادِقاً وَوُضِعَتِ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ كَانَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ أَرْجَحَ مِنْ ذَلِكَ »

---

(١) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله ـ الحديث : تقدم فى الباب الثانى من الحج

(٢) حديث من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد على كل شيء قدير مائة مرة الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لااله الا الله ـ الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة

(٤) حديث ليس على أهل لااله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور ـ الحديث : أبو يعلى والطبرانى والبيهق فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٥) حديث ياأبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لااله الا الله فانها لاتوضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لااله الا الله أرجح من ذلك قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفري فى الدعوات ولو جعلت لااله الا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وعمارهن غيرى والارضين السبع فى كفة مالت بهن لااله الا الله رواه ن فى اليوم والليلة وحب و ك وصححه

وقال صلى الله عليه وسلم[١] «لَوْ جَاءَ قَائِلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِقُرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا لَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ» وقال صلى الله عليه وسلم[٢] «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَقِّنِ الْمَوْتَى شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْمًا» قلت يارسول الله هذا للموتى. فكيف للاحياء؟ قال صلى الله عليه وسلم هِيَ أَهْدَمُ وَأَهْدَمُ» وقال صلى الله عليه وسلم[٣] «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وقال صلى الله عليه وسلم[٤] «لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ» فقيل يا رسول الله من الذى يأبى ويشرد عن الله قال «مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا فَإِنَّهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَهِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى. وَهِيَ ثَمَنُ الْجَنَّةِ» وقال الله عز وجل ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ[١] ﴾

---

(١) حديث لو جاء حامل لااله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ وللترمذى فى حديث لانس يقول الله ياابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لأتينك بقرابها مغفرة ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع

(٢) حديث ياأبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لااله الا الله فانها تهدم الذنوب ـ الحديث : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه وزواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا

(٣) حديث من قال لااله الا الله مخلصا دخل الجنة: الطبرانى من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف

(٤) حديث لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله : البخاري من حديث أبى هريرة كل أمتى يدخلون الجنة الامن أبى: زاد ك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخارى قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى: ولابن عدى وأبى يعلى والطبرانى فى الدعاء من حديثه أكثروا من قول لااله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه ابن وردان أيضا ولابى الشيخ فى الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالى مرسلا اذا قلت لااله الاالله وهى كلمة التوحيد ـ الحديث والحكم ضعيف ولأبى بكر ابن الضحاك فى الشمائل من حديث ابن مسعود فى إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الاخلاص ولابن عدى من حديث ابن عمر فى اجابة المؤذن دعوة الحق وللطبرانى فى الدعاء عن عبد الله بن عمرو وكلمة الاخلاص لااله الا الله ـ الحديث : وللطبراني من حديث سلمة بن الاكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لااله الا الله وللطبرانى فى الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لااله الا الله وله عنه فى قوله دعوة الحق قال شهادة أن لااله الا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لااله الا الله ولابن عدى والمستغفرى من حديث أنس ثمن الجنة لااله الا الله ولا يصح شىء منها

(١) الرحمن : ٦٠

فقيل الاحسان في الدنيا، قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة الجنة . وكذا قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [(١)]) وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال [(١)] « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ أَوْ قَالَ نَسَمَةٍ » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٢)] « مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتَيْ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا يُدْرِكْهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِأَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَالَ فِي سُوقٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » [(٣)] ويروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله . أتت إلى صحيفته ، فلا تمر على خطيئة إلا محتها . حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها . وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم [(٤)] أنه قال « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم [(٥)] أنه قال: « مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي غُفِرَ لَهُ أَوْ دَعَا أُسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ »

---

(١) حديث البراء من قال لااله الا الله وحده لاشريك له ـ الحديث : الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات

(٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لااله الا الله وحده لاشريك له ـ الحديث: أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في المستدرك واسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الاحياء

(٣) حديث ان العبد اذا قال لااله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئه الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها: أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف

(٤) حديث أبي أيوب من قال لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل: متفق عليه

(٥) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لااله الا الله ـ الحديث : رواه خ

---

(١) يونس : ٢٦

فضيلة التسبيح والتحميد

وبقية الأذكار

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَّحَ[(١)] دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَحَمِدَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَكَبَّرَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِلاَ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[(٢)] « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » وروى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)] فقال : تولت عنى الدنيا ، وقَلَّتْ ذات يدى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلاَةِ الْمَلاَئِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلاَئِقِ وَبِهَا يُرْزَقُونَ » قال فقلت وماذا يا رسول الله ؟ قال : « قُلْ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ تَأْتِيكَ الدُّنْيَا رَاغِمَةً صَاغِرَةً وَيَخْلُقُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مَلَكاً يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَكَ ثَوَابُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم :[(٤)] « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ مَلأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الثَّانِيَةَ مَلأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الثَّالِثَةَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : سَلْ تُعْطَ »

---

(١) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ـ الحديث : م من حديث أبي هريرة

(٢) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال رسول الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون ـ الحديث :المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا فى حديث مالك ولاحمد من حديث عبد الله بن عمرو ان نوحا قال لابنه آمرك بلا إله الا الله ـ الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق الخلق واسناده صحيح

(٤) حديث اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض، واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط : غريب بهذا اللفظ لم أجده

قال رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فلما رفع رأسه من الركوع ، وقال سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال « مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفاً ؟ » قال أنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلاً » وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : [٢] « اُلْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هُنَّ لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، ولاَ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِلَّا غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواه ابن عمر . وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [٤] «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَحْمِيدِهِ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ يَذْكُرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ أَوَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالُ عِنْدَ اللهِ مَا يَذْكُرُ بِهِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم [٥] قال: « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » وفى رواية أخرى زاد « لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ »

---

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ـ الحديث : رواه خ

(٢) حديث الباقيات الصالحات هن لااله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ن فى اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبى سعيد و ن ك من حديث أبى هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة الا بالله

(٣) حديث ماعلى الأرض رجل يقول لااله الاالله والله أكبروسبحان الله والحمدلله ولاحول ولاقوة الابالله الاغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد ألبحر : ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند ت وحسنه و ن فى اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمدلله

(٤) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتمجيده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر بصاحبه ـ الحديث: ه و ك وصححه على شرط م

(٥) حديث أبى هريرة لأن أقول سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس وزاد فى رواية ولاحول ولاقوة الابالله وقال خير من الدنيا ومافيها: م باللفظ الأول وللمستغرق فى الدعوات من رواية مالك بن دينار ان أبا أمامة قال النبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر خير من الدنيا ومافيها قال أنت أغنم القوم وهو مرسل جيد الاسناد

وَقَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» وقال صلى الله عليه وسلم:(١) «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) كان يقول: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا. أَوْ مُشْتَرٍ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا. وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم: «مَا اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) «إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ سُبْحَانَ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَتُحَطُّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً وَإِذَا قَالَ اللهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ» وذكر إلى آخر الكلمات. وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦) «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله

---

(١) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام الى الله اربع ـ الحديث: رواه م

(٢) حديث أبي مالك الاشعري الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان ـ الحديث: رواه م وقد تقدم في الطهارة

(٣) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان ـ الحديث: متفق عليه

(٤) حديث أبي ذر أي الكلام أحب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون قوله سبحان الله العظيم

(٥) حديث أن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ـ الحديث: ن في اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الا انهما قالا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة

(٦) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة: ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة وحب و ك وقال صحيح على شرط م وصحح

صلى الله عليه وسلم [١] ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَتَحْمِيدَةٍ وَتَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَتَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَيَضَعُ أَحَدُكُمُ اللُّقْمَةَ فِي فِي أَهْلِهِ فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » قالوا يارسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال صلى الله عليه وسلم « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ كَذَلِكَ إِنْ وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ » وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « سَبَقَ أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِالْأَجْرِ. يَقُولُونَ كَمَا نَقُولُ وَيُنْفِقُونَ وَلَا نُنْفِقُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ أَدْرَكْتَ مَنْ قَبْلَكَ، وَفُقْتَ مَنْ بَعْدَكَ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِكَ تُسَبِّحُ اللهَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ». وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] أنه قال « عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ فَلَا تَغْفُلْنَ وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهَا مُسْتَنْطَقَاتٌ » يعني بالشهادة في القيامة. وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم [٤] يعقد التسبيح. وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري [٥] « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ تَعَالَى صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

---

(١) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي الحديث: رواه م

(٢) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ـ الحديث: رواه ه الا أنه قال قال سفيان لاأدري أيتهن أربع ولاحمد في هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادهما جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف

(٣) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات: د ت ك باسناد جيد

(٤) حديث ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح قلت انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص: كما رواه د ن ت وحسنه و ك

(٥) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي ـ الحديث: ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة و ه ك وصححه

وَلَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ صَدَقَ عَبْدِي لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِي وَمَنْ قَالَهُنَّ عِنْدَ الْمَوْتِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ فَقِيلَ كَيْفَ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ وَيُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَوْيَا أَبَامُوسَى أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ قَالَ بَلَى قَالَ قُلْ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ » وفي رواية أخرى « أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ . لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٣) « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ قَوْلُ لَا حَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وفي رواية « مَنْ قَالَ ذٰلِكَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ »

وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته، فقال بسم الله ، قال الملك هديت ، فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت ، وإذا قال لاحول ولاقوة إلا بالله ، قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ماتريدون من رجل ، قد هدى وكفى ووقى لاسبيل لكم إليه

فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان ، وقلة التعب فيه ، صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها

---

(١) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ـ الحديث : م الا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

(٢) حديث ياعبد الله بن قيس أو ياأبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لاحول ولا قوة الا بالله : متفق عليه

(٣) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لاحول ولا قوة الا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم: ن في اليوم والليلة و لئ من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربا ـ الحديث : د ن في اليوم والليلة و لئ وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا .

فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة . والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، فاما الذكر باللسان والقلبُ لاهٍ فهو قليل الجدوى ، وفي الأخبار ما يدل عليه أيضاً [1] وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى ، بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات ، وهو غاية ثمرة العبادات العملية ، وللذكر أول وآخر ، فأوله يوجب الانس والحب ، وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الانس والحب ؛ فان المريد في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل ، فان وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور . ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه ، وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه ، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء وأن كان تكلفا أحبه ، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الانس بالمذكور والحب له ، ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمراً ، وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرءان عشرين سنة ، ثم تنعمت به عشرين سنة ، ولا يصدر التنعم إلا من الانس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا ، فكيف يستبعد هذا ؟ وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه أولا ، ويكابد أكله ، ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه ، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هي النفس ماعودتها تتعود *

أي ما كلفتها أولا يصير لها طبعاً آخرا ، ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله ، وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت ، فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية . ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل

---

(١) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى : ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه

فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات فى الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولايبقى بعد الموت عائق ، فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعا فيه عما به أنسه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:[١] « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي ، أَحْبِبْ مَاأَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » أراد به كل مايتعلق بالدنيا ، فان ذلك يفنى فى حقه بالموت ، فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، وانما تفنى الدنيا بالموت فى حقه إلى أن تفنى فى نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل فى جوار الله عز وجل ، ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر مافى القبور ويحصل مافى الصدور ، ولاينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت ، فيقول انه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت ، وإلى ماذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم[٢] « الْقَبْرُ إِمَّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ أَوْرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » وبقوله صلى الله عليه وسلم :[٣] « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ » وبقوله صلى الله عليه وسلم[٤] لقتلى بدر من المشركين « يَافُلَانُ يَافُلَانُ » وقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم « هَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَاوَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » فسمع عمر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ، فقال صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَاأَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِكَلَامِي مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَايَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا » والحديث فى الصحيح هذا قوله عليه السلام فى المشركين

(١) حديث ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه : تقدم فى الكتاب السابع من العلم

(٢) حديث القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة : ت من حديث أبى سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ضعيف

(٣) حديث أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر : م من حديث ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ـ الآية قال أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر فلم يسم فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ت أما أنا سألناه عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس ان ابن منيع صرح برفعه فى مسنده

(٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يافلان يا فلان وقد سماهم انى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا : م من حديث أنس ـ

فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم[1] « أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ[1]) الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة ، لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداعَ الدنيا والقدوم على الله ، والقلبُ مستغرق بالله عز وجل منقطعُ العلائق عن غيره ، فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل ، فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة الا فى صف القتال ، فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده ، بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته ، وقد هوّن على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته ، فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل مالا يحصى ، فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصارى يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] لجابر « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ قَالَ بَلَى بَشَّرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَا أَبَاكَ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِتْرٌ فَقَالَ تَعَالَى تَمَنَّ عَلَيَّ يَا عَبْدِي مَا شِئْتَ أُعْطِيكَهُ فَقَالَ يَا رَبِّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أُقْتَلَ فِيكَ وَفِي نَبِيِّكَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَ الْقَضَاءُ مِنِّي بِأَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ » ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة ، فانه لو لم يقتل وبقى مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ، ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة ، فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب ، لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ، ولا ينفك عن فترة تعتريه ، فاذا تمثل فى آخر الحال فى قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا ، والحالة هذه ، فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ، ويتمنى الرجوع إلى الدنيا ، وذلك لقلة حظه فى الآخرة ، إذ يموت المرء على ما عاش عليه ، ويحشر على مامات عليه ، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة ،

---

(١) حديث أرواح المؤمنين فى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش : ه من حديث كعب بن مالك ان أرواح المومنين فى طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ انما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح

(٢) حديث ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي ـ الحديث : ت وقال حسن و ه ك وصحح اسناده من حديث جابر

---

(١) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ .

إذا لم يكن قصد الشهيد [١] نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر ، بل حب الله عز وجل ، وإعلاء كلمته ، فهذه الحالة هى التى عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ، ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك ، لا إله إلا الله ، فانه لامقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود ، وكل معبود إله ، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله، إذ لامقصود له سواه، ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر ، ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « قَوْلَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَلَى سَائِرِ الْأَذْكَارِ » وذكر ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ، ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصاً ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال .

فنسأل الله تعالى ، أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً ومقالاً ، وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها ، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله، فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فهذه مرامز إلى معانى الذكر التى لا يمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة .

الباب الثالث

فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي [١]) وقال تعالى : (أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٢])

---

(١) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك : متفق عليه من حديث أبى موسى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله

(٢) حديث تفضيل لااله الا الله على سائر الاذكار : ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ه من حديث جابر .

(١) البقرة : ١٨٦ (٢) الأعراف : ٥٥

وقال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[١]) وقال عز وجل: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[٢])

وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم [١] أنه قال « إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ . ثُمَّ قَرَأَ ـ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » الآية . وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم [٣] قال « لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِنَّ الْعَبْدَ لَا يُخْطِئُهُ مِنَ الدُّعَاءِ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا ذَنْبٌ يُغْفَرُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُعَجَّلُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُدَّخَرُ لَهُ » وقال أبو ذر رضى الله عنه ، يكفى من الدعاء مع البر مايكفى الطعام من الملح ، وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « سَلُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ »

آداب الدعاء

وهى عشرة

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى : (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[٣]). وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرُ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي

﴿ الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله ﴾

(١) حديث النعمان بن بشير ان الدعاء هو العبادة : أصحاب السنن و لئ وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح

(٢) حديث الدعاء مخ العبادة : ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث بن لهيعة

(٣) حديث أبى هريرة ليس شىء أكرم عند الله من الدعاء : ت وقال غريب و ه حب ك وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له : الديلمى فى الفردوس من حديث أنس وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبى عياش وكلاهما ضعيف : ولأحمد و خ فى الادب والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى سعيد اما أن تعجل له دعوته واما أن يدخر له فى الآخرة واما أن يدفع عنه من السوء مثلها

(٥) حديث سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج : ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره .

(٦) حديث ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(١) غافر : ٦٠ (٢) الاسراء : ١١٠ (٣) الذاريات : ١٨

فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » . وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي [١]) ليدعو في وقت السحر ، فقيل : انه قام في وقت السحر يدعو ، وأولاده يؤمنون خلفه ، فأوحى الله عز وجل إليه ، أني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء

الثاني : أن يغتنم الاحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضي الله عنه . إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى ، وعند نزول الغيث ، وعند اقامة الصلوات المكتوبة ، فاغتنموا الدعاء فيها ، وقال مجاهد . إن الصلاة جعلت في خير الساعات ، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات ، وقال صلى الله عليه وسلم (١) « الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) أيضاً « الصَّائِمُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً ، إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه ، وفراغه من المشوشات ، ويوم عرفة ويوم الجمعة ، وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل ، فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى مافيها من أسرار لا يطلع البشر عليها ، وحالة السجود أيضاً أجدر بالاجابة ، قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (٣) « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤) أنه قال « إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْءانَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ تَعَالَى وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ »

الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة ، ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه ، وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « أَتَى الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَلَمْ يَزَلْ

---

(١) حديث الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد : د ن في اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم والليلة باسناد آخر جيد وحب و ك وصححه

(٢) حديث الصائم لا ترد دعوته : ت وقال حسن و ه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه

(٣) حديث أبي هريرة أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء : رواه م

(٤) حديث ابن عباس اني نهيت أن أقرأ القرءان راكعا أو ساجدا ـ الحديث : م أيضا

(٥) حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس : م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفا و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات

---

[١] يوسف : ٩٨

يَدْعُو حَتَّى غَرُبَتِ الشَّمْسُ » . وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبِيدِهِ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صُفْراً » . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم[٢] « كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ فِي الدُّعَاءِ وَلَا يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[٣] مر على انسان يدعو ويشير باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم « أَحِّدْ أَحِّدْ » أى اقتصر على الواحدة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الايدى قبل أن تغل بالاغلال

ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء . قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] « إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم[٥] « إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفَّيْهِ وَجَعَلَ بُطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ » فهذه هيآت اليد . ولا يرفع بصره إلى السماء . قال صلى الله عليه وسلم[٦] « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ »

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر . لما روى أن أبا موسى الأشعرى . قال قدمنا مع رسول الله . فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم[٧] « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ لَيْسَ بِأَصَمَّ وَلَا غَائِبٍ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْنَاقِ رِكَابِكُمْ »

---

(١) حديث سلمان إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا : د ت وحسنه و ه ك وقال أسناد صحيح على شرطها

(٢) حديث أنس كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولا يشير باصبعه: م دون قوله ولا يشير باصبعه والحديث : متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء

(٣) حديث أبى هريرة مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد: ن وقال حسن و ه ك وقال صحيح الاسناد.

(٤) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بها وجهه ت وقال غريب و ك فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف

(٥) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونها مما يلى وجهه: الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف

(٦) حديث لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم : م من حديث أبى هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة

(٧) حديث أبى موسى الأشعرى يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب : متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود

قالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل [١] (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا [١]) أي بدعائك. وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا [٢]) وقال عز وجل: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً [٣])

الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء. فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه، قال صلى الله عليه وسلم [٢] «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ» وقد قال عز وجل: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٤]) قيل معناه التكلف للاسجاع: والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى في دعائه، فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته، فما كل أحد يحسن الدعاء، ولذلك روى عن مُعاذ رضي الله عنه. أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة. اذ يقال لأهل الجنة تمنوا، فلا يدرون كيف يتمنّون حتى يتعلموا من العلماء، وقد قال صلى الله عليه وسلم [٣] «إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ حَسْبُ أَحَدِكُمْ. أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ» وفي الخبر «سَيَأْتِي قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ» ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع، فقال له. أَعَلَى الله تبالغ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو وما يزيد على قوله. اللهم اجعلنا جيدين، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة، اللهم وفقنا للخير، والناس يدعون من كلّ ناحية وراءه، وكان يعرف بركة دعائه، وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق، ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها، ويشهد له آخر سورة البقرة، فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك

---

(١) حديث عائشة في قوله تعالى ـ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ـ أي بدعائك: متفق عليه

(٢) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور: د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل

(٣) حديث اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل: غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون الا ذلك: و ه ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة الى آخره

---

(١) الاسراء: ١١٠ (٢) مريم: ٣ (٣، ٤) الاعراف: ٥٥

واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام ، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة ، وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم [1] « أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ . وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ » وأمثال ذلك . فليقتصر على المأثور من الدعوات ، أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف ، فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل

السادس : التضرع والخشوع ، والرغبة والرهبة ، قال الله تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا [1]) وقال عز وجل :(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً [2]) وقال صلى الله عليه وسلم [2] « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ حَتَّى يَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ »

السابع : أن يجزم الدعاء ، ويوقن بالإجابة ، ويصدق رجاءه فيه ، قال صلى الله عليه وسلم [3] « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [4] « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [5] « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ » وقال سفيان بن عيينة . لا يمنعن أحدكم

---

(١) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ماتريد : ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سيء الحفظ

(٢) حديث إذا أحب الله عبد ابتلاه حتى يسمع تضرعه : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا ــ الحديث : وفيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته وللطبراني من حديث أبي أمامة ان الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء الحديث : وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف

(٣) حديث لايقل أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لامكره له : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شيء : حب من حديث أبي هريرة

(٥) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل : ت من حديث أبي هريرة وقال غريب : و ك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف في الحديث

---

(١) الانبياء : ٩٠ (٢) الاعراف : ٥٥

من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله ، إذ قال (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ [1])

الثامن : أن يلح فى الدعاء ، ويكرره ثلاثا ، قال ابن مسعود كان عليه السلام [1] « إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا » وينبغى أن لا يستبطىء الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم [2] « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي فَإِذَا دَعَوْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ كَثِيراً فَإِنَّكَ تَدْعُو كَرِيماً » وقال بعضهم . انى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وأنا أرجو الاجابة ، سألت الله تعالى أن يوفقنى لترك ما لا يعنينى ، وقال صلى الله عليه وسلم [3] « إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ مَسْأَلَةً فَتَعَرَّفَ الْإِجَابَةَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ »

التاسع : أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل ، فلا يبدأ بالسؤال . قال سلمة بن الأكوع : « مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [4] يَسْتَفْتِحُ الدُّعَاءَ إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ بِقَوْلِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ » وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله ، من أراد أن يسأل الله حاجة ، فليبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ، وروى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] أنه قال « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةً فَابْتَدِئُوا بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِي إِحْدَاهُمَا وَيَرُدُّ الْأُخْرَى » رواه أبو طالب المكى

---

(١) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا : رواه مسلم وأصله : متفق عليه

(٢) حديث يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث اذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شىء فليقل الحمد لله على كل حال : البيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف

(٤) حديث سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : أحمد و ك وقال صحيح الأسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامى ضعفه الجمهور

(٥) حديث اذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى احداهما ويرد الاخرى : لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على أبى الدرداء

(١) الاعراف : ١٤ ، ١٥

العاشر : وهو الأدب الباطن ، وهو الأصل فى الاجابة ، التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب فى الاجابة ،فيروى عن كعب الأحبار أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج موسى ببنى اسرائيل يستسقى بهم ، فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أنى لااستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام ، فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا ، فأوحى الله عز وجل إليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ، فقال موسى لبنى اسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا ، فأرسل الله تعالى عليهم الغيث ، وقال سعيد بن جبير . قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا ، فقال الملك لبنى اسرائيل ليرسلنّ الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه ، قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو فى السماء . فقال . أقتل أولياءه وأهل طاعته ، فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء.وقال سفيان الثورى بلغنى أن بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل ، وأكلوا الأطفال ، وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، لو مشيتم إلىّ بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء ، وتكل ألسنتكم عن الدعاء،فانى لاأجيب لكم داعيا ، ولا أرحم لكم باكيا ، حتى تردوا المظالم إلى أهلها ، ففعلوا فمطروا من يومهم ، وقال مالك بن دينار أصاب الناس فى بنى إسرائيل قحط،فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل . إلى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون إلىّ بأبدان نجسة،وترفعون إلىّ أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام،الآن قد اشتدّ غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلا بعدا ، وقال أبو الصديق الناجى خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء ، وهى تقول. اللهم انا خلق من خلقك،ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعى . خرج الناس يستسقون ، فقام فيهم بلال بن سعد . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرّين بالاساءة ؟ فقالوا اللهم نعم ، فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول (مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ [1]) وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا،اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا

(1) التوبة : ٩١

فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا. وقيل لمالك بن دينار، ادع لنا ربك فقال أنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطىء الحجارة، وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسق فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام. من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة الا واحد، فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب؟ فقال والله ماعلمت من شيء غير أنى كنت ذات يوم أصلى، فمرت بى امرأة فنظرت إليها بعينى هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك، قال فدعا فتجللت السماء سحابا، ثم صبت فسقوا. وقال يحيى الغسانى. أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام، فاختاروا ثلاثة من علمائهم، فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، وقال الثانى. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم انا أرقاؤك فاعتقنا، وقال الثالث. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن لانرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا. فسقوا، وقال عطاء السلمى. منعنا الغيث فخرجنا نستسق، فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر، فنظر إلىّ فقال ياعطاء أهذا يوم النشور أو بعثر مافى القبور؟ فقلت لا، ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسق، فقال ياعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية. فقلت بل بقلوب سماوية، فقال هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا، فان الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه، وقال الهى وسيدى ومولاى، لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك، وما وارت الحجب من آلائك إلا ماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد، يامن هو على كل شيء قدير، قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت، وجاءت بمطر كأفواه القرب، فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدونا * إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى * حسب الناس انفيهم جنونا

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم: إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش . قد اتزر باحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: الهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك ، فاسألك ياحليما ذا أناة ، يامن لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك فجئت إلى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا فقلت أمر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا ، وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه ، فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة قد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعى لا تهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

فضيلة الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [1]) وروى أنه صلى الله عليه وسلم [1] « جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى تُرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَى يَا مُحَمَّدُ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً وَاحِدَةً إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ

---

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال انه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ماترضى يامحمد أن لايصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا : ن و حب من حديث أبى طلحة باسناد جيد

(١) الاحزاب : ٥٦

إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا » وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيُقْلِلْ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْبُخْلِ أَنْ أُذْكَرَ عِنْدَهُ فَلاَ يُصَلِّي عَلَيَّ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى فليقلل عبد من ذلك أوليكثر : ه من حديث عامر ابن ربيعة باسناد ضعيف والطبراني في الاوسط باسناد حسن

(٢) حديث ان أولى الناس بي أكثرهم على صلاة : ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب

(٣) حديث بحسب امرىء من البخل ان أذكر عنده فلا يصلي على : قاسم بن أصبغ من حديث الحسن ابن علي هكذا : و ن وحب من حديث أخيه الحسن البخيل. من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح

(٤) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة : د ن ه حب ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره بن أبي حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر

(٥) حديث من صلى على من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات : ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وله في السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات

(٦) حديث من قال حين يسمع الأذان والأقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي :البخاري من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال النداء وللمستغفرى في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى في اليوم والليلة من حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفرى في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه واذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة ــ الحديث : وزاد وتقبل شفاعته في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة وفيه فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة

(١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَادَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « لَيْسَ أَحَدٌ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » (٤) وقيل له يارسول الله كيف نصلى عليك فقال « قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم (٥) فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ (١))

---

(١) حديث من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب : الطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث ان فى الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام : تقدم فى آخر الحج

(٣) حديث ليس أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام : د من حديث أبى هريرة بسند جيد

(٤) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته ... الحديث : متفق عليه من حديث أبى حميد الساعدى

(٥) حديث عمر فى حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالابطح وكلام الشاة المسمومة وانه دمى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون وانه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالارض ولعق أصابعه : وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى . فحديث حنين الجذع : متفق عليه من حديث جابر وابن عمر . وحديث نبع الماء من بين أصابعه : متفق عليه من حديث أنس وغيره . وحديث الاسراء : متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالابطح . وحديث كلام الشاة المسمومة : رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع . وحديث أنه دمى وجهه وكسرت رباعيته : متفق عليه من حديث سهل بن سعد فى غزوة أحد . وحديث اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون رواه البيهقى فى دلائل النبوة : والحديث فى الصحيح من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الانبياء ضربه قومه . وحديث لبس الصوف رواه الطيالسى من حديث سهل بن سعد . وحديث ركوبه الحمار وارادفه خلفه : متفق عليه من حديث أسامة بن زيد . وحديث وضع طعامه بالارض : رواه أحمد فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخارى من حديث أنس ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط . وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب، فقال تعالى:(عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ (١)) بأبى أنت وأمى يارسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم، فقال عز وجل :(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ (٢))الآية، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون (يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٣)) بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبى أنت وأمى يارسول الله ؛ لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوّها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك، بأبى أنت وأمى يارسول الله،لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع لاتأكلنى فانى مسمومة، بأبى أنت وأمى يارسول الله .لقد دعا نوح على قومه فقال (رَبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٤)) ولودعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول إلا خيرا، فقلت« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » بأبى أنت وأمى يارسول الله، لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل، بأبى أنت وأمى يارسول الله،لولم تجالس إلا كفؤا لك ماجالستنا: ولولم تنكح إلا كفؤا لك مانكحت إلينا، ولولم تؤاكل إلا كفؤا لك ماواكلتنا،فلقدوالله جالستناونكحت إليناوواكلتنا، ولبست الصوف،وركبت الحمار،وأردفت خلفك،ووضعت طعامك على الأرض، ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم،وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم،فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى،أماتتم الصلاة على فى كتابك فما كتبت بعد ذلك إلاصليت وسلمت عليه،وروى عن أبى الحسن قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله بم جوزى الشافعى عنك حيث يقول فى كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون،فقال صلى الله عليه وسلم جوزى عنى أنه لا يوقف للحساب

---

(١) التوبة : ٤٣ (٢) الأحزاب : ٧ (٣) الأحزاب : ٦٦ (٤) نوح : ٢٦

فضيلة الاستغفار

قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ [١]) وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم فى كتاب الله عز وجل آيتان ماأذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [٢]) الآية وقوله عز وجل (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا [٣]) وقال عز وجل (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [٤]) وقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ [٥]) وكان صلى الله عليه وسلم : [١] يكثر أن يقول « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » وقال صلى الله عليه وسلم: [٢] « مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » وقال صلى الله عليه وسلم: [٣] « إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم: [٤] « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٥] « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ أَوْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ أَوْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ أَوْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم : الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه. والحديث متفق عليه من حديث عائشة انه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله انك أنت التواب الرحيم

(٢) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب : د ن فى اليوم والليلة ه ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان

(٣) حديث انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة : خ من حديث أبى هريرة الا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف

(٤) حديث انه ليغان على قلبي حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة : م من حديث الاغر

(٥) حديث من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ـ الحديث : ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة . رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى الى فراشه وقوله ثلاث مرات

[١،٢] آل عمران : ١٣٥ [٣] النساء : ١١٠ [٤] النصر: ٣ [٥] آل عمران :١٧

(١) في حديث آخر . « مَنْ قَالَ ذَلِكَ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ » وقال حذيفة (٢) كنت ذَرِب اللسان على أهلي ، فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » ، وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ . فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالاِسْتِغْفَارُ » وكان صلى الله عليه وسلم (٤) يقول في الاستغفار « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَايَ وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله عز وجل بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدقته ، قال وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « يَقُولُ مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (١)) الآية .

---

(١) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف : د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب . قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي ـ الحديث : وفيه أين أنت عن الاستغفار : ن في اليوم والليلة و هـ ك وقال صحيح على شرط الشيخين

(٣) حديث عائشة ان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار : متفق عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد أو توبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه : وللطبراني في الدعاء فان العبد اذا أذنب ثم استغفر الله غفر له

(٤) حديث كان يقول اللهم اغفرلي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفرلي جدي وهزلي : متفق عليه من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم

(٥) حديث علي عن أبي بكر ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت

(١) آل عمران : ١٣٥

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ مِنْهَا فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلُفَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1]) » وروى أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[2] قال : « إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَـذِهِ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ » وروت عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم[3] قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم :[4] « إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْباً فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ عَبْدِي اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[5] « مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » وقال صلى الله عليه وسلم :[6] « إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ إِنَّ لِي رَبّاً يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[7] « مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ »

---

(١) حديث أبى هريرة ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ـ الحديث : ت وصححه و ن فى اليوم والليلة و هـ حب ك

(٢) حديث أبى هريرة ان الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك : رواه أحمد باسناد حسن

(٣) حديث عائشة اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساءوا استغفروا : هـ وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه

(٤) حديث اذا أذنب العبد فقال اللهم اغفرلى يقول الله أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث ماأصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة : د ت من حديث أبى بكر وقال غريب وليس اسناده بالقوى

(٦) حديث ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يارب اغفرلى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على أصل

(٧) حديث من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر : الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

---

(١) المطففين : ١٤

وقال صلى الله عليه وسلم :[١] « يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالَى يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُهُ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى أَنْ أَغْفِرَ لَهُ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي » وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « مَنْ قَالَ سُبْحَانَكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سُوءًا فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ غَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ كَمَدَبِّ النَّمْلِ » وروى[٣] أن أفضل الاستغفار « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ عَلَى نَفْسِي بِذَنْبِي فَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي مَا قَدَّمْتُ مِنْهَا وَمَا أَخَّرْتُ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا إِلَّا أَنْتَ »

الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان أحب عبادى إلى المتحابون بحبى ، والمتعلقة قلوبهم بالمساجد . والمستغفرون بالاسحار ، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم ، وصرفت العقوبة عنهم ، وقال قتادة رحمه الله القرءان يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار ، وقال على كرم الله وجهه . العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل وما هى قال الاستغفار ؛ وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه ، وقال الفضيل . قول العبد أستغفر الله ، تفسيرها أقلنى وقال بعض العلماء . العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار ، وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنباً وكذبا إن لم يفعل ، ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب علىّ ، وقال الفضيل ، رحمه الله . الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين ،

---

(١) حديث يقول الله ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى : ت ه من حديث أبى ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر

(٢) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه وان كانت كدب النمل : البيهق فى الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لا اله الا أنت فى أوله وفيه ابن لهيعة

(٣) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ـ الحديث : خ من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت ودون قوله جميعا ،

وقالت رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير ، وقال بعض الحكماء من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم ، وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول . اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم ، وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إلىّ بالنعم مع غناك عنى ، وكم أتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى اليك ، يامن إذا وعد وفى ، وإذا أوعد عفا ؛ أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك ياأرحم الراحمين ، وقال أبو عبد الله الوراق . لوكان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى . اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ولم أوف لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىّ فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل ، فى ملأ أوخلاء وسر وعلانية ، ياحليم . ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

الباب الثالث

فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها

مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحاً ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر ، قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة ، فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح[1] قال : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتَنَ عَنِّي وَتُصْلِحُ بِهَا دِينِي وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي

الباب الثالث فى أدعية مأثورة

(١) حديث ابن عباس اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى ــ الحديث : ت وقال غريب ولم يذكر فى أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبراني

وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ . اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا
شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ
وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي وَإِنْ
ضَعُفَ رَأْيِي وَقَلَّتْ حِيلَتِي وَقَصُرَ عَمَلِي وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَأَسْأَلُكَ يَا كَافِيَ الْأُمُورِ وَيَا شَافِيَ
الصُّدُورِ كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ وَمِنْ فِتْنَةِ
الْقُبُورِ ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وَأُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ
أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ وَأَسْأَلُكَهُ
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ وَسِلْمًا
لِأَوْلِيَائِكَ نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ خَلْقِكَ وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ
اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ذِي الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ
يَوْمَ الْوَعِيدِ وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ إِنَّكَ
رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ
بِالْجَدِّ وَتَكَرَّمَ بِهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ ، سُبْحَانَ
ذِي الْعِزَّةِ وَالْكَرَمِ ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا
فِي قَبْرِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشَرِي وَنُورًا فِي لَحْمِي
وَنُورًا فِي دَمِي وَنُورًا فِي عِظَامِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي وَنُورًا عَنْ يَمِينِي
وَنُورًا عَنْ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي اللَّهُمَّ زِدْنِي نُورًا وَأَعْطِنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا

دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] لعائشة رضي الله عنها « عَلَيْكِ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ
قُولِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ

---

(١) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه وما لم أعلم ـ الحديث : هـ و ك وصححه من حديثها

عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَالَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَداً بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »

دعاء فاطمة رضى الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « يَا فَاطِمَةُ مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ »

دعاء أبي بكر الصديق رضى الله عنه

علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَمُوسَى نَجِيِّكَ وَعِيسَى كَلِمَتِكَ وَرُوحِكَ وَبِتَوْرَاةِ مُوسَى وَإِنْجِيلِ عِيسَى وَزَبُورِ دَاوُدَ وَفُرْقَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَبِكُلِّ وَحْيٍ أَوْحَيْتَهُ أَوْ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ أَوْ سَائِلٍ أَعْطَيْتَهُ أَوْ غَنِيٍّ أَفْقَرْتَهُ أَوْ فَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ أَوْ ضَالٍّ هَدَيْتَهُ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بَثَثْتَ بِهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى السَّمَوَاتِ فَاسْتَقَلَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْجِبَالِ فَرَسَتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَلَّ بِهِ عَرْشُكَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطُّهْرِ الطَّاهِرِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْوِتْرِ الْمُنَزَّلِ فِي كِتَابِكَ مِنْ لَدُنْكَ مِنَ النُّورِ الْمُبِينِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَبِعَظَمَتِكَ وَكِبْرِيَائِكَ وَبِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَرْزُقَنِي الْقُرْءَانَ وَالْعِلْمَ بِهِ وَتَخْلِطَهُ بِلَحْمِي وَدَمِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَتَسْتَعْمِلَ بِهِ جَسَدِي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

---

(١) حديث يافاطمة مايمنعك أن تسمعي ماأوصيك به أن تقولي ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله : ن في اليوم والليلة و ك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم انى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك ـ الحديث: في الدعاء لحفظ القرءان: رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أتعلم القرءان ويتفلت مني فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر

دعاء بريدة الأسلمي رضى الله عنه

رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] يَا بُرَيْدَةُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ ثُمَّ لَمْ يُنْسِهِنَّ إِيَّاهُ أَبَدًا قَالَ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قُلْ «اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُنْتَهَى رِضَايَ اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي وَإِنِّي فَقِيرٌ فَأَغْنِنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

دعاء قبيصة بن المخارق

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم [2] علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبرسنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام: «أَمَّا لِدُنْيَاكَ فَإِذَا صَلَّيْتَ الْغَدَاةَ فَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَهُنَّ أَمِنْتَ مِنَ الْغَمِّ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْفَالِجِ. وَأَمَّا لِآخِرَتِكَ فَقُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ إِذَا وَفَّى بِهِنَّ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ فُتِحَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»

دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه

قيل لأبى الدرداء رضى الله عنه [3] قد احترقت دارك، وكانت النار قد وقعت فى محلته، فقال ما كان الله ليفعل ذلك، فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول. ما كان الله ليفعل ذلك، ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء. إن النار حين دنت من دارك طفئت، قال قد علمت ذلك، فقيل له ما ندرى أى قوليك أعجب، قال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ وَقَدْ قُلْتُهُنَّ وَهِيَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

---

(١) حديث يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن اياه ـ الحديث: ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد

(٢) حديث ان قبيصة بن المخارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سنى وعجزت ـ الحديث: ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد فى المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم

(٣) حديث قيل لأبى الدرداء أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك ـ الحديث: الطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء ضعيف

عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مَاشَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَالَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح . اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه عَلَيَّ بطاعتك ، واختمه لى بمغفرتك ورضوانك ، وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى ، وزكها وضعفها لى ، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم . قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم

كان يقول . اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيرى . وأصبحت مرتهنا بعملى ، فلافقير أفقر منى ، اللهم لاتشمت بى عدوى ، ولا تسؤ بى صديقى ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ، ولا تسلط علىَّ من لا يرحمنى ياحى ياقيوم

دعاء الخضر عليه السلام

يقال إن الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، ماشاء الله كل نعمة من الله، ماشاء الله الخير كله بيد الله ، ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله، فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى

دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه

قال محمد بن حسان . قال لى معروف الكرخى رحمه الله ، ألا أعلمك عشر كلمات . خمس للدنيا وخمس للآخرة ، من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن، قلت اكتبها لى ، قال لا ، ولكن أرددها عليك كما رددها عَلَيَّ بكر بن خنيس رحمه الله ، حسبى الله لدينى حسبى الله لدنياى، حسبى الله الكريم لما أهمنى ، حسبى الله الحليم القوى لمن بغى على ، حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء ، حسبى الله الرحيم عند الموت ، حسبى الله الرؤف عند المسألة فى القبر ،

حسبي الله الكريم عند الحساب ، حسبي الله اللطيف عند الميزان ، حسبي الله القدير عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال. من قال في كل يوم سبع مرات(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ[١]) كفاه الله عزوجل ما أهمه ، من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا

دعاء عتبة الغلام

وقد رؤى في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات، اللهم ياهادي المضلين، ويا راحم المذنبين ، ويامقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار والمرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا ؛ وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال ، اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته علي، والرضا بما قسمته لي ياذا الجلال والاكرام ، فأوحى الله عز وجل اليه أني قد غفرت لك ، ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له ، وكشفت غمومه وهمومه ، ونزعت الفقر من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها

دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم(١) أنه قال « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَجِّدُ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقُولُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْعَفُوُّ الْغَفُورُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا مُبْدِئُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ يَعُودُ ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ

(١) حديث علي ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول اني أنا الله رب العالمين اني أنا الله لا اله الا أنا الحي القيوم ـ الحديث : بطوله لم أجد له أصلا

[١] التوبة : ١٢٩

خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً الْفَرْدُ الْوِتْرُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ الْمُقْتَدِرُ الْقَهَّارُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، الْقَادِرُ الرَّزَّاقُ فَوْقَ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» .

وذكر قبل كل كلمة انى أنا الله لا إله إلا أنا كماأوردناه فى الأول ، فمن دعا بهذه الأسماء فليقل انك أنت الله لا إله إلا أنت كذاوكذا ، فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين ، الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين ، صلوات الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والأرضين ، وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى

دعاء ابن المعتمد وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم، فقال ماأفضل مارأيت ثمّ من الأعمال ،قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه. سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، عدد ماخلق ، وعدد ماهو خالق ، وزنة ماخلق ، وزنة ماهو خالق ، وملء ماخلق ، وملء ماهو خالق ، وملء سمواته ، وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه وزنة عرشه ، ومنتهى رحمته ، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه حتى يرضى ، وإذا رضى ، وعدد ماذكره به خلقه فى جميع مامضى ، وعددِ ماهم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة ، وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشمّ ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لاينقطع أوّله ولا ينفد آخره

دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

روى ابراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى ، مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد ، والكاتب والشهيد ، يومنا هذا يوم عيد ، اكتب لنا فيه مانقول ، بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه مايريد ، أصبحت بالله مؤمنا ، وبلقائه مصدقا ، وبحجته معترفا ، ومن ذنبى مستغفرا ، ولربوبية الله خاضعا ،

ولسوى الله فى الآلهة جاحدا ، وإلى الله فقيرا ، وعلى الله متكلا ، وإلى الله منيبا ، أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه ، بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لاشريك له ،وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما،وان الجنة حق ، وأن النار حق ، والحوض حق، والشفاعة حق ، ومنكرا ونكيرا حق ،ووعدك حق ووعيدك حق ، ولقاءك حق ، والساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، على ذلك أحيا وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله ، اللهم أنت ربى لا إله إلا انت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ، أعوذ بك اللهم من شر ماصنعت ومن شر كل ذى شر ، اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لايهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، أنا لك وإليك، أستغفرك وأتوب إليك ، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول ، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب ، وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ، خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين ، اللهم أوردنا حوض محمد ، واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا ،واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولامفتونين ولامغضوب علينا ولاضالين ، اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولاتضلنى وإن كنت ظالما سبحانك ياعلى ياعظيم يابارىء يارحيم ياعزيز ياجبار ،سبحان من سبحت له السموات باكنافها ، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها ،وسبحان من سبحت له الحيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها ، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن ، سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك ، سبحانك ياحي ياقيوم يا عليم يا حليم ، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير

الباب الرابع

فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم

وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة

من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتى ذكره فى كتاب الأوراد ، فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل فى مفتتح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وقل (٣) « رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » وقل (٤) « اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ » وقل (٥) « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي وَأَقِلْ عَثْرَاتِي وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي

﴿ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء

(٢) حديث القول عقب الصلوات لااله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير : متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

(٣) حديث رضيت بالله ربا ــ الحديث : تقدم فى الباب الأول من الأذكار

(٤) حديث اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لااله الاأنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه : د ت وصححه وحب و ك وصححه من حديث أبى هريرة أن أبا بكر الصديق قال يارسول الله مرنى بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فذكره

(٥) حديث اللهم انى أسألك العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالي اللهم استر عورتى وآمن روعتى وأقل عثرتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى : د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح

وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي ، اللَّهُمَّ (١) لَا تُؤَمِّنِّي مَكْرَكَ وَلَا تُوَلِّنِي غَيْرَكَ وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي سِتْرَكَ وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ ، وقل «اللَّهُمَّ (٢) أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وقل اللَّهُمَّ (٣) عَافِنِي فِي بَدَنِي وَعَافِنِي فِي سَمْعِي وَعَافِنِي فِي بَصَرِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَقُلِ اللَّهُمَّ (٤) إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ أَوْ أَكْسِبَ خَطِيئَةً أَوْ ذَنْبًا لَا تَغْفِرُهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (٥) الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ فِي الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا سَلِيمًا ، وَخُلُقًا مُسْتَقِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي (٦) مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَعَلَى كُلِّ غَيْبٍ شَهِيدٌ ،

---

(١) حديث اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك وإسناده ضعيف

(٢) حديث اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت : خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم

(٣) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات : د ن في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوى

(٤) حديث اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ـ الحديث : الى قوله أو ذنبا لا يغفر : أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث اللهم اني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ـ الحديث : الى قوله ـ وأنت علام الغيوب ـ ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف

(٦) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ـ الحديث : الى قوله وعلى كل غيب شهيد . متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب

اللهمَّ إنِّى أسألك (١) إيمانًا لا يرتدّ ونعيمًا لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى أعلى جنة الخلد ، اللهمَّ إنى أسألك (٢) الطيّبات وفعل الخيرات وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، أسألك حبّك وحبّ من أحبّك ، وحبّ كل عمل يقرّب إلى حبّك ، وأن تتوب علىّ وتغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون اللهمّ (٣) بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفّنى ما كانت الوفاة خيرًا لى ، أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، وأعوذ بك من ضراء مضرّة وفتنة مضلّة ، اللهمَّ زيّنّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين ، اللهمّ (٤) اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنّتك ، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا والآخرة ، اللهمَّ (٥) املأ وجوهنا منك حياء ، وقلوبنا منك فرقا ، وأسكن فى نفوسنا من عظمتك ما تذلّل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهمّ أحبّ إلينا ممّن سواك ، واجعلنا أخشى لك ممّن سواك ،

---

(١) حديث اللهم انى أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ـ الحديث : ن فى اليوم والليلة وك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الابد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع

(٢) حديث اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات ـ الحديث : الى قوله غير مفتون : ت من حديث معاذ اللهم انى أسألك فعل الخيرات ـ الحديث : وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهى فى الدعاء للطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة

(٣) حديث اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ـ الحديث : الى قوله واجعلنا هداة مهتدين : ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به

(٤) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ـ الحديث : ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك

(٥) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا ـ الحديث : إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لم أقف له على أصل

اللَّهُمَّ (١) اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنَا هَذَا صَلَاحاً وَأَوْسَطَهُ فَلَاحاً وَآخِرَهُ نَجَاحاً ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً وَآخِرَهُ تَكْرِمَةً وَمَغْفِرَةً (٢) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِهِ ، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ ، وَأَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَتِهِ وَتَصَاغَرَ كُلُّ شَيْءٍ لِكِبْرِيَائِهِ ، اللَّهُمَّ (٣) صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ (٤) صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَأَعْطِهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ يَوْمَ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ (٥) اجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاسْتَعْمِلْنَا لِمَرْضَاتِكَ عَنَّا ، وَوَفِّقْنَا لِمَحَابِّكَ مِنَّا ، وَصَرِّفْنَا بِحُسْنِ اخْتِيَارِكَ لَنَا ، (٦) نَسْأَلُكَ جَوَامِعَ الْخَيْرِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَهُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوَامِعِ الشَّرِّ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ

---

(١) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحا وآخره نجاحاً اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة : عبد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا وأسناده ضعيف

(٢) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته ـ الحديث : إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه : الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله : والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته إلى آخره . وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا

(٣) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ـ الحديث : إلى قوله حميد مجيد : تقدم في الباب الثاني

(٤) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين : لم أجده بهذا اللفظ مجموعا و خ من حديث أبي سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك و حب قط ك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمي و ن من حديث جابر وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وهو عند خ باللفظ وابعثه مقاما محمودا قال قط أسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق في المعرفة أسناده صحيح

(٥) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين ـ الحديث : إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا : لم أقف له على أصل

(٦) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه : طب من حديث أم سلمة إنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين : فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه الا موسى بن عقبة

اللَّهُمَّ[(١)] بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفَّارُ الْحَلِيمُ ، وَبِعِلْمِكَ بِي ارْفُقْ بِي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَبِمُلْكِكَ لِي مَلِّكْنِي نَفْسِي وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ ، [(٢)] سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي إِنَّكَ أَنْتَ رَبِّي وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، اللَّهُمَّ[(٣)] أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي ، اللَّهُمَّ[(٤)] ارْزُقْنِي حَلَالًا لَا تُعَاقِبُنِي عَلَيْهِ وَقَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَاسْتَعْمِلْنِي بِهِ صَالِحًا تَقْبَلُهُ مِنِّي ، [(٥)] اسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَحُسْنَ الْيَقِينِ ، وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [(٦)] يَامَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَغْفِرَةُ ، هَبْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَأَعْطِنِي مَا لَا يَنْقُصُكَ (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ[(١)]) ، (أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ[(٢)]) (أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ[(٣)]) (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ[(٤)]) (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[(٥)]) (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا ،

---

(١) حديث اللهم بقدرتك على تب علي انك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عنى ـ الحديث الى قوله انك الملك الجبار : لم أقف له على أصل

(٢) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى أنت ربى انه لا يغفر الذنوب الا أنت : هق فى الدعوات من حديث على دون قوله ذنبى انك أنت ربى : وقد تقدم فى الباب الثانى

(٣) حديث اللهم ألهمنى رشدى وقني شر نفسى : ت من حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب : ورواه ن فى اليوم والليلة و ك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبني فيه وقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى : ك من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة لى بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

(٥) حديث اللهم انى أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين فى الدنيا والآخرة : ن من حديث أبى بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفى رواية للبيهقى سلوا الله العفو والعافية واليقين فى الأولى والآخرة فانه ما أوتى العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفى رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية

(٦) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالا يضرك وأعطنى مالا ينقصك : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف

---

(١) الاعراف : ١٢٦ (٢) يوسف : ١٠١ (٣) الاعراف : ١٥٥ ، ١٥٦ (٤) الممتحنة : ٤ (٥) يونس : ٨٥

رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[1])، (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[2]). (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[3]). (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا[4]). (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[5])، (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ) إلى قوله عزوجل (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ[6]). (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا[7]): إلى آخر السورة [1] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ [2] رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ وَأَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ [3] إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا

---

(١) حديث رب اغفر لى ولوالدى وارحمها كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات: د ه باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدى قال رجل من بنى سلمة هل بقى على من بر أبوى شيء قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ـ الحديث: ولأبى الشيخ حب فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أنس من استغفر للمومنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفى صحيح حب من حديث أبى سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة

(٢) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين: أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبرانى فى الدعاء من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سعى فى بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح

(٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر: خ من حديث سعد بن أبى وقاص

---

(1) الممتحنة: ٥ (2) آل عمران: ١٤٧ (3) الحشر: ١٠ (4) الكهف: ١٠ (5) البقرة: ٢٠١ (6) آل عمران: ١٩٣، ١٩٤
(7) البقرة: ٢٨٦

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ (١) إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبْعٍ وَمِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ وَمِنْ طَمَعٍ حَيْثُ لَا مَطْمَعَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٢) مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ ، وَمِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ وَمِنَ الْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ ، وَمِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوبًا أَوَّاهَةً مُخْبِتَةً مُنِيبَةً فِي سَبِيلِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٣) مِنَ التَّرَدِّي وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَمِّ وَالْغَرَقِ وَالْهَدْمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي تَطَلُّبِ الدُّنْيَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٤) مِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللَّهُمَّ (٥) جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَدْوَاءِ وَالْأَهْوَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٦) مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٧) مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ وَالْفَقْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ

---

(١) حديث اللهم انى أعوذ بك من طبع يهدى الى طبع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لامطمع: أحمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الأسناد

(٢) حديث اللهم انى أعوذبك من علم لاينفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع ـ الحديث : الى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كاقال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيدة الأسانيد

(٣) حديث االلهم انى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم ـ الحديث : الى قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب الدنيا : د ن ك وصحح أسناده من حديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب دنيا وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا

(٤) حديث االلهم انى أعوذ بك من شر ماعلمت ومن شر مالم أعلم : قلت هكذا فى غير نسخة علمت وانما هو عملت وأعمل كذا رواه : م من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه وشر مالم أعمل وشر مالم أعلم

(٥) حديث اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء : ت وحسنة و ك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك

(٦) حديث اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٧) حديث االلهم انى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال : ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال

مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ (١) شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ (٢) جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٣) مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ وَالذِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَالْفُسُوقِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ وَضِيقِ الْأَرْزَاقِ وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ وَالْعَمَى وَالْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَسَيِّءِ الْأَسْقَامِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ (٤) زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَمِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٥) مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٦) مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَصَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ وَدَعْوَةٍ لَا تُسْتَجَابُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْغَمِّ وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٧) مِنْ غَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُصْطَفًى مِنْ كُلِّ الْعَالَمِينَ آمِينَ

---

(١) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمعي وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيي: د ن ت وحسنه ك وصحح أسناده من حديث سهل بن حميد

(٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول : ن ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م

(٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام : د ن مقتصرين على الاربعة الاخيرة و ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك: م من حديث ابن عمر

(٥) حديث اللهم انى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم: متفق عليه من حديث عائشة

(٦) حديث اللهم انى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر : م من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث اللهم انى أعوذ بك من قلب لايخشع ونفس لاتشبع وعمل لايرفع ودعوة لايستجاب لها وصلاة لاتنفع وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وللنسائى باسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث وأعوذ بك و د من حديث أنس اللهم انى أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر

(٧) حديث اللهم انى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء : ن ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم

الباب الخامس

فى الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه ؛ وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه ، وأدعية الوضوء فى كتاب الطهارة ، فاذا خرجت إلى المسجد فقل «اللَّهُمَّ[١] اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً وَفِي لِسَانِي نُوراً وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُوراً وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُوراً وَاجْعَلْ خَلْفِي نُوراً وَأَمَامِي نُوراً وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُوراً ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُوراً . وقل أيضاً «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ[٢] بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلَا بَطَراً وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »

فان خرجت من المنزل لحاجة فقل[٣] « بِسْمِ اللهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ[٤] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ بِسْمِ اللهِ التُّكْلَانُ عَلَى اللهِ » فاذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل « اللَّهُمَّ[٥] صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » وقدم رجلك اليمنى فى الدخول

﴿ الباب الخامس فى الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث ﴾

(١) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى لسانى نورا ــ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك ــ الحديث : من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد حسن

(٣) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على : أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال ت حسن صحيح

(٤) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله التكلان على الله : ه من حديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف

(٥) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك : ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ت حسن وليس أسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبى حميد أو أبى أسيد اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك وزاد د فى أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

فإذا رأيت في المسجد[١] من يبيع أو يبتاع فقل «لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ» وإذا رأيت من [٢] ينشد ضالة في المسجد فقل «لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ» أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] فاذا صليت ركعتي الصبح فقل: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي الدعاء إلى آخره كما أوردناه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم [٤] فاذا ركعت فقل في رُكُوعكَ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَلَكَ خَشَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ أَنْتَ رَبِّي خَشَعَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ» وإن أحببت فقل[٥] «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[٦] أو سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٧] فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمٰوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»

وإذا سجدت فقل «اللَّهُمَّ[٨] لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي وَهَذَا مَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أو تقول[٩] «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

---

(١) حديث القول اذا رأى من يبيع أو يبتاع في المسجد لا أربح الله تجارتك: ت وقال حسن غريب و ن في اليوم والليلة من حديث أبي هريرة

(٢) حديث القول اذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لاردها الله عليك: م من حديث أبي هريرة

(٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ: قد تقدم في الدعاء

(٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت ـ الحديث: م من حديث علي

(٥) حديث القول فيه سبحان ربي العظيم ثلاثا: د ت هـ من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع

(٦) حديث القول فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح: م من حديث عائشة

(٧) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ـ الحديث: م من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهي في اليوم والليلة للحسن بن علي المعمري وهي عند م من حديث ابن أبي أوفى وعند خ من حديث أبي هريرة

(٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت ـ الحديث: م من حديث علي اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسي فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب الاأنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الأسناد وليس كما قال بل هو ضعيف

(٩) حديث سبحان ربي الأعلى ثلاثا: د ت هـ من حديث ابن مسعود وهو منقطع

فإذا فرغت من الصلاة فقل «اللهم (١) أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام» وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها

فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل (٢) «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» فإذا دخلت السوق فقل (٣) «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير» (٤) «بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة»

فإن كان عليك دين فقل: «اللهم (٥) اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك»

فإذا لبست ثوبا جديدا فقل «اللهم (٦) كسوتني هذا الثوب فلك الحمد، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»

وإذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل (٧) «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، لا حول ولا قوة إلا بالله»

---

(١) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام: م من حديث ثوبان

(٢) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت: ن في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن

(٣) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير: ت من حديث عمر وقال غريب و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث بسم الله اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة: ك من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة. قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدي مختلف فيه

(٥) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك: ت وقال حسن غريب و ك وقال صحيح الأسناد من حديث علي بن أبي طالب

(٦) حديث الدعاء اذا لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له: د ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري: ورواه ابن السني بلفظ المصنف

(٧) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة الا بالله: ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم والليلة وهو في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفي اليوم والليلة لابن السني عن عقبة ابن عامر فجعله مسندا

وإذا رأيت الهلال فقل « اللَّهُمَّ [١] أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالْبِرِّ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَالْحِفْظِ مِمَّنْ تَسْخَطُ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ » ويقول « هِلَالُ [٢] رُشْدٍ وَخَيْرٍ، آمَنْتُ بِخَالِقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ [٣] خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَخَيْرَ الْقَدَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ يَوْمِ الْحَشْرِ ، وتكبر قبله أولا ثلاثا ،

وإذا هبت الريح فقل « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ [٤] خَيْرَ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ »

وإذا بلغك وفاة أحد فقل [٥] (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١]) (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ [٢]) اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ فِي الْمُحْسِنِينَ، وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَاخْلُفْهُ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » وتقول عند التصدق (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣]) وتقول عند الخسران: (عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ [٤]) وتقول عند ابتداء الأمور (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا [٥]) (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٦])

---

(١) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله : الدارمي من حديث ابن عمر الا أنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا : ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبيهقى فى الدعوات من حديث قتادة مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال كبر ثلاثا.

(٢) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك : د مرسلا من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطنى فى الأفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال د وليس فى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح

(٣) حديث اللهم انى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر : ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثنى من لا أتهم

(٤) حديث القول اذا هبت الريح اللهم انى أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به : ت وقال حسن صحيح و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب

(٥) حديث القول اذا بلغه وفاة أحد انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله : ابن السنى فى اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة اذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل انا لله وانا اليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه

---

[١] البقرة : ١٥٦ [٢] الزخرف : ١٤ [٣] البقرة : ١٢٧ [٤] ن : ٣٢ [٥] الكهف : ١٠ [٦] طه : ٢٥، ٢٦

وتقول عند النظر إلى السماء (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [(١)]) (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا [(٢)])

وإذا سمعت صوت الرعد فقل [(١)] « سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ »

فإن رأيت الصواعق فقل [(٢)] « اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ » قاله كعب

فإذا أمطرت السماء فقل « اللَّهُمَّ [(٣)] سُقْيًا هَنِيئًا وَصَيِّبًا نَافِعًا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ [(٤)] صَيِّبَ رَحْمَةٍ وَلَا تَجْعَلْهُ صَيِّبَ عَذَابٍ » فإذا غضبت فقل اللهم [(٥)] اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

فإذا خفت قوما فقل ، اللَّهُمَّ [(٦)] إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ ،

فإذا غزوت فقل اللَّهُمَّ [(٧)] أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي وَبِكَ أُقَاتِلُ [(٨)] وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل : ذَكَرَ اللهُ مَنْ ذَكَرَنِي بِخَيْرٍ [(٩)] ، فإذا رأيت استجابة دعائك فقل ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، وإذا أبطأت فقل الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ [(١٠)] وإذا سمعت أذان المغرب فقل « اللَّهُمَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ

---

(١) حديث القول اذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته : مالك فى الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك : ت وقال غريب ن فى اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السنى باسناد حسن

(٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيأ وصيبا نافعا : خ من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا وه سيبا بالسين أوله ون فى اليوم والليلة اللهم اجعله صيبا هنيأ واسنادها صحيح

(٤) حديث اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب : ن فى اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا

(٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرنى من الشيطان الرجيم : ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف

(٦) حديث القول اذا خاف قوما اللهم انى أجعلك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم : د ن فى اليوم والليلة من حديث أبى موسى بسند صحيح

(٧) حديث القول اذا غزا اللهم أنت عضدى ونصيرى بك اقاتل : د ت ن من حديث أنس قال ت حسن غريب

(٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرنى : الطبرانى وابن عدى وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أبى رافع بسند ضعيف

(٩) حديث القول اذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات : تقدم فى الدعاء

(١٠) حديث القول اذا سمع أذان المغرب اللهم هـذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي : ت د وقال غريب و ك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة

---

(١) آل عمران : ١٩١ (٢) الفرقان : ٦١

وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي »(١) وإذا أصابك هم فقل ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْءانَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ غَمِّي وَذَهَابَ حُزْنِي وَهَمِّي قال صلى الله عليه وسلم « مَا أَصَابَ أَحَداً حُزْنٌ فَقَالَ ذَلِكَ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا » فقيل له يارسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال صلى الله عليه وسلم « بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا » وإذا وجدت وجعا فى جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها ، وقال (٢) بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرُقْيَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا(٣) ، وإذا وجدت وجعافى جسدك فضع يدك على الذى يتألم من جسدك وقل « بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ (٤) ، فإذا أصابك كرب فقل « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (٥) فان أردت النوم فتوضأ أولا ، ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ، ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين ، وسبحه ثلاثا وثلاثين ، واحمده ثلاثا وثلاثين ، ثم قل (٦) ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ،

---

(١) حديث القول اذا أصابه هم اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ـ الحديث : أحمد وحب ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن أبيه فانه مختلف فى سماعه من أبيه

(٢) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله تربة أرضنا برقية بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا: متفق عليه من حديث عائشة

(٣) حديث وضع يده على الذى يألم من جسده ويقول بسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات : م من حديث عثمان بن أبى العاص

(٤) حديث دعاء الكرب لا اله الا الله العلى الحليم ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

(٥) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين : متفق عليه من حديث على

(٦) حديث القول عند ارادة النوم اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك : النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع

اللهم إني لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك ، اللهم (١) باسمك أحيا وأموت . اللهم (٢) رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذي شر ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر ، اللهم (٣) إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها ، اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٤) باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي ، اللهم (٥) قني عذابك يوم تجمع عبادك ، اللهم (٦) أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم (٧) أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعداً أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي »

---

(١) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت : خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء

(٢) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ـ الحديث : الى قوله وأغنا من الفقر م من حديث أبي هريرة

(٣) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها ـ الحديث : الى قوله اني أسألك العافية م من حديث ابن عمر

(٤) حديث باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي : ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فاغفر لها وقال خ فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين

(٥) حديث اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك : ت في الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه

(٦) حديث اللهم اني أسلمت نفسي اليك وفوضت أمري اليك ـ الحديث : متفق عليه من حديث البراء

(٧) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات اليك واستعملني في أحب الأعمال اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا في أحب الساعات اليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا واسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائي كما رواه ابن ابي الدنيا في الدعاء

(١) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (٢) أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْعَظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ لِلَّهِ وَالْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ (٣) أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، اللَّهُمَّ (٤) بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، اللَّهُمَّ (٥) إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءًا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ فَإِنَّكَ قُلْتَ (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى (١)) اللَّهُمَّ (٦) فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا فِيهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيهِ ،

---

(١) حديث القول اذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور : خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء

(٢) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله : الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والارض وكل شىء لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله واسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله

(١) حديث أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين : ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى كعب مرفوعا

(٢) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير : أصحاب السنن وحب وحسنه ت الا أنهم قالوا واليك النشور ولا بن السنى واليك المصير

(٣) حديث اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم الحديث : لم أجد أوله وت من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوءا أو نجره الى مسلم رواه د من حديث أبى مالك الأشعرى باسناد جيد

(٤) حديث اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه : قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقونى على الجهاد فى سبيلك وللدارقطنى فى الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير مابعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبى مالك الأشعرى اللهم انا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده وبسنده جيد وللحسن بن على المعمر فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم انى أسألك خير مافى هذا اليوم وخير مابعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر مابعده والحديث . عند م فى المساء خير مافى هذه الليلة ـ الحديث : ثم قال واذا أصبح قال ذلك أيضا

(١) الأنعام : ٦٠

«(١) بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، مَاشَاءَ اللهُ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ ، مَاشَاءَ اللهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ ، مَا شَاءَ اللهُ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ ، (٢) رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ، (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (١))» .

(٣) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ وَأَسْمَائِهِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» .

(٤) وإذا نظر في المرآة قال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَّلَهُ وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي وَحَسَّنَهَا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» .

---

(١) حديث بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله : عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال يلتقي الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لايسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده في ترجمة الحسين بن رزين وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر

(٢) حديث رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا : تقدم في الباب الأول

(٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح الا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط المستقيم : أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين ـ الحديث : وفيه وان قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث أن جبريل قال، يامحمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء، الحديث : واسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة الخ ـ الحديث : وقد تقدم في الباب الثاني

(٤) حديث القول اذا نظر في المرآة الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين : الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف

(١) الممتحنة : ٤

[(١)] وإذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ »

[(٢)] وإذا هنأت بالنكاح فقل : « بَارَكَ اللهُ فِيكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ »

. وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له [(٣)] « بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ » إذ قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ »

فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها ، وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج والصلاة والطهارة

فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فلدعاء سبب لرد البلاء ، واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى: (خُذُوا حِذْرَكُمْ[(١)]) وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر ، فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ،

ثم فى الدعاء من الفائدة ماذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات

---

(١) حديث القول اذا اشترى خادما أودابة اللهم انى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه : د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد

(٢) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير : دت ه من حديث أبى هريرة قال ت حسن صحيح

(٣) حديث الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء : ن من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال استقرض منى النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه الى قال فذكره واسناده حسن

(١) النساء : ٧١

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ »

والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة ، فان الانسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض ، فالحاجة تحوج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة ، فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ، ويمنع من نسيانه ، وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور ، فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى

فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات، والله الموفق للخير ، وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها ، فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان ،

تم كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) حديث الدعاء مخ العبادة : تقدم فى الباب الأول

فهرست الجزء الأول

فهرست الجزء الثانى

فهرست الجزء الثالث

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبى حامد الغزالى

الجزء الرابع

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة ت ٣١٨١٠



كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين
وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ، ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا نفورا ، ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيراً ونذيرا ، وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين ، الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا ، حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا

أما بعد : فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده ، لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ، ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا ، محترزين من مصايدها ومعاطبها ، ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها ، فالناس فى هذا العالم سفر ، وأول منازلهم المهد ، وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة أو النار ، والعمر مسافة السفر ، فسنوه مراحله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطواته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رءوس أمواله ، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والأغلال والعذاب الأليم فى دركات الجحيم ، فالغافل فى نفس من أنفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد ، وودعوا بالكلية ملاذ النفس ، واغتنموا بقايا العمر ، ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد ، حرصا على إحياء الليل والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار والسعى إلى دار القرار ، فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول فى كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الأوقات ، ويتضح هذا المهم بذكر بابين

الباب الأول : فى فضيلة الأوراد ، وترتيبها فى الليل والنهار

الباب الثانى : فى كيفية إحياء الليل ، وفضيلته وما يتعلق به

الباب الأول

فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد

وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لانجاة إلا فى لقاء الله تعالى ، وأنه لاسبيل إلى اللقاء إلا بان يموت العبد محبا لله تعالى ، وعارفا بالله سبحانه ، وأن المحبة والأنس لاتحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه ، وأن المعرفة به لاتحصل إلا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وأفعاله ، وليس فى الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ،ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها ، والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة ، وكل ذلك لايتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار فى وظائف الأذكار والأفكار ، والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لاتصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر، بل إذا رُدَّت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال ، وان الله تعالى لايمل حتى تملوا ، فمن ضرورة اللطف بها أن تروَّح بالتنقل من فن الى فن ، ومن نوع إلى نوع ، بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها ، وتعظم باللذة رغبتها ، وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ، فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة ، فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها ، فان النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا ، فان صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا ، والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا ، لموافقتها الطبع ، إذ يكون الوقت متساويا فأنّى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح ، إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو فى طلبها القلب ويتجرد ، وأما الرد إلى العبادات فتكلف ، ولايسلم اخلاص القلب فيه وحضوره إلافى بعض الأوقات ، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته فى الطاعة ، ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته ، فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ، ولكن الرجاء غير منقطع ، والعفو من كرم الله منتظر ، فعسى الله تعالى أن يغفرله بجوده وكرمه ،

فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة ، فان لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان ، فقد قال الله تعالى لاقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً . وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (١)) وقال تعالى : (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢)) وقال تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٣)) وقال سبحانه : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤)) وقال تعالى : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٥)) وقال تعالى : (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (٦)) وقال تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ (٧)) ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ . قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)) وقال تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً (٩)) وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً (١٠)) وقال عز وجل : (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١١)) وقال عز وجل : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٢)) وقال تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (١٣))

فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) « أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَظِلَّةَ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى » وقد قال تعالى: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (١٤)) وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً (١٥))

﴿ كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل ﴾

﴿ الباب الأول في فضيلة الأوراد ﴾

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله : الطبراني و ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله

---

(١) المزمل : ٧ ، ٨ (٢) الدهر : ٢٥ ، ٢٦ (٣) ق : ٣٩ ، ٤٠ (٤) الطور : ٤٨ ، ٤٩ (٥) المزمل : ٦
(٦) طه : ١٣٠ (٧) هود : ١١٤ (٨) الزمر : ٩ (٩) السجدة : ١٦ (١٠) الفرقان : ٦٤ (١١) الذاريات : ١٧ ، ١٨
(١٢) الروم : ١٧ (١٣) الأنعام : ٥٢ (١٤) الرحمن : ٥ (١٥) الفرقان : ٤٥ ، ٤٦

وقال تعالى (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ [١]) وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [٢]) فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ، ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا ، بل لتعرف بها مقادير الاوقات ، فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة ، يدلك عليه قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [٣]) أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما مافات في الآخر ، وبين أن ذلك للذكر والشكر لاغير ، وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ [٤]) وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ، ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه

بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة ، فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد ، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان ، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى المغرب وردان ، والليل ينقسم إلى أربعة أوراد ، وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به

فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس ، وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ [٥])وتمدحه به إذ قال (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ [٦]) وقال تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [٧]) وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى : (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا [٨]) وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشادة الناس إلى التسبيح فيه ، بقوله تعالى : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ [٩]) وبقوله تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا [١٠])وقوله عز وجل: (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى [١١]) وقوله تعالى: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [١٢])

(١) يس : ٣٩ (٢) الأنعام : ٩٧ (٣) الفرقان : ٦٢ (٤) الاسراء : ١٢ (٥) التكوير : ١٨ (٦) الأنعام : ٩٦
(٧) الفلق : ١ (٨) الفرقان : ٤٦ (٩) الروم : ١٧ (١٠) طه : ١٣٠ (١١) طه : ١٣٠ (١٢) الدهر : ٢٥

فأما ترتيبه: فليأخذ من وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبتدىء بذكر الله تعالى فيقول . الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، إلى آخر الأدعية والآيات التى ذكرناها فى دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات ،وليلبس ثوبه وهو فى الدعاء ، وينوى به ستر عورته إمتثالا لأمر الله تعالى ، واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء، ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التى ذكرناها فيه فى كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ، ثم يستاك على السنة كما سبق،ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والأدعية التى ذكرناها فى الطهارة ، فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكى نذكر فى هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط،فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتى الفجر ،أعنى السنة فى منزله [1] « كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم » ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما فى البيت أو المسجد الدعاء الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما ، ويقول: اللهم [2] إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، إلى آخر الدعاء ، ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد ، ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ، ولا يسعى إلى الصلاة سعيا [3] بل يمشى وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر،ولا يشبك بين أصابعه،ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو [4] بالدعاء المأثور لدخول المسجد ، ثم يطلب من المسجد الصف الأول ان وجد متسعا،ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم ، كما سبق ذكره فى كتاب الجمعة ثم يصلى ركعتى الفجر إن لم يكن صلاهما فى البيت ، ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما ،وإن كان قد صلى ركعتى الفجر صلى ركعتى التحية وجلس منتظرا للجماعة،والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم [5] يغلس بالصبح ، ولا ينبغى أن يدع الجماعة فى الصلاة عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل،

---

(١) حديث صلاة ركعتى الصبح فى المنزل: متفق عليه من حديث حفصة

(٢) حديث الدعاء بعد ركعتى الصبح اللهم انى أسألك رحمة من عندك ـ الحديث : تقدم

(٣) حديث المشى إلى الصلاة وعليه السكينة: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم فى الباب الخامس من الأذكار

(٥) حديث التغليس فى الصبح : متفق عليه من حديث عائشة

فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال فى صلاة الصبح « مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ الصَّلَاةَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ حَسَنَةٌ وَمُحِيَ عَنْهُ سَيِّئَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَإِذَا صَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِهِ حَسَنَةٌ وَانْقَلَبَ بِحَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ فَإِنْ جَلَسَ حَتَّى يَرْكَعَ الضُّحَى كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفَا أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَنْ صَلَّى الْعَتَمَةَ فَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَانْقَلَبَ بِعُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ »

وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر، قال رجل من التابعين: دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقنى، فقال لى يا ابن أخى لأى شىء خرجت من منزلك فى هذه الساعة، فقلت لصلاة الغداة فقال (٢) أبشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى، أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن علىّ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم (٣) طرقه وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال « أَلَا تُصَلِّيَانِ » ؟ قال علىّ، فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول: « وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا »

ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتى الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة، ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقدوة، فاذا فرغ منها قعد فى المسجد إلى طلوع الشمس

---

(١) حديث أنس فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة، والحسنة بعشر أمثالها، وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجد له أصلا بهذا السياق وفى شعب الايمان للبيهقى من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب فى جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة

(٢) حديث أبى هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المجلس فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله لم أقف له على أصل

(٣) حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان؟ قال على فقلت يا رسول الله انما أنفسنا بيد الله ــ الحديث: متفق عليه

فى ذكر الله تعالى كما سنرتبه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) « لَأَنْ أَقْعُدَ فِي مَجْلِسٍ أَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ » وروى أنه صلى الله عليه وسلم (٢) « كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ » وفى بعضها « وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ » أى بعد الطلوع ، وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى ، وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال « يَا ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ سَاعَةً وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا »

وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس ، بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع ، أدعية ، وأذكار ، ويكررها فى سبحة ، وقراءة قرءان ، وتفكر

أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ، ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وهو قوله « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ (٥) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَهْلُ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ ، وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه ، أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله ، وأرق لقلبه ، وأخف على لسانه

---

(١) حديث لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب : د من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم

(٢) حديث كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع : م من حديث جابر بن سمرة دون ذكر الركعتين و ت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة

(٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما : ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا

(٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : تقدم

(٥) حديث الفضل فى تكرار لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير : تقدم من حديث أبى أيوب بتكرارها عشرا دون قوله يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير فانها فى اليوم والليلة للنسائى من حديث أبى ذر دون قوله وهو حى لا يموت وهى كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبرانى فى الدعاء من حديث عبد الله بن عمرو وتكرارها ألف مرة وأسناده ضعيف

وأما الأذكار المكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بايرادها ، وأقل ماينبغى أن يكرر كل واحدة منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون ، وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته ، وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات ، فهو أجدر بأن يدوم عليه، وخير الأمور أدومها وإن قل، وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها ، فقليلها مع المداومة أفضل ، وأشد تأثيرا فى القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفيرة ؛ ولو وقع ذلك على الحجر ، ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر ، وهذه الكلمات عشرة

الأولى: قوله . لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، يحيى و يميت وهو حى لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير

الثانية: قوله[1] سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

الثالثة : قوله . [2] سبوح قدوس رب الملائكة والروح

الرابعة : قوله . [3] سبحان الله العظيم وبحمده

الخامسة: قوله . [4] أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة

---

(١) حديث الفضل فى تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ن فى اليوم والليلة وحب وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها

(٢) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح: لم أجد ذكرها مكررة لكن عند م من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح

(٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده : متفق عليه من حديث أبى هريرة من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر

(٤) حديث تكرار أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة: المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبى سعيد فى قولها ثلاثا وللبخارى من حديث أبى هريرة انى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبرانى أكثر ولمسلم من حديث الاعرابى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة. تقدمت هذه الأحاديث فى الباب الثانى من الأذكار

السادسة: قوله . اللهم [١] لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد

السابعة : قوله . [٢] لا إله إلا الله الملك الحق المبين

الثامنة : قوله [٣] بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم

التاسعة: اللهم [٤] صل على محمد ، عبدك ونبيك ورسولك، النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم

العاشرة : قوله [٥] أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ،

فهذه العشر كلمات ، إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة ، لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله، وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ ، وللنفس فى الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل

---

(١) حديث تكرار اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد: لم أجد تكرارها فى حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفى الرفع من الركوع

(٢) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين: المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبى نعيم فى الحلية من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن على

(٣) حديث تكرار بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم: أصحاب السنن وابن حبان و ك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسى قال ت حسن صحيح غريب

(٤) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آل محمد: ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى فى فضائل القرآن من حديث ابن أبى أوفى من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة وفيه انقطاع

(٥) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون: ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك ـ الحديث ; ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان إلى الصبح ـ الحديث : ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك ياخالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون والحديث عند أبى داود و ت وحسنه و ك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو

فأما القراءة : فيستحب له قراءة جملة من الآيات : وردت الاخبار بفضلها ، وهو أن يقرأ سورة الحمد [١] وآية الكرسي [٢] وخاتمة البقرة [٣] من قوله (آمَنَ الرَّسُولُ [١]) [٤] (وَشَهِدَ اللَّهُ [٢]) [٥] (وَقُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ [٣]) الآيتين وقوله تعالى [٦] (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [٤]) إلى آخرها وقوله تعالى [٧] (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ [٥]) إلى آخرها

(١) حديث فضل سورة الحمد: خ من حديث أبي سعيد بن المعلى أنها أعظم السور في القرءان و م من حديث ابن عباس في الملك الذى نزل إلى الأرض وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منها إلا أعطيته

(٢) حديث فضل آية الكرسي : م من حديث أبي ابن كعب يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم ـ الحديث و خ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان اليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانه لن يزال عليك من الله حافظ ـ الحديث : وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب

(٣) حديث فضل خاتمة البقرة : متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث

(٤) حديث فضل شهد الله: أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الاسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له عبدي هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وفيه عمر بن المختار روى الاباطيل قاله ابن عدى وسيأتي حديث على بعده

(٥) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين: المستغفرى في الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب ـ الحديث : وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه ـ الحديث : وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروى عن الاثبات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم و ن وروى له خ تعليقا

(٦) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها: طب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثا وفي آخره فقل حسبي الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرءان في رغائب القرءان لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف

(٧) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: لم أجد فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع

(١) البقرة : ٢٨٥ (٢) آل عمران : ١٨ (٣) آل عمران : ٢٦ (٤) التوبة : ١٢٨ (٥) الفتح : ٢٧

. وقوله سبحانه[١] (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا[١]) الآيه[٢] وخمس آيات من أول الحديد[٣] وثلاثا من آخر سورة الحشر

وإن قرأ المسبعات العشر التى أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمى رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن[٤] كرز بن وبرة رحمه الله ، وكان من الأبدال قال أتانى أخ لى من أهل الشام فأهدى لى هدية وقال يا كرز اقبل منى هذه الهديه ، فانها نعمت الهدية فقلت ياأخى ومن أهدى لك هذه الهدية ، قال أعطانيها إبراهيم التيمى ، قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه أياها قال . بلى ، قال كنت جالسا فى فناء الكعبة ، وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءنى رجل فسلم علىّ وجلس عن يمينى ، فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه ، فقلت ياعبدالله من أنت ، ومن أين جئت ، فقال أنا الخضر فقلت فى أى شىء جئتنى ، فقال جئتك للسلام عليك ، وحبالك فى الله ، وعندى هدية أريد أن أهديها لك ، فقلت ماهى قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب ، سورة الحمد ، وقل أعوذ برب الناس ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل هو الله أحد وقل ياأيها الكافرون ، وآية الكرسى ، كل واحدة سبع مرات ، وتقول . سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا ، وتصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم سبعا ، وتستغفر لنفسك

---

(١) حديث فضل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية: أحمد والطبرانى من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية كلها وأسناده ضعيف

(٢) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد: ذكر أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرءان من حديث على إذا أردت تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله عليم بذات الصدور ومن آخر سورة الحشر من قوله لو أنزلنا هذا القرءان علي جبل إلى آخر السورة ثم تقول يامن هو كذا افعل بى كذا وتدعو بما تريد

(٣) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر : ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة وللبيهقى في البعث من حديث أبى أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر فى ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد اوجب الله له الجنة

(٤) حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن ابراهيم التيمى أن الخضر علمه المسبعات العشرة وقال فى آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته

---

(١) الاسراء : ١١١

ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا ، وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يامولانا مانحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية

فقلت أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه العطية العظيمة ، فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلت أخبرنى بثواب ذلك ، فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك ، فذكر ابراهيم التيمى أنه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة ، فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه فى الجنة ، قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا؟ فقالوا للذى يعمل مثل عملك ، وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتانى النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل مابين المشرق والمغرب ، فسلم علىّ وأخذ بيدى فقلت يارسول الله، الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث، فقال صدق الخضر ، صدق الخضر ، وكل مايحكيه فهو حق، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى فى الأرض ، فقلت يارسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى ، هل يعطى شيأ مما أعطيته ؟ فقال والذى بعثنى بالحق نبيا إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرنى ولم ير الجنة ، إنه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها، ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ، ويأمر صاحب الشمال أن لايكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا مايعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم التيمى مكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا

فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليها شيأ مما انتهى إليه ورده من القرءان أو اقتصر عليه فهو حسن ، فان القرءان جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة

وأما الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه وسيأتى تفصيل مايتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فنين

أحدهما : أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة ، بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره

ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ، ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ، ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين

الفن الثاني : فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى، وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة،لتزيدمعرفته بها ويكثر شكره عليها ، أوفي عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ، ويزيد خوفه منها ولكل واحدمن هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض ، وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ، ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات ، إذ فيه معنى الذكر لله تعالى ، وزيادة أمرين

أحدهما : زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف

والثاني: زيادة المحبة إذ لايحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ، ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ، ومعرفة قدرته ، وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ، ومن المعرفة التعظيم، ومن التعظيم المحبة ، والذكر أيضا يورث الانس ، وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ، ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار ، كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما ، فليس محبته له كمحبة المشاهد؛ وليس الخبر كالمعاينة،فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جملية إعتقدوها بتصديق من وصفها لهم ، والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر ، لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ، ولكن كل واحد شاهد بقدر مارفع له من الحجاب ، ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها ، وإنما عدد حجبها التي استحقت أن تسمى نوراً وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا

قال صلى الله عليه وسلم[(١)] « إِنَّ لِلَّهِ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَا أَدْرَكَ بَصَرُهُ » وتلك الحجب أيضا مترتبة ، وتلك الأنوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ، ويبدو فى الأول أصغرها ثم ما يليه ، وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ) أى أظلم عليه الأمر ،(رَأَى كَوْكَبًا) أى وصل إلى حجاب من حجب النور ، فعبر عنه بالكوكب ، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فان آحاد العوام لايخفى عليهم أن الربوبية لاتليق بالأجسام ، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لايضلل الخليل عليه السلام ، والحجب المسماة أنوارا ماأريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ماأريد بقوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ[(١)])الآية ولنتجاوز هذه المعانى ، فانها خارجة عن علم المعاملة ولايوصل إلى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافى ، وقل من ينفتح له بابه ، والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة ، وذلك أيضا مما تغزر فائدته ، ويعظم نفعه

فهذه الوظائف الأربعة أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ، ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة ، فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ، ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته ، والصوم هو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد ، وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر ، وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالأذكار[(٢)] وهو الأولى، إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به

الورد الثانى : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار ، وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال ، وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع ، وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان

---

(١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور ـ الحديث : تقدم فى قواعد العقائد

(٢) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس: تقدم حديث جابر بن سمرة عند م فى جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وانما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس

(١) النور : ٣٥

إحداها : صلاة الضحى وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة ، وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق ، وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ، ويصلى أربعاً أوستا أو ثمانيا إذا رمضت الفصال ، وضحيت الأقدام بحر الشمس ، فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله : (يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ [(١)]) فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن مؤازاة البخارات والغبارات التى على وجه الأرض ، فانها تمنع إشراقها التام ، ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى [(٢)]) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] على أصحابه ، وهم يصلون عند الاشراق ، فنادى بأعلى صوته « أَلَا إِنَّ صَلَاةَ الْأَوَّابِينَ إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ » فلذلك نقول. إذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى ، وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة ، وهو مابين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء ، واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الاشراق تقع فى مبتدا وقت الاذن فى الصلاة ، وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم : [(٢)] « إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا » فأقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها ، وهذا يراعى بالتقريب

الوظيفة الثانية فى هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض ، وتشييع جنازة ، ومعاونة على برّ وتقوى ، وحضور مجلس علم ، ومايجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها ، فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التى قدمناها من الأدعية ، والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها أن شاء؛ فانها مكروهة بعد صلاة الصبح ، وليست مكروهة الآن ، فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده ، أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها ، وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر

(١) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال طب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الأشراق

(٢) حديث ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها تقدم فى الصلاة

(١) ص : ١٨ (٢) الضحى : ١

الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ، ونعنى بالضحوة المنتصف وماقبله بقليل ، وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها ، وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر ، فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر ، فاذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب ، ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب ، الا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم

الوظيفة الرابعة : فى هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران

أحدهما : الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق ، فان كان تاجرا فينبغى أن يتجر بصدق وأمانة ، وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ، ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته ، فاذا حصّل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته ، فان الحاجة إلى زاد الآخرة أشد ، والتمتع به أدوم ، فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل : لايوجد المؤمن إلا فى ثلاث مواطن ، مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أوحاجة لابدله منها ، وقل من يعرف القدر فيما لابد منه ، بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بدٌّ انه لابد لهم منه ، وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء ، فيصغون إليه ، ويجمعون مالا يأكلون ، خيفة الفقر ، والله يعدهم مغفرة منه وفضلا ، فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه

الأمر الثانى : القيلولة وهى سنة يستعان بها على قيام الليل ، كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار ، فان كان لايقوم بالليل لكن لولم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له ، إذا كان لاينبعث نشاطه للرجوع إلى الاذكار والوظائف المذكورة ، إذ فى النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم : يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم ، وكم من عابد أحسن أحواله النوم ، وذلك إذا كان يرائى بعبادته ولايخلص فيها ، فكيف بالغافل الفاسق ؟ قال سفيان الثورى رحمه الله : كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة ، فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغى أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء

وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة ، فان ذلك من فضائل الأعمال ، وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار ، لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا ، فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته ، وفضل ذلك كفضل إحياء الليل ، فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهـذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا ، وأحد معنيي قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ [١]) أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل ، والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه مافات في أحدهما

الورد الرابع : مابين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ، وراتبته ، وهـذا أقصر أوراد النهار وأفضلها ، فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ، ثم ليقم إلى احياء مابين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله (وَحِينَ تُظْهِرُونَ [٢]) وليصل [١] في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحده ، وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء . انه يصليها بتسليمة واحدة ، ولكن طعن في تلك الرواية ، ومذهب الشافعي رضي الله عنه : انه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذي صحت به الأخبار [٢] وليطول هـذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع ، وليقرأ فيها سورة البقرة أوسورة من المئين ، أو أربعا من المثاني ، فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء ، وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها، ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا ، فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ، ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي ، وآخر سورة البقرة ، والآيات التي أوردناها في الورد الأول ، ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه انها فيها تفتح أبواب السماء وانها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح : د ه من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس

(٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى : د و حب من حديث ابن عمر

[١] الفرقان : ٦٢ [٢] الروم : ١٨

الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ، ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا . فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف ، وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة ، فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه ، فاحياء هـذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل ، وفى هـذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار ، قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب ، والأكل من غير جوع ، والنوم بالنهار من غير سهر بالليـل ،

والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا ، فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار ، وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار . فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سـنة ، ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقـد نقص من عمره الثلث ، ولـكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان ، وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه ، وقدر الاعتدال هـذا والنقصان منه ربما يفضى إلى اضطراب البدن ، الامن يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب ، وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى اذ قال : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ [1]) وإذا سجد لله عز وجـل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات !

الورد السادس : إذا دخـل وقت العصر دخل وقت الورد السادس ، وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى (وَالْعَصْرِ [2]) هذا أحد معنى الآية ، وهو المراد بالآصال فى أحـد التفسيرين ، وهو العشى المذكور فى قوله (وَعَشِيًّا [3]) وفى قوله (بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ [4]) وليس فى هذا الورد صلاة الأربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق فى الظهر ، ثم يصلى الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة فى الورد الاول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان وتصفر ، والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرءان بتدبر وتفهم ، إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر ، فيندرج فى هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة

(١) الرعد : ١٥ (٢) الروم : ١٨ (٣) العصر : ١ (٤) ص : ١٨

الورد السابع: إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطى نورها الغبارات والبخارات التى على وجه الأرض ويرى صفرة فى ضوئها دخل وقت هذا الورد، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع. وهو المراد بقوله تعالى (فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ [١]) وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى (فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ [٢]) قال الحسن: كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لأول النهار، وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة. فيستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ماذكرناه فى الورد الأول، مثل أن يقول: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده، مأخوذ من قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ [٣]) والاستغفار على الأسماء التى فى القرءان أحب كقوله أستغفر الله إنه كان غفارا، أستغفر الله إنه كان توابا، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين

ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا [٤])(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ [٥]) والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار، فاذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب، وبالغروب قد انتهت أوراد النهار، فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة، فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « لَا بُورِكَ لِي فِي يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْراً » فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره، مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه، وإن تكن الأخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافى ماسبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيآت، وليشكر الله تعالى على صحة جسمه، وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره، وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة، فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار، فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضى لامحاله جملتها بانقضاء آحادها

---

(١) حديث لا بورك لى فى يوم لاأزداد فيه خيرا : تقدم فى العلم فى الباب الأول الا أنه قال علما بدل خيرا

(١) الروم: ١٧ (٢) طه: ١٣٠ (٣) غافر: ٥٥ (٤) الشمس: ١ (٥) الليل: ١

بيان أوراد الليل

وهي خمسة

الأول . إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء مابين العشائين ، فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق ، أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة، وقد أقسم الله تعالى به فقال (فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ [1]) والصلاة فيه هي ناشئة الليل، لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى(وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ [2]) وهي صلاة الأوابين وهي المراد بقوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ [3]) روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل [1] عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم « الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ » ثم قال صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمُلَاغَاتِ النَّهَارِ وَتُهَذِّبُ آخِرَهُ » والملاغات جمع ملغاة من اللغو، وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال: لا تفعل فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ [4]) وسيأتي فضل احياء مابين العشاءين في الباب الثاني

وترتيب هذا الورد : أن يصلي بعد المغرب ركعتين أولا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ، ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ؛ ثم يصلي أربعا يطيلها، ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له، وإن كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وإن عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء

---

(١) حديث سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد * إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو اسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل ابن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره واسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس انها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عندت وحسنه بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة

---

* قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له والا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليتأمل اهـ

الورد الثانى . يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس ، وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ [١]) أى وما جمع من ظلمته وقال (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ [٢]) فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته

وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور

الأول : أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات ، أربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين ، وستا بعد الفرض ، ركعتين ، ثم أربعا ، ويقرأ فيها من القرءان الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها

والثانى : أن يصلى [١] ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر ، فانه أكثر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل ، والاكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل : والاقوياء من آخره ، والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس ، [٢] وسجدة لقمان ، وسورة الدخان ، وتبارك الملك ، والزمر والواقعة ، فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم ؛

---

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وانه أكثر ما يصلى به النبى صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بانقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل و م كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفى رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما أيضا ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة

(٢) حديث اكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وحب من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له و ت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وقال غريب ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا ـ الحديث : ولأبى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى فى فضائل القرءان من حديث على ياعلى أكثر من قراءة يس ـ الحديث : وهو منكر وللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وت من حديث ابن عباس شيبتنى هود والواقعة ـ الحديث وقال حسن غريب

(١) الانشقاق : ١٧ (٢) الاسراء : ٧٨

فقد روى ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فى كل ليلة أشهرها السجدة ، وتبارك الملك ، والزمر [٢] والواقعة ، وفى رواية الزمر وبنى إسرائيل ، وفى أخرى انه كان يقرأ [٣] المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية ، وكان العلماء يجعلونها ستاً فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى ، إذ فى الخبر انه صلى الله عليه وسلم [٤] كان يحب سبح اسم ربك الاعلى ، [٥] وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور ، سبح اسم ربك الأعلى ، وقل يا أيها الكافرون ، والاخلاص ، فاذا فرغ قال : سبحان الملك القدوس ثلاث مرات

• الثالث : الوتر . وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام ، قال أبو هريرة رضى الله عنه أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] أن لا أنام إلا على وتر ، وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل ، قال صلى الله عليه وسلم [٧] « صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِرَكْعَةٍ » وقالت عائشة رضى الله عنها : أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨] أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر ، وقال على رضى الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء ، إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين ، يعنى أنه يصير وترا بما مضى ، وإن شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل ، وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك ، هذا ماروى عنه ، والطريق الأول والثالث لا بأس به [٩] وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى أن ينقض ،

---

(١) حديث كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك : ت وتقدم فى الحديث قبله

(٢) حديث كان يقرأ فى كل ليلة الزمر وبنى اسرائيل : ت وتقدم أيضا

(٣) حديث كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية : د ت وقال حسن و ن . فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية

(٤) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعلى : أحمد والبزار من حديث على بسند ضعيف

(٥) حديث كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص د ن ه من حديث أبى بن كعب باسناد صحيح وتقدم فى الصلاة من حديث أنس

(٦) حديث أبى هريرة أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر : متفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام

(٧) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة : متفق عليه من حديث ابن عمر

(٨) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر : متفق عليه

(٩) حديث النهى عن نقض الوتر : قال المصنف صح فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة

وروى مطلقاً أنه صلى الله عليه وسلم قال: [١] « لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ »

ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء، وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت، وألهاكم، لما فيهما من التحذير والوعيد، وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وإفراد العبادة لله تعالى، فقيل إن استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة، وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل، وكأنه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي، وقال: فيه ثلاثة أعمال، قصر الأمل، وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل، وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول، فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر، إلا أن يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيستحب وترا إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ، ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت، وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت، روي أنه صلى الله عليه وسلم [٣] ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة، وقد قال [٤] « لِلْقَاعِدِ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ وَلِلنَّائِمِ نِصْفُ أَجْرِ الْقَاعِدِ » وذلك يدل على صحة النافلة نائما

الورد الثالث: النوم. ولا بأس أن يعد ذلك في الأوراد. فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة، فقد قيل [٥] إن العبد إذا نام على طهارة، وذكر الله تعالى، يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك، فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله،

---

(١) حديث لا وتران في ليلة: د ت وحسنه و ن من حديث طلق بن علي

(٢) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا: تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة

(٣) حديث ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة: متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا

(٤) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد: خ من حديث عمران بن حصين

(٥) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذاكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك ـ الحديث: حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا

وفى الخبر (١) « إِذَا نَامَ عَلَى طَهَارَةٍ رُفِعَ رُوحُهُ إِلَى الْعَرْشِ » هذا فى العوام، فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية، فإنهم يكاشفون بالأسرار فى النوم، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٢) « نَوْمُ الْعَالِمِ عِبَادَةٌ وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ » (٣) وقال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل؟ فقال أقوم الليل أجمع، لا أنام منه شيئا وأتفوق القرءان فيه تفوقا، قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم، وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى، فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « مُعَاذٌ أَفْقَهُ مِنْكَ »

وآداب النوم عشرة:

الأول الطهارة والسواك: قال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِذَا نَامَ الْعَبْدُ عَلَى طَهَارَةٍ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً وَإِنْ لَمْ يَنَمْ عَلَى طَهَارَةٍ قَصُرَتْ رُوحُهُ عَنِ الْبُلُوغِ، فَتِلْكَ الْمَنَامَاتُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ لَا تَصْدُقُ » وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا، وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيب.

الثانى: أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة عند التيقظ، وكلما يتنبه يستاك، كذلك كان يفعله بعض السلف، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة، وعند التنبه منها، وإن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الاعضاء بالماء، فان لم يجد فليقعد، وليستقبل القبلة، وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته، فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى »

---

(١) حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش: ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء وهق فى الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طب فى الأوسط من حديث على ما من عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب هو ضعيف

(٢) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم فى الصوم

(٣) حديث قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرءان تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكرا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبى موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أفقه منك وانما زاد فيه طب فكان معاذ أفضل منه

(٤) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم

(٥) حديث أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم فى الطهارة

(٦) حديث من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه: ن ه من حديث أبى الدرداء بسند صحيح

الثالث : أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض فى النوم ، فان من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة ، يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم ، فيقول بعضهم لبعض هـذا المسكين مات من غير وصية ، وذلك مستحب خوف موت الفجأة ، وموت الفجأة تخفيف، إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم

الرابع : أن ينام تائبا من كل ذنب ، سليم القلب لجميع المسلمين ، لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ لَا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ غُفِرَ لَهُ مَا اجْتَرَمَ »

الخامس : أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه ، كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا ، وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ، ويقولون منها خلقنا واليها نرد ، وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم ، فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد

السادس : أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل ، فقد كان نومهم غلبة ، وأكلهم فاقة ، وكلامهم ضرورة ، ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول، وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا ، وفى الخبر [2] « لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم [3] أن فلانة تصلى بالليل، فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال « لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ لَهُ، فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَرْقُدْ » وقال صلى الله عليه وسلم [4] « تَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا »

---

(١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم ابن أبى الدنيا فى كتاب النية من أنس من أصبح ولم يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم وسنده ضعيف

(٢) حديث لا تكابدوا الليل: أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود لا تغالبوا هذا الليل

(٣) حديث قيل له فلانة تصلى فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاهن عن ذلك الحديث : متفق عليه من حديث أنس

(٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا: متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « كلفوا »

وقال صلى الله عليه وسلم [١] « خَيْرُ هَذَا الدِّينِ أَيْسَرُهُ » وقيل له صلى الله عليه وسلم [٢] ان فلانا يصلى فلا ينام ، ويصوم فلا يفطر ، فقال « لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ هَذِهِ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَلَيْسَ مِنِّي » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « لاَ تُشَادُّوا هَذَا الدِّينَ فَإِنَّهُ مَتِينٌ فَمَنْ يُشَادُّهُ يَغْلِبْهُ فَلاَ تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ »

السابع أن ينام مستقبل القبلة ، والاستقبال على ضربين (أحدهما) استقبال المحتضر ، وهو المستلقى على قفاه ، فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة (والثانى) استقبال اللحد ، وهو أن ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن

الثامن : [٤] الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربى وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات ، ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة ، مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرها ، وقوله تعالى (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) إلى قوله (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [١]) يقال ان من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرءان فلم ينسه ، ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآية (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) إلى قوله (قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [٢]) وآخر بنى اسرائيل (قُلِ ادْعُوا اللهَ) الآيتين ، فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ، ويقرأ المعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده ، كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] وليقرأ عشرا من أول الكهف ، وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل ، وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ، وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة

---

(١) حديث خير هذا الدين أيسره : أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم فى العلم

(٢) حديث قيل له أن فلانا يصلى ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكنى اصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى : ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتى الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتى فليس منى وهي متفق عليها من حديث أنس

(٣) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبة ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله : خ من حديث أبى هريرة لن يشاد هذا الدين أحد الاغلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقى من حديث جابر ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح اسناده

(٤) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي ـ الحديث : إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

(٥) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة

---

(١) البقرة : ١٦٣ ، ١٦٤ (٢) الأعراف : ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦

التاسع : أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة ، والتيقظ نوع بعث ، قال الله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا[١]) وقال (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ[٢]) فسماه توفيا ، وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله فى النوم ، فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ، ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة ،

وقال لقمان لابنه : يابنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم ، فكما انك تنام كذلك تموت ، وإن كنت تشك فى البعث فلا تنتبه ، فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك ، وقال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقك الايمن ، واستقبل القبلة بوجهك ، فانها وفاة وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت فى ليلته تلك « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ » الدعاء إلى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه : انه على ماذا ينام ، وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا ، وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب

العاشر : الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] « لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » وليجتهد أن يكون آخر مايجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى ، وأول مايرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى ، فهو علامة الحب ، ولايلازم القلب فى هاتين الحالتين الاما هو الغالب عليه ، فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب ، وإنما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى ، فاذا استيقظ ليقوم قال : الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ

---

(١) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ـ الحديث : تقدم فى الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة

(٢) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة

(١) الزمر : ٤٢ (٢) الأنعام : ٥٩

الورد الرابع : يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه ، وعند ذلك يقوم العبد للتهجد ، فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم ، وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار ، وبه أقسم الله تعالى فقال : (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى[1]) أى إذا سكن ، وسكونه هدوه فى هذا الوقت ، فلا تبقى عين الا نائمة ، سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وقيل إذا سجى . إذا امتد وطال ، وقيل إذا أظلم . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أى الليل أسمع فقال « جَوْفُ اللَّيْلِ » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهى إنى أحب أن أتعبدلك ، فأى وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه ، ياداود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ، ومن قام آخره لم يقم أوله : ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك ، وارفع إلىَّ حوائجك ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] أى الليل أفضل ؟ فقال « نِصْفُ اللَّيْلِ الْغَابِرِ » يعنى الباقى ، وفى آخر الليل وردت الأخبار [٣] باهتزاز العرش ، وانتشار الرياح من جنات عدن ، ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا ، وغير ذلك من الأخبار ،

وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ ، يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ، ثم يتوجه إلى مصلاه ، ويقوم مستقبلا القبلة ، ويقول : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ، وبهلل عشرا ، وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت ، والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ،

---

(١) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل : دت وصححه من حديث عمرو بن عنبسة

(٢) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل الغابر : أحمد وحب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة

(٣) حديث الأخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا : أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال قال داود ياجبريل أى الليل أفضل قال ماأدرى غير أن العرش يهتز من السحر وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن ــ الحديث : وفيه مثله

[1] الضحى : ٢

وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] في قيامه للتهجد «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ بَهَاءُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيُّومُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَمِنْكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنُّشُورُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، اللَّهُمَّ [2] آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ [3] اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، [4] أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْبَائِسِ الْمِسْكِينِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْمُفْتَقِرِ الذَّلِيلِ، فَلَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا! وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَأَكْرَمَ الْمُعْطِينَ، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان صلى الله عليه وسلم [5] إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

---

(١) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ـ الحديث: متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق

(٢) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها: أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها ـ الحديث:

(٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت: م من حديث علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله

(٤) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل ـ الحديث: الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة تقدم في الحج

(٥) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ـ الحديث: رواه م

ثم يفتتح الصلاة ، ويصلى [١] ركعتين خفيفتين ، ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ، ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ، ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة ، وقد صح فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى أولا ركعتين خفيفتين ، ثم ركعتين طويلتين ، ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة ، وسئلت عائشة رضى الله عنها أ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] يجهر فى قيام الليل أم يسر؟ فقالت ربما جهر، وربما أسر، وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِرَكْعَةٍ » وقال: « صَلَاةُ [٤] الْمَغْرِبِ أَوْتَرَتْ صَلَاةَ النَّهَارِ فَأَوْتِرُوا صَلَاةَ اللَّيْلِ » وأ كثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] فى قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ، ويقرأ فى هذه الركعات من ورده من القرءان ؛ أو من السور المخصوصة ما خف عليه ، وهو فى حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل ،

الورد الخامس : السدس الأخير من الليل ، وهو وقت السحر ، فان الله تعالى قال : (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [١]) قيل يصلون لما فيها من الاستغفار ، وهو مقارب للفجر الذى هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار ، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضى الله عنهما ليلة زاره ، [٦] فى حديث طويل قال فى آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، فقال له سلمان نم فنام ، ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن ، فقاما فصليا ، فقال إن لنفسك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه، وذلك أن امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل ، قال فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له ، فقال « صَدَقَ سَلْمَانُ »

---

(١) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلها ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة : م من حديث زيد ابن خالد الجهنى

(٢) حديث سئلت عائشة أ كان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر : د ن ه باسناد صحيح

(٣) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة : متفق عليه وقد تقدم

(٤) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل : أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح

(٥) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أ كثر ما صح عنه : تقدم

(٦) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ـ الحديث: وفى آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبى جحيفة

---

(١) الذاريات: ١٨

وهذا هو الورد الخامس ، وفيه يستحب السحور ، وذلك عند خوف طلوع الفجر

والوظيفة في هذين الوردين الصلاة ، فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ، ودخلت أوراد النهار ، فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ[١]) ثم يقرأ (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ[٢]) إلى آخرها ثم يقول : وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه ، وشهدت به ملائكته ، وأولو العلم من خلقه ، وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديعة ، وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها ، اللهم احطط عني بها وزرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، واحفظها عليّ وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا

فهذا ترتيب الأوراد للعباد ، وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور ، صوم ، وصدقة ، وإن قلّت وعيادة مريض ، وشهود جنازة ، ففي الخبر[١] « مَنْ جَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ » وفي رواية « دَخَلَ الْجَنَّةَ » فإن اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته ، وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ، ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة ، أو بصلة أو كسرة خبز ، لقوله صلى الله عليه وسلم[٢] « الرَّجُلُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » ولقوله صلى الله عليه وسلم[٣] « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبة فأخذها ، فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض ، فقالت مالكم أن فيها لمثاقيل ذر كثير ، وكانوا لا يستحبون رد السائل ، إذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] ذلك ، ما سأله أحد شيئا فقال لا ، ولكنه إن لم يقدر عليه سكت ، وفي الخبر[٥] « يُصْبِحُ ابْنُ آدَمَ وَعَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ جَسَدِهِ صَدَقَةٌ » يعني المفصل ، وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا ، « فَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَحَمْلُكَ عَنِ الضَّعِيفِ صَدَقَةٌ ، وَهِدَايَتُكَ إِلَى الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى صَدَقَةٌ » حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال « وَرَكْعَتَا الضُّحَى تَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَوْ تَجْمَعَنَّ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ »

---

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة : م من حديث أبي هريرة ما اجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة

(٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس : تقدم في الزكاة

(٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة : تقدم في الزكاة

(٤) حديث ما سأله أحد شيئا فقال لا إن لم يقدر عليه سكت : م من حديث جابر وللبزار من حديث أنس أو سكت

(٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامي من جسده صدقة ـ الحديث : م من حديث أبي ذر

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحرث الآخرة ، السالك لطريقها ، لايخلوعن ستة أحوال ، فانه اماعابد ، واماعالم ، وامامتعلم ، واما وال ، وأما محترف ، واما موحد مستغرق بالواحدالصمد عن غيره ،

الأوّل : العابد ! وهو المتجرد للعبادة الذى لاشغل له غيرها أصلا ، ولوترك العبادة لجلس بطالا ، فترتيب أوراده ماذكرناه ، نعم لايبعد أن تختلف وظائفه ، بأن يستغرق أكثر أوقاته ، إما فى الصلاة ، أو فى القراءة ، أوفى التسبيحات ، فقدكان فى الصحابة رضى الله عنهم مَن ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة ، وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا ، وكان فيهم من ورده ثلثمائةركعة إلى ستمائة ، وإلى ألف ركعة ، وأقل مانقل فى أورادهم من الصلاه مائة ركعة فىاليوم والليلة ، وكان بعضهم أكثر ورده القرءان ، وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم ، وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة فى التفكر فى آية واحدة يرددها ، وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة ، فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا ، وفى كل ليلة سبعين أسبوعا ، وكان مع ذلك يختم القرءان فى اليوم والليلة مرتين ، فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ، ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ

فان قلت : فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الاوقات من هذه الأوراد ؟

فاعلم أن قراءة القرءان فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ، ولكن ربما تعسر المواظبة عليه ، فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ، ومقصود الأوراد تزكية القلب ، وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى ، وإيناسه به ، فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشدتأثيرا فيه فليواظب عليه ، فاذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ، ولذلك نرى الاصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات ، كماسبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع ، لان الملال هو الغالب على الطبع ، وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف ، ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى ، فان سمع تسبيحة مثلا وأحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجدلها وقعا ، وقد روى عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطىء البحر ، فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا ، فقال من أنت

أسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر ، أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت ، قلت فما اسمك ؟ قال مهلهمائيل، قلت فما ثواب من قاله ؟ قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، أو يرى له ، والتسبيح هو قوله: سبحان الله العلي الديان، سبحان الله الشديد الاركان، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شان، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبَّح فى كل مكان ، فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فيلازمه ، وأيّاماً وجد القلب عنده ، وفتح له فيه خير فليواظب عليه

الثانى : العالم الذى ينفع الناس بعلمه ، فى فتوى ، أو تدريس ، أو تصنيف، فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد ، فانه يحتاج إلى المطالعة للكتب ، والى التصنيف والافادة ، ويحتاج إلى مدة لها لا محالة ، فان أمكنه استغراق الاوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل بعد المكتوبات ورواتبها ، ويدل على ذلك جميع ماذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم ، وكيف لا يكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى ، وتأمل ماقال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ، ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ، ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا ، وانما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا ، أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة ، إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه ، وقبول الخلق ، والأولى بالعلم أن يقسم أوقاته أيضاً

فان استغراق الأوقات فى ترتيب العلم لا يحتمله الطبع ، فينبغى أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد ، كما ذكرناه فى الورد الأول ، وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار فى الافادة والتعليم ، ان كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين ، فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ، ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة ، لا يتركها إلا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ، ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ، ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح ، فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان ، وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر إلى الضحوة

ووردہ الثالث إلى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة ، ووردہ الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين ، وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان، فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع

وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه ، اذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول، وثلثا للصلاة وهو الوسط الوسطى، وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا إذا كان أكثر النوم بالنهار، فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العلم

الثالث : المتعلم، والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الاوراد، ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالأفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف، ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ماذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب معلم يدل على ان ذلك أفضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الأوقات، ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه [1] « إِنَّ حُضُورَ مَجْلِسِ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « إِذَا رَأَيْتُمْ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا فِيهَا فقيل: يَارَسُولَ اللهِ وَمَارِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قال: حِلَقُ الذِّكْرِ » وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه ، حتى يترك كل ذى إمارة إمارته، وكل ذى سوق سوقه، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله ، وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء ، فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء ،وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو اليك قساوة قلبى، فقال أدنه من مجالس الذكر ، ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر ، فقال مرحبا يامسكينة فقالت : هيهات هيهات ،ذهبت المسكنة وجاء الغنى، فقال هيه فقالت : ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها، قال وبم ذلك ؟ قالت : بمجالسة أهل الذكر

---

(١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ـ الحديث : تقدم فى العلم

(٢) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها ـ الحديث : تقدم فى العلم

وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عُقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا

الرابع: المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات ، بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق ، والاشتغال بالكسب ، ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته ، بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرءان ، فان ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل ، وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا أن يكون ناظورا فانه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ، ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد ، وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الاوراد التي ذكرناها ، لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة ، والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى ، ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب اليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر

الخامس: الوالي مثل الامام والقاضي والمتولي لينظر في أمور المسلمين، فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة، فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ، ويقيم الأوراد المذكورة بالليل، كما كان عمر رضي الله عنه يفعله ، إذ قال : مالي وللنوم ، فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ، ولو نمت بالليل ضيعت نفسي

وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران ، أحدهما العلم ، والآخر الرفق بالمسلمين ، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه ، وعبادة تفضل سائر العبادات ، يتعدى فائدته وانتشار جدواه ، فكانا مقدمين عليه

السادس : الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه هم واحد ، فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ، ولا يتوقع الرزق من غيره ، ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه ، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال ، فلا يخطر بقلوبهم أمر ، ولا يقرع سمعهم قارع ، ولا يلوح لأبصارهم لائح، إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد ، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى ، فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون

سببا لازديادهم ، فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل، كما قال تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَفِرُّوا إِلَى اللهِ [1]) وتحقق فيهم قوله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ [2]) واليه الاشارة بقوله: إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ، وهذه منتهي درجات الصديقين ، ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا ، فلا ينبغى أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ، ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس فى قلبه وسواس ، ولا يخطر فى قلبه معصية ، ولا تزعجه هو اجم الاهوال ، ولا تستفزه عظائم الاشغال ، وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً [3]) فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض، وفى الخبر [1] « اْلإِيمَانُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ وَثَلَثُمِائَةِ طَرِيقَةٍ مَنْ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى بِالشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة عشر خلقا بعدد الرسل ، فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله ، فاذا الناس وان اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصواب (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ [4]) وإنما يتفاوتون فى درجات القرب فى أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به ، وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له ، فمن عرفه لم يعبد غيره

والأصل فى الأوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة ، فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة ، وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها ، وإنما يترتب الأثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس ، فانه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير ، فلو بالغ ليلة فى التكرار ، وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ، ولو وزع

(١) حديث الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة: ابن شاهين واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الايمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة وقال الطبرانى والبيهقى ثلثمائة وثلاثون وفى أسناده جهالة

(١) الداريات : ٤٩ ، ٥٠ (٢) الكهف : ١٦ (٣) الاسراء ٨٤ (٤) الاسراء : ٥٧

ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ، ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » « وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ عَمَلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] فَقَالَتْ كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً وَكَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ عَوَّدَهُ اللهُ عِبَادَةً فَتَرَكَهَا مَلاً لَهُ مَقَتَهُ اللهُ »

وهذا كان السبب فى صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين [٤] شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر، ولكن فى منزله لا فى المسجد كيلا يقتدى به روته عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما

فإن قلت فهل لغيره أن يقتدى به فى ذلك مع أن الوقت وقت كراهية

فاعلم أن المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية ، من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان ، أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال ، لا يتحقق فى حقه، فلا يقاس عليه فى ذلك غيره، ويشهد لذلك فعله فى المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم

الباب الثانى

فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها وفى فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة إحياء ما بين العشاءين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها [٥] « إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللهِ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ لَمْ يَحُطَّهَا عَنْ مُسَافِرٍ ، وَلَا عَنْ مُقِيمٍ ، فَتَحَ بِهَا صَلَاةَ اللَّيْلِ وَخَتَمَ بِهَا صَلَاةَ النَّهَارِ ، فَمَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَصَلَّى بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » قال الراوى لا أدرى من ذهب أو فضة

---

(١) حديث أحب الاعمال إلى الله أدومها وان قل : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته : رواه م

(٣) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله : تقدم فى الصلاة وهو موقوف على عائشة

(٤) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلاها بعد العصر ثم لم يزل يصليها بعد العصر فى منزله : متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركها حتى لقى الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصليها ولا يصليها فى المسجد مخافة أن يثقل على أمته والله الموفق للصواب

﴿ الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل ﴾

(٥) حديث عائشة ان أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم ـ الحديث : رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار فى كتاب الصلاة ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصرا وأسناده ضعيف

« وَمَنْ صَلَّى بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ قَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً » وروت أم سلمة وأبو هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال : « مَنْ صَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ عَدَلَتْ لَهُ عِبَادَةَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ أَوْ كَأَنَّهُ صَلَّى لَيْلَةَ الْقَدْرِ » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ عَكَفَ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ إِلَّا بِصَلَاةٍ أَوْ قُرْءَانٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ كُلِّ قَصْرٍ مِنْهُمَا مِائَةُ عَامٍ ، وَيَغْرِسُ لَهُ بَيْنَهُمَا غِرَاسًا لَوْ طَافَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا لَوَسِعَهُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « مَنْ رَكَعَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ » فقال عمر رضى الله عنه إذاً تكثر قصورنا يارسول الله ، فقال « اللهُ أَكْثَرُ وَأَفْضَلُ » أوقال « أَطْيَبُ » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] « مَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَيَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسَطِهَا ، (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ [1]) إلى آخر الآية (وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)

---

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر: ت ه بلفظ اثنتى عشرة سنة وضعفه ت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له فى عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى وسنده ضعيف

(٢) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرءان كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة: لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر

(٣) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة عمر إذن تكثر قصورنا يارسول الله ـ الحديث : ابن المبارك فى الزهد من حديث عبد الكريم بن الحارث مرسلا

(٤) حديث أنس من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشىء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد ـ الحديث : أبو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

---

(١) البقرة : ١٦٣ ، ١٦٤

خمس عشرة مرة، ثم يركع ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية، قرأ فاتحة الكتاب، وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله: (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[1]) وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، من قوله، لله ما في السموات وما في الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة » وصف من ثوابه في الحديث مايخرج عن الحصر ،

(١) وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال، قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا أعمله في كل ليلة فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا ، وأقبل على صلاتك التي أنت فيها، وسلم من كل ركعتين ، واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا ، فاذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين ، واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات ، في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك، واستغفر الله تعالى سبع مرات ، وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ، ثم ارفع رأسك من السجود ، واستو جالسا ، وارفع يديك وقل: ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام ، ياإله الأولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب ، ياالله ياالله ياالله : ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك، وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه ، حتى يذهب بك النوم ، فقلت له أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا فقال إني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بحضر مني فتعلمته ممن علمه إياه

ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين ، وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل أن يخرج من الدنيا ، وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ، ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه

وعلى الجملة ماورد في فضل إحياء مابين العشاءين كثير ، حتى قيل[2] لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة

---

(١) حديث كرز بن وبرة إن الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزا سأل الخضر ممن سمعت هذا قال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء ـ الحديث : وهذا باطل لا أصل له

(٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال مابين المغرب والعشاء: رواه أحمد وفيه رجل لم يسم

(١) البقرة : ٢٥٧

قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم (١) «مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَذَلِكَ صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ» وقال الأسود ماأتيت ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الوقت إلا ورأيته يصلى ؛ فسألته فقال نعم هى ساعة الغفلة ، وكان أنس رضى الله عنه يواظب عليها ويقول هى ناشئة الليل ، ويقول فيها نزل قوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ (١)) وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لأبى سليمان الدرانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيى ما بينهما؛ فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل ما بينهما

فضيلة قيام الليل

أما من الآيات فقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ (٢)) الآية وقوله تعالى : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٣)) وقوله سبحانه وتعالى : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ (٤)) وقوله تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ (٥)) الآية وقوله عز وجل : (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً (٦)) وقوله تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (٧)) قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس

ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم (٢) «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ» وفى الخبر (٣) إنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح ، فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه ، وفى الخبر (٤) «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ سَعُوطاً وَلَعُوقاً وَذَرُوراً ، فَإِذَا أَسْعَطَ الْعَبْدَ سَاءَ خُلُقُهُ ، وَإِذَا أَلْعَقَهُ ذَرِبَ لِسَانُهُ بِالشَّرِّ ، وَإِذَا ذَرَّهُ نَامَ

---

(١) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين: تقدم فى الصلاة

(٢) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ــ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان فى أذنه : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٤) حديث إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا ــ الحديث : طب من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكحلا فاذا لعق الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندها ضعيف

---

(١) السجدة : ١٦ (٢) المزمل : ٢٠ (٣) المزمل : ٦ (٤) السجدة : ٩ (٥) الزمر : ٩ (٦) الفرقان : ٦٤ (٧) البقرة : ٤٥

اللَّيْلَ حَتَّى يُصْبِحَ » وقال « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] « رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا الْعَبْدُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُمَا عَلَيْهِمْ » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » وفي رواية : « يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ » وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] حتى تفطرت قدماه ، فقيل له : أما قد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخر ، فقال : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة ، فان الشكر سبب المزيد ، قال تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [(١)]) وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَقْبُورًا وَمَبْعُوثًا ؟ قُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّ وَأَنْتَ تُرِيدُ رِضَا رَبِّكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ صَلِّ فِي زَوَايَا بَيْتِكَ يَكُنْ نُورُ بَيْتِكَ فِي السَّمَاءِ كَنُورِ الْكَوَاكِبِ وَالنَّجْمِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا وقال صلى الله عليه وسلم : [٤] « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ فَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَكْفِيرٌ لِلذُّنُوبِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٥] « مَا مِنِ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِاللَّيْلِ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا النَّوْمُ إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ »

---

(١) حديث ركعتان يركعها العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم : آدم بن أبي أياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح .

(٢) حديث المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه ـ الحديث : متفق عليه

(٣) حديث ياأباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا : باطل لا أصل له

(٤) حديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ـ الحديث : ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث أبي أمامة بسند حسن وقال ت أنه أصح

(٥) حديث مامن امرىء يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه : د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوي ورواه ن ه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله

---

(١) ابراهيم : ٧

وقال صلى الله عليه وسلم[1] لأبي ذر « لَوْ أَرَدْتَ سَفَراً أَعْدَدْتَ لَهُ عُدَّةً ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَكَيْفَ سَفَرُ طَرِيقِ الْقِيَامَةِ . أَلاَ أُنَبِّئُكَ يَا أَبَا ذَرٍّ بِمَا يَنْفَعُكَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ صُمْ يَوْماً شَدِيدَ الْحَرِّ لِيَوْمِ النُّشُورِ ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ ، وَحُجَّ حَجَّةً لِعَظَائِمِ الْأُمُورِ ، وَتَصَدَّقْ بِصَدَقَةٍ عَلَى مِسْكِينٍ ، أَوْ كَلِمَةَ حَقٍّ تَقُولُهَا أَوْ كَلِمَةَ شَرٍّ تَسْكُتُ عَنْهَا وروى أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم[2] رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم ، وهدأت العيون ، قام يصلي ويقرأ القرءان ويقول : يارب النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « إِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَآذِنُونِي فَأَتَاهُ فَاسْتَمَعَ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا فُلاَنُ هَلاَّ سَأَلْتَ اللهَ الْجَنَّةَ ؟ قال يارسول الله إني لست هناك ، ولا يبلغ عملي ذاك ، فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام ، قال « أَخْبِرْ فُلاَناً أَنَّ اللهَ قَدْ أَجَارَهُ مِنَ النَّارِ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » ويروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم[3] « نِعْمَ الرَّجُلُ ابْنُ عُمَرَ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذٰلِكَ فَكَانَ يُدَاوِمُ بَعْدَهُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول . يا نافع أسحرنا فأقول لا ، فيقوم لصلاته ، ثم يقول يانافع أسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد ، فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر ، وقال على بن أبي طالب ، شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتي أصبح ، فأوحى الله تعالى إليه يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري ؟ أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري ؟ فوعزتي وجلالي يايحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ، ولزهقت نفسك اشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ، ولبكيت الصديد بعد الدموع ، ولبست الجلد بعد المسوح ،

---

(١) حديث أنه قال لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ـ الحديث : ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري ابن مخلد مرسلا والسري ضعفه الأزدي

(٢) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا آخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرءان ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فآذنوني ـ الحديث : لم أقف له على أصل

(٣) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دلك وليس فيه ذكر لجبريل

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ فَقَالَ سَيَنْهَاهُ مَا يَعْمَلُ » وقال صلى الله عليه وسلم:[٢] « رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم « رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » وقال صلى الله عليه وسلم:[٤] « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ بِاللَّيْلِ فَقَرَأَهُ بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ »

الآثار : روى أن عمر رضى الله عنه ، كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه : إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثورى رحمه الله : شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله، فقام تلك الليلة حتى أصبح، وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ، ثم يثب ويصلى إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله : مانعلم عملا أشد من مكابدة الليل ، ونفقة هذا المال، فقيل له مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها ، قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش ، فنام عليه حتى فاته ورده ، فحلف أن لاينام بعدها على فراش أبدا ، وكان عبد العزيز بن أبى رواد إذا جنّ الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه ، ويقول إنك للين ، ووالله إن فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله ، وقال الفضيل : إنى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فافتتح القرءان فأصبح وماقضيت نهمتى ، وقال الحسن : إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل

---

(١) حديث قيل له إن فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه مايقول: ابن حبان من حديث أبى هريرة

(٢) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت ـ الحديث : د حب من حديث أبى هريرة

(٣) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات: د ن من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح

(٤) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل : م من حديث أبى هريرة

(٥) حديث عمر من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل: رواه م

وقال الفضيل : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله : يصلى الليل كله فاذا كان فى السحر قال: إلهى ليس مثلى يطلب الجنة ، ولكن أجرنى برحمتك من النار ، وقال رجل لبعض الحكماء : إنى لأضعف عن قيام الليل ، فقال له ياأخى لاتعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل ، وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فاما كان فى جوف الليل قامت الجارية ، فقالت ياأهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر ؟ فقالت : وماتصلون إلا المكتوبة ؟ قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاى بعتنى من قوم لايصلون إلا المكتوبة ردنى فردها

وقال الربيع بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة ، فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا ، وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر ، فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض ، وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل ، فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيى الليل كله ، فقال انى أستحى أن أوصف بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يحيي الليل كله، ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ، ويقال إن مالك ابن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[1]) الآية، وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ، ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة ، فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار ، إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار . فأى الرجلين مالك؟ وأى الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر ، وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت، فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن مايكون، وفى يدها رقعة، فقالت لى أتحسن تقرأ؟ فقلت نعم، فدفعت إلى الرقعة فاذا فيها

أألهتك اللذائذ والأماني * عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها * وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا * من النوم التهجد بالقرءان

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا، ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال : رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا ، فقلت لها من أنت ؟ قالت حوراء فقلت زوجينى نفسك ، فقالت أخطبنى إلى سيدى وأمهرنى فقلت: ومامهرك؟ قالت: طول التهجد

---
(١) الجاثية : ٢١

وقال يوسف بن مهران : بلغني أن تحت العرش ملكا فى صورة ديك براثنه من لؤلؤ ، وصئصئه من زبرجد أخضر ، فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم القائمون ، فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقى وقال ، ليقم المتهجدون ، فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقى ، وقال ليقم المصلون ، فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم ، وقيل إن وهب بن منبه اليمانى ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة ، وكان يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب إلى من أن أرى فى بيتى وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها ، وخفق خفقات ، ثم يفزع إلى الصلاة

وقال بعضهم رأيت رب العزة فى النوم فسمعته يقول : وعزتى وجلالى لأكرمن مثوى سليمان التيمى ، فانه صلى لى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ، ويقال . كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى فى بعض الكتب القديمة عن الله تعالى ، أنه قال : إن عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديكة

بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهرة : فاربعة أمور

الاول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيرا ، فتتحسروا عند الموت كثيرا ، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام :

الثانى : أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فان ذلك أيضا مجلبة للنوم

الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة [1] ، للاستعانة على قيام الليل

الرابع : أن لا يحتقب الأوزار بالنهار ، فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة

---

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل : هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم

قال رجل للحسن : ياأباسعيد إنى أبيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعد طهورى ، فما بالى لا أقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك ، وكان الحسن رحمه الله : إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ، يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لايقيلون ، وقال الثورى : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل وماذاك الذنب ، قال رأيت رجلا يبكى ، فقلت فى نفسى هذا مراء ، وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى ، فقلت أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد ، فقلت وجع يؤلمك ، قال أشد ، قلت فماذاك ؟ قال بابى مغلق ، وسترى مسبل ، ولم أقرأ حزبى البارحة ، وماذاك الابذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير ، والشر يدعو إلى الشر ، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : لاتفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب ، وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بُعدٌ ، وقال بعض العلماء : إذا صمت يامسكين فانظر عند من تفطر ، وعلى أى شىء تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ، ولا يعود إلى حالته الأولى ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب ، وتمنع من قيام الليل ، وأخصها بالتأثير تناول الحرام ، وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ، ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة ، أو يفعل فعلة ، فيحرم بها قيام سنة ، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات ، وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة ، أسأل كل مأخوذ بالليل ، أنه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا ، وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور :

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا ، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام ، وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ، ولا يجول إلا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال

يخبرنى البواب أنك نائم * وأنت إذا استيقظت أيضا فنائم

الثانى : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم

طار نومه، وعظم حذره ، كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين، وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله ، فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم ، وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل، فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفي ، وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي، فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله

منع القران بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت إليـه تخضعا

وأنشدوا أيضا: ياطويـل الرقاد والغفـلات * كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن نزلت إليه * لرقادا يطول بعد الممات * ومهادا ممهدا لك فيه
بذنوب عملت أو حسنات * أأمنت البيات من ملك المو * ت وكم نال آمنا بيات

وقال ابن المبارك: إذا ما الليـل أظلم كابدوه * فيسفر عنهـم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار، حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان، كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته، فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره، فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة ، فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إني كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقا إليها

الرابع: وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه ، وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه، وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به، وتلذذ بالمناجاة، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل

أما العقل: فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله ، أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته ،حتى لا يأتيه النوم طول ليله

فإن قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه ، وإن الله تعالى لا يرى

فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر، أو كان في بيت مظلم، لكان المحب يتلذذ بمجاورته

المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه ، وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه ، وإن كان ذلك أيضاً معلوما عنده

فان قلت إنه ينتظر جوابه ، فليتلذذ بسماع جوابه ، وليس يسمع كلام الله تعالى

فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ، ورفع سريرته إليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل مايرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به ، وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء إنعامه ، والرجاء فى حق الله تعالى أصدق ، وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره . فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات

وأما النقل : فيشهد له أحوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل، واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب، حتى قيل لبعضهم: كيف أنت والليل ؟ قال ماراعيته قط، يرينى وجهه ثم ينصرف ، وما تأملته بعد ، وقال آخر: أنا والليل فرسا رهان، مرة يسبقنى إلى الفجر، ومرة يقطعنى عن الفكر ، وقيل لبعضهم كيف الليل عليك ، فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء ، وأغتم بفجره إذا طلع ، ما تم فرحى به قط ، وقال على بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر ، وقال الفضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام، لخلوتى بربى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على ، وقال أبو سليمان : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ماأحببت البقاء فى الدنيا ، وقال أيضاً لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم ، وقال بعض العلماء: ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة ، وقال بعضهم : لذة المناجاة ليست من الدنيا ، إنما هى من الجنة، أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم ، وقال ابن المنكدر : ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، والصلاة فى الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً ، فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين : ان لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ، ويشتاقون إلىَّ وأشتاق إليهم ، ويذكروننى وأذكرهم ، وينظرون إلىَّ وأنظر إليهم : فان حذوت طريقهم أحببتك

وإن عدلت عنهم مقتنا. قال يارب وما علامتهم؟ قال يراعون الظلال بالنهار، كما يراعي الراعي غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنهم الليل، واختلط الظلام، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إلى أقدامهم، وافترشوا إلى وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملقوا إلي بأنعامي فبين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم، أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني، كما أخبر عنهم، والثانية: لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل، وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب، وهذا له سر وتحقيق ستأتي الاشارة إليه في كتاب المحبة

وفي الأخبار عن الله عز وجل أي عبدي، أنا الله الذي اقتربت من قلبك، وبالغيب رأيت نوري، وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل، وطلب حيلة يجلب بها النوم، فقال أستاذه: يابني إن لله نفحات في الليل والنهار، تصيب القلوب المتيقظة، وتخطىء القلوب النائمة، فتعرض لتلك النفحات، فقال ياسيدي تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وفي رواية أخرى «يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وذلك كل ليلة، ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان، وكساعة يوم الجمعة، وهي ساعة النفحات المذكورة، والله أعلم

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب

الأولى: إحياء كل الليل: وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى، وتلذذوا بمناجاته، وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم، فلم يتعبوا بطول القيام، وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء.

(١) حديث جابر إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة إلا اعطاه إياه وذلك كل ليلة: رواه م

حكى أبو طالب المكى أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة ، قال منهم سعيد بن المسيب ، وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ، ووهيب بن الورد المكيان ، وطاوس ، ووهب بن منبه اليمانيان، والربيع ابن خيثم ، والحكم الكوفيان ، وأبو سليمان الدارانى ، وعلى بن بكار الشاميان ، وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان ، وحبيب أبو محمد ، وأبو جابر السلمانى الفارسيان ، ومالك ابن دينار ، وسليمان التيمى ، ويزيد الرقاشى ، وحبيب بن أبى ثابت ، ويحيى البكاء ، البصريون وكهمس بن المنهال ، وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة ، ومالم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ، ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم

المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل ، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف ، وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل ، والسدس الأخير منه ، حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل ،

المرتبة الثالثة: أن يقوم ثلث الليل ، فينبغى أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب ، لأنه يذهب النعاس بالغداة ، وكانوا يكرهون ذلك ، ويقلل صفرة الوجه ، والشهرة به ، فلو قام أكثر الليل ، ونام سحراً قلت صفرة وجهه ، وقل نعاسه ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] إذا أوتر من آخر الليل ، فان كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن ، وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال ، فيؤذنه للصلاة ، وقالت أيضا رضى الله عنها [2] ، ما ألفيته بعد السحر إلا نائما ، حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنة ، منهم أبو هريرة رضى الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب ، وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من أوراد النهار ،

---

(١) حديث كان رسول الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة : م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائى فاذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة ألم بأهله ولأبى داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فان كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة أيقظنى وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلى ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ كان إذا صلى فان كنت مستيقظة حدثنى وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة وقال م إذا صلى ركعتى الفجر

(٢) حديث عائشة ما ألفيته السحر الأعلى إلا نائما : متفق عليه بلفظ ما ألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائما لم يقل : خ الأعلى وقال ه ما كنت ألفى أو ألقى النبى صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى

وقيام ثلث الليل من النصف الأخير، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم

المرتبة الرابعة: أن يقوم سدس الليل أو خمسه، وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه

المرتبة الخامسة: أن لا يراعي التقدير. فان ذلك إنما يتيسر لنبيّ يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه، ويواظبه، ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم، ولكنه يقوم من أوّل الليل إلى أن يغلبه النوم، فاذا انتبه قام، فاذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان، وقومتان، وهو من مكابدة الليل، وأشدّ الأعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] وهو طريقة ابن عمر، وأولى العزم من الصحابة، وجماعة من التابعين رضى الله عنهم وكان بعض السلف يقول: هي أوّل نومة، فاذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار، فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم[2] نصف الليل، أو ثلثيه أو ثلثه، أوسدسه، يختلف ذلك في الليالي، ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمّل (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ[1]) فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه، ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع، وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها، كان صلى الله عليه وسلم يقوم[3] إذا سمع الصارخ يعني الديك، وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] في السفر ليلا، فنام بعد العشاء زمانا

(١) حديث قيامه أول الليل إلى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان: د ت وصححه و ه من حديث أم سلمة كان يصلي وينام قدر ماصلى ثم يصلي قدر مانام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه ـ الحديث

(٢) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه: الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ ـ الحديث: وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء ـ الحديث: ولأبي داود قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ ـ الحديث: لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل

(٣) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ: متفق عليه.

(٤) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ـ الحديث: ن من رواية

(١) المزمل: ٢٠

ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا[1]) حتى بلغ (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به ، وتوضأ وصلى ، حتى قلت صلى مثل الذى نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ماصلى ، ثم استيقظ فقال ماقال أول مرة وفعل مافعل أول مرة

المرتبة السادسة: وهى الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين، أو تتعذر عليه الطهارة، فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء، فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله، وقد جاء فى الأثر (١) «صَلِّ مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ». فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه مايراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل إحياء مابين العشاءين، والورد الذى بعد العشاء، ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ، ويقوم بطرفى الليل وهذه هى الرتبة السابعة ، ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ماذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

بيان الليالى والأيام الفاضلة

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة، لا ينبغى أن يغفل المريد عنها، فانها مواسم الخيرات، ومظان التجارات، ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح، ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح، فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى أوتار العشر الأخير، إذ فيها تطلب ليلة القدر، وليلة سبع عشرة من رمضان، فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان: فيه كانت وقعة بدر، وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر، وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم، وليلة عاشوراء، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبع وعشرين منه

حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا فى سفر مع رسول الله عليه وسلم والله لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث فى كتاب الصلاة من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ـ الحديث : وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضا كان فى سفر

(١) حديث صل من الليل ولو قدر حلب شاة : أبو يعلى من حديث ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولأبى الوليد بن مغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة

---

[1] آل عمران : ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤

وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة [١] فقد قال صلى الله عليه وسلم « لِلْعَامِلِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَسَنَاتُ مِائَةِ سَنَةٍ. فَمَنْ صَلَّى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ وَيَتَشَهَّدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَيُسَلِّمُ فِي آخِرِهِنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا شَاءَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَيُصْبِحُ صَائِمًا فَإِنَّ اللهَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُ كُلَّهُ إِلَّا أَنْ يَدْعُوَ فِي مَعْصِيَةٍ » وليلة النصف من شعبان، ففيها مائة ركعة، يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع، وليلة عرفة، وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم [٢] «مَنْ أَحْيَا لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ». وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر، يستحب مواصلة الأوراد فيها: يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم، وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] قال « مَنْ صَامَ يَوْمَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ صِيَامَ سِتِّينَ شَهْرًا » وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان، وهو يوم وقعة بدر، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة ويوما العيدين والأيام المعلومات وهى عشر من ذى الحجة، والأيام المعدودات، وهى أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] أنه قال « إِذَا سَلِمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَلِمَتِ الْأَيَّامُ، وَإِذَا سَلِمَ شَهْرُ رَمَضَانَ سَلِمَتِ السَّنَةُ » وقال بعض العلماء: من أخذ مهناة فى الأيام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة، وأراد به العيدين، والجمعة، وعرفة، وعاشوراء

ومن فواضل الأيام فى الأسبوع، يوم الخميس، والاثنين، ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى، وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام فى كتاب الصوم، فلا حاجة إلى الاعادة والله أعلم، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين

---

(١) حديث الصلاة المأثورة فى ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الأيام والليالى أن أبا محمد الجبارى: رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد ابن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر

(٢) حديث من أحيا ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب: ه باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة

(٣) حديث أبى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم: رواه أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه

(٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة: تقدم فى الباب الخامس من الصلاة فى ذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف

ربع العادات

كتاب آداب الأكل

بســـم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الأكل

وهو الأول من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات . والصلاة على محمد ذى المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات، وتتضاعف بتعاقب الساعات . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فان مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى فى دار الثواب. ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا)[1] فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ، ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغى أن يترك نفسه مهملا سدى ، يسترسل فى الأكل استرسال البهائم فى المرعى ، فان ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه، ينبغى أن تظهر أنوار الدين عليه . وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التى يزم العبد بزمامها ، ويلجم المتقى بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى إقدامها واحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ حَتَّى فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِيهِ وَإِلَى فِي امْرَأَتِهِ » وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين ، مراعيا فيه آدابه ووظائفه . وهانحن نرشد الى وظائف الدين فى الأكل ، فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها ، فى أربعة أبواب وفصل فى آخرها .

﴿ كتاب آداب الأكل ﴾

(١) حديث إن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى فى امرأته : خ من حديث لسعد بن أبى وقاص . وانك مهما أنفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك

(١) المؤمنون : ٥١

الباب الأول : فيما لا بد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل

الباب الثانى : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل

الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها

الباب الأول

فيما لا بد للمنفرد منه

وهو ثلاثة أقسام : قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ، وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول

فى الآداب التى تتقدم على الأكل

وهى سبعة :

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه ، طيبا فى جهة مكسبه ، موافقا للسنة والورع ، لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ، ولا بحكم هوى ومداهنة فى دين ، على ماسيأتى فى معنى الطيب المطلق فى كتاب الحلال والحرام . وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال، وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل ، تفخيما لأمر الحرام ، وتعظيما لبركة الحلال، فقال تعالى(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ[1]) إلى قوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) الآية . فالاصل فى الطعام كونه طيبا . وهو من الفرائض وأصول الدين

الثانى : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ » وفى رواية « يَنْفِي الْفَقْرَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ » ولأن اليد لا تخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال ، فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ، ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة ، فهو جدير بأن يقدم عليه مايجرى منه مجرى الطهارة من الصلاة

﴿ الباب الأول ﴾

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده مما ينفى اللمم وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده : القضاعى فى مسنده الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول وللطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر ولأبى داود وت من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة

(١) النساء : ٩٢

الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض ، فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ وَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ » فهذا أقرب إلى التواضع . فإن لم يكن فعلى السفرة ، فإنها تذكر السفر ، ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى . وقال أنس ابن مالك رحمه الله ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] على خوان ولا في سُكُرُّجَة . قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ قال على السفرة وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموائد ، والمناخل ، والأشنان ، والشبع

واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى ، فلسنا نقول الأكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم . إذ لم يثبت فيه نهى . وما يقال أنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا ، بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة ، وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال إذا تغيرت الاسباب . وليس في المائدة الارفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل ، وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه . والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ، ليست متساوية . بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة ، فان الغسل مستحب للنظافة ، والاشنان أتم في التنظيف . وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم ، أو لا يتيسر ، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة في النظافة ، فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا ، وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم . وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا ، وأما المنخل ، فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ، مالم ينته إلى التنعم المفرط . وأما المائدة . فتيسير للأكل وهو أيضا مباح ، مالم ينته إلى الكبر والتعاظم . وأما الشبع ، فهو أشد هذه الأربعة ، فانه يدعو إلى تهييج الشهوات ، وتحريك الادواء في البدن ، فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات

الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ، ويستديمها كذلك . « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [3] رُبَّمَا جَثَا لِلْأَكْلِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَجَلَسَ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ

---

(١) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض : أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعفه الدارقطني

(٢) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ـ الحديث : رواه خ

(٣) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشير في أثناء حديث أتوا تلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرى في الشمائل من حديثه كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى

وَرُبَّمَا نَصَبَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى وَجَلَسَ عَلَى الْيُسْرَى وَكَانَ يَقُولُ [١] « لَا آكُلُ مُتَّكِئًا [٢] إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ » والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا ويكره الأكل نائما ومتكئا ، الاما يتنقل به من الحبوب . وروى عن على كرم الله وجهه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ، ويقال منبطح على بطنه ، والعرب قد تفعله

الخامس : أن ينوى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ، ليكون مطيعا بالأكل . ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل . قال إبراهيم بن شيبان :منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا لشهوتى . ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل ، فانه إذا أكل لأجل قوة العبادة ، لم تصدق نيته إلا بأكل مادون الشبع ، فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها . فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة ، وايثار القناعة على الانساع . قال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ . حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَثُلُثٌ طَعَامٌ وَثُلُثٌ شَرَابٌ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ » ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع ، فيكون الجوع أحد ما لابد من تقديمه على الأكل .ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب . وسيأتى فائدة قلة الأكل ، وكيفية التدريج فى التقليل منه ، فى كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات

السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق ، والحاضر من الطعام ، ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم . بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الادم . « وَقَدْ وَرَدَ الْأَمْرُ بِإِكْرَامِ الْخُبْزِ » [٤] فكل ما يديم الرمق ، ويقوى على العبادة ، فهو خير كثير لا ينبغى أن يستحقر . بل لا ينتظر بالخبز الصلاة أن حضر وقتها ، إذا كان فى الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم [٥] « إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ وَالْعِشَاءُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ » وكان ابن عمر رضى الله عنهما ربما سمع قراءة الامام

ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد وأسناده ضعيف

(١) حديث كان يقول لا آكل متكئا : خ من حديث أبى جحيفة

(٢) حديث : انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، تقدم قبله ، من حديث أنس بلفظ وأفعل بدل وأجلس ، رواه البزار من حديث ابن عمر ، دون قوله وأجلس .

(٣) حديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ـ الحديث :ت وقال حسن نه من حديث المقداد بن معديكرب

(٤) حديث أكرموا الخبز : البزار والطبرانى وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام باسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات

(٥) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء : تقدم فى الصلاة والمعروف واقيمت الصلاة

ولايقوم من عشائه . ومهما كانت النفس لاتتوق إلى الطعـام ، ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر ، فالأولى تقديم الصـلاة فأما إذا حضر الطعام ، وأقيمت الصلاة ، وكان فى التأخير مايبرد الطعام أويشوش أمره ، فتقديمه أحب عند اتساع الوقت ، تاقت النفس أولم تتق ، لعموم الخبر ، ولان القلب لايخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع ، وإن لم يكن الجوع غالبا

السابع : أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام ، ولو من أهله وولده . قال صلى الله عليه وسلم [1] « اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ » وقال أنس رضى الله عنه « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الطَّعَامِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِى »

القسم الثانى

فى آداب حالة الأكل

وهو أن يبدأ ببسم الله فى أوله ، وبالحمد لله فى آخره . ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن ، حتى لايشغله الشره عن ذكر الله تعالى . ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ، ومع الثانية بسم الله الرحمن ، ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم . ويجهر به ليذكر غيره ، ويأكل باليمنى ، ويبدأ بالملح ويختم به ، ويصغر اللقمة ، ويجود مضغها ، وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الاخرى ، فان ذلك عجلة فى الأكل . وأن لايذم مأكولا . كان صلى الله عليه وسلم [3] « لَا يَعِيبُ مَأْكُولاً ، كَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ » وأن يأكل مما يليه ، الا الفاكهة فان له أن يجيل يده فيها . قال صلى الله عليه وسلم [4] « كُلْ مِمَّا يَلِيكَ » ثم كان صلى الله عليه وسلم [5] « يَدُورُ عَلَى الْفَاكِهَةِ فَقِيلَ لَهُ فِى ذٰلِكَ فَقَالَ لَيْسَ هُوَ نَوْعًا وَاحِداً » وأن لا يأكل من دورة القصعة

---

(١) حديث اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه : د ه من حديث وحشي بن حرب باسناد حسن

(٢) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف

(٣) حديث أنس كان لايعيب مأكولا إن أعجبه أكله وإلا تركه : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث كل مايليك : متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة

(٥) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا : ت ه من حديث عكراش بن ذويب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق فقال ياعكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب فى الضعفاء

ولا من وسط الطعام ، بل يأكل من استدارة الرغيف ، إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ، ولا يقطع (١) بالسكين ، ولا يقطع اللحم أيضا (٢) فقد نهى عنه ، وقال انهشوه نهشا ، ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا مايؤكل به . قال صلى الله عليه وسلم « أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ » ولا يمسح يده بالخبز . وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا وَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » (٤) « وَلَا يَنْفُخْ فِي الطَّعَامِ الْحَارِّ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ » بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو مااتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ماله عجم وثفل وأن لا يترك مااسترذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام ، الا إذا غص بلقمة أوصدق عطشه ، فقد قيل ان ذلك مستحب في الطب ، وإنه دباغ المعدة .

وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ، ويقول بسم الله ، ويشربه مصا لا عبا . قال صلى الله عليه وسلم (٥) « مُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا وَلَا تَعُبُّوهُ عَبًّا فَإِنَّ الْكُبَادَ مِنَ الْعَبِّ » ولا يشربه قائما ولا مضطجعا ، فانه صلى الله عليه وسلم (٦) « نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا » وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) شَرِبَ قَائِمًا » ولعله كان لعذر . ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه ، وينظر في الكوز

---

(١) حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين : رواه حب في الضعفاء من حديث أبي هريرة فيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف

(٢) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين : د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر و ت هـ من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف

(٣) حديث إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لايدري في أي طعامه البركة : م من حديث أنس وجابر

(٤) حديث النهى عن النفخ في الطعام والشراب : أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وت وصححه ابن ماجه الا انهم قالوا في الاناء وت وصححه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب

(٥) حديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشطر الأول ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصا

(٦) حديث النهى عن الشرب قائما : م من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة

(٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما : متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم

قبل الشرب ، ولا يتجشأ ولا يتنفس فى الكوز ، بل ينحيه عن فه بالحمد ، ويرده بالتسمية . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] بعد الشرب « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى جَعَلَهُ عَذْباً فُرَاتاً بِرَحْمَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا » والكوز وكل مايدار على القوم يدار يمنة . وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ، وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله ، واعرابى عن يمينه ، وعمر ناحية، فقال عمر رضى الله عنه، أعط أبابكر ، فناول الاعرابى ، وقال الأيمن فالأيمن . ويشرب فى ثلاثة أنفاس ، يحمد الله فى أواخرها ، ويسمي الله فى أوائلها ، ويقول فى آخر النفس الاول الحمد لله وفى الثانى يزيد رب العالمين ، وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم

فهذا قريب من عشرين أدبا فى حالة الأكل والشرب ، دلت عليها الأخبار والآثار

القسم الثالث

ما يستحب بعد الطعام

وهو أن يمسك قبل الشبع ، ويلعق أصابعه ، ثم يمسح بالمنديل ، ثم يغسلها . ويلتقط فتات الطعام . قال صلى الله عليه وسلم [٢] « مَنْ أَكَلَ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْمَائِدَةِ عَاشَ فِى سَعَةٍ وَعُوفِيَ فِى وَلَدِهِ » ويتخلل ولا يبتلع كل مايخرج من بين أسنانه بالخلال الا مايجمع من أصول أسنانه بلسانه . أما المخرج بالخلال فيرميه ، وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلعق القصعة ويشرب ماءها ويقال : من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة . وان التقاط الفتات مهور الحور العين . وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ [١]) ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وتنزل البركات .

---

(١) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين

(٢) حديث من أكل ماسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده : أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطي سعة من الرزق ووقي فى ولده وكلاهما منكر جدا

(١) البقرة : ١٧٢

اللهم أطعمنا طيبا ، واستعملنا صالحا وإن أكل شبهة فليقل : الحمد لله على كل حال ، اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك . ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ، ولإيلاف قريش ، ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا . فان أكل طعام الغير فليدع له ، وليقل اللهم أكثر خيره ، وبارك له فيما رزقته ، ويسر له أن يفعل فيه خيرا ، وقنعه بما أعطيته ، واجعلنا وإياه من الشاكرين وأن أفطر عند قوم ، فليقل أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة . وليكثر الأستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ، ليطفىء بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها ، لقوله صلى الله عليه وسلم [1] (كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو . وليقل إذا أكل لبنا [2] (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِمَا رَزَقْتَنَا وَزِدْنَا مِنْهُ)

فان أكل غيره قال : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه . ويستحب عقيب الطعام أن يقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، سيدنا ومولانا ، يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف ، فلك الحمد آويت من يُتم ، وهديت من ضلالة ، وأغنيت من عيلة ، فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه ، كما أنت أهله ومستحقه ، اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا ، واجعله عونا لنا على طاعتك . ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك

وأما غسل اليدين بالاشنان ، فكيفيته أن يجعل الاشنان في كفه اليسرى ، ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس ، فيمسح به شفتيه ، ثم ينعم غسل الفم باصبعه ، ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ، ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرا وبطنا . ويستغني بذلك عن اعادة الأشنان إلى الفم واعادة غسله .

---

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به : هو في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ سحت وهو عند ت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به

(٢) حديث القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه : د ت وحسنه و ه من حديث ابن عباس إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه

الباب الثالث

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل وهى سبعة

الأول : أن لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم ، بكبر سن أوزيادة فضل ، إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به ، فحينئذ ينبغى أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل ، واجتمعوا له .

الثانى : أن لا يسكتوا على الطعام ، فان ذلك من سيرة العجم ، ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها

الثالث : أن يرفق برفيقه فى القصعة، فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله ، فان ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا . بل ينبغى أن يقصد الايثار ولا يأكل تمرتين فى دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم . فان قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الأكل ، وقال له كل ، ولا يزيد فى قوله كل على ثلاث مرات ، فان ذلك الحاح وافراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم [2] يكرر الكلام ثلاثا فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع . قال الحسن بن على رضى الله عنهما : الطعام أهون من أن يحلف عليه

الرابع : أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل . قال بعض الأدباء : أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده فى الأكل ، وحمل عن أخيه مؤنة القول . ولا ينبغى أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه ، فان ذلك تصنع . بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئا فى الوحدة ، ولكن يعود نفسه حسن الادب فى الوحدة ، حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع . نعم ، لو قلل من أكله ايثارا لاخوانه ونظر لهم عند الحاجة إلى ذلك

﴿ الباب الثانى فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل ﴾

(١) حديث كان إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث : أحمد من حديث جابر فى حديث طويل ومن حديث أبى حدرد أيضا وأسنادها حسن

(٢) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا : خ من حديث أنس كان يعيد الكلمة ثلاثا

فهو حسن . وإن زاد فى الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فى الأكل ، فلا بأس به ، بل هو حسن . وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول : من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ، ويعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم ، وذلك لدفع الحياء ، وزيادة النشاط فى الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما أحب اخوانى إلى أكثرهم أكلا ، وأعظمهم لقمة . وأثقلهم عَلَىَّ من يحوجنى إلى تعهده فى الأكل . وكل هذا إشارة إلى الجرى على المعتاد وترك التصنع . وقال جعفر رحمه الله أيضا تتبين جودة محبة الرجل لاخيه بجودة أكله فى منزله

الخامس : إن غسل اليد فى الطست لاباس به ، وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده ، وإن أكل مع غيره فلا ينبغى أن يفعل ذلك. فاذا قدم الطست إليه غيره إكراماً له فليقبله. اجتمع أنس ابن مالك وثابت البنانى رضى الله عنهما على طعام ، فقدم أنس الطست إليه ، فامتنع ثابت ، فقال أنس : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها ، فانما يكرم الله عز وجل : وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير ، فصب الرشيد على يده فى الطست ، فلما فرغ قال ياأبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ فقال لا قال صبه أمير المؤمنين . فقال ياأمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته ، فاجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله .

ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة ، فهو أقرب إلى التواضع ، وأبعد عن طول الانتظار . فان لم يفعلوا ، فلا ينبغى أن يصب ماء كل واحد، بل يجمع الماء فى الطست . قال صلى الله عليه وسلم [1] (اجْمَعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمْ) قيل إن المراد به هذا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الامصار: لا يرفع الطست من بين يدى قوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم. وقال ابن مسعود : اجتمعوا على غسل اليد فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم

والخادم الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما، وأحب أن يكون جالسا لانه أقرب إلى التواضع . وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب جالسا على يد واحد خادم جالسا

(١) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم : رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى هريرة باسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة ابراهيم وقال انه معضل وفيه نظر

فقام المصبوب عليه ، فقيل له لم قمت ؟ فقال أحدنا لا بدوأن يكون قائماوهذا أولى لانه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى تواضع الذى يصب .وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك

ففى الطست اذا سبعة آداب:أن لا يبزق فيه.وأن يقدم به المتبوع.وأن يقبل الاكرام بالتقديم.وأن يدار يمنة.وأن يجتمع فيه جماعة.وأن يجمع الماء فيه . وأن يكون الخادم قائما . وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق،حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه.وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه.هكذا فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما، فى أول نزوله عليه ، وقال لا يروعك مارأيت منى ، لخدمة الضيف فرض .

السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ، ولا يراقب أكلهم فيستحيون. بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه.ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده. بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا . فان كان قليل الأكل،توقف فى الابتداء وقلل الأكل حتى إذاتوسعوا فى الطعام أكل معهم أخيرا.فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنهم فان امتنع لسبب فليعتذر إليهم ، دفعا للخجلة عنهم

السابع : أن لا يفعل مايستقذره غيره . فلا ينفض يده فى القصعة ، ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة فى فيه . وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام ،وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة فى الخل ، ولا الخل فى الدسومة ، فقد يكرهه غيره . واللقمة التى قطعها بسنه، لا يغمس بقيتها فى المرقة والخل . ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات

الباب الثالث

فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان والزائرين

تقديم الطعام إلى الاخوان فيه فضل كثير.قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : إذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس ، فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله : كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم ، يحاسب عليها ألبتة إلا نفقة الرجل على إخوانه فى الطعام ، فان الله يستحيى أن يسأله عن ذلك،

هذا مع ماورد من الأخبار فى الاطعام . قال صلى الله عليه وسلم «[١] لَا تَزَالُ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَادَامَتْ مَائِدَتُهُ مَوْضُوعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى تُرْفَعَ» وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه . وكان يقول : بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] أنه قال «إِنَّ الْإِخْوَانَ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ لَمْ يُحَاسَبْ مَنْ أَكَلَ فَضْلَ ذَلِكَ» فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك . وفى الخبر [٣] «لَا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَى مَا يَأْكُلُهُ مَعَ إِخْوَانِهِ» وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده . وفى الخبر «[٤] ثَلَاثَةٌ لَا يُحَاسَبُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ أَكْلَةُ السُّحُورِ، وَمَا أَفْطَرَ عَلَيْهِ، وَمَا أَكَلَ مَعَ الإِخْوَانِ» وقال على رضى الله عنه : لأن أجمع اخوانى على صاع من طعام ، أحب إلى من أن أعتق رقبة ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : من كرم المرء طيب زاده فى سفره وبذله لأصحابه . وكان الصحابة رضى الله عنهم يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق . وكانوا رضى الله عنهم يجتمعون على قراءة القرءان ، ولا يتفرقون إلا عن ذواق ، وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا ، وفى الخبر [٥] (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي : فَيَقُولُ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ جَاعَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، وَلَوْ أَطْعَمْتَهُ كُنْتَ أَطْعَمْتَنِي

---

(١) حديث : لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبرانى فى الأوسط ، من حديث عائشة ، بسند ضعيف

(٢) حديث : ان الآخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل

(٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكله مع اخوانه . هو فى الحديث الذى بعده بمعناه

(٤) حديث : ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور ، وما أفطر عليه ، وما أكل مع الأخوان ، الازدى فى الضعفاء ، من حديث جابر ، ثلاثة لا يسئلون عن النعيم : الصائم ، والمتسحر ، والرجل يأكل مع ضيفه . أورده فى ترجمة سليمان بن داود الجزرى ، وقال فيه منكر الحديث ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس ، نحوه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث : يقول الله للعبد يوم القيامة يابن آدم جعت فلم تطعمنى ـ الحديث . م . من حديث أبى هريرة بلفظ استطعمتك فلم تطعمنى

وقال صلى الله عليه وسلم[1] «إِذَا جَاءَكُمُ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ» وقال صلى الله عليه وسلم[2] «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، هِيَ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» وقال صلى الله عليه وسلم[3] «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ» وقال صلى الله عليه وسلم[4] «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّى يُشْبِعَهُ، وَسَقَاهُ حَتَّى يَرْوِيَهُ بَعَّدَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِسَبْعِ خَنَادِقَ، مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَقَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»

وأما آدابه: فبعضها في الدخول، وبعضها في تقديم الطعام

آداب الدخول للطعام

أما الدخول، فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم، فيدخل عليهم وقت الأكل، فان ذلك من المفاجأة، وقد نهى عنه. قال الله تعالى (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ)[(1)] يعني منتظرين حينه ونضجه. وفي الخبر[5] «مَنْ مَشَى إِلَى طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ مَشَى فَاسِقاً وَأَكَلَ حَرَاماً» ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام، أن لا يأكل ما لم يؤذن له، فاذا قيل له كل، نظر، فان علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد، وإن كانوا يقولونه حياء منه، فلا ينبغي أن يأكل، بل ينبغي أن يتعلل. أما إذا كان جائعا، فقصد بعض إخوانه ليطعمه، ولم يتربص به وقت

---

(١) حديث إذا جاءكم الزائر فاكرموه: الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس، وهو حديث منكر. قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه

(٢) حديث: ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام. ت. من حديث علي، وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق، وقد تكلم فيه من قبل حفظه

(٣) حديث: خيركم من أطعم الطعام. أحمد، والحاكم، من حديث صهيب، وقال صحيح الأسناد

(٤) حديث: من أطعم أخاه حتى يشبعه، وسقاه حتى يرويه؛ بعده الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام، الطبراني، من حديث عبد الله بن عمر. وقال ابن حبان، ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الذهبي، غريب منكر

(٥) حديث: من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما. هق. من حديث عائشة نحوه، وضعفه ولأبي داود، من حديث ابن عمر، من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا اسناده ضعيف

---

(1) الأحزاب: ٥٣

أكله ، فلا بأس به . قَصَدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [1] وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَنْزِلَ أَبِي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري لأَجْلِ طَعَامٍ يَأْكُلُونَهُ وَكَانُوا جِيَاعًا» والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام . وهي عادة السلف وكان عون بن عبدالله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقاً ، يدور عليهم في السنة . ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر . ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة . فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم

فان دخل ولم يجد صاحب الدار ، وكان واثقا بصداقته ، عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه . إذ المراد من الإذن الرضاء لاسيما في الأطعمة ، وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالأذن ويحلف ، وهو غير راض ، فأكل طعامه مكروه . ورب غائب لم يأذن ، وأكل طعامه محبوب . وقدقال تعالى (أَوْ صَدِيقِكُمْ [1]) وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [2] دَارَ بَرِيرَةَ وَأَكَلَ طَعَامَهَا وَهِيَ غَائِبَةٌ ، وَكَانَ الطَّعَامُ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَالَ بَلَغَتِ الصَّدَقَةُ مَحِلَّهَا » وذلك لعلمه بسرورها بذلك . لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان ، اكتفاء بعلمه بالاذن . فان لم يعلم فلابد من الاستئذان أولا ، ثم الدخول . وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن ، فيأكلون مايجدون بغير اذن ، وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ، ويقول هكذا كنا . وروى عن الحسن رضي الله عنه ، أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال في السوق ، يأخذ من هذه الجونة تينة ، ومن هذه قسبة . فقال له هشام : مابدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير اذنه ! فقال يالكع ، اتل علي آية الاكل . فتلا إلى

(١) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم منزل أبى الهيثم بن التيهان ، وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه : أما قصة أبى الهيثم فرواها ت من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عند م لكن ليس فيها ذكر لأبى الهيثم وانما قال رجل من الأنصار وأما حديث قصدهم منزل أبى أيوب فرواها الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان من الصدقة فقال بلغت الصدقة مكانها : متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبى صلى الله عليه وسلم هولها صدقة ولنا هدية وأما قوله بلغت محلها فقاله فى الشاة التى أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية

(١) النور : ٦١

قوله تعالى (أَوْصَدِيقِكُمْ) فقال فمن الصديق يا أباسعيد ؟ قال من استروحت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب . ومشى قوم الى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ، ففتحوا الباب ،وأنزلوا السفرة ، وجعلوا يأكلون . فدخل الثورى وجعل يقول : ذكرتمونى أخلاق السلف ، هكذا كانوا . وزار قوم بعض التابعين ، ولم يكن عنده مايقدمه اليهم ، فذهب الى منزل بعض اخوانه ، فلم يصادفه فى المنزل ، فدخل فنظر الى قدر قد طبخها ، والى خبز قد خبزه وغير ذلك ، فحمله كله ، فقدمه الى أصحابه ، وقال كلوا . فجاء رب المنزل فلم ير شيأ . فقيل له قد أخذه فلان ، فقال قد أحسن . فلما لقيه قال يا أخى إن عادوا فعد

فهذه آداب الدخول

آداب تقديم الطعام

وأما آداب التقديم فترك التكلف أولا ، وتقديم ماحضر . فان لم يحضره شىء ولم يملك ، فلايستقرض لأجل ذلك ، فيشوش على نفسه . وان حضره ماهو محتاج اليه لقوته ، ولم تسمح نفسه بالتقديم ، فلاينبغى أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل ، فقال : لولا انى أخذته بدين لأطعمتك منه . وقال بعض السلف فى تفسير التكلف ،أن تطعم أخاك مالاتأكله أنت ، بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : انما تقاطع الناس بالتكلف ، يدعو أحدهم أخاه ، فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه . وقال بعضهم : ماأبالى بمن أتانى من إخوانى ،فانى لا أتكلف له ،انما أُقَرِّب ماعندى ،ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لى ، فيتكلف لى ، فقلت له إنك لاتأكل وحدك هذا ، ولا أنا ، فمابالنا اذا اجتمعنا أكلناه ! فاما أن تقطع هذا التكلف ، أو أقطع المجىء . فقطع التكلف ، ودام اجتماعنا بسببه

ومن التكلف أن يقدم جميع ماعنده ، فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . روى ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه ، فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط : لاتدخل من السوق شيأ ، ولاتدخر مافى البيت ، ولاتجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل مافى البيت فلايترك

(1) النور : ٦١

نوعا إلا ويحضر شيأ منه . وقال بعضهم [1] «دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَقَدَّمَ إِلَيْنَا خُبْزًا وَخَلاًّ وَقَالَ لَوْلاَ أَنَّا نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ» وقال بعضهم: إذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر،وان استزرت فلا تبق ولاتذر . وقال سلمان « أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [2] أَنْ لاَ نَتَكَلَّفَ لِلضَّيْفِ مَالَيْسَ عِنْدَنَا . وَأَنْ نُقَدِّمَ إِلَيْهِ مَاحَضَرَنَا » وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم،أنه زاره إخوانه ، فقدم اليهم كسراً ، وجز لهم بقلا كان يزرعه . ثم قال لهم كلوا ، لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة ، أنهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ، ويقولون لاندرى أيهما أعظم وزرا ، الذى يحتقر مايقدم اليه ، أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه

الأدب الثانى : وهو للزائر أن لا يقترح ، ولا يتحكم بشيء بعينه ، فربما يشق على المزور احضاره . فان خيره أخوه بين طعامين ،فليتخير ايسرهما عليه . كذلك السنة . ففى الخبر [3] «أَنَّهُ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا »وروى الأعمش عن ابى وائل أنه قال مضيت مع صاحب لى نزور سلمان ، فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا.فقال صاحبى لوكان فى هذا الملح سعتر كان أطيب . فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا . فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا . فقال سلمان لوقنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه ، أو كراهته له.فان علم أنه يسر باقتراحه، ويتيسر عليه ذلك،فلا يكره له الاقتراح.فعل الشافعى رضى الله عنه ذلك مع الزعفرانى، إذ كان نازلا عنده ببغداد ، وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ، ويسلمها إلى الجارية

---

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزاً وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم: رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهى من حديث سلمان الفارسى وسيأتى بعده وكلاهما ضعيف وللبخارى عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف

(٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم اليه ماحضرنا : الخرائطى فى مكارم الأخلاق ولأحمد لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك وللطبرانى نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتكلف للضيف ماليس عندنا

(٣) حديث ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما : متفق عليه من حديث عائشة وزاد مالم يكن إثما ولم يذكرها م فى بعض طرقه

فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام ، وألحق بها لونا آخر بخطه . فلما رأى الزعفراني ذلك اللون ، أنكر وقال : ما أمرت بهذا فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها خط الشافعي . فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك ، وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكتاني : دخلت على السرى ، فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح . فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة ! فضحك وقال ، هذا أفضل لك من حجة . وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع : مع الفقراء بالايثار ، ومع الأخوان بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب

الأدب الثالث : أن يشهي المزور أخاه الزائر ، ويلتمس منه الاقتراح ، مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح . فذلك حسن ، وفيه أجر وفضل جزيل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ صَادَفَ مِنْ أَخِيهِ شَهْوَةً غُفِرَ لَهُ .وَمَنْ سَرَّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَقَدْ سَرَّ اللهَ تَعالى » وقال صلى الله عليه وسلم [2] فيما رواه جابر « مَنْ لَذَّذَ أَخَاهُ بِمَا يَشْتَهِي كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَأَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثَلاثِ جَنَّاتٍ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَجَنَّةِ عَدْنٍ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ »

الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاما ؟ بل ينبغي أن يقدم إن كان . قال الثوري إذا زارك اخوك فلا تقل له أتأكل ؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم . فان أكل وإلا فارفع . وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما ، فلا ينبغي أن يظهره عليه ، أو يصفه لهم . قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله ، فلا تحدثهم به ، ولا يرونه معك . وقال بعض الصوفية : إذا دخل عليكم الفقراء ، فقدموا إليهم طعاما . وإذا دخل الفقهاء ، فسلوهم عن مسئلة . فإذا دخل القراء ، فدلوهم على المحراب .

---

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل : البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمنا فانما سر الله ـ الحديث : قال العقيلي باطل لا أصل له

(٢) حديث جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ـ الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد بن حنبل هذا باطل كذب

الباب الرابع

فى آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولا ، ثم الاجابة ، ثم الحضور ، ثم تقديم الطعام ، ثم الأكل ، ثم الانصراف

ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى فضيلة الضيافة .

قال صلى الله عليه وسلم (١) «لَاتَــكَلَّفُوا لِلضَّيْفِ فَتَبْغَضُوهُ فإِنَّهُ مَنْ أَبْغَضَ الضَّيْفَ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ وَمَنْ أَبْغَضَ اللهَ أَبْغَضَهُ اللهُ» وَقَالَ صلى الله عليه وسلم « (٢) لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ» وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (٣) بِرَجُلٍ لَهُ إِبِلٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يُضَيِّفْهُ وَمَرَّ بِامْرَأَةٍ لَهَا شُوَيْهَاتٌ فَذَبَحَتْ لَهُ . فَقَالَ صلى الله عليه وسلم انْظُرُوا إِلَيْهِمَا، إِنَّمَا هَذِهِ الأَخْلَاقُ بِيَدِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُ خُلُقاً حَسَناً فَعَلَ » وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه نَزَلَ بِهِ صلى الله عليه وسلم (٤) ضَيْفٌ فَقَالَ : قُلْ لِفُلانٍ الْيَهُودِيِّ نَزَلَ بِي ضَيْفٌ فَأَسْلِفْنِي شَيْئاً مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى رَجَبَ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ وَاللهِ مَا أُسْلِفُهُ إِلاَّ بِرَهْنٍ . فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ . وَاللهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ ، أَمِينٌ فِي الأَرْضِ ، وَلَوْ أَسْلَفَنِي لَأَدَّيْتُهُ فَاذْهَبْ بِدِرْعِي وَارْهَنْهُ عِنْدَهُ » وكان ابراهيم الخليل ، صلوات الله عليه وسلامه ، إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان . ولصدق نيته فيه، دامت ضيافته فى مشهده إلى يومنا هذا ، فلا تنقضى ليلة إلا ويأكل عنده

﴿ الباب الرابع فى آداب الضيافة ﴾

(١) حديث لاتتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث سلمان لايتكلفن أحد لضيفه مالايقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق متكلم فيه

(٢) حديث لاخير فيمن لايضيف أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة

(٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لهاشويهات فذبحت له ـ الحديث : الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية أبى المنهال مرسلا

(٤) حديث أبى رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيأ من الدقيق إلى رجب ـ الحديث : رواه إسحق بن راهويه فى مسنده والخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن مردويه فى التفسير باسناد ضعيف

جماعة ، من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوّام الموضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [١] « مَا الإِيمَانُ ؟ فَقَالَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » [٣] وسئل عن الحج المبرور « فقال إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلاَمِ » وقال أنس رضي الله عنه : كل بيت لايدخله ضيف لاتدخله الملائكة . والأخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لاتحصى فلنذكر آدابها

أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم [٤] « أَكَلَ طَعَامَكَ الأَبْرَارُ » في دعائه لبعض من دعا له : وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « لاَ تَأْكُلْ إِلاَّ طَعَامَ تَقِيٍّ وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم [٦] « شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ » وينبغي أن لايهمل أقاربه في ضيافته ، فان إهمالهم إيحاش وقطع رحم . وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه ، فان في تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين . وينبغي أن لايقصد بدعوته المباهاة والتفاخر ، بل استمالة قلوب الاخوان ، والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام ، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين . وينبغي أن لايدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة ، وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب . وينبغي أن لايدعو الا من يحب إجابته . قال سفيان : من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الاجابة ،

---

(١) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماالايمان قال إطعام الطعام وبذل السلام : متفق عليه من حديث عبدالله ابن عمرو بلفظ أي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف

(٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه و ك من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات

(٣) حديث سئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج

(٤) حديث أكل طعامكم الأبرار : د من حديث أنس باسناد صحيح

(٥) حديث لاتأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي : تقدم في الزكاة

(٦) حديث شر الطعام طعام الوليمة ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

فعليه خطيئة ، فان أجاب المدعو ، فعليه خطيئتان . لأنه حمله على الأكل مع كراهة ، ولو علم ذلك لما كان يأكله . وإطعام التقي إعانة على الطاعة . وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك : أنا أخيط ثياب السلاطين ، فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال : لا ، إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة ، أما أنت فمن الظلمة نفسهم

وأما الاجابة فهي سنة مؤكدة : وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع : قال صلى الله عليه وسلم [1] «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»

آداب إجابة الدعوة إلى الطعام

وللاجابة خمسة آداب

الأول : أن لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الاجابة ، وقال ، انتظار المرقة ذل . وقال آخر ، إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي . ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء . وهو خلاف السنة . كَانَ صلى الله عليه وسلم [2] يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَدَعْوَةَ الْمِسْكِينِ . ومر الحسن ابن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق ، وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل ، وهم يأكلون ، وهو على بغلته . فسلم عليهم . فقالوا له هلم إلى الغداء يابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال نعم ، إن الله لا يحب المستكبرين . فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ، ثم سلم عليهم وركب ، وقال ، قد أجبتكم فأجيبوني قالوا نعم . فوعدهم وقتا معلوما ، فحضروا ، فقدم إليهم فاخر الطعام ، وجلس يأكل معهم

وأما قول القائل ، إن من وضعت يدي في قصعته ، فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة ، وليس كذلك . فانه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ، ولا يتقلدها منة ، وكان يرى ذلك يداله على المدعو . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه

---

(١) حديث : لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت . خ من حديث أبي هريرة

(٢) حديث كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين : ت ه من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعفه ت وصححه ك

أن الداعي له يتقلد منة ، ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة . فهذا يختلف باختلاف الحال . فمن ظن به أنه يستثقل الاطعام ، وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا ، [1] فَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ إِجَابَتُهُ . بل الأولى التعلل . ولذلك قال بعض الصوفية: لاتجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك ، وأنه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ، ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه . وقال سري السقطي رحمه الله : آه على لقمة ليس على لله فيها تبعة ، ولا لمخلوق فيها منة . فاذا علم المدعو أنه لامنة في ذلك ، فلا ينبغي أن يرد . وقال أبو تراب النخشبي رحمة الله عليه، عرض على طعام فامتنعت ، فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما، فعلمت أنه عقوبته . وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه ، كل من دعاك تمر اليه ؟ فقال أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني

الثاني : أنه لاينبغي أن يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة ، كما لايمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه . بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع . لاجل ذلك يقال في التوراة أو بعض الكتب: سر ميلا عد مريضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة، سر أربعة أميال زر أخا في الله. وانما قدم إجابة الدعوة والزيارة ، لأن فيه قضاء حق الحي، فهو أولى من الميت . وقال صلى الله عليه وسلم [2] (لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعِ بالغَمِيمِ لَأَجَبْتُ) وهو موضع على أميال من المدينة ، أَفْطَرَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم [3] فِي رَمَضَانَ لَمَّا بَلَغَهُ وَقَصَرَ عِنْدَهُ فِي سَفَرِهِ [4]

---

(١) حديث : ليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة أو تكلفاً . د. من حديث ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين . قال .د. من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس . وللعقيلي في الضعفاء ، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام المتباهيين ، والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء ، قاله أبو موسى المديني

(٢) حديث : لو دعيت الى كراع بالغميم لأجبت ، ذكر الغميم فيه لايعرف ، والمعروف لو دعيت الى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث . ويرد هذه الزيادة مارواه .ت. من حديث أنس، لو أهدي الى كراع لقبلت

(٣) حديث : افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع الغميم رواه .م. من حديث جابر في عام الفتح

(٤) حديث : قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع الغميم ، لم أقف له على أصل ، وللطبراني في الصغير ، من حديث ابن عمر ، كان يقصر الصلاة بالعقيق ، يريد اذا بلغه ، وهذا يرد الأول ، لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثه أميال أو أكثر ، وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم

الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما . بل يحضر . فإن كان يسر أخاه إفطاره ، فليفطر . وليحتسب فى إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ، مايحتسب فى الصوم وأفضل . وذلك فى صوم التطوع . وإن لم يتحقق سرور قلبه ، فليصدقه بالظاهر ، وليفطر . وإن تحقق أنه متكلف ، فليتعلل . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] لمن امتنع بعذر الصوم (تَكَلَّفَ لَكَ أَخُوكَ وَتَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ) وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالافطار . فالافطار ، عبادة بهذه النية ، وحسن خلق ، فثوابه فوق ثواب الصوم . ومهما لم يفطر ، فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب . وقد قيل ، الكحل والدهن أحد القراءين

الرابع : أن يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة ، أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال ، أو كان يقام فى الموضع منكر ، من فرش ديباج ، أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط ، أو سماع شيء من المزامير والملاهي ، أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب ، واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك ، فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ، ويوجب تحريمها أو كراهيتها . وكذلك إذا كان الداعى ظالما ، أو مبتدعا ، أو فاسقا ، أو شريرا ، أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر

الخامس : أن لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، فيكون عاملا فى أبواب الدنيا . بل يحسن نيته ، ليصير بالاجابة عاملا للآخرة ، وذلك بان تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ »

وينوى الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وسلم [2] (مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) حديث : وقال لمن امتنع بعذر الصوم ، تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم . هق . من حديث أبى سعيد الخدرى ، صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ، وأتانى هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام ، قال رجل من القوم إنى صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث . وللدارقطنى نحوه ، من حديث جابر

(٢) حديث : من لم يجب الداعي فقد عصي الله ورسوله . متفق عليه ، من حديث أبي هريرة

وينوى إكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم[١] « مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَكَأَنَّمَا أَكْرَمَ اللَّهَ »

وينوى إدخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم[٢] « مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ » وينوى مع ذلك زيارته ، ليكون من المتحابين فى الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] فيه التزاور والتباذل لله ، وقد حصل البذل من أحد الجانبين ، فتحصل الزيارة من جانبه أيضا

وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن فى امتناعه ، ويطلق اللسان فيه ، بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق ، أو استحقار أخ مسلم ، أو ما يجرى مجراه

فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها ، فكيف مجموعها . وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى في كل عمل نية ، حتى فى الطعام والشراب . وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم[٤] « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » والنية إنما تؤثر فى المباحات والطاعات ، أما المنهيات فلا ، فانه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر ، أو حرام آخر ، لم تنفع النية . ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات . بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة ، المباهاة وطلب المال ، انصرف عن جهة الطاعة . وكذلك المباح ، المردد بين وجوه الخيرات وغيرها ، يلتحق بوجوه الخيرات بالنية . فتؤثر النية فى هذين القسمين ، لا فى القسم الثالث

---

(١) حديث : من أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله تعالى . الاصفهانى فى الترغيب والترهيب ، من حديث جابر . والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر . وأسنادها ضعيفه

(٣) حديث : من سر مؤمنا فقد سر الله . تقدم فى الباب قبله

(٤) حديث : وجبت محبتى للمتزاورين فى والمتباذلين فى . م من حديث أبى هريرة . ولم يذكر المصنف هذا الحديث ، وانما أشار اليه

(٥) حديث : الاعمال بالنيات . متفق عليه ، من حديث عمر بن الخطاب

آداب الحضور لمنزل الداعي والجلوس فيه

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ،ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن ، بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة . بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لايخالفه ألبتة ؛ فانه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد ، فمخالفته تشوش عليه . وإن أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما ، فليتواضع . قال صلى الله عليه وسلم [1] «إِنَّ مِنَ التَّواضُعِ لِلّهِ الرِّضَا بِالدُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ» ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب الحجرة الذى للنساء وسترهم. ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام ، فانه دليل على الشره . ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس .

وإذا دخل ضيف للمبيت ، فليعرفه صاحب المنزل عندالدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما. وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم ،وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى ، لأنه يدعو الناس إلى كرمه ، فحكمه أن يتقدم بالغسل . وفى آخر الطعام يتأخر بالغسل ، لينتظر أن يدخل من يأكل ، فيأكل معه

وإذا دخل فرأى منكرا غيّره إن قدر ، وإلا أنكر بلسانه وانصرف . والمنكر فرش الديباج ، واستعمال أوانى الفضة والذهب ، والتصوير على الحيطان ،وسماع الملاهى والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه ، وغير ذلك من المحرمات . حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ، ينبغى أن يخرج . ولم يأذن فى الجلوس إلا فى ضبة ، وقال؛ إذا رأى كلّة فينبغى أن يخرج ، فان ذلك تكلف لافائدة فيه ، ولا تدفع حرا ولا بردا ، ولا تستر شيأ . وكذلك قال ، يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتافيه صورة،أو دخل الحمام ورأى صورة،فينبغى أن يحكها،فان لم يقدر،خرج

---

(١) حديث : إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس . الخرائطى فى مكارم الأخلاق، وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين ، من حديث طلحة بن عبيد ، بسند جيد

و كل ماذكره صحيح وإنما النظر فى الكلة وتزيين الحيطان بالديباج ، فان ذلك لا ينتهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « هَذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لِإِنَاثِهَا » وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور. ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة. بل الاولى أباحته لموجب قوله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ[١]) لاسيا فى وقت الزينة ، إذا لم يتخذ عادة للتفاخر. وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه. ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج، مهما لبسه الجوارى والنساء. والحيطان فى معنى النساء ، إذ لسن موصوفات بالذكورة

آداب إحضار الطعام

وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة

الأول : تعجيل الطعام. فذلك من اكرام الضيف. وقد قال صلى الله عليه وسلم[٢] « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان ، وتأخروا عن الوقت الموعود ، فحق الحاضرين فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير. الا أن يكون المتأخر فقيرا ، أو ينكسر قلبه بذلك ، فلا بأس فى التأخير. وأحد المعنيين فى قوله تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ[٢]) انهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم. دل عليه قوله تعالى (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ[٣]) وقوله (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ[٤]) والروغان الذهاب بسرعة ، وقيل فى خفية. وقيل جاء بفخذ من لحم ، وإنما سمى عجلا لانه عجله، ولم يلبث. قال[٣] حاتم الاصم الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسَةٍ فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ

---

(١) حديث: هذان حرامان على ذكور أمتي . د. ن. هـ، من حديث علي ، وفيه أبو أفلح الهمداني ، جهله ابن القطان . و.ن.ت . وصححه ، من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد ابن أبي هند وأبي موسى ، فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم

(٢) حديث : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . متفق عليه ، من حديث أبي سريح

(٣) حديث حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الطعام ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب . ت . من حديث سهل بن سعد: الاناة من الله ، والعجلة من الشيطان . وسنده ضعيف . وأما الاستثناء

---

(١) الأعراف ٣٢ (٢) الذاريات ٢٤ (٣) هود ٩٦ (٤) الذاريات ٢٦

صلى الله عليه وسلم إِطْعَامِ الضَّيْفِ وَتَجْهِيزِ الْمَيِّتِ وَتَزْوِيجِ الْبِكْرِ وَقَضَاءِ الدَّيْنِ وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ» ويستحب التعجيل فى الوليمة. قيل الوليمة فى أول يوم سنة، وفى الثانى معروف، وفى الثالث رياء

الثانى: ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة أولا ان كانت، فذلك أوفق فى الطب، فانها أسرع استحالة، فينبغى أن تقع فى أسفل المعدة. وفى القرءان تنبيه على تقديم الفاكهة، فى قوله تعالى (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ[1]) ثم قال (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ[2]) ثم أفضل مايقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد. فقد قال عليه السلام «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». فان جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات. ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف ابراهيم، إذ أحضر العجل الحنيذ أى المحنوذ، وهو الذى أجيد نضجه وهو أحد معنى الاكرام أعنى تقديم اللحم. وقال تعالى فى وصف الطيبات (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى[3]) المن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الأدام ولايقوم غيره مقامه. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «سَيِّدُ الْأُدَامِ اللَّحْمُ» ثم قال بعد ذكر المن والسلوى (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ[4]) فاللحم والحلاوة من الطيبات. قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله

وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل. قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر. وقال بعض الادباء: إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية، وسقيتهم ماء باردا، فقد أكملت الضيافة. وأنفق بعضهم دراهم فى ضيافة فقال بعض الحكماء: لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا، وماؤك باردا، وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام، خير من كثرة الالوان، والتمكن على المائدة

فروى. د. من حديث سعد بن أبى وقاص: التؤدة فى كل شىء إلا فى عمل الآخرة. قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه. وروى المزى فى التهذيب، فى ترجمة محمد بن موسى بن نفيع، عن مشيخة من قومه، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: الاناة فى كل شىء إلا فى ثلاث: اذا صيح فى خيل الله، وإذا نودي بالصلاة، واذا كانت الجنازة ـ الحديث. وهذا مرسل. و. ت. من حديث على: ثلاثة لاتؤخرها: الصلاة اذا أتت، والجنازة اذا حضرت، والأيم اذا وجدت كفؤا وسنده حسن.

---

(1) الواقعة ٢١ (2) الواقعة ٢٢ (3) البقرة ٥٧ (4) البقرة ٥٧

خير من زيادة لونين ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل ، فذلك أيضا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة ، وفى الخبر إن المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل ، وعند ذنبها ملح ، وسبعة أرغفة ، على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة :

الثالث : أن يقدم من الألوان ألطفها ، حتى يستوفى منها من يريد ، ولا يكثر الأكل بعده . وعادة المترفين تقديم الغليظ ، ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده . وهو خلاف السنة . فانه حيلة فى استكثار الأكل . وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ، ويصففون القصاع من الطعام على المائدة ، ليأكل كل واحد مما يشتهى . وأن لم يكن عنده الا لون واحد ، ذكره ، ليستوفوا منه ، ولا ينتظروا أطيب منه

ويحكى عن بعض أصحاب المروءات، أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ، ويعرض على الضيفان . وقال بعض الشيوخ : قدم إلىّ بعض المشايخ لونا بالشام ، فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرا ! فقال وكذا عندنا بالشام . ولم يكن له لون غيره . فخجلت منه وقال آخر : كنا جماعة فى ضيافة ، فقدم الينا ألوان من الرءوس المشوية ، طبيخا وقديدا ، فكنا لا نأكل ، ننتظر بعدها لونا أو حملا . فجاءنا بالطست ، ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ، إن الله تعالى يقدر ان يخلق رءوسا بلا أبدان . قال ، وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا إلى السحور . فلهذا يستحب أن يقدم الجميع ، أو يخبر بما عنده.

الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء ، حتى يرفعوا الأيدى عنها . فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه ، أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل ، فيتنغص عليه بالمبادرة . وهى من التمكن على المائدة ، التى يقال انها خير من لونين . فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال . ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن الستوزى ، وكان صوفيا مزاحا ، فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة فقدم اليهم حمل ، وكان فى صاحب المائدة بخل ، فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ، ضاق صدره ، وقال ، ياغلام : ارفع إلى الصبيان . فرفع الحمل إلى داخل الدار . فقام الستورى

يعدو خلف الحمل ، فقيل له إلى أين ؟ فقال آكل مع الصبيان . فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل

ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم ، فانهم يستحيون . بل ينبغى أن يكون آخرهم أكلا . كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ، ويتركهم يستوفون. فاذا قاربوا الفراغ ، جثا على ركبتيه ، ومديده إلى الطعام وأكل ، وقال ، بسم الله، ساعدونى بارك الله فيكم وعليكم . وكان السلف يستحسنون ذلك منه

الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفايه . فان التقليل عن الكفايه نقص فى المروءة ، والزيادة عليه تصنع ومراءاة ، لاسيما إذا كانت نفسه لا تسمح بان يأكلوا الكل ، إلا أن يقدم الكثير ، وهو طيب النفس لو أخذو الجميع ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم . إذ فى الحديث : لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته ، فقال سفيان ، يا أبا اسحق ، أما تخاف أن يكون هذا سرفا ؟ فقال إبراهيم ، ليس فى الطعام سرف . فان لم تكن هذه النية ، فالتكثير تكلف . قال ابن مسعود رضى الله عنه : نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه . وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة . ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط ، لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ، ولا يأكلون تمام الشبع

وينبغى أن يعزل أولا نصيب أهل البيت ، حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شىء منه ، فلعله لا يرجع ، فتضيق صدورهم ، وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم . ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم . وذلك خيانة فى حقهم

وما بقى من الأطعمة ، فليس للضيفان أخذه . وهو الذى تسميه الصوفيه الزلة . إلا إذا صرح صاحب الطعام ، بالأذن فيه عن قلب راض ، أو علم ذلك بقرينة حاله ، وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته ، فلا ينبغى أن يؤخذ . وإذا علم رضاه ، فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء . فلا ينبغى أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه ، أو ما يرضى به رفيقه عن طوع ، لا عن حياء

آداب الانصراف

فاما الأنصراف فله ثلاثة آداب :

الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار ، وهو سنة . وذلك من اكرام الضيف وقد أمر باكرامه. قال عليه الصلاة والسلام «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» وقال عليه السلام «إِنَّ مِنْ سُنَّةِ الضَّيْفِ أَنْ يُشَيَّعَ إِلَى بَابِ الدَّارِ قال أبو قتادة قَدِمَ وَفْدُ النَّجَاشِيِّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَامَ يَخْدِمُهُمْ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَحْنُ نَكْفِيكَ يَارَسُولَ اللهِ فَقَالَ كَلاَّ إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِي مُكْرِمِينَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ

وتمام الاكرام طلاقة الوجه ، وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة ، قيل للاوزاعى رضى الله عنه ، ما كرامة الضيف؟ قال طلاقة الوجه ، وطيب الحديث . وقال يزيد بن أبى زياد، مادخلت على عبدالرحمن بن أبى ليلى الا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا:

الثانى : أن ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى فى حقه تقصير ، فذلك من حسن الخلق والتواضع، قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ودعى بعض السلف برسول ، فلم يصادفه الرسول، فلما سمع حضر ، وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل، وقال قد خرج القوم ، فقال هل بقى بقية؟ قال لا، قال فكسرة إن بقيت ، قال لم تبق، قال فالقدر أمسحها، قال قد غسلتها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له فى ذلك، فقال قد أحسن الرجل، دعانا بنية، وردنا بنية، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق:

وحكى ان أستاذ أبى القاسم الجنيد ، دعاه صبى الى دعوة أبيه أربع مرات ، فرده الأب فى المرات الأربع ،وهو يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى بالحضور، ولقلب الأب بالانصراف

فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى ، واطمأنت بالتوحيد، وصارت تشاهد فى كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها، فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الاذلال، كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الاكرام ، بل يرون الكل من الواحد القهار . ولذلك قال بعضهم ، أنا لا أجيب الدعوة الا لأنى أتذكر بها طعام الجنة ، أى هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه :

الثالث : أن لايخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ، ويراعى قلبه في قدر الاقامة . واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه : قال صلى الله عليه وسلم (١) «الضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا زَادَ فَصَدَقَةٌ» نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام اذا ذاك : ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِلْمَرْأَةِ ، وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ»

فصل

يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة

الأول : حكى عن ابراهيم النخعي أنه قال (٣) «الأَكْلُ فِي السُّوقِ دَنَاءَةٌ» وأسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده قريب : وقد نقل ضده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال (٤) «كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نَمْشِي ، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ » ورؤى بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين يأكل فى السوق ، فقيل له فى ذلك ، فقال ويحك أجوع فى السوق وآكل فى البيت : فقيل تدخل المسجد ، قال أستحى أو أدخل بيته للأكل فيه

ووجه الجمع أن الأكل فى السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه . وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله ، حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك فى الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله فى ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا

الثانى . قال على رضى الله عنه ، من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ، ومن أكل فى يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ، ومن أكل كل يوم

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى

(٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر

(٣) حديث الاكل فى السوق دناءة الطبرانى من حديث أبى أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث أبى هريرة

(٤) حديث ابن عمر كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام ت و. وصححه

احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيأ يكرهه واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب ، والبسقارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ،ولحم البقر داء ، ولبنها شفاء ، وسمنها دواء ، والشحم يخرج مثله من الداء . ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من الرطب . والسمك يذيب الجسد.وقراءة القرءان والسواك يذهبان البلغم .ومن أراد البقاء ولابقاء فليباكر بالغداء وليقدر العشاء وليلبس الحذاء .ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن،وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين

الثالث : قال الحجاج لبعض الاطباء ، صف لي صفة آخذ بها ولا أعدوها ، قال لاتنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ، ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه، ولا تشربن دواء الا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ، ولا تأكلن طعاما الا أجدت مضغه وكل ماأحببت من الطعام ، ولاتشربن عليه ، فاذا شربت فلا تأكلن عليه شيئا ،ولاتحبس الغائط والبول ، واذا أكلت بالنهار فنم ، واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة . وفي معناه قول العرب ، تغد تمد ، تعش تمش ، يعني تمدد . كما قال الله تعالى(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى [١])أي يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ماحوله اذا سد مجراه

الرابع : في الخبر [١] « قَطْعُ الْعُرُوقِ مَسْقَمَةٌ ، وَتَرْكُ الْعَشَاءِ مَهْرَمَةٌ »والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة . يعني الالية ، وقال بعض الحكماء لابنه ، يابني لاتخرج من منزلك حتي تأخذ حلمك . أي تتغذى ، اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش ، وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى في السوق . وقال حكيم لسمين ، أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فمم هي ؟قال من أكل لباب البر ، وصغار المعز ، وأدهن بخام بنفسج وألبس الكتان

الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض، هكذا قيل . وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه، وعلى شك من العوافي . وهذا حسن في حال الصحة وَرَأَى رَسُولُ اللهِ

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة ابن عدي في الكامل من حديث عبد الله ابن جراد بالشطر الأول و . ت من حديث أنس بالشطر الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث جابر

(١) القيامة : ٣٣

صلى الله عليه وسلم[١] «صُهَيْبًا يَأْكُلُ تَمْرًا وَإِحْدَى عَيْنَيْهِ رَمْدَاءُ فَقَالَ أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمِدٌ ! فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ إِنَّمَا آكُلُ بِالشِّقِّ الآخَرِ ، يعنى جانب السليمة فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

السادس: أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت[٢] « وَلَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ شُغِلُوا بِمَيِّتِهِمْ عَنْ صُنْعِ طَعَامِهِمْ فَاحْمِلُوا إِلَيْهِمْ مَا يَأْكُلُونَ » فذلك سنة . واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه ، الا ماهيئ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع ، فلا ينبغي أن يؤكل معهم

السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم ، فان أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان ، فقال كنت مكرها ، فقال رأيتك تقصد الأطيب ، وتكبر اللقمة ، وما كنت مكرها عليه . وأجبر السلطان هذا المزكي على الأكل ، فقال أما أن آكل وأخلي التزكية ، أو أزكي ولا آكل . فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي أن ذا النون المصرى حبس ولم يأكل أياما في السجن ، فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاما من مغزلها على يد السجان . فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك ، فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم . وأشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع

الثامن : حكي عن فتح الموصلي رحمه الله ، أنه دخل على بشر الحافي زائرا ، فاخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه ، وقال اشتر به طعاما جيدا ، وأدما طيبا . قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم[٣] لشيء «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ » سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه فأكل وأخذ الباقي . فقال بشر أتدرون لم قلت . اشتر طعاما طيبا؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر . أتدرون لم لم يقل لي كل؟ لأنه ليس

---

(١) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما أمضغ بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم: ه من حديث صهيب باسناد جيد

(٢) حديث لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون :د . ت . ه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس

(٣) حديث اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن: تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل

للضيف أن يقول لصاحب الدار كل : أتدرون لم حمل ما بقى؟ لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل

وحكى أبو على الروذباذى رحمه الله عز رجل ، أنه اتخذ ضيافة ، فاوقد فيها ألف سراج فقال له رجل قداسرفت ، فقال له ادخل،فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه . فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها . فانقطع . واشترى أبو على الروذباذى احمالا من السكر ، وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر ، عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ، ثم دعا الصوفيه حتى هدموها وانتهبوها .

التاسع : قال الشافعى رضى الله عنه ، الأكل على أربعة انحاء : الأكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر ،(١) وبثلاث أصابع من السنة ، وبأربع وخمس من الشره . وأربعة أشياء تقوى البدن : أكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان أربعة توهن البدن: كثرة الجماع وكثرة الهم،وكثرة شرب الماء على الريق ، وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوى البصر : الجلوس تجاه القبلة ، والكحل عند النوم ، والنظر إلى الخضرة،وتنظيف الملبس . وأربعة توهن البصر : النظر إلى القذر ، والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود فى استدبار القبلة.وأربعة تزيد فى الجماع:أكل العصافير،وأكل الاطريفل الاكبر وأكل الستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة انحاء:فنوم على القفا، وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون فى خلق السموات والأرض . ونوم على اليمين ، وهو نوم العلماء والعباد . ونوم على الشمال ، وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم . ونوم على الوجه ، وهو نوم الشياطين. وأربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ، والعلماء. وأربعة هن من العبادة : لايخطو خطوة الا على وضوء ، وكثرة السجود ، ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرءان

وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ، ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لايموت ؟ وعجبت لمن احتجم ، ثم يبادر الأكل ، كيف لايموت ! وقال لم أرشيئا أنفع فى الوباء من البنفسج ، يدهن به ويشرب ، والله أعلم بالصواب .

(١) حديث الأكل بثلاث أصابع من السنة من حديث كعب بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث صابع . وروى ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس موقوفا كل بثلاث أصابع فانه من السنة .

کتاب آداب النکاح

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا تصادف سهام الأوهام فى عجائب صنعه مجرى ، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى ، ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى، فهى تتوالى عليهم اختيارا وقهرا . ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا ، فجعله نسبا وصهرا ، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبرا ، واستبقى بها نسلهم إقهارا وقسرا ، ثم عظم أمر الانساب وجعل لها قدرا ، فحرم بسببها السفاح وبالغ فى تقبيحه ردعا وزجرا، وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرا إمرا ، وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا، فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدما وكسرا ، ثم بث بذور النطف فى أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله الكسير الموت جبرا ، تنبيها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا، وخيرا وشرا ، وعسرا ويسرا ، وطيا ونشرا ، والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالانذار والبشرى ، وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ، ومهين للشياطين ، وحصن دون عدو الله حصين ، وسبب التكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين . فما أحراه بأن تتحرى أسبابه ، وتحفظ سننه وآدابه ، وتشرح مقاصده وآرابه ، وتفصل فصوله وأبوابه ، والقدر المهم من أحكامه ينكشف فى ثلاثة أبواب

الباب الأول : فى الترغيب فيه وعنه

الباب الثانى : فى الآداب المرعية فى العقد والعاقدين

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق

الباب الأول

فى الترغيب فى النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح ، فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلى لعبادة الله ، واعترف آخرون بفضله ، ولكن قدموا عليه التخلى لعبادة الله ، مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ، ويدعو إلى الوقاع . وقال آخرون الأفضل تركه فى زماننا هذا ، وقد كان له فضيلة من قبل ، إذ لم تكن الأكساب محظورة ، وأخلاق النساء مذمومة ، ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن يقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار فى الترغيب فيه ، والترغيب عنه ، ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله ، حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

الترغيب فى النكاح

أما من الآيات : فقد قال الله تعالى :(وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ)[1] وهذا أمر . وقال تعالى (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ[2]) وهذا منع من العضل ، ونهى عنه . وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً[3]) فذكر ذلك فى معرض الامتنان وإظهار الفضل ، ومدح أولياءه بسؤال ذلك فى الدعاء فقال (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ[4]) الآية

ويقال إن الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الأنبياء الا المتأهلين ، فقالوا ان يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجامع ، قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة ، وقيل لغض البصر . وأما عيسى عليه السلام ، فانه سينكح اذا نزل الأرض ويولد له

وأما الأخبار : فقوله صلى الله عليه وسلم « النِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَقَدْ رَغِبَ عَنِّي » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « النِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي »

---

(١) حديث : النكاح سنتى ، فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى : أبو يعلى فى مسنده مع تقديم وتأخير ، من حديث ابن عباس بسند حسن

---

(١) النور : ٣٢ (٢) البقرة : ٢٣٢ (٣) الرعد : ٣٨ (٤) الفرقان : ٧٤

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم [١] « تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى بِالسِّقْطِ » وقال أيضا عليه السلام [٢] « مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ ، فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » وهذا ذم لعلة الامتناع ، لا لأصل الترك . وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ » وقال [٥] « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَا فَلْيَصُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج . والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته ، فهو مستعار للضعف عن الوقاع فى الصوم . وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَزَوِّجُوهُ . إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد . وقال صلى الله عليه وسلم [٧] « مَنْ نَكَحَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ اسْتَحَقَّ وِلَايَةَ اللَّهِ » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(٢) حديث : تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط . أبو بكر بن مردويه فى تفسيره ، من حديث ابن عمر ، دون قوله حتى بالسقط . واسناده ضعيف ، وذكره بهذه الزيادة البيهقى فى المعرفة ، عن الشافعى أنه بلغه

(٣) حديث : من رغب عن سنتى فليس منى ، وإن من سنتى النكاح ، فمن أحبنى فليستن بسنتى . متفق على أوله ، من حديث أنس : من رغب عن سنتى فليس منى . وباقيه تقدم قبله بحديث

(٤) حديث : من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا . رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس ، من حديث أبى سعيد بسند ضعيف ، وللدارمي فى مسنده ، والبغوى فى معجمه ، وأبى داود فى المراسيل ، من حديث أبى نجيح : من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا ، وأبو نجيح اختلف فى صحته

(٥) حديث من كان ذا طول فليتزوج . ه . من حديث عائشة ، بسند ضعيف

(٦) حديث : من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث . متفق عليه ، من حديث ابن مسعود

(٧) حديث : إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير . ت . من حديث أبى هريرة ، ونقل عن خ انه لم يعده محفوظا ، وقال دانه خطأ ، ورواه ت أيضا من حديث أبى حاتم المزنى ، وحسنه ، ورواه د فى المراسيل ، وأعله ابن القطان بارساله ، وضعف رواته

(٨) حديث : من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل . أحمد بسند ضعيف ، من حديث معاذ بن أنس : من أعطى لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، وأنكح لله ، فقد استكمل إيمانه

(١) « مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة ، تحصنا من الفساد . فكان المفسد لدين المرء فى الأغلب فرجه وبطنه ، وقد كفى بالتزويج أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يَنْقَطِعُ إِلاَّ ثَلاَثٌ : وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ ـ الحديث» ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح

وأما الآثار فقال عمر رضى الله عنه : لا يمنع من النكاح الا عجز أو فجور . فبين أن الدين غير مانع منه ، وحصر المانع فى أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج : يحتمل أنه جعله من النسك ، وتتمة له ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبه الشهوة الا بالتزويج ، ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب ، ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول : إن أردتم النكاح أنكحتكم ، فان العبد إذا زنى نزع الأيمان من قلبه . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا . وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله عنه فى الطاعون ، وكان هو أيضا مطعونا فقال : زوجونى فانى أكره أن ألقى الله عزبا . وهذا منهما يدل على انهما رأيا فى النكاح فضلا، لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول : ما أتزوج إلا لأجل الولد . وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) يخدمه ، ويبيت عنده لحاجة ان طرقته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أَلاَ تَتَزَوَّجُ ؟ فقال يا رسول الله انى فقير لا شىء لى ، وأنقطع عن خدمتك ، فسكت ، ثم عاد ثانيا ، فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابى وقال : والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحنى فى دنيـــاى وآخرتى ، وما يقربنى إلى الله منى ،

---

(١) حديث : من تزوج فقد أحرز شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الآخر . ابن الجوزى فى العلل، من حديث أنس ، بسند ضعيف . وهو عند الطبرانى فى الأوسط ، بلفظ فقد استكمل نصف الايمان . وفى المستدرك، وصحح اسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه الحديث

(٢) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة ، فذكر فيه وولد صالح يدعو له . م . من حديث أبى هريرة بنحوه

(٣) حديث: كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبيت عنده لحاجة إن طرقته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج الحديث . أحمد . من حديث ربيعة الأسلمى ، فى حديث طويل ، وهو صاحب القصة ، باسناد حسن

ولئن قال لى الثلاثة لأفعلن . فقال له الثالثة « لا تتزوج » ؟ قال فقلت يارسول الله زوجنى ، قال أذهب إلى بنى فلان ، فقل ان رسول الله صلى عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتاتكم قال فقلت يارسول الله لاشىء لى، فقال لأصحابه «اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب» فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فانكحوه ، فقال له «أولم» وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح

وحكى ان بعض العباد فى الأمم السالفة فاق أهل زمانه فى العبادة ، فذكر لنبى زمانه حسن عبادته ، فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنة ، فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال : أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكنى فقير ، وأنا عيال على الناس ، قال أنا أزوجك ابنتى فزوجه النبي عليه السلام ابنته . وقال بشر ابن الحرث : فضل علىّ أحمد بن حنبل بثلاث . بطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وأنا أطلبه لنفسى فقط . ولاتساعه فى النكاح وضيق عنه . ولأنه نصب اماما للعامة . ويقال ان أحمد رحمه الله تزوج فى اليوم الثانى من وفاة أم ولده عبد الله ، وقال أكره أن أبيت عزبا . وأما بشر ، فانه لما قيل إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ، ويقولون هو تارك للسنة ، فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى ، فقال : ما يمنعنى من التزويج إلا قوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ[1]) فذكر ذلك لأحمد فقال : وأين مثل بشر ؟ انه قعد على مثل حد السنان. ومع ذلك فقد روى أنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال رفعت منازلى فى الجنة ، وأشرف بى على مقامات الأنبياء ، ولم أبلغ منازل المتأهلين وفى رواية : قال لى ما كنت أحب أن تلقانى عزبا . قال فقلنا له مافعل أبو نصر التمار؟ فقال رفع فوقى بسبعين درجة . قلنا بماذا ؟ فقد كنا نراك فوقه ، قال بصبره على بنياته والعيال . وقال سفيان بن عيينه : كثرة النساء ليست من الدنيا ، لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أربع نسوة ، وسبع عشرة سرية . فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الانبياء . وقال رجل لابراهيم بن أدهم رحمه الله : طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة . فقال : لروعة منك بسبب العيال ، أفضل من جميع ما أنا فيه

(١) البقرة ٢٢٨

قال فما الذى يمنعك من النكاح؟ فقال مالى حاجة فى امرأة، وما أريد أن أغر امرأة بنفسى وقد قيل فضل المتأهل على العزب، كفضل المجاهد على القاعد، وركعة من متأهل، أفضل من سبعين ركعة من عزب

الترهيب عن النكاح

وأما ماجاء فى الترهيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم[١] «خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ الْخَفِيفُ الْحَاذُ الَّذِى لاَ أَهْلَ لَهُ وَلاَ وَلَدَ» وقال صلى الله عليه وسلم[٢] «يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلاَكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَأَبَوَيْهِ وَوَلَدِهِ، يُعَيِّرُونَهُ بِالْفَقْرِ وَيُكَلِّفُونَهُ مَالاَ يُطِيقُ فَيَدْخُلُ الْمَدَاخِلَ الَّتِى يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ، فَيَهْلِكُ»

وفى الخبر[٣] قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقرين. وسئل أبو سليمان الدارانى عن النكاح، فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال أيضا: الوحيد يجد من حلاوة العمل، وفراغ القلب، مالا يجد المتأهل. وقال مرة: مارأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى. وقال أيضا: ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا: من طلب معاشا، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث. وقال الحسن رحمه الله: إذا أراد الله بعبد خيرا، لم يشغله بأهل ولامال. وقال ابن أبى الحوارى تناظر جماعة فى هذا الحديث، فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكونا له، بل أن يكونا له ولايشغلانه، وهو اشارة إلى قول أبى سليمان الدارانى: ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد، فهو عليك مشؤم. وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا، الا مقرونا بشرط. وأما الترغيب فى النكاح، فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه، بحصر آفات النكاح وفوائده

---

(١) حديث: خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لاأهل له ولا ولد. أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابى فى العزلة من حديثه وحديث أبى أمامة، وكلاهما ضعيف

(٢) حديث: يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده، يعيرونه بالفقر، ويكلفونه مالا يطيق، فيدخلا المداخل التى يذهب فيها دينه، فيهلك: الخطابى فى العزلة، من حديث ابن مسعود نحوه، وللبيهقى فى الزهد نحوه، من حديث أبى هريرة، وكلاهما ضعيف

(٣) حديث: قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقرين. القضاعى فى مسند الشهاب، من حديث على وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس، من حديث عبد الله بن عمر، وابن هلال المزنى كلاهما بالشطر الأول، بسندين ضعيفين.

فوائد النكاح

وفيه فوائد خمسة : الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

الفائدة الاولى : الولد : وهو الاصل ، وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل ، وأن لايخلو العالم عن جنس الإنس ، وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة ، كالموكل بالفحل فى اخراج البذر ، وبالانثى فى التمكين من الحرث ، تلطفا بهما فى السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع ، كالتلاطف بالطير فى بث الحب الذى يشتهيه ليساق الى الشبكة . وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب ، مع الاستغناء عنها ، اظهارا للقدرة ، واتماما لعجائب الصنعة ، وتحقيقا لما سبقت به المشيئة ، وحقت به الكلمة ، وجرى به القلم . وفى التوصل الى الولد قربة من أربعة أوجه هى الأصل فى الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة ، حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزباء الأول . موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد ، لابقاء جنس الانسان . والثانى . طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من به مباهاته . والثالث . طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع . طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله

أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه ، وأبعدها عن افهام الجماهير ، وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه : وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث ، وهيأ له أرضا مهيأة للحراثة ، وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث ، وترك البذر ضائعا حتى فسد ، ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة ، كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده . والله تعالى خلق الزوجين ، وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة فى الفقار ، وهيأ لها فى الأنثيين عروقا ومجارى ، وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة ، وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الأفعال والآلات ، تشهد بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها ، وتنادى أرباب

الألباب بتعريف ماأعدت له ، هذا ان لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال (تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا) فكيف وقد صرح بالأمر ، وباح بالسر . فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة ، مضيع للبذر ، معطل لما خلق الله من الآلات المعدة ، وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة ، المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ، ليس برقم حروف وأصوات ، يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزليه . ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للاولاد ، وفي الوأد ، لأنه منع التمام الوجود . وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح ساع في اتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه . ولاجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس ، أمر بالاطعام وحث عليه ، وعبر عنه بعبارة الفرض فقال (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا [(١)])

فان قلت : قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب ، يوهم ان فناءها مكروه عند الله ، وهو فرق بين الموت والحياة ، بالاضافة إلى ارادة الله تعالى ، ومعلوم ان الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين ، فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم ، أو بقاؤهم عن فنائهم ؟ ـ فاعلم ان هذه الكلمة حق أريد بها باطل . فان ماذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها إلى ارادة الله خيرها وشرها ، ونفعها وضرها ، ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة ، فرب مراد مكروه ، ورب مراد محبوب ، فالمعاصي مكروهة ، وهي مع الكراهة مرادة ، والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية . أما الكفر والشر ، فلا نقول انه مرضي ومحبوب ، بل هو مراد . وقد قال الله تعالى (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ [(٢)]) فكيف يكون الفنا بالاضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء ؟ فانه تعالى يقول [(١)] « مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ كَتَرَدُّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُسْلِمِ ، هُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ » فقوله لا بد له من الموت ، إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ [(٣)]) وفي قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ [(٤)]) ولا مناقضة بين قوله تعالى

---

(١) حديث : انه تعالى يقول : ماترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه .خ. من حديث أبي هريرة ، انفرد به خالد بن محمد القطواني ، وهو متكلم فيه

---

(١) البقرة ٢٤٥ (٢) الزمر ٧ (٣) الواقعة ٦٠ (٤) الملك ٢

(نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) وبين قوله وأنا أكره مساءته ولكن إيضاح الحق فى هذا ، يستدعى تحقيق معنى الاردة والمحبة والكراهة ، وبيان حقائقها . فان السابق إلى الافهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم ، وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ، ما بين ذاته العزيز وذاتهم . وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض ، وذات الله مقدس عنه ، ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض ، الجوهر والعرض ، فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق . وهذه الحقائق داخلة فى علم المكاشفة ، ووراءه سر القدر الذى منع من افشائه فلنقصر عن ذكره ، ولنقتصر على ما نبهنا عليه ، من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه . قان فان أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب إلى أن انتهى اليه ، فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه ، فمات أبتر لا عقب له . ولوكان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة ، لما قال معاذ فى الطاعون : زوّجونى لا ألقى الله عزبا

فان قلت: فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت ، فما وجه رغبته فيه ؟ فأقول الولد يحصل بالوقاع ، ويحصل الوقاع بباعث الشهوة ، وذلك أمر لا يدخل فى الاختيار . انما المعلق باختيار العبد ، احضار المحرك للشهوة ، وذلك متوقع فى كل حال ، فمن عقد فقد أدى ما عليه ، وفعل ما اليه ، والباقى خارج عن اختياره . ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا ، فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها ، حتى ان الممسوح الذى لا يتوقع له ولد ، لا ينقطع الاستحباب أيضا فى حقه على الوجه الذى يستحب للاصلع امرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره ، وتشبها بالسلف الصالحين ، وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الآن ، وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار ، فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد ، سنة فى حق من بعدهم . ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة إلى الاستحباب فى حق القادر على الحرث ، وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر ، فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح ، مع فتور الشهوة

الوجه الثانى السعى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه ، بتكثير ما به مباهاته

إذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ، ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول : إنما أنكح للولد، وماروى من الأخبار فى مذمة المرأة العقيم ، اذ قال عليه السلام [1] « لَحَصِيرٌ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، خَيْرٌ مِنَ امْرَأَةٍ لاَ تَلِدُ » وقال [2] « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ الْوَدُودُ » وقال [3] « سَوْدَاءُ وَلُودٌ خَيْرٌ مِنْ حَسْنَاءَ لاَ تَلِدُ » وهذا يدل على أنَّ طلب الولد أدخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة ، لان الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة

الوجه الثالث: أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له ، كما ورد فى الخبر : أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح. وفى الخبر [4] « إِنَّ الأَدْعِيَةَ تُعْرَضُ عَلَى الْمَوْتَى عَلَى أَطْبَاقٍ مِنْ نُورٍ » وقول القائل : إن الولد ربما لم يكن صالحا ، لا يؤثر . فانه مؤمن ، والصلاح هو الغالب على أولاد ذوى الدين ، لاسيما إذا عزم على تربيته ، وحمله على الصلاح . وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد ، برا كان أو فاجرا ، فهو مثاب على دعوته وحسناته فانه من كسبه ، وغيره مؤاخذ بسيئاته ، فانه لا تزر وازرة وزر أخرى . ولذلك قال تعالى (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) [(1)] أى ما نقصناهم من أعمالهم ، وجعلنا أولادهم مزيدا فى احسانهم

الوجه الرابع: أن يموت الولد قبله، فيكون له شفيعا. فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

---

(١) حديث : لحصير فى ناحية البيت خير من أمرأة لاتلد . أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين ، موقوفا على عمر بن الخطاب ، ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث: خير نسائكم الولود الودود . البيهقي . من حديث ابن أبى أدية الصدفى ، قال البيهقى ،وروى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا

(٣) حديث : سوداء ولود خير من حسناء لاتلد . ابن حبان فى الضعفاء، من رواية بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، ولا يصح

(٤) حديث : إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور . رويناه فى الأربعين المشهورة ، من رواية أبى هدبة عن أنس ، فى الصدقة عن الميت وأبو هدبة كذاب

---

(1) الطور : ٢١

(١) «إِنَّ الطِّفْلَ يَجُرُّ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ» وَفِى بعض الأخبار (٢) «يَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا أَنَا الآنَ آخُذُ بِثَوْبِكَ» (٣) وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «إِنَّ الْمَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَظَلُّ مُحْبَنْطِئًا أي مُمْتَلِئًا غَيْظًا وَغَضَبًا ، وَيَقُولُ لاَ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ وَأَبَوَايَ مَعِي ، فَيُقَالُ أَدْخِلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الْجَنَّةَ » وفى خبر آخر (٤) «إِنَّ الأَطْفَالَ يَجْتَمِعُونَ فِى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ ، عِنْدَ عَرْضِ الْخَلاَئِقِ لِلْحِسَابِ فَيُقَالُ لِلْمَلاَئِكَةِ اذْهَبُوا بِهَؤُلاَءِ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَقِفُونَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَرْحَبًا بِذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ ، ادْخُلُوا لاَ حِسَابَ عَلَيْكُمْ ؛ فَيَقُولُونَ : فَأَيْنَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، فَيَقُولُ الْخَزَنَةُ إِنَّ آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ لَيْسُوا مِثْلَكُمْ ، إِنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَسَيِّئَاتٌ فَهُمْ يُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا وَيُطَالَبُونَ ، قَالَ فَيَتَضَاغَوْنَ وَيَضِجُّونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ضَجَّةً وَاحِدَةً ، فَيَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، مَا هَذِهِ الضَّجَّةُ ؟ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لاَ نَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَعَ آبَائِنَا ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى تَخَلَّلُوا الْجَمْعَ فَخُذُوا بِأَيْدِي آبَائِهِمْ فَأَدْخِلُوهُمُ الْجَنَّةَ» وقال صلى الله عليه وسلم (٥) «مَنْ مَاتَ لَهُ اثْنَانِ مِنَ الْوَلَدِ فَقَدِ احْتَظَرَ بِحِظَارٍ مِنَ النَّارِ»

---

(١) حديث : إن الطفل يجر أبويه إلى الجنة . هـ . من حديث على ، وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ، إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة ، إذا هى احتسبته . وكلاهما ضعيف

(٢) حديث : أنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك . م . من حديث أبى هريرة

(٣) حديث : ان المولود يقال له ادخل الجنة ، فيقف على باب الجنة ، فيظل محبنطئا ، أى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لاأدخل إلا وأبواى معى ـ الحديث . حب . فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، ولا يصح و . ن . من حديث أبى هريرة ، يقال لهم ادخلوا الجنة ، فيقولون حتى يدخل أباؤنا ، فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم . واسناده جيد

(٤) حديث : إن الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب ، فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة ، فيقفون على باب الجنة ، فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ، ادخلوا لاحساب عليكم ، فيقولون أين أباؤناوأمهاتنا ـ الحديث بطوله . لم أجد له أصلا يعتمد عليه

(٥) حديث : من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من نار . البزار ، والطبرانى ، من حديث زهير ابن أبى علقمة : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ، انه مات لى ابنان سوى هذا ، فقال احتظرت من دون النار بحظار شديد . ولمسلم من حديث أبى هريرة ، فى المرأة التى قالت دفنت ثلاثة ، لقد احتظرت بحظار شديد من النار

وقال صلى الله عليه وسلم(١) «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ»

وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره ، قال فانتبه من نومه ذات يوم، وقال زوجونى زوجونى فزوجوه ، فسئل عن ذلك ، فقال لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه ، فيكون لى مقدمة فى الآخرة. ثم قال رأيت فى المنام كأن القيامة قدقامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف ، وبى من العطش ماكاد أن يقطع عنقى ، وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب ، فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة ، وأكواب من ذهب ، وهم يسقون الواحد بعد الواحد، يتخللون الجمع ، ويتجاوزون أكثر الناس ، فمددت يدى إلى أحدهم ، وقلت اسقنى فقد أجهدنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباءنا ، فقلت ومن أنتم ؟ فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين . وأحد المعانى المذكورة فى قوله تعالى (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ (١))تقديم الأطفال إلى الآخرة

فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعه ، ان أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد

الفائدة الثانية: التحصن عن الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر وحفظ الفرج ، وإليه الأشارة بقوله عليه السلام «مَنْ نَكَحَ فَقَدْ حَصَّنَ نِصْفَ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِى الشَّطْرِ الآخَرِ) واليه الاشارة بقوله «عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ»

وأكثر مانقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى ، وهذا المعنى دون الأول ، لان الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد ، فالنكاح كاف لشغله ، دافع لجعله ، وصارف لشر سطوته . وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه ، كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل . فالشهوة والولد مقدران ، وبينهما ارتباط. وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها ، كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل ، وليس مقصودا فى ذاته . بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة ، والشهوة باعثة عليه

(١) حديث من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، قيل يارسول الله واثنان ، قال واثنان : خ . من حديث أنس ، دون ذكر الاثنين . وهو عند أحمد بهذه الزيادة ، من حديث معاذ ، وهو متفق عليه ، من حديث أبى سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه

(١) البقرة : ٢٢٣

ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الارهاق الى الإيلاد ، وهو مافى قضائها من اللذة التي لاتوازيها لذة لو دامت ، فهى منبهة على اللذات الموعودة فى الجنان ، اذ الترغيب فى لذة لم يجد لهـا ذواقا لاينفع ، فلو رغب العنين فى لذة الجماع ، أو الصبى فى لذة الملك والسلطنة ، لم ينفع الترغيب . واحـدى فوائد لذات الدنيا ، الرغبة فى دوامها فى الجـنة ليـكون باعثـا على عبـادة الله

فانظر الى الحـكمة ، ثم الى الرحمة ، ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان ، حياة ظاهرة وحياة باطنة ، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله ، فانه نوع من دوام الوجود ، والحياة الباطنة هى الحياة الاخروية ، فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام ، تحرك الرغبة فى اللذة الـكاملة بلذة الدوام ، فيستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها ، تيسر المواظبة على مايوصله الى نعيم الجنان . وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ، بل ذرات ملكوت السموات والارض ، الا وتحتها من لطائف الحـكمة وعجائبها ماتحار العقول فيها ؛ ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها .

فالنـكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لـكل من لايؤتى عن عجز وعنة ، وهم غالب الخلق ، فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى ، جرت الى اقتحام الفواحش واليه أشار بقوله عليه السلام عن الله تعالى «إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَـكُنْ فِتْنَـةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» وان كان ملجما بلجام التقوى ، فغايته أن يكف الجوارح عن اجابة الشهوة ، فيغض البصر ، ويحفظ الفرج ، فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر ، فلا يدخل تحت اختياره ، بل لاتزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ، ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه فى أكثر الاوقات ، وقد يعرض له ذلك فى أثناء الصلاة ، حتى يجرى على خاطره من أمور الوقاع مالو صرح به بين يدى أخس الخلق لاستحيا منه ، والله مطلع على قلبه ، والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق ، ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه ، والمواظبة على الصوم لاتقطع مادة الوسوسة فى حق أكثر الخلق الا أن ينضاف إليه ضعف فى البدن ، وفساد فى المزاج ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يتم نسك الناسك إلا بالنـكاح ،

وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها . قال قتادة فى معنى قوله تعالى(وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ[(١)])هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا فى معنى قوله تعالى(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا[(٢)]) أنه لا يصبر عن النساء. وقال فياض بن نجيح : إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ، وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما(وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ[(٣)]) قال قيام الذكر . وهذه بلية غالبة ، إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين ، وهى مع أنها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق ، فهى أقوى آلة الشيطان على بنى آدم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله « مَارَأَيْتُ [(١)] مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذَوِى الْأَلْبَابِ مِنْكُنَّ » وانما ذلك لهيجان الشهوة . وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه« اللَّهُمَّ [(٢)] إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِى وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّ » وقال « أَسْأَلُكَ [(٣)] أَنْ تُطَهِّرَ قَلْبِي وَتَحْفَظَ فَرْجِي »فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره

وكان بعض الصالحين يكثر النكاح ، حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث ، فأنكر عليه بعض الصوفية ، فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة ، أو وقف بين يديه موقفا فى معاملة ، فخطر على قلبه خاطر شهوه؟فقالوا يصيبنا من ذلك كثير ، فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد ، لما تزوجت ، لكنى ماخطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى الا انفذته ، فاستريح وارجع إلى شغلى ، ومنذ أربعين سنة ماخطر على قلبى معصية

وأنكر بعض الناس حال الصوفية ، فقال له بعض ذوى الدين : ماالذى تنكر منهم ؟ قال يأكلون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون ، لأكلت كما يأكلون ، قال ينكحون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون ، لنكحت كما ينكحون. وكان الجنيد يقول: أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت.فالزوجة على التحقيق قوت

---

(١) حديث : مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن .م . من حديث ابن عمر ، واتفقا عليه من حديث أبى سعيد ، ولم يسق م لفظه

(٢) حديث : اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر منى . تقدم فى الدعوات

(٣) حديث : أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي.هق. فى الدعوات من حديث أم سلمة باسناد فيه لين

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) النساء : ٢٨ (٣) الفلق : ٣

وسبب لطهارة القلب « ولذلك أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «[١] كُلَّ مَنْ وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ فَتَاقَتْ إِلَيْهَا نَفْسُهُ أَنْ يُجَامِعَ أَهْلَهُ» لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم[٢] « رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَقَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ» وَقَالَ صلى الله عليه وسلم «إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِصُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا» وقال عليه السلام[٣] لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُغِيبَاتِ» وهى التى غاب زوجها عنها « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ» قُلْنَا وَمِنْكَ؟ قَالَ« وَمِنِّي وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمُ» قال سفيان بن عيينة : فاسلم معناه فاسلم أنا منه ، هذا معناه فان الشيطان لا يسلم . وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم ، أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ، ثم يغتسل ويصلى ، وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله ، واخراج غدة الشيطان منه . وروى أنه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة وقال ابن عباس[٤] خير هذه الأمة أكثرها نساء

ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب ، كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ، ولاجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت ، مع أن فيه ارقاق الولد وهو نوع إهلاك ، وهو محرم على كل من قدر على حرة ، ولكن ارقاق الولد أهون من اهلاك الدين، وليس فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة ، وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخرويه التى تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من أيامها

وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس ، وبقى شاب لم يبرح ، فقال

---

(١) حديث : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجامع أهله . أحمد . من حديث أبى كبشة الأنمارى حين مرت به امرأة ، فوقع فى قلبه شهوة النساء ، فدخل فأتى بعض أزواجه ، وقال فكذلك فافعلوا ، فانه من أماثل أفعالكم اتيان الحلال وإسناده جيد

(٢) حديث جابر ، رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم ، والترمذى ، واللفظ له وقال حسن صحيح

(٣) حديث : لاتدخلوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من احدكم مجرى الدم الحديث . ت . من حديث جابر ، وقال غريب . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخلن بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان

(٤) حديث ابن عباس ، خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه . خ .

له ابن عباس هل لك من حاجة ؟ قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحيت من الناس ، وأنا الآن أهابك وأجلك . فقال ابن عباس: ان العالم بمنزلة الوالد ، فما كنت أفضيت به الى أبيك فافض الىّ به ، فقال انى شاب لازوجة لى، وربما خشيت العنت على نفسى ، فربما استمنيت بيدى ، فهل فى ذلك معصية ، فأعرض عنه ابن عباس ، ثم قال . أف وتف ، نكاح الامة خير منه ، وهو خير من الزنا . فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ، أدناها نكاح الامة ، وفيه إرقاق الولد ، وأشد منه الاستمناء باليد ، وأفحشه الزنا، ولم يطلق ابن العباس الإباحة فى شىء منه ، لأنهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع فى محذور أشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس ، فليس ترجيح أهون الشرين فى معنى الاباحة المطلقة ، ولا فى معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتأكلة من الخيرات ، وإن كان يؤذن فيه عند أشراف النفس على الهلاك

فإذاً فى النكاح فضل من هذا الوجه ، ولكن هذا لايعم الكل بل الأكثر ، فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره ، فينعدم هذا الباعث فى حقه ، ويبقى ماسبق من أمر الولد ، فان ذلك عام ، إلا للممسوح وهو نادر

ومن الطباع ماتغلب عليها الشهوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة ، فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع ، فان يسر الله له مودة ورحمة، واطمأن قلبه بهن، وإلا فيستحب له الاستبدال ، فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ، ويقال إن الحسن بن على كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امرأة، وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد ، وربما طلق أربعا فى وقت واحد واستبدل بهن . وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن [1] « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « حَسَنٌ مِنِّي وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ » فقيل إن كثرة نكاحه أحد ماأشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث انه قال للحسن بن على اشبهت خلقى وخلقى . قلت المعروف انه قال هذا اللفظ لجعفر بن ابى طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ، ولكن الحسن ايضا كان يشبه النبى صلى الله عليه وسلم ، كما هو متفق عليه من حديث ابى جحيفة ، وللترمذى ، وصححه ، وابن حبان من حديث انس ، لم يكن احد اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن

(٢) حديث حسن منى وحسين من على . احمد . من حديث المقداد بن معد يكرب ، بسند جيد

وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة ، وكان فى الصحابة من له الثلاث والأربع ، ومن كان له اثنتان لا يحصى، ومهما كان الباعث معلوما ، فينبغى أن يكون العلاج بقدر العلة، فالمراد تسكين النفس ، فلينظر اليه فى الكثرة والقلة

الفائدة الثالثة . ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة ، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فان النفس ملول ، وهى عن الحق نفور ، لأنه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت ، وإذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت : وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب، وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات، ولذلك قال الله تعالى (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا[1]) وقال على رضى الله عنه ، روحوا القلوب ساعة ، فانها إذا أكرهت عميت، وفى الخبر[1] «عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ » فان فى هذه الساعة عونا على تلك الساعات . ومثله بلفظ آخر[2] « لَا يَكُونُ الْعَاقِلُ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ » وقال عليه الصلاة والسلام[3] « لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى » والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة، وذلك فى ابتداء الارادة ، والفترة الوقوف للاستراحة . وكان أبو الدرداء يقول: إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو ، لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق

---

(١) حديث : على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة فيها يناجى ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه . حب . من حديث أبى ذر ، فى حديث طويل ، إن ذلك فى صحف ابراهيم

(٢) حديث لايكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم . حب من حديث أبى ذر الطويل ، إن ذلك فى صحف ابراهيم

(٣) حديث : لكل عامل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته الى سنتى فقد اهتدى . أحمد ، والطبرانى ، من حديث عبد الله ابن عمر . وللترمذى نحو من هذا ، من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح

---

(١) الأعراف : ١٨٩

وفى بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « أَنَّهُ قَالَ شَكَوْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَعْفِي عَنِ الْوِقَاعِ فَدَلَّنِي عَلَى الْهَرِيسَةِ » وهذا إن صح لامحمل له إلا الاستعداد للاستراحة، ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة، فانه استثارة للشهوة، ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الأنس. وقال عليه الصلاة والسلام [٢] « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ الطِّيبُ، وَالنِّسَاءُ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ »

فهذه أيضا فائدة لاينكرها من جرب اتعاب نفسه فى الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال وهى خارجة عن الفائدتين السابقتين، حتى انها تطرد فى حق الممسوح ومن لاشهوة له، إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة إلى هذه النية، وقل من يقصد بالنكاح ذلك. وأما قصد الولد، وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر. ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجارى والخضرة وأمثالها، ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له

الفائدة الرابعة : تفريغ القلب عن تدبير المنزل، والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأوانى وتهيئة أسباب المعيشة. فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل، لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل. فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق؛ واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش. ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : الزوجة الصالحة ليست من الدنيا، فانها تفرغك للآخرة. وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا

---

(١) حديث : شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلنى على الهريسة . عد من حديث حذيفة وابن عباس والعقيلى من حديث معاذ وجابر ابن سمرة وابن حبان فى الضعفاء من حديث حذيفة والأزدى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة، بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع . وقال العقيلى باطل

(٢) حديث : حبب الى من دنياكم الطيب والنساء، وقرة عينى فى الصلاة . ن ك . من حديث أنس باسناد جيد، وضعفه العقيلى

وقال محمد بن كعب القرظى ، فى معنى قوله تعالى (رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً [1]) قال المرأة الصالحة، وقال عليه الصلاة والسلام [1] « لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا ، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ عَلَى آخِرَتِهِ » فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً [2]) قال الزوجة الصالحة، وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول ماأعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة ، وإن منهن غنما لايحذى منه ، ومنهن غلا لا يفدى منه . وقوله لايحذى أى لايعتاض عنه بعطاء وقال عليه الصلاة والسلام « [2] فُضِّلْتُ عَلَى آدَمَ بِخَصْلَتَيْنِ : كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، وَأَزْوَاجِي أَعْوَانٌ لِي عَلَى الطَّاعَةِ ، وَكَانَ شَيْطَانُهُ كَافِرًا ، وَشَيْطَانِي مُسْلِمٌ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ » فعد معاونتها على الطاعة فضيلة

فهذه أيضا من الفوائد التى يقصدها الصالحون ، إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ، ولا تدعو إلى امرأتين ، بل الجمع ربما ينغص المعيشة ، وتضطرب به أمور المنزل . ويدخل فى هذه الفائدة قصد الإستكثار بعشيرتها ، وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر ، فان ذلك مما يحتاج اليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ، ولذلك قيل : ذل من لاناصر له ، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله ، وفرغ قلبه للعبادة ، فان الذل مشوش للقلب ، والعز بالكثرة دافع للذل .

الفائده الخامسه : مجاهده النفس ورياضتها بالرعاية والولاية ، والقيام بحقوق الأهل ، والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن ، والسعى فى إصلاحهن، وارشادهن إلى طريق الدين ، والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن ، والقيام بتربيته لأولاده . فكل هذه أعمال عظيمة الفضل، فانها رعايه وولاية، والأهل والولد رعية ، وفضل الرعاية عظيم، وإنما يحترز

(١) حديث : ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته . ت . وحسنه ، و . هـ . واللفظ له من حديث وفيه انقطاع

(٢) حديث : فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين ، كانت زوجته عونا له على المعصية ، وأزواجى أعوان لى على الطاعة . وكان شيطانه كافرا ، وشيطانى مسلم لايأمر إلا بخير . رواه الخطيب فى التاريخ ، من حديث ابن عمر ، وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلانسى، قال ابن عدى كان يضع الحديث . ولمسلم من حديث ابن مسعود ، مامنكم من أحد إلاوقدوكل به قرينه من الجن، قالوا وإياك يارسول الله ؟ قال وأنا ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولم يأمرني إلا بخير

(١) البقرة : ٢٠١ (٢) النحل : ٩٧

منها من يحترز ، خيفة من القصور عن القيام بحقها وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام [1] « يَوْمٌ مِنْ وَالٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً » ثم قال [2] « أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره ، كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذى ، كمن رفه نفسه وأراحها ، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله . ولذلك قال بشر . فضل علىّ أحمد بن حنبل بثلاث : إحداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره . وقد قال عليه الصلاة والسلام [3] « مَا أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ فِي اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ » وقال بعضهم لبعض العلماء : من كل عمل أعطانى الله نصيبا ، حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما ، فقال له أين أنت من عمل الابدال ؟ قال وما هو ؟ قال كسب الحلال ، والنفقة على العيال . وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه فى الغزو : تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا مانعلم ذلك ، قال أنا أعلم ، قالوا فما هو ؟ قال رجل متعفف ذو عائلة ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم [4] « مَنْ حَسُنَتْ صَلاَتُهُ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُ ، وَقَلَّ مَالُهُ ، وَلَمْ يَغْتَبِ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وفى حديث آخر [5] « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ » وفى الحديث [6] « إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ

---

(١) حديث : يوم من وال عادل أفضل من عبادة تسعين سنة ، ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤول من رعيته . طب ، وهق ، من حديث ابن عباس ، وقد تقدم بلفظ ستين سنة ، دون مابعده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) حديث : ماأنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وان الرجل ليؤجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته ، خ ، م ، من حديث ابن مسعود ، اذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها ، كانت له صدقة . ولهما من حديث سعد بن أبى وقاص ، ومهما أنفقت فهو لك صدقة ، حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك

(٣) حديث : من حسنت صلاته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين ، كان معى فى الجنة كهاتين . أبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى ، بسند ضعيف

(٤) حديث : ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ، ه ، من حديث عمران بن حصين ، بسند ضعيف

(٥) حديث : إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها . أحمد من حديث عائشة ، إلا أنه قال بالحزن فيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه

الْعَبْدِ، ابْتَلَاهُ اللهُ بِهَمِّ الْعِيَالِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ» وقال بعض السلف : من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الغم بالعيال . وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] أنه قال « مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْهَمُّ بِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَأَنْفَقَ عَلَيْهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يُغْنِيَهُنَّ اللهُ عَنْهُ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ أَلْبَتَّةَ أَلْبَتَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا لَا يُغْفَرُ لَهُ » كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال: والله هو من غرائب الحديث وغرره

وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت ، فعرض عليه التزويج ، فامتنع وقال: الوحدة روح لقلبي ، وأجمع لهمي . ثم قال : رأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها ، كأن أبواب السماء فتحت ، وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء ، يتبع بعضهم بعضا ، فكلما نزل واحد نظر إلىّ وقال لمن وراءه ، هذا هو المشئوم ، فيقول الآخر نعم ، ويقول الثالث كذلك ، ويقول الرابع نعم ، نخفت أن أسألهم هيبة من ذلك ، إلى أن مر بى آخرهم ، وكان غلاما ، فقلت له ياهذا :من هذا المشئوم الذى تومئون اليه ؟ فقال أنت ، فقلت ولم ذاك ؟ قال كنا نرفع عملك فى أعمال المجاهدين فى سبيل الله ، فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين ، فماندرى ماأحدثت، فقال لاخوانه:زوجونى زوجونى فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث . وفى أخبار الأنبياء عليهم السلام، إن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله ، فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت ، فتعجبوا من ذلك ، فقال لاتعجبوا ، فانى سألت الله تعالى وقلت : ماأنت معاقب لى به فى الآخرة ، فعجله لى فى الدنيا . فقال إن عقوبتك بنت فلان تتزوج بها ، فتزوجت بها ، وأنا صابر على ماترون منها . وفى الصبر على ذلك رياضة النفس

(١) حديث : من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهم بطلب المعيشة . الطبرانى فى الأوسط ،وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التلخيص المتشابه ، من حديث أبى هريرة ، باسناد ضعيف

(٢) حديث : من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن ، وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه ، أوجب الله له الجنة ألبتة ، الا أن يعمل عملا لايغفر له . الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، من حديث ابن عباس ، بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر . ولأبى داود واللفظ له ، والترمذى من حديث أبى سعيد من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن اليهن،فله الجنة،ورجاله ثقات ،وفى سنده اختلاف

وكسر الغضب ، وتحسين الخلق ، فان المنفرد بنفسه ، أو المشارك لمن حسن خلقه، لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ، ولا تنكشف بواطن عيوبه .فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات ، واعتياد الصبر عليها ، لتعتدل أخلاقه ، وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه.والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم ، وقيام بهم ، وعبادة في نفسها

فهذه أيضا من الفوائد، ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد رجلين،إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق ، لكونه في بداية الطريق ، فلا يبعد أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه ، وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن ، وحركة بالفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح ، بصلاة أو حج أو غيره ، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه ، التي لا يتعدى خيرها الى غيره ، فاما الرجل المهذب الأخلاق،إما بكفاية في أصل الخلقة ، أو بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض،فان الرياضة هو مكفي فيها . وأما العبادة في العمل بالكسب لهم ،فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائدته أكثر من ذلك ، وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال

فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة

آفات النكاح

أما آفات النكاح فثلاث

الأولى : وهي أقواها العجز عن طلب الحلال . فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لا سيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعايش ، فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام ، وفيه هلاكه وهلاك أهله ، والمتعزب في أمن من ذلك ، وأما المتزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ، ويبيع آخرته بدنياه ،وفي الخبر [1] «إنَّ العَبْدَ

(١) حديث : إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهن الحديث . لم أقف له على أصل

ليُوقَفُ عِنْدَ الْمِيزَانِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَيُسْأَلُ عَنْ رِعَايَةِ عَائِلَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِمْ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، حَتَّى يَسْتَغْرِقَ بِتِلْكَ الْمُطَالَبَاتِ كُلَّ أَعْمَالِهِ فَلَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ ، فَتُنَادِي الْمَلَائِكَةُ : هَذَا الَّذِي أَكَلَ عِيَالُهُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَارْتُهِنَ الْيَوْمَ بِأَعْمَالِهِ » ويقال إن أول مايتعلق بالرجل فى القيامة أهله وولده ، فيوقفونه بين يدى الله تعالى ، ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه ، فانه ماعلمنا مانجهل ، وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم ، فيقتص لهم منه ، وقال بعض السلف : اذا أراد الله بعبد شرا ، سلط عليه فى الدنيا أنيابا تنهشه ، يعنى العيال . وقال عليه الصلاة والسلام [1] « لَا يَلْقَى اللَّهَ أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْ جَهَالَةِ أَهْلِهِ »

فهذه آفة عامة ، قل من يتخلص منها ، الا من له مال موروث او مكتسب من حلال يفى به وبأهله ، وكان له من القناعة مايمنعه من الزيادة ، فان ذلك يتخلص من هذه الآفة . أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات ، باحتطاب أو اصطياد . أو كان فى صناعة لاتتعلق بالسلاطين ، ويقدر على أن يعامل به أهل الخير . ومن ظاهره السلامة ، وغالب ماله الحلال . وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقال : هو أفضل فى زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الأتان فلا ينتهى عنها بالضرب ، ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى

الآفة الثانية : القصور عن القيام بحقهن ، والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن وهذه دون الاولى فى العموم فان القدرة على هذا أيسر من القدرة على الاولى ، وتحسين الخلق مع النساء ، والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال ، وفى هذا أيضا خطر ، لانه راع ومسؤل عن رعيته . وقال عليه الصلاة والسلام [2] « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ » وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لاتقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ، ومن يقصر عن القيام بحقهن ، وان كان حاضرا ، فهو بمنزله هارب ، فقد قال تعالى

---

(١) حديث : لايلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله . ذكره صاحب الفردوس ، من حديث أبى سعيد ولم يجد ولده أبو منصور فى مسنده .

(٢) حديث : كفى بالمرء أثما أن يضيع من يعول . د . ن . بلفظ من يقوت ، وهو عند . م . بلفظ آخر

« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً » أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا ، والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه ، واذا تزوج تضاعف عليه الحق ، وانضافت الى نفسه نفس أخرى، والنفس أمارة بالسوء، ان كثرت كثر الامر بالسوء، غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج ، وقال أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف اليها نفسا أخرى ، كما قيل

لن يسع الفأرة جحرها * علقت المكنس في دبرها

وكذلك اعتذر ابراهيم بن أدهم رحمه الله وقال : لاأغر امرأة بنفسي ، ولا حاجة لي فيهن أي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وأنا عاجز عنه . وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ » وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادا على الجسر ، وروئي سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان ، فقيل له ماهذا موقفك ؛ فقال : وهل رأيت ذا عيال أفلح ؟ وكان سفيان يقول

ياحبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لاصخب فيه ولاصياح

فهذه آفة عامة أيضا ، وان كانت دون عموم الاولى ، لايسلم منها الا حكيم عاقل ، حسن الأخلاق ، بصير بعادات النساء ، صبور على لسانهن ، وقاف عن اتباع شهواتهن ، حريص على الوفاء بحقهن ، يتغافل عن زللهن ، ويداري بعقله أخلاقهن . والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش ، وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف . ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لامحالة ، فالوحدة أسلم له .

الآفة الثالثة : وهي دون الاولى والثانية ، أن يكون الأهل والولد شاغلاله عن الله تعالى وجاذباله إلى طلب الدنيا ، وحسن تدبير المعيشة للاولاد ، بكثرة جمع المال وادخاره لهم ، وطلب التفاخر والتكاثر بهم . وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشؤم على صاحبه ، ولست أعني بهذا أن يدعو إلى محظور ، فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية ، بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح ، بل الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن ، والامعان في التمتع بهن ، ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس ، تستغرق القلب ، فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها . ولذلك قال

(١) التحريم : ٦

إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، من تعود أفخاذ النساء لم يجيء منه شيء . وقال أبو سليمان رحمه الله ، من تزوّج فقد ركن إلى الدنيا . أي يدعوه ذلك إلى الركون إلى الدنيا

فهذه مجامع الآفات والفوائد

فالحكم على شخص واحد بأن الافضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور ، بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا ، ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت فى حقه الآفات ، واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال ، وخلق حسن ، وجدّ فى الدين تام ، لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة ، فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد . فان انتفت الفوائد ، واجتمعت الآفات ، فالعزوبة أفضل له . وان تقابل الامران وهو الغالب ، فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه ، فاذا غلب على الظن رجحان أحدهما ، حكم به . وأظهر الفوائد الولد ، وتسكين الشهوة ، وأظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول

من لم يكن فى أذية من الشهوة ، وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد ، وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فالعزوبة له أولى . فلا خير فيما يشغل عن الله ، ولا خير فى كسب الحرام : ولا يفى بنقصان هذين الامرين أمر الولد ، فان النكاح للولد سعى فى طلب حياة للولد موهومة ، وهذا نقصان فى الدين ناجز . فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى فى الولد ، وذلك ربح ، والدين رأس مال ، وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخروية ، وذهاب رأس المال . ولا تقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين . وأما اذا انضاف الى أمر الولد حاجة كسر الشهوة ، لتوقان النفس إلى النكاح ، نظر ، فان لم يقو لجام التقوى فى رأسه ، وخاف على نفسه الزنا ، فالنكاح له أولى . لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا ، أو يأكل الحرام ، والكسب الحرام أهون الشرين . وان كان يثق بنفسه أنه لا يزنى ، ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام ، فترك النكاح أولى لأن النظر حرام ، والكسب من غير وجهه حرام ، والكسب يقع دائما ، وفيه عصيانه وعصيان أهله

والنظر يقع أحيانا ، وهو يخصه ، وينصرم على قرب . والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام ، الا أن يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج ؛ فيرجع ذلك الى خوف العنت . واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ، ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب الى العفو أقرب ، وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله واطعامه

فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ، ويحكم بحسبها : ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ، ورغبة عنه أخرى ، اذ ذلك بحسب الأحوال صحيح .

فان قلت . فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟

فأقول يجمع بينهما ، لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ، ولكن من حيث الحاجة الى الكسب . فان قدر على الكسب الحلال ، فالنكاح أيضا أفضل ، لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة ، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقا للاوقات بالكسب ، حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة ، فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة ، أو الحج وما يجرى مجراه من الأعمال البدنية ، فالنكاح له أفضل ، لان في كسب الحلال والقيام بالأهل ، والسعي في تحصيل الولد ، والصبر على أخلاق النساء ، أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات . وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن ، والكسب يشوش عليه ذلك ، فترك النكاح أفضل .

فان قلت . فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ، وان كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج ؟ فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ، ومن قويت منته ، وعلت همته ، فلا يشغله عن الله شاغل . ورسولنا عليه

السلام أخذ بالقوة ، وجمع بين فضل العبادة والنكاح ، ولقد كان مع [١] تسع من النسوة متخليا لعبادة الله ، وكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه غير مانع ، كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعالهم عن التدبير ، حتى يشتغلون فى الظاهر بقضاء الحاجة ، وقلوبهم مشغوفة بهممهم ، غير غافلة عن مهماتهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته ، لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى [٢] فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته ، ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره ،فلا يبعد أن يغير السواقى مالا يغير البحر الخضم ، فلا ينبغى أن يقاس عليه غيره .

وأما عيسى صلى الله عليه وسلم فانه أخذ بالحزم لا بالقوة، واحتاط لنفسه، ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أو يتعذر معها طلب الحلال، أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة فآثر التخلى للعبادة . وهم أعلم بأسرار أحوالهم ،وأحكام أعصارهم، فى طيب المكاسب وأخلاق النساء ، وما على الناكح من غوائل النكاح ، وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال منقسمة ، حتى يكون النكاح فى بعضها أفضل، وتركه فى بعضها أفضل فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل فى كل حال ، والله أعلم .

الباب الثانى

فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

العقد

أما العقد فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة :

الأول: إذن الولى ، فان لم يكن فالسلطان .

الثاني: رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا ، أو كانت بكرا بالغا، ولكن يزوجها غير الأب والجد.

---

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة . خ . من حديث أنس، وله من حديثه أيضا ، وهن احدى عشرة
(٢) حديث : كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته . خ . من حديث أنس . يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة ، فانه والله ما نزل على الوحي وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها .

الثالث: حضور شاهدين ظاهرى العدالة ، فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة .

الرابع: إيجاب وقبول متصل به ، بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة ، سواء كان هو الزوج أو الولى أو وكيلهما .

وأما آدابه ، فتقديم الخطبة مع الولى ، لا فى حال عدة المرأة ، بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ، ولا فى حال سبق غيره بالخطبة ، إذ نهى عن الخطبة على الخطبة [1]

ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب والقبول ، فيقول المزوج : الحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، زوجتك ابنتى فلانة . ويقول الزوج : الحمد لله، والصلاة على رسول الله ، قبلت نكاحها على هذا الصداق . وليكن الصداق معلوما خفيفا . والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب

ومن آدابه أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة ، وإن كانت بكرا . فذلك أحرى وأولى بالألفة ، ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح ، فانه أحرى أن يؤدم بينهما .

ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح ، زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة

ومنها أن ينوى بالنكاح إقامة السنة ، وغض البصر ، وطلب الولد ، وسائر الفوائد التى ذكرناها . ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع ، فيصير عمله من أعمال الدنيا . ولا يمنع ذلك هذه النيات ، فرب حق يوافق الهوى . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان . لا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا . ويستحب أن يعقد فى المسجد ، وفى شهر شوال . قالت عائشة رضى الله عنها [2] تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبنى بى فى شوال .

وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان أحدهما للحل ، والثانى لطيب المعيشة وحصول المقاصد.

النوع الأول. مايعتبر فيها للحل. وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح. والموانع تسعة عشر

---

(١) حديث : النهى عن الخطبة على الخطبة ، متفق عليه ، من حديث ابن عمر : ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له

(٢) حديث عائشة : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال ، وبنى بى فى شوال ، رواه م

الأول :أن تكون منكوحة للغير.

الثانى : أن تكون معتدة للغير ، سواء كانت عـدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة . أو كانت فى استبراء وطء عن ملك يمين.

الثالث : أن تكون مرتدة عن الدين ، لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر .

الرابع : أن تكون مجوسية

الخامس : أن تكون وثنية أو زنديقة ، لاتنسب إلى نبى وكتاب . ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة ، فلا يحل نكاحهن . وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده

السادس : أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل ، أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فليست من نسب بنى اسرائيل . فاذا عدمت كلتا الخصلتين، لم يحل نكاحها . وإن عدمت النسب فقط ، ففيه خلاف .

السابع : أن تكون رقيقة ، والناكح حرا قادرا على طول الحرة ،أوغير خائف من العنت

الثامن : أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك يمين

التاسع : أن تكون قريبة للزوج ، بان تكون من أصوله ، أو فصوله ، أو فصول أول أصوله ، أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل . وأعنى بالأصول الامهات والجدات ، وبفصوله الأولاد والأحفاد ، وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم ، وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن .

العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع . ويحرم من الرضاع مايحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ، ولكن المحرم خمس رضعات ، وما دون ذلك لايحرم

الحادي عشر : المحرم بالمصاهرة ، وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أو جدتها ، أو ملك بعقد أو شبهة عقد من قبل ، أو وطئهن بالشبهة فى عقد ، أو وطىء أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد ، فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ، ولا يحرم فروعها إلا بالوطء . أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل

الثانى عشر : أن تكون المنكوحة خامسة ، أى يكون تحت الناكح أربع سواها ، إمافى نفس النكاح أو فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة

الثالث عشر : أن يكون تحت الناكح أختها ، أو عمتها أو خالتها ، فيكون بالنكاح جامعا بينهما . وكل شخصين بينهما قرابة ، لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح ، فلا يجوز أن يجمع بينهما

الرابع عشر : أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثا ، فهي لاتحل له مالم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح

الخامس عشر : أن يكون الناكح قد لاعنها ، فانها تحرم عليه أبدا بعد اللعان

السادس عشر : أن تكون محرمة بحج أو عمرة ، أو كان الزوج كذلك ، فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل

السابع عشر أن تكون ثيبا صغيرة ، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ

الثامن عشر : أن تكون يتيمة ، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ

التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن توفي عنها أو دخل بها ، فإنهن أمهات المؤمنين . وذلك لايوجد في زماننا

فهذه هي الموانع المحرمة

أما الخصال المطيبة للعيش ، التي لابد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد ، وتتوفر مقاصده ، ثمانية : الدين ، والخلق ، والحسن ، وخفة المهر ، والولادة ، والبكارة ، والنسب وأن لاتكون قرابة قريبة .

الأولى : أن تكون صالحة ذات دين ، فهذا هو الأصل ، وبه ينبغي أن يقع الاعتناء . فانها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ، أزرت بزوجها ، وسودت بين الناس وجهه ، وشوشت بالغيرة قلبه ، وتنغص بذلك عيشه . فان سلك سبيل الحمية والغيرة ، لم يزل في بلاء ومحنة . وإن سلك سبيل التساهل ، كان متهاونا بدينه وعرضه ، ومنسوبا إلى قلة الحمية والانفة . وإذا كانت مع الفساد جميلة ، كان بلاؤها أشد ، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ، ولا يصبر عليها ، ويكون كالذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]

---

(١) حديث : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لى امرأة لاترد يد لامس قال طلقها ـ الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكر وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات

وقال «يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ لِى امْرَأَةً لاَتَرُدُّ يَدَ لاَمِسٍ ، قَالَ طَلِّقْهَا . فَقَالَ إِنِّى أُحِبُّهَا قَالَ أَمْسِكْهَا » وإنما أمره بإمساكها ، خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه ، وفسد هو أيضا معها فرأى مافى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى

وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله ، أو بوجه آخر . لم يزل العيش مشوشا معه . فإن سكت ولم ينكره ، كان شريكا فى المعصية. مخالفا لقوله تعالى(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا[1]) وإن أنكر وخاصم ، تنغص العمر. ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين، فقال [1]« تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وحَسَبِهَاوَدِينِهَا ، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » وفى حديث آخر [2]« مَنْ نَكَحَ الْمَرْأَةَ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا حُرِمَ جَمَالَهَا ومَالَهَا وَمَنْ نَكَحَهَا لِدِينِهَا رَزَقَهُ اللهُ مَالَهَا وَجَمَالَهَا » وقال صلى الله عليه وسلم [3]« لاَتَنْكَحِ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا فَلَعَلَّ جَمَالَهَا يُرْدِيهَا وَلاَ لِمَالِهَا فَلَعَلَّ مَالَهَا يُطْغِيهَاوَانْكِحِ الْمَرْأَةَ لِدِينِهَا»

وإنما بالغ فى الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونا على الدين . فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له .

الثانية : حسن الخلق . وذلك أصل مهم فى طلب الفراغة والاستعانة على الدين ، فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان ، سيئة الخلق كافرة للنعم ، كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء ، قال بعض العرب ، لاتنكحوا من النساء ستة : لاأنانة ولامنانة ، ولاحنانة ، ولاتنكحوا حداقة ، ولا براقة ولاشداقة . أما الأنانة ، فهى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة. فنكاح المراضة أو نكاح المتمارضة لاخير فيه . والمنانة التى تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذاوكذا . والحنانة التى تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه ، والحداقة التى ترمي

(١) حديث : تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث : من نكح المرأة لمالها وجمالها جرم مالها وجمالها ـ الحديث: الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب فى الضعفاء .

(٣) حديث : لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها: ه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

(١) التحريم : ٦ .

إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه ، وتكلف الزوج شراءه . والبراقة تحتمل معنيين ، أحدهما أن تكون طول النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع ، والثانى أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها ، وتستقل نصيبها من كل شيء ، وهذه لغة يمانية ، يقولون برقت المرأة ، وبرق الصبي الطعام ، إذا غضب عنده : والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام . ومنه قوله عليه السلام [1] « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْغَضُ الثَّرْثَارِينَ الْمُتَشَدِّقِينَ »

وحكى ان السائح الأزدى لقى الياس عليه السلام فى سياحتة فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل . ثم قال ، لاتنكح أربعا : المختلعة ، والمبارية ، والعاهرة ، والناشز . فأما المختلعة ، فهى التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب . والمبارية المباهية بغيرها ، المفاخرة بأسباب الدنيا . والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن ؛ وهى التي قال الله تعالى « وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ [1] » والناشز التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال . والنشز العالى من الأرض

وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء ، البخل ، والزهو ، والجبن . فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها . وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب . وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة ، خيفة من زوجها

فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الاخلاق المطلوبة فى النكاح

الثالثة : حسن الوجه . فذلك أيضا مطلوب ، إذ به يحصل التحصن . والطبع لا يكتفى بالدميمة غالبا ؛ كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان . وما نقلناه من الحث على الدين وان المرأة لا تنكح لجمالها ، ليس زجرا عن رعاية الجمال . بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين . فان الجمال وحده فى غالب الامر يرغب فى النكاح ، ويهون أمر الدين . ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال ، ان الالف والمودة تحصل به غالبا ، وقد ندب

---

(١) حديث : ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين : ت وحسنه من حديث جابر وأن ابغضكم الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ولأبى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها

(١) النساء : ٢٥

الشرع إلى مراعاة أسباب الالفة ، ولذلك استحب النظر . فقال[1] «إِذَا أَوْقَعَ اللّهُ فِي نَفْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا فإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَهُمَا » أى يؤلف بينهما، من وقوع الأدمة على الأدمة ، وهى الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة . وانما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف

وقال عليه السلام[2] «إِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئاً فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ » قيل كان فى اعينهن عمش . وقيل صغر

وكان بعض الورعين لاينكحون كرائمهم الا بعد النظر ،احترازا من الغرور، وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همّ وغم : ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال من القبح

وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضى الله عنه ، وكان قد خضب ، فنصل خضابه ، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر ، وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا . وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصهيبا أتيا آهل بيت من العرب ، فخطبا اليهم ، فقيل لهما من أنتما ؟ فقال بلال أنا بلال ، وهذا أخى صهيب ، كنا ضالين فهدانا الله ، وكنا مملوكين فأعتقنا الله ، وكنا عائلين فأغنانا الله . فان تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فسبحان الله. فقالوا بل تزوجان، والحمد لله . فقال صهيب لبلال ، لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اسكت ، فقد صدقت فأنكحك الصدق

والغرور يقع فى الجمال والخلق جميعا ، فيستحب إزالة الغرور فى الجمال بالنظر ، وفى الخلق بالوصف والاستيصاف . فينبغى أن يقدم ذلك على النكاح، ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق ، خبير بالظاهر والباطن ، ولا يميل إليها فيفرط فى الثناء،

---

(١) حديث : اذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينهما : ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة دون قوله فانه أحرى وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما

(٢) حديث : إن فى أعين الانصار شيئا فاذا أراد احدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن : مسلم من حديث أبى هريرة نحوه

ولا يحسدها فيقصر . فالطباع مائلة فى مبادى النكاح ، ووصف المنكوحات إلى الافراط والتفريط ، وقل من يصدق فيه ويقتصد ، بل الخداع والاغراء أغلب ، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته

فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة ، أو الولد ، أو تدبير المنزل ، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب . لأنه على الجملة باب من الدنيا . وإن كان قد يعين على الدين فى حق بعض الأشخاص . قال أبو سليمان الداراني : الزهد فى كل شيء حتى فى المرأة، يتزوج الرجلُ العجوزَ إيثاراً للزهد فى الدنيا . وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول ، يترك أحدكم أن يتزوّج يتيمة فيؤجر فيها ، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير، ويتزوج بنت فلان وفلان ، يعنى أبناء الدنيا ، فتشتهى عليه الشهوات ، وتقول اكسنى كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل مَن أعقلُهما ؟ فقيل العوراء ، فقال زوجونى إياها . فهذا دأب من لم يقصد التمتع

فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع ، فليطلب الجمال . فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحدقة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهى على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله (خَيْرَاتٌ حِسَانٌ[(١)]) أراد بالخيرات حسنات الأخلاق ، وفى قوله (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ[(٢)]) وفى قوله (عُرُبًا أَتْرَابًا[(٣)]) العروب هى العاشقة لزوجها ، المشتهية للوقاع ، وبه تتم اللذة والحَوَرُ البياض ، والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر . والعيناء الواسعة العين . وقال عليه السلام[(١)] « خَيْرُ نِسَائِكُمْ . مَنْ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْهُ ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا » وَمَالِهِ وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج

الرابعة : أن تكون خفيفة المهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)] خَيْرُ النِّسَاءِ

---

(١) حديث : خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته وأن أمرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله النسائى من حديث أبى هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها وعند احمد فى نفسها وماله ولأبى داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح

(٢) حديث : خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهوراً ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن

---

(١) الرحمن : ٧٠ (٢) الرحمن : ٥٦ (٣) الواقعة : ٣٧

أَحْسَنُهُنَّ وُجُوهاً وَأَرْخَصُهُنَّ مُهُورًا » وقد نهى [١] عن المغالاة فى المهر؛ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان رحى يد ، وجرة ، ووسادة من أدم حشوها ليف . [٣] وأولم على بعض نسائه بمُدين من شعير . وعلى أخرى بمدين من تمر ، ومدين من سويق [٤]

وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق ، ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم

ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة ، لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] على نواة من ذهب ، يقال قيمتها خمسة دراهم . وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضى الله عنه على درهمين ، ثم

أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الاهلين أن اعظم النساء بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهراً وصححه

(١) حديث : النهى عن المغالاة فى المهر اصحاب السنن الاربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى

(٢) حديث : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يدوجرة ووسادة من أدم خشوها ليف أبو داود الطيالسى والبزار من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البزار ورأيته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصراً .

(٣) حديث : أولم على بعض نسائه بمدين من شعير البخاري من حديث عائشة

(٤) حديث : وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سويق الاربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجىء بفضل التمر وفضل السويق وفى الصحيحين التمر والأقط والسمن وليس فى شىء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين

(٥) حديث : كان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم الاربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح

(٦) حديث : تزوج بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويمها بخمسة دراهم رواه البيهقى

حملها هو إليه ليلا ، فأدخلها هو من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام ، فسلم عليها

ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به. وفى الخبر[1] « مِنْ بَرَكَةِ الْمَرْأَةِ سُرْعَةُ تَزْوِيجِهَا وَسُرْعَةُ رَحِمِهَا ؛ أي الْوِلَادَةُ ، وَيُسْرُ مَهْرِهَا » وقال أيضا[2] « أَبْرَكُهُنَّ أَقَلُّهُنَّ مَهْراً »

وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة ، فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل . ولا ينبغي أن ينكح طمعا فى المال . قال الثورى : إذا تزوج وقال أى شيء للمرأة فاعلم أنه لص وإذا أهدى اليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرهم الى المقابلة بأكثر منه . وكذلك اذا أهدوا اليه ، فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادى فمستحب ، وهو سبب المودة. قال عليه السلام[3] « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » وأما طلب الزيادة فداخل فى قوله تعالى (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ[1]) أى تعطى لتطلب أكثر . وتحت قوله تعالى (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ[2]) فان الربا هو الزيادة . وهذا طلب زيادة على الجملة . وان لم يكن فى الاموال الربوية . فكل ذلك مكروه وبدعة فى النكاح ، يشبه التجارة والقمار ، ويفسد مقاصد النكاح

الخامسة: أن تكون المرأة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها. قال عليه السلام[4] « عَلَيْكُمْ بِالْوَلُودِ الْوَدُودِ » فان لم يكن لها زوج ، ولم يعرف حالها، فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا فى الغالب مع هذين الوصفين

---

(١) حديث : من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أى الولادة وتيسير مهرها أحمد والبيهقى من حديث عائشة من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وان يتيسر صداقها وان يتيسر رحمها قال عروة يعنى الولادة واسناده جيد

(٢) حديث : أبركهن أقلهن مهراً أبو عمر التوقانى فى معاشرة الأهلين من حديث عائشة ان أعظم النساء بركة صبحهن وجوها وأقلهن مهراً وقد تقدم ولأحمد والبيهقى أن اعظم النساء بركة أيسرهن صداقا واسناده جيد

(٣) حديث : تهادوا تحابوا البخارى فى كتاب الأدب المفرد والبيهقى من حديث أبى هريرة بسند جيد

(٤) حديث : عليكم بالودود الولود أبو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح

---

(١) المدثر : ٦ (٢) الروم : ٣٩

السادسة : أن تكـون بكـرا . قال عليه السـلام لجابر وقدنكح ثيبا[١] « هَلاَّ بِكْرًا تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ »

وفى البكارة ثلاث فوائد

احداها : أن تحب الزوج وتألفه ، فيؤثر فى معنى الود : وقد قال صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ بِالْوَدُودِ » والطباع مجبولة على الانس بأول مألوف . وأما التى اختبرت الرجال وما رست الاحوال ، فربما لاترضى بعض الاوصاف التى تخالف ماألفته ، فتقلى الزوج

الثانية :أن ذلك أكمل فى مودته لها ، فان الطبع ينفر عن التى مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر . وبعض الطباع فى هذا أشد نفورا

الثالثة :انها لاتحن الى الزوج الاول ، وآكد الحب مايقع مع الحبيب الاول غالبا

السابعة : أن تكون نسيبة . أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح . فانها ستربى بناتها وبنيها ، فاذا لم تكن مؤدبة ، لم تحسن التأديب والتربية . ولذلك قال عليه السلام[٢] « إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ » فقيل ما خضراء الدمن قال « الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِى الْمَنْبَتِ السُّوءِ » وقال عليه السلام[٣] « تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ نَزَّاعٌ »

الثامنة : أن لاتكون من القرابة القريبة . فان ذلك يقلل الشهوة . قال صلى الله عليه وسلم[٤] « لاَ تَنْكِحُوا الْقَرَابَةَ الْقَرِيبَةَ فَإِنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِيًا » أى نحيفا . وذلك لتأثيره فى تضعيف

---

(١) حديث : قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر

(٢) حديث : اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء الدار قطنى فى الافراد والرامهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى قال الدار قطنى تفرد به الواقدى وهو ضعيف

(٣) حديث : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فان العرق وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس وروى أبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والايام من حديث ابن عمر وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فان العرق دساس وكلاهما ضعيف

(٤) حديث : لاتنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا معتمدا . قلت انما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا فى النوابغ رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تضووا

الشهوة . فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس ، وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد. فأما المعهود الذى دام النظر اليه مدة ، فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة

فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء

ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ، ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقها ، أوكان لا يكافئها فى نسبها . قال عليه السلام (١) « النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَرِيمَتَهُ » والاحتياط فى حقها أهم ، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال . ومهما زوج ابنته ظالما ، أو فاسقا ، أو مبتدعا ، أو شارب خمر ، فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار . وقال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة ، فمن أزوجها ؟ قال ممن يتقى الله ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها . وقال عليه السلام (٢) « مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا »

الباب الثالث

فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح

والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمرا: فى الوليمة، والمعاشرة، والدعابة، والسياسة والغيرة، والنفقة، والتعليم والقسم، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة، والمفارقة بالطلاق.

الأدب الأول: الوليمة وهى مستحبة: قال أنس رضى الله عنه « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه

---

(١) حديث : النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته رواه أبو عمر التوقانى فى معاشرة الاهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر . قال البيهقى وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح

(٢) حديث : من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ورواه فى الثقات من قول الشعبى باسناد صحيح

﴿ الباب الثالث فى آداب المعاشرة ﴾

وسلم [١] «عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَثَرَ صُفْرَةٍ فَقَالَ مَاهَذَا ؟ فَقَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ . أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] على صفية بتمر وسويق ، وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « طَعَامُ أَوَّلِ يَوْمٍ حَقٌّ وَطَعَامُ الثَّانِي سُنَّةٌ ، وَطَعَامُ الثَّالِثِ سُمْعَةٌ وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ » ولم يرفعه الازياد ابن عبد الله ، وهو غريب

وتستحب تهنئته ، فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك [٤]

ويستحب اظهار النكاح ، قال عليه السلام [٥] « فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] « أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ » وعن الربيع بنت معوذ قالت ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] فدخل على غداة بنى بى ، فجلس على فراشى ، وجويرات لنا يضربن بدفهن ، ويندبن من قتل من آبائى الى أن قالت إحداهن * وفينا نبى يعلم ما فى غد * فقال لها « اسْكُتِي عَنْ هَذِهِ وَقُولِي الَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ قَبْلَهَا »

الأدب الثانى : حسن الخلق معهن ، واحتمال الأذى منهن ، ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [١]) وقال فى تعظيم حقهن (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا [٢]) وقال (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ [٣]) قيل هى المرأة . وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث أنس : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه

(٢) : حديث أولم على صفية بسويق وتمر الاربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم

(٣) حديث : طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به قال المصنف لم يرفعه الازياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذى بعد ان اخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه

(٤) حديث أبى هريرة فى تهنئة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما ـ فى خير أبو داود والترمذى وصححه ابن ماجه وتقدم فى الدعوات

(٥) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب

(٦) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذى من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقى

(٧) حديث : الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن الحديث رواه البخارى وقال يوم بدر وقع فى بعض نسخ الاحياء يوم بعاث وهو وهم

---

(١) النساء : ١٩ (٢) النساء : ٢١ (٣) النساء : ٣٦

(١) ثلاث ، كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه ، وخفى كلامه ،جعل يقول « الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ ،وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَالاَ يُطِيقُونَ، اللهَ اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ فِي أَيْدِيكُمْ يعنى أسراء؛ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ » وقال عليه السلام (٢) « مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أَعْطَى أَيُّوبَ عَلَى بَلاَئِهِ وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ »

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الاذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل (٤) وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقال أتراجعينى يالكعاء ؟ فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك . فقال عمر: خابت حفصة وخسرت ان راجعته . ثم قال لحفصة لاتغترى بابنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخوفها من المراجعة ، وروى أنه دفعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) فزبرتها أمها فقال عليه السلام « دَعِيهَا

---

(١) حديث : آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لاتكلفوهم مالا يطيقون الله فى النساء فانهن عوان عندكم ـ الحديث النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الموت جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم فمازال يقولها ومايقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف ان ذلك كان فى حجة الوداع رواه مسلم فى حديث جابر الطويل وفيه فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله ـ الحديث

(٢) حديث : من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ـ الحديث لم أقف له على أصل

(٣) حديث : كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل ـ الحديث متفق عليه من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله تعالى ـ فان تظاهرا عليه ـ

(٤) حديث : وراجعت امرأة عمر عمر فى الكلام فقال أتراجعينى يا لكعاء قالت أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك ـ الحديث هو الحديث الذى قبله وليس فيه قوله يالكعاء ولاقولها هو خير منك

(٥) حديث : دفعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل

فَإِنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ »[١] وجرى بينه وبين عائشة كلام، حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما، واستشهده. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَكَلَّمِينَ أَوْ أَتَكَلَّمُ ؟ فقالت بل تكلم أنت ولاتقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال، ياعدية نفسها أو يقول غير الحق ؟ فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لَمْ نَدْعُكَ لِهَذَا وَلاَ أَرَدْنَا مِنْكَ هَذَا »[٢] وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده، أنت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها[٣] « إِنِّى لأَعْرِفُ غَضَبَكِ مِنْ رِضَاكِ » قالت وكيف تعرفه ؟ « قال إِذَا رَضِيتِ قُلْتِ لاَ وَإِلَهِ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا غَضِبْتِ قُلْتِ لاَ وَإِلَهِ إِبْرَاهِيمَ » قالت صدقت انما أهجر اسمك »[٤] ويقال ان أول حب وقع فى الاسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها[٥] وكان يقول لها « كُنْتُ لَكِ كَأَبِى زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ غَيْرَ أَنِّى لاَ أُطَلِّقُكِ » وكان يقول لنسائه[٦] « لاَتُؤْذُونِى فِى عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللهِ مَانَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِى لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا » وقال أنس رضى الله عنه، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] ارحم الناس بالنساء والصبيان

---

(١) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما ـ الحديث : الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف

(٢) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذى تزعم انك نبى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحق وقد عنعنه

(٣) حديث كان يقول لعائشة انى لأعرف غضبك من رضاك ـ الحديث : متفق عليه فى حديثها

(٤) حديث : أول حب وقع فى الاسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم عائشة الشيخان من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب اليك يارسول الله قال عائشة ـ الحديث : وأما كونه أول فرواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما فى الحديث الآخر ان ابن الزبير أول مولود ولد فى الاسلام يريد بالمدينة والا فمحبة النبى صلى الله عليه وسلم لخديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة

(٥) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثنا ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب

(٦) حديث لاتؤذونى فى عائشة فانه والله ماأنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها البخارى من حديث عائشة

(٧) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان مسلم بلفظ مارايت احدا كان ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على بن عبد العزيز والبغوى والصبيان

الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة ، والمزح والملاعبة . فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن ، وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق ، حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم [١] كان يسابق عائشة في العدو ، فسبقته يوما ، وسبقها في بعض الأيام ، فقال عليه السلام هذه بتلك . وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم [٢] من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضي الله عنها [٣] سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم ، وهم يلعبون في يوم عاشوراء . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرَى لَعِبَهُمْ » قالت قلت نعم . فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ، فوضع كفه على الباب ، ومد يده ، ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حَسْبُكِ » ، وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا . ثم قال « يَاعَائِشَةُ حَسْبُكِ » . فقلت نعم . فأشار اليهم فانصرفوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ » وقال عليه السلام [٥] « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي » وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي ، واذا كان في القوم وجد رجلا

---

(١) حديث مسابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال هذه بتلك :ابو داود والنسائى من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح

(٢) حديث كان من افكه الناس مع نسائه :الحسن بن سفيان فى مسنده من حديث انس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفى اسناده ابن لهيعة

(٣) حديث عائشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم ـ الحديث : متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وانما قال يوم عيد ودون قولها اسكت وفى رواية للنسائى فى الكبرى قلت لاتعجل مرتين وفيه فقال ياحميراء وسنده صحيح

(٤) حديث : اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله الترمذى والنسائى واللفظ له والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين

(٥) حديث : خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى الترمذى وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائى وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم

وفى تفسير الخبر المروى [١] « إِنَّ اللّهَ يَبْغَضُ الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَّاظَ » قيل هو الشديد على أهله ، المتكبر فى نفسه وهو أحد ما قيل فى معنى قوله تعالى (عُتُلٍّ [١]) قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله. وقال عليه السلام لجابر [٢] «هَلاَّ بِكْراً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » ووصفت اعرابية زوجها وقدماتت فقالت: والله لقد كان ضحوكا اذا ولج، سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد، غير مسائل عما فقد

الرابع : أن لا يتبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها ، الى حد يفسد خلقها ، ويسقط بالكلية هيبته عندها . بل يراعى الاعتدال فيه ، فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكراً ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة . بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض . قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة . وقد قيل شاوروهن وخالفوهن . وقد قال عليه السلام [٣] « تَعِسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ » وإنما قال ذلك لأنه اذا أطاعها فى هواها فهو عبدها . وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه ، فقد عكس الامر ، وقلب القضية ، وأطاع الشيطان لما قال (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ [٢]) اذحق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا . وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء ، وسمى الزوج سيدا ، فقال تعالى (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ [٣]) فاذا انقلب السيد مسخراً فقد بدل نعمة الله كفراً

ونفس المرأة على مثال نفسك ، ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا ، وان أرخيت عذارها فتراً جذبتك ذراعا ، وان كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها .

---

(١) حديث : ان الله يبغض الجعظرى الجواظ أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وهو فى الصحيحين من حديث جارية ابن وهب الخزاعى بلفظ ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ولأبى داود لا يدخل الجنة الجوّاظ ولا الجعظرى

(٢) حديث : قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم

(٣) حديث : تعس عبد الزوجة لم أقف له على أصل والمعروف تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخارى من حديث أبى هريرة

---

[١] القلم : ١٣ [٢] النساء : ١١٩ [٣] يوسف : ٢٥

قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة ان أكرمتهم أهانوك ، وان أهنتهم أكرموك : المرأة، والخادم ، والنبطي . أراد به أن محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك، وفظاظتك برفقك

وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج . وكانت المرأة تقول لابنتها ، اختبري زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه ؛ انزعي زج رمحه ، فان سكت فقطعي اللحم على ترسه، فان سكت فكسري العظام بسيفه ، فان سكت فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه ، فانما هو حمارك

وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض . فكل ماجاوز حده انعكس على ضده . فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ، وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن ، فان كيدهن عظيم ، وشرهن فاش ، والغالب عليهن سوء الخلق ، وركاكة العقل ،ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة . وقال عليه السلام [١] « مَثَلُ المَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النِّسَاءِ كَمَثَلِ الغُرَابِ الْأَعْصَمِ بَيْنَ مِائَةِ غُرَابٍ » والاعصم يعني الابيض البطن . وفي وصية لقمان لابنه : يابني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب ، واتق شرار النساء فانهن لايدعون الى خير . وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام [٢] « اسْتَعِيذُوا مِنَ الْفَوَاقِرِ الثَّلَاثِ » وعدّ منهن المرأة السوء ؛ فانها المشيبة قبل الشيب . وفي لفظ آخر « إِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهَا سَبَّتْكَ وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ » وقد قال عليه السلام في خيرات النساء [٣] « إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ » يعني انصرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى . قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث : مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لايدخل الجنة من النساء الامثل هذا الغراب في هذه الغربان واسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي

(٢) حديث : أستعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر أن دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر وذكر منها وامرأة ان حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك وسنده حسن

(٣) حديث : انكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة

(١) (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه ، وقال عليه السلام (٢) « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ » وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته لما راجعته ، وقال ماأنت الا لعبة فى جانب البيت ، ان كانت لنا اليك حاجة. والاجلست كما أنت.

فاذن فيهن شر ، وفيهن ضعف ، فالسياسة والخشونة علاج الشر ، والمطايبة والرحمة علاج الضعف . فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا الى أخلاقها بالتجربة ، ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها

الخامس : الاعتدال فى الغيرة . وهو أن لايتغافل عن مبادىء الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن . فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « ان تتبع عَوْرَاتُ النِّسَاءِ » وفى لفظ آخر « أَنْ تُبْغَتَ النِّسَاءِ » ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال (٤) قبل دخول المدينة « لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلاً » فخالفه رجلان فسبقا ، فرأى كل واحد فى منزله ما يكره . وفى الخبر المشهور (٥) « الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ قَوَّمْتَهُ كَسَرْتَهُ فَدَعْهُ تَسْتَمْتِعْ بِهِ عَلَى عِوَجٍ » وهذا فى تهذيب أخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ غَيْرَةً يُبْغِضُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ » لان ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه، فان بعض الظن اثم

(١) حديث : نزول قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فى خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة

(٢) حديث لايفلح قوم تملكهم امرأة البخارى من حديث أبى بكرة نحوه

(٣) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر نهى أن تتطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى ان يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخارى منه على ذكر النهى عن الطروق ليلا

(٤) حديث انه قال قبل دخول المدينة لاتطرقوا أهلكم ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد

(٥) حديث: المرأة كالضلع ان أردت تقيمه كسرته الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث : غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك

(١) التحريم : ٤

وقال علي رضي الله عنه : لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك

وأما الغيرة في محلها فلا بد منها ، وهي محمودة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ » وقال عليه السلام (٢) « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ أَنَا وَاللهِ أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي » ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ماظهر وما بطن، ولا أحد أحب اليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين، ولا أحد أحب اليه المدح من الله، ولأجل ذلك وعد الجنة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فِي الْجَنَّةِ قَصْراً وَبِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ يَا عُمَرُ » فبكى عمر وقال أعليك أغار يارسول الله . وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق ؟ قبح الله من لا يغار . وقال عليه السلام (٤) إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهُ اللهُ ، وَمِنَ الْخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهُ اللهُ، فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ، وَالاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدْمَةِ . وَالاخْتِيَالُ الَّذِي يُبْغِضُهُ اللهُ الاخْتِيَالُ فِي الْبَاطِلِ » وقال عليه السلام (٥) « إِنِّي لَغَيُورٌ وَمَا مِنَ امْرِئٍ لَا يَغَارُ إِلَّا مَنْكُوسُ الْقَلْبِ »

---

(١) حديث : الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان يأتي الرجل المؤمن ماحرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والمؤمن يغار

(٢) حديث : أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله اغير مني الحديث متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

(٣) حديث : رأيت ليلة اسرى بي في الجنة قصراً وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسري بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث ابي هريرة بينا أنا نائم في الجنة رأيتني الحديث

(٤) حديث : ان من الغيرة مايحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى الحديث ابو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة احاديث

(٥) حديث : اني لغيور وما من امرىء لايغار الا منكوس القلب تقدم اوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الاهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر انه عبدالله بن الحنفية

والطريق المغني عن الغيرة أن لايدخل عليها الرجال ، وهي لاتخرج الى الاسواق. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لابنته فاطمة عليها السلام « أيُّ شيءٍ خَيْرٌ للمَرْأةِ؟ قالت أن لاترى رجلا ولايراها رجل فضمها اليه وقال (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (١)) فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الكوى والثقب في الحيطان ، لئلا تطلع النسوان الى الرجال . ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة ، فضربها . ورأى امرأته قد دفعت الى غلامه تفاحة قد أكلت منها ، فضربها . وقال عمر رضى الله عنه . أعروا النساء يلزمن الحجال. وانما قال ذلك لانهن لايرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال عوِّدوا نساءكم لا

وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) للنساء في حضور المسجد ، والصواب الآن المنع ، الا العجائز . بل استصوب ذلك في زمان الصحابة . حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم (٣) ماأحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج . ولمّا قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) « لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ » فقال بعض ولده ، بلى والله لنمنعهن، فضربه وغضب عليه، وقال تسمعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا فتقول بلى : وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان ، وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر . وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) قد أذن لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن ، ولكن لايخرجن الا برضا أزواجهن . والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ، ولكن القعود أسلم . وينبغي أن لاتخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة، تقدح في المروءة ، وربما تفضي الى الفساد فاذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال ،ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة،

---

(١) حديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث البزار والدار قطني في الافراد من حديث علي بسند ضعيف

(٢) حديث : الاذن للنساء في حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد

(٣) حديث : قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج متفق عليه قال البخاري لمنعهن من المساجد

(٤) حديث ابن عمر : لاتمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه

(٥) حديث : الاذن لهن في الخروج في الاعياد متفق عليه من حديث أم عطية

---

(١) آل عمران : ٣٤

كوجه المرأة فى حقه ، بل هو كوجه الصبى الامرد فى حق الرجل ، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط. فان لم تكن فتنة فلا ، اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن منتقبات . ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن من الخروج إلا لضرورة

السادس : الاعتدال فى النفقة . فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الانفاق ، ولا ينبغى أن يسرف . بل يقتصد . قال تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا [١]) وقال تعالى (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ [٢]) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ » وقيل كان لعلى رضى الله عنه أربع نسوة ، فكان يشترى لكل واحدة فى كل أربعة أيام لحما بدرهم . وقال الحسن رضى الله عنه : كانوا فى الرجال مخاصيب ، وفى الاثاث والثياب مجاديب. وقال ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لأهله فى كل جمعة فالوذجة . وكأن الحلاوة وان لم تكن من المهمات ، ولكن تركها بالكلية تقتير فى العادة.

وينبغى أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام، وما يفسد لو ترك . فهذا أقل درجات الخير. وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج . ولا ينبغى ان يستأثر عن أهله بمأكول طيب، فلا يطعمهم منه. فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فليأكله بخفية ، بحيث لا يعرف أهله . ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه . واذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته . فقد قال سفيان رضى الله عنه : بلغنا ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة

وأهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق أن يطعمها من الحلال، ولا يدخل مداخل السوء

---

(١) حديث : خيركم خيركم لأهله الترمذى من حديث عائشة وصححه وقد تقدم

(٢) حديث : دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها الدينار الذي أنفقته على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة

(١) الاعراف : ٣١ (٢) الاسراء : ٢٩

لاجلها،فان ذلك جناية عليها الا مراعاة لهـا . وقـد أوردنا الاخبـار الواردة فى ذلك عنـد ذكـر آفات النكاح

السابع . أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه مايحترز به الاحتراز الواجب . ويعلم زوجته أحكام الصلاة ، وما يقضى منها فى الحيض ومالا يقضى ، فانه أمر بان يقيها النار بقوله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً[1])فعليهان يلقنها اعتقادأهل السنة ،ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ، ويخوفها فى الله ان تساهلت فى أمر الدين ، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ماتحتاج اليـه

وعلم الاستحاضة يطول ، فاماالذى لابدمن ارشادالنساء اليه فى أمر الحيض بيان الصلوات التى تقضيها،فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر . واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة ، فعليها قضاء المغرب والعشاء ، وهذا أقل ماراعيه النساء

فان كان الرجل قائما بتعليمها ، فليس لهـا الخروج لسؤال العلماء ، وان قصر علم الرجل ، ولكن ناب عنها فى السؤال فاخبرها بجواب المفتى ، فليس لها الخروج ، فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال ، بل عليها ذلك ، ويعصى الرجل بمنعها ، ومهما تعلمت ماهو من الفرائض عليها ، فليس لها أن تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ، ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة،ولم يعلمها الرجل ،خرج الرجل معها وشاركها فى الاثم

الثامن : اذا كان له نسوة فينبغى أن يعدل بينهن، ولا يميل الى بعضهن ، فان خرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة ، أقرع بينهن . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] : فان ظلم امرأة بليلتها ، قضى لها ، فان القضاء واجب عليه ، وعند ذلك يحتاج الى معرفة أحكام القسم ، وذلك يطول ذكره ، وقد قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم[2] «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا دُونَ الأُخْرَى،وفى لفظ وَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ» وانما عليه العدل فى العطاء والمبيت ،واما فى الحب والوقاع فذلك لايدخل تحت الاختيار

(١) حديث : القرعة بين أزواجه اذا أراد سفرا متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث : من كان له امرأتان فمال الى احداها دون الأخرى وفى لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبى هريرة قال أبوداود وابن حبان فمال مع احداها وقال الترمذى فلم يعدل بينهما

(١) التحريم : ٦

قال الله تعالى (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ [(١)]) أى لا تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ، ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] يعدل بينهن فى العطاء والبيوتة فى الليالى ، ويقول « اللَّهُمَّ هَذَا جُهْدِى فِيمَا أَمْلِكُ وَلاَ طَاقَةَ لِى فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ » يعنى الحب . وقد كانت عائشة رضى الله عنها [(٢)] أحب نسائه اليه ، وسائر نسائه يعرفن ذلك [(٣)] وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة ، فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول « أَيْنَ أَنَا غَداً » ففطنت لذلك امرأة منهن . فقالت انما يسأل عن يوم عائشة . فقلنا يارسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة ، فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة . فقال « وَقَدْ رَضِيتُنَّ بِذَلِكَ » فقلن نعم . قال « فَحَوِّلُونِى إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ »

ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ، ورضى الزوج بذلك ، ثبت الحق لها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٤)] يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت ،

---

(١) حديث : كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك : أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث كانت عائشة أحب نسائه اليه : متفق عليه من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب اليك يارسول الله قال عائشة وقد تقدم

(٣) حديث : كان يطاف به محمولا فى مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول أين أنا غداً الحديث ابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له لما ثقل قال أين أنا غداً قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه ان يكون حيث شاء وفى الصحيحين لما ثقل استأذن ازواجه ان يمرض فى بيتى فأذن له

(٤) حديث : كان يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث ابو داود من حديث عائشة قالت سودة حين اسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبرانى فأراد ان يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها بيوم سودة وللبيهقى مرسلا طلق سودة فقالت اريد ان احشر فى ازواجك الحديث

---

(١) النساء : ١٢٩

فوهبت ليلتها لعائشة ، وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسائه . فتركها ، وكان لا يقسم لها ، ويقسم لعائشة ليلتين ، ولسائر أزواجه ليلة ليلة . ولكنه صلى الله عليه وسلم ، لحسن عدله وقوته ، كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من النساء فى غير نوبتها ، فجامعها طاف فى يومه أو ليلته على سائر نسائه . فمن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] طاف على نسائه فى ليلة واحدة . وعن أنس ، أنه عليه السلام [٢] طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار

التاسع : فى النشوز . ومهما وقع بينهما خصام ، ولم يلتئم أمرهما . فان كان من جانبهما جميعا ، أو من الرجل ، فلا تسلط الزوجة على زوجها ، ولا يقدر على اصلاحها ، فلا بد من حكمين ، أحدهما من أهله ، والآخر من أهلها ، لينظرا بينهما . ويصلحا أمرهما إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما . وقد بعث عمر رضى الله عنه حكما الى زوجين ، فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة ، وقال ان الله تعالى يقول (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا [١]) فعاد الرجل وأحسن النية ، وتلطف بهما فأصلح بينهما

وأما اذا كان النشوز من المرأة خاصة ، فالرجال قوامون على النساء . فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا . وكذا اذا كانت تاركة للصلاة ، فله حملها على الصلاة قهرا . ولكن ينبغى ان يتدرج فى تأديبها . وهو ان يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف ، فان لم ينجع ولاها ظهره فى المضجع ، أو انفرد عنها بالفراش ، وهجرها وهو فى البيت معها ، من ليلة الى ثلاث ليال . فان لم ينجع ذلك فيها ، ضربها ضربا غير مبرح ، بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ، ولا يدمى لها جسما ، ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه ، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث : عائشة طاف على نسائه فى ليلة واحدة : متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيباً

(٢) حديث : أنس أنه طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار : ابن عدى فى الكامل وللبخارى كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة

---

(١) النساء : ٣٥

(١) ماحق المرأة على الرجل ؟ قال « يُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمَ ، وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَلاَ يُقَبِّحُ الْوَجْهَ وَلاَ يَضْرِبُ إِلاَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلاَ يَهْجُرُهَا إِلاَّ فِي الْمَبِيتِ »

وله أن يغضب عليها ويهجرها فى أمر من أمور الدين، إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر (٢) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أرسل الى زينب بهدية فردتها عليه ، فقالت له التى هو فى بيتها ، لقد أقمأتك اذ ردت عليك هديتك . أى أذلتك واستصغرتك . فقال صلى الله عليه وسلم « أَنْتُنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ أَنْ تُقْمِئْنَنِي » ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد اليهن

العاشر : فى آداب الجماع . ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ، ويقرأ قل هو الله أحد أولا ، ويكبر ويهلل ، ويقول بسم الله العلىّ العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى . وقال عليه السلام (٣) « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ » وإذا قربت من الانزال ، فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً) الآية

وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته

ثم ينحرف عن القبلة، ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه وأهله بثوب . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) يغطى رأسه، ويغض صوته ، ويقول للمرأة عليك بالسكينة. وفى الخبر (٥) « إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلاَ يَتَجَرَّدَانِ تَجَرُّدَ الْعِيرَيْنِ » أى الحمارين

---

(١) حديث : قيل له ماحق المرأة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا فى البيت: أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية ابن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح وفى رواية لأبى داود ولا تقبح الوجه ولا تضرب

(٢) حديث : هجره صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً لما أرسل بهدية الى زينب فردتها فقالت له التى فى بيتها لقد أقمأتك الحديث ذكره ابن الجوزى فى الوفاء بغير اسناد وفى الصحيحين من حديث عمر كان أقسم ألا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن وفى رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهراً

(٣) حديث : لو أن أحدكم اذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان: الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

(٤) حديث كان يغطى رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة: الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف

(٥) حديث : إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين: ابن ماجه من حديث عتبة ابن عبد بسند ضعيف

وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل ، قال صلى الله عليه وسلم [(١)] « لَا يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا تَقَعُ الْبَهِيمَةُ . وَلْيَكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ ، قِيلَ وَمَا الرَّسُولُ ، يَارَسُولَ الله ؟ قَالَ الْقُبْلَةُ وَالْكَلَامُ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٢)] « ثَلَاثٌ مِنَ الْعَجْزِ فِي الرَّجُلِ ، أَنْ يَلْقَى مَنْ يُحِبُّ مَعْرِفَتَهُ فَيُفَارِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ ، وَالثَّانِي أَنْ يُكْرِمَهُ أَحَدٌ فَيَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَامَتَهُ وَالثَّالِثُ أَنْ يُقَارِبَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ فَيُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَهَا وَيُؤَانِسَهَا وَيُضَاجِعَهَا فَيَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا مِنْهُ »

ويكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر : الأول ، والآخر ، والنصف . يقال أن الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى . ويقال أن الشياطين يجامعون فيها . وروى كراهة ذلك عن على ومعاوية وأبى هريرة رضى الله عنهم

ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته ، تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم [(٣)] « رَحِمَ اللهُ مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ » الحديث

ثم اذا قضى وطره فليتمهل على أهله ، حتى تقضى هى أيضاً نهمتها. فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها ايذاء لها . والاختلاف فى طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الانزال . والتوافق فى وقت الانزال ألذ عندها ، ليشتغل الرجل بنفسه عنها ، فانها ربما تستحي . وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة ، فهو أعدل اذ عدد النساء أربعة ، فجاز التأخير الى هذا الحد . نعم ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين فان تحصينها واجب عليه ، وان كان لا يثبت المطالبة بالوطء ، فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها

ولا يأتيها فى المحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل . فهو محرم بنص الكتاب . وقيل ان ذلك يورث الجذام فى الولد ، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ، ولا يأتيها فى غير المأتى ،

---

(١) حديث : لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة بعض الحديث : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر

(٢) حديث ثلاث من العجز فى الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه ـ الحديث أبو منصور الديلمى من حديث أخصر منه وهو ـ الحديث الذى قبله

(٣) حديث : رحم الله من غسل واغتسل تقدم فى الباب الخامس من الصلاة

إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى ، والأذى فى غير المأتى دائم ، فهو أشد تحريماً من اتيان الحائض . وقوله تعالى (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ[1]) أى أى وقت شئتم . وله أن يستمنى بيديها ، وأن يستمتع بما تحت الازار بما يشتهى ، سوى الوقاع ، وينبغى أن تتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة فى حال الحيض ، فهذا من الأدب . وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها فى المضاجعة وغيرها ، وليس عليه اجتنابها

وان أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى ، فليغسل فرجه أولا . وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول

ويكره الجماع فى أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة ، فان أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولا وضوء الصلاة فذلك سنة . قال ابن عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم[1] أينام أحدنا وهو جنب ؟ قال « نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ » ولكن قد وردت فيه رخصة ، قالت عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم[2] ينام جنباً لم يمس ماء ، ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه ، أو لينفضه ، فانه لا يدرى ماحدث عليه بعده

ولا ينبغى أن يحلق ، أو يقلم ، أو يستحد ، أو يخرج الدم ، أو يبين من نفسه جزأ وهو جنب ، اذ ترد اليه سائر أجزائه فى الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنابتها

ومن الآداب أن لا يعزل ، بل لا يسرح إلا الى محل الحرث وهو الرحم[3] « فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة » هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان عزل ، فقد اختلف العلماء فى اباحته وكراهته ، على أربع مذاهب : فمن مبيح مطلقاً بكل حال ، ومن محرم بكل حال ، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها ، وكأن هذا القائل يحرم الايذاء

---

(١) حديث ابن عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ : متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لا أن عبدالله هو السائل

(٢) حديث عائشة كان ينام جنباً لم يمس ماء : ابوداود والترمذى وابن ماجه وقال يزيد بن هارون انه وهم ونقل البيهقى عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية

(٣) حديث : ما من نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة : متفق عليه من حديث أبى سعيد

---

(١) البقرة : ٢٢٣

دون العزل ، ومن قائل يباح فى المملوكة دون الحرة

والصحيح عندنا أن ذلك مباح . وأما الكراهية فانها تطلق لنهى التحريم ، ولنهى التنزيه ، ولترك الفضيلة ، فهو مكروه بالمعنى الثالث . أى فيه ترك فضيلة . كما يقال يكره للقاعد فى المسجد أن يقعد فارغاً لايشتغل بذكر أو صلاة . ويكره للحاضر فى مكة مقيما بها الا يحج كل سنة : والمراد بهذه الكراهية ترك الاولى والفضيلة فقط . وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة فى الولد ، ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَامِعُ أَهْلَهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِجِمَاعِهِ أَجْرُ وَلَدٍ ذَكَرٍ قَاتَلَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَقُتِلَ » وانما قال ذلك لأنه لو ولد له ولد مثل هذا الولد ، لكان له أجر التسبب اليه ، مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذى اليه من التسبب فقد فعله ، وهو الوقاع ، وذلك عند الامناء فى الرحم

وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه ، لأن اثبات النهى انما يمكن بنص ،أو قياس على منصوص . ولا نص ، ولا أصل يقاس عليه ، بل ههنا أصل يقاس عليه ،وهو ترك النكاح أصلا ، أو ترك الجماع بعد النكاح ، أو ترك الانزال بعد الايلاج . فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهى . ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة فى الرحم ،ولها أربعة أسباب : النكاح ثم الوقاع ، ثم الصبر الى الانزال بعد الجماع ، ثم الوقوف لينصب المنى فى الرحم . وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض ، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث ، وكذا الثالث كالثانى ، والثانى كالأول ، . وليس هذا كالاجهاض والوأد ، لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وله أيضاً مراتب ، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم ، وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة . وافساد ذلك جناية . فان صارت مضغة وعلقة ، كانت الجناية أفحش وان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ، ازدادت الجناية تفاحشاً . ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حياً

وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى فى الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل ، لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده ، بل من الزوجين جميعاً . اما من مائه ومائها ، أو من مائه ودم الحيض . قال بعض أهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض

---

(١) حديث ان الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل فى سبيل الله : لم أجد له أصلا

وان الدم منها كاللبن من الرائب ، وان النطفة من الرجل شرط فى خثور دم الحيض وانعقاده، كالأنفحة للبن ، إذ بها ينعقد الرائب . وكيفما كان فماء المرأة ركن فى الانعقاد، فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول فى الوجود الحكمى فى العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول ، لايكون جانياً على العقد بالنقض والفسخ . ومهما اجتمع الايجاب والقبول، كان الرجوع بعده رفعاً وفسخاً وقطعاً . وكما أن النطفة فى الفقار لا يتخلق منها الولد ، فكذا بعد الخروج من الاحليل مالم يمتزج بماء المرأة أو دمها ، فهذا هو القياس الجلى

فان قلت: فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد، فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه ، اذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة ، فيها شىء من شوائب الشرك الخفى . فأقول النيات الباعثة على العزل خمس :

الأولى: فى السرارى ، وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق ، وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ، ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه

الثانية : استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع ، واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق وهذا أيضاً ليس منهياً عنه

الثالثة: الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة الى التعب فى الكسب ودخول مداخل السوء ، وهذا أيضاً غير منهى عنه . فان قلة الحرج معين على الدين . نعم الكمال والفضل فى التوكل والثقة بضمان الله، حيث قال (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا[1]) ولاجرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل، ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره ، مع كونه مناقضاً للتوكل ، لا نقول انه منهى عنه

الرابعة : الخوف من الأولاد الاناث ، لما يعتقد فى تزويجهن من المعرة ، كما كانت من عادة العرب فى قتلهم الاناث ، فهذه نية فاسدة ، لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها ، لا بترك النكاح والوطء : فكذا فى العزل . والفساد فى اعتقاد المعرفة فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل ، فكانت تتشبه بالرجال . ولا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح

(٢) هود: ٦

الخامسة : أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها فى النظافة، والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع . وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن فى استعمال المياه ،حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ، ولايدخلن الخلاء إلا عراة. فهذه بدعة تخالف السنة ،فهى نية فاسدة. واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضى الله عنها لما قدمت البصرة ، فلم تأذن لها ، فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة

فان قلت: فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم [(١)] « مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ مَخَافَةَ الْعِيَالِ فَلَيْسَ منَّا ثلاثا » قلتُ فالعزل كترك النكاح ، وقوله ليس منا أى ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا ، وسنتنا فعل الافضل

فان قلت: فقد قال صلى الله عليه وسلم [(٢)] فى العزل « ذَالِكَ الْوَأْدُ الْخَفِى » وَقَرأَ (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ [(١)]) وهذا فى الصحيح، قلنا وفى الصحيح أيضا أخبار صحيحة [(٣)] فى الاباحة وقوله الوأد الخفي ، كقوله الشرك الخفى ، وذلك يوجب كراهة لاتحريما

فان قلت: فقد قال ابن عباس ، العزل هو الوأد الاصغر ، فان الممنوع وجوده به هو المؤودة الصغرى ، قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه ، وهو قياس ضعيف ، ولذلك أنكره عليه على رضى الله عنه لما سمعه ، وقال لاتكون موءودة إلا بعد سبع ، أى بعد الاخرى سبعة أطوار ، وتلا الآية الواردة فى أطوار الخلقة ، وهى قوله تعالى(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ [(٢)]) الى قوله(ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أى نفخنا فيه الروح . ثم تلا قوله تعالى فى الآية (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ) وإذا نظرت الى ما قدمناه فى طريق القياس والاعتبار ، ظهر لك تفاوت منصب على وابن عباس رضى الله عنهما فى الغوص على المعانى ودرك العلوم

---

(١) حديث : من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا: تقدم فى أول النكاح

(٢) حديث : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى العزل ذلك الوأد الخفى :مسلم من حديث جذامة بنت وهب

(٣) أحاديث : اباحة العزل مسلم من حديث أبى سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لاتفعلوه ورواه النسائى من حديث أبى صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائى من حديث أبى هريرة سئل عن العزل فقيل ان اليهود تزعم انها الموءودة الصغرى فقال كذبت يهود قال البيهقى ورواة الاباحة أكثر وأحفظ

---

(١) التكوير : ٨ (٢) المؤمنون : ١٢-١٣-١٤

كيف وفى المتفق عليه فى الصحيحين عن جابر أنه (١) قال ، كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل . وفى لفظ آخر كنا نعزل ، فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينهنا . وفيه أيضا عن جابر أنه قال ، إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) . فقال ان لى جارية هى خادمتنا وساقيتنا فى النخل ، وأنا أطوف عليها ، وأكره أن تحمل . فقال عليه السلام « اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » فلبث الرجل ماشاء الله ثم أتاه فقال ، ان الجارية قد حملت . فقال « قَدْ قُلْتُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » كل ذلك فى الصحيحين

الحادى عشر : فى آداب الولادة وهى خمسة :ـ

الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر ، وحزنه بالأنثى . فانه لا يدرى الخيرة له فى أيهما . فكم من صاحب ابن يتمنى أن يكون بنتا . بل السلامة منهن أكثر ، والثواب فيهن أجزل . قال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَادِيبَهَا وَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي أَسْبَغَ اللهُ عَلَيْهِ كَانَتْ لَهُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ » وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) « مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْرِكُ ابْنَتَيْنِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ إِلاَّ أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ

---

(١) حديث جابر المتفق عليه فى الصحيحين كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهناهو كما ذكر متفق عليه الا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم

(٢) حديث جابر ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية وهي خادمنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها ان شئت ـ الحديث : ذكر المصنف أنه فى الصحيحين وليس كذلك وانما انفرد به مسلم

(٣) حديث : من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها ـ الحديث : الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا أدخلتاه الجنة ابن ماجة والحاكم وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين الخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين وقال حسن غريب

كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] « مَنْ خَرَجَ إِلَى سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ فَاشْتَرَى شَيْئاً فَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَخَصَّ بِهِ الْإِنَاثَ دُونَ الذُّكُورِ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٢)] « مَنْ حَمَلَ طُرْفَةً مِنَ السُّوقِ إِلَى عِيَالِهِ فَكَأَنَّمَا حَمَلَ إِلَيْهِمْ صَدَقَةً حَتَّى يَضَعَهَا فِيهِمْ وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّحَ أُنْثَى فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ » وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم [(٣)] « مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ » فقال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال « وَثِنْتَانِ » فقال رجل أو واحدة ؟ فقال « وَوَاحِدَةٌ »

الأدب الثانى : أن يؤذن في أذن الولد ، روى رافع عن أبيه قال ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم [(٤)] قد أذن فى أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضى الله عنها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم [(٥)] أنه قال « مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى دُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ » ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ، ليكون ذلك أول حديثه . [(٦)] والختان فى اليوم السابع ورد به خبر

---

(١) حديث أنس من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه : الخرائطى بسند ضعيف

(٢) حديث أنس من حمل طرفة من السوق الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة: الخرائطى بسند ضعيف جدا وابن عدى فى الكامل وقال ابن الجوزى حديث موضوع

(٣) حديث أبى هريرة من كانت له ثلاث بنات أو اخوات فصبر على لأوائهن :الحديث الخرائطى واللفظ له والحاكم ولم يقل أو اخوات وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث أبى رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى أذن الحسين حين ولدته فاطمه: أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذى وصححه الا أنهما قالا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطانى

(٥) حديث : من ولد له مولود وأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان:أبو يعلى الموصلى وابن السنى فى اليوم والليلة والبيهقى فى شعب الايمان من حديث الحسين بن على بسند ضعيف

(٦) حديث : الختان فى اليوم السابع: الطبرانى فى الصغير من حديث جابر بسند ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام واسناده ضعيف واختلف فى اسناده فقيل عبد الملك بن ابراهيم بن زهير عن أبيه عن جده

الأدب الثالث: أن تسميه اسما حسنا فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم [١] « إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا وقال عليه الصلاة والسلام [٢] « أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ » وقال [٣] «سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي» قال العلماء ، كان ذلك فى عصره صلى الله عليه وسلم اذ كان ينادى يا أبا القاسم . والآن فلا بأس . نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته، وقد قال صلى الله عليه وسلم [٤] « لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ اسْمِي وَكُنْيَتِي » وقيل ان هذا أيضا كان فى حياته . وتسمى رجل أبا عيسى، فقال عليه السلام [٥] «إِنَّ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ »فيكره ذلك

والسقط ينبغى أن يسمى . قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، بلغنى ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه ، فيقول أنت ضيعتنى وتركتنى لا اسم لى . فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدرى أنه غلام أو جارية ؟ فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما ، كحمزة وعمارة ، وطلحة ، وعتبة .

وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله. أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] اسم العاص بعبد الله . وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام [٨] « تُزَكِّي نَفْسَهَا »

---

(١) حديث : اذا سميتم فعبدوا :الطبرانى من حديث عبد الملك بن أبى زهير عن أبيه معاذ وصحح اسناده والبيهقى من حديث عائشة

(٢) حديث : أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن : مسلم من حديث ابن عمر

(٣) حديث : سموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى : متفق عليه من حديث جابر وفى لفظ تسموا

(٤) حديث : لاتجمعوا بين اسمى وكنيتى :أحمد وابن حبان من حديث أبى هريرة ولأبى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمى فلا يتكنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى

(٥) حديث : ان عيسى لا أب له:ابو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبى داود أن عمر ضرب ابنا له تكنى أبا عيسى وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيه بأبى عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانى واسناده صحيح

(٦) حديث : انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم :ابو داود من حديث ابى الدرداء قال النووى باسناد جيد وقال البيهقى انه مرسل

(٧) حديث : بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله :رواه البيهقى من حديث عبد الله ابن الحرث بن جزء الزبيدى بسند صحيح

(٨) حديث : قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها برة تزكى نفسها فسماها زينب :متفق عليه من حديث أبى هريرة

فسماها زينب وكذلك ورد النهى فى تسمية[١] أفلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال أثم بركة فيقال لا .

الرابع : العقيقة عن الذكر بشاتين ، وعن الانثى بشاة . ولا بأس بالشاة ذكرا كان أو أنثى . وروت عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] أمر فى الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين ، وفى الجارية بشاة . وروى [٣] أنه عق عن الحسن بشاة . وهذا رخصة فى الاقتصار على واحدة . وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَتُهُ فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَماً وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى »

ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة . فقد ورد فيه خبر إنه عليه السلام [٥] أمر فاطمة رضى الله عنها يوم سابع حسين ، أن تحلق شعره ، وتتصدق بزنة شعره فضة . قالت عائشة رضى الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم

الخامس : أن يحنكه بتمرة أو حلاوة . وروى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت ، [٦] ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعته فى حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ، ثم تفل فى فيه . فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له ، وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد فى الاسلام ، ففرحوا به فرحا شديدا ، لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم .

---

(١) حديث : النهي فى تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة : مسلم من حديث سمرة بن جندب الا أنه جعل مكان بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن ينهى أن يسمى بيعلى وبركة الحديث

(٢) حديث : عائشة أمر فى الغلام بشاتين مكافئتين وفى الجارية بشاة : الترمذى وصححه

(٣) حديث : عق عن الحسن بشاة الترمذى من حديث على وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم الا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا

(٤) حديث : مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى : البخارى من حديث سلمان بن عامر الضبي

(٥) حديث : أمر فاطمة يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة : الحاكم وصححه من حديث على وهو عند الترمذى منقطع بلفظ حسن وقال ليس اسناده بمتصل ورواه احمد من حديث أبى رافع

(٦) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه الحديث متفق عليه

الثانى عشر : فى الطلاق . وليعلم أنه مباح ، ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى، وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل . ومهما طلقها فقد آذاها . ولا يباح إيذاء الغير الا بجناية من جانبها ، أو بضرورة من جانبه . قال الله تعالى (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً) أى لا تطلبوا حيلة للفراق . وان كرهها أبوه فليطلقها . قال ابن عمر رضى الله عنهما [1] كان تحتى امرأة أحبها ، وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها . فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يَا ابْنَ عُمَرَ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم، ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر . ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهى جانية . وكذلك مهما كانت سيئة الخلق ، أو فاسدة الدين . قال ابن مسعود فى قوله تعالى (وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به فى العدة ، ولكنه تنبيه على المقصود

وان كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدى ببذل مال ، ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى ، فان ذلك إجحاف بها وتحامل عليها ، وتجارة على البضع . قال تعالى (فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء . فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهى آثمة . قال صلى الله عليه وسلم [2] «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ لَمْ تَرُحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » وفى لفظ آخر « فَالْجَنَّةُ عَلَيْهَا حَرَامٌ » وفى لفظ آخر أنه عليه السلام [3] قال « الْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ »

ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور

الاول : أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه ، فان الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع

---

(١) حديث : ابن عمر كانت تحتى امرأة احبها وكان أبى يكرهها فأمرنى بطلاقها ــ الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح

(٢) حديث : أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان

(٣) حديث : المختلعات هن المنافقات :النسائى من حديث ابى هريرة وقال لم يسمع الحسن من ابى هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبى هريرة قلت رواه الطبرانى من حديث عقبة ابن عامر بسند ضعيف

فيه بدعى حرام ، وان كان واقعاً ، لما فيه من تطويل العدة عليها . فان فعل ذلك فليراجعها .
(١) طلق ابن عمر زوجته فى الحيض ، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر « مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ طَلَّقَهَا وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا » فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء . وانما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ، لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط

الثانى : أن يقتصر على طلقة واحدة ، فلا يجمع بين الثلاث ، لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ، ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة . وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم ، فيحتاج الى أن يتزوجها محلل ، والى الصبر مدة . وعقد المحلل منهى عنه . ويكون هو الساعى فيه . ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه ، أعنى زوجة المحلل بعد ان زوج منه . ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة . وكل ذلك ثمرة الجمع . وفى الواحدة كفاية فى المقصود من غير محذور . ولست أقول الجمع حرام ، ولكنه مكروه بهذه المعانى وأعنى بالكراهة تركه النظر لنفسه

الثالث : ان يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق . قال تعالى (وَمَتِّعُوهُنَّ (١)) وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر فى أصل النكاح . كان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه ، وقال قل لهما اعتدا ، وأمره ان يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم . ففعل . فلما رجع اليه ، قال ماذا فعلتا ؟ قال أما احداهما فنكست رأسها وتنكست ، وأما الأخرى فبكت وانتحبت ، وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق . فأطرق الحسن وترحم لها ، وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها .

ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها . ولم يكن له بالمدينة نظير . وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت ، لو لم أسر مسيرى ذلك ، لكان أحب الىّ من أن يكون لى ستة عشر ذكراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) حديث : طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر

(١) البقرة : ٢٣٦

مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام . فدخل عليه الحسن فى بيته ، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه فى مجلسه ، وقال ، ألا أرسلت الىّ فكنت أجيئك ؟ فقال الحاجة لنا : قال وما هى ؟ قال جئتك خاطبا ابنتك . فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال ، والله ما على وجه الأرض أحد يمشى عليها أعزّ علىّ منك ، ولكنك تعلم ان ابنتى بضعة منى ، يسوءنى ماساءها ، ويسرّنى ما سرّها وأنت مطلاق ، فأخاف ان تطلقها . وان فعلت خشيت أن يتغير قلبى فى محبتك ، وأكره ان يتغير قلبى عليك ، فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج . وقال بعض أهل بيته ، سمعته وهو يمشى ويقول ، ما أراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنق . وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه ، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول فى خطبته : ان حسنا مطلاقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال : والله ياأمير المؤمنين لننكحنه ما شاء ، فان أحب أمسك ، وان شاء ترك . فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن فى حبيبه من أهل وولد بنوع حياء ، فلا ينبغى أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة . بل الأدب المخالفة ما أمكن ، فان ذلك أسر لقلبه ، وأوفق لباطن دائه

والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح . وقد وعد الله الغنى فى الفراق والنكاح جميعاً فقال (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) وقال سبحانه وتعالى (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ)

الرابع : ان لا يفشى سرها لا فى الطلاق ولا عند النكاح . فقد ورد [1] فى افشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة ، فقيل له ما الذى يريبك فيها ؟ فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته . فلما طلقها قيل له لمَ طلقتها ؟ فقال مالى ولامرأة غيرى ؟ فهذا بيان ما على الزوج

---

(١) حديث الوعيد فى افشاء سر المرأة : مسلم من حديث أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم يفشى سرها

---

(١) النور: ٣٢ (٢) النساء : ١٣٠

القسم الثاني

من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها

والقول الثاني فيه ، ان النكاح نوع رق . فهي رقيقة له . فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ماطلب منها في نفسها ، مما لا معصية فيه . وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة . قال صلى الله عليه وسلم [١] « أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ » [٢] وكان رجل قد خرج الى سفر ، وعهد الى امرأته ان لاتنزل من العلو الى السفل . وكان أبوها في الأسفل فمرض ، فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى أبيها . فقال صلى الله عليه وسلم « أَطِيعِي زَوْجَكِ » فمات . فاستأمرته ، فقال « أَطِيعِي زَوْجَكِ » فدفن أبوها . فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها .

وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّهَا » وأضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] النساء فقال « حَامِلَاتٌ وَالِدَاتٌ مُرْضِعَاتٌ رَحِيمَاتٌ بِأَوْلَادِهِنَّ لَوْلَا مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ » فقلن لم يارسول الله ؟ قال « يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَيَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ » يعني الزوج المعاشر

---

(١) حديث أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة : الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة

(٢) حديث : كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها في السفل فمرض : الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف الا أنه قال عفر لأبيها

(٣) حديث : اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها : الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة

(٤) حديث : ذكر النساء فقال حاملات والدات مرضعات : الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي امامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير

(٥) حديث اطلعت في النار فاذا أكثر اهلها النساء : الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

وفي خبر آخر (١) « اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا أَقَلُّ أَهْلِهَا النِّسَاءُ فَقُلْتُ أَيْنَ النِّسَاءُ؟ قَالَ شَغَلَهُنَّ الْأَحْمَرَانِ الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ » يعني الحلى ومصبغات الثياب

وقالت عائشة رضي الله عنها أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم (٢) فقالت يارسول الله، انى فتاة اخطب فاكره التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟ قال « لَوْ كَانَ مِنْ فَرْقِهِ إِلَى قَدَمِهِ صَدِيدٌ فَلَحَسَتْهُ مَا أَدَّتْ شُكْرَهُ » قالت أفلا أتزوج؟ قال « بَلَى تَزَوَّجِي فَإِنَّهُ خَيْرٌ » قال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فقالت، انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج؟ قال « إِنَّ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ إِذَا أَرَادَهَا فَرَاوَدَهَا عَلَى نَفْسِهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ لَا تَمْنَعُهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا تُعْطِيَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ الْوِزْرُ عَلَيْهَا وَالْأَجْرُ لَهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا تَصُومَ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ فَعَلَتْ جَاعَتْ وَعَطِشَتْ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهَا، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ أَوْ تَتُوبَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ

---

(١) حديث اطلعت في الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران أحمد من حديث ابى امامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية ويل للنساء من الأحمرين الذهب والزعفران وسنده ضعيف

(٢) حديث عائشة أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يانبي الله انى فتاة أخطب وانى أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة ــ الحديث الحاكم وصحح اسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بلى فتزوجي فانه خير ولم أره من حديث عائشة

(٣) حديث ابن عمر أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى امرأة أيم واريد أن اتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصراً على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف

(٤) حديث: لو أمرت احدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث ابى هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم ارها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث لابن ابى اوفى

لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا» وقال صلى الله عليه وسلم «[١] أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا وَإِنَّ صَلَاتَهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ وَصَلَاتَهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا وَصَلَاتَهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا» والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام[٢] «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» وقال أيضاً[٣] «لِلْمَرْأَةِ عَشْرُ عَوْرَاتٍ فَإِذَا تَزَوَّجَتْ سَتَرَ الزَّوْجُ عَوْرَةً وَاحِدَةً فَإِذَا مَاتَتْ سَتَرَ الْقَبْرُ الْعَشْرَ عَوْرَاتٍ »

فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة ، وأهمها أمران ، احدهما الصيانة والستر . والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه اذا كان حراما . وهكذا كانت عادة النساء في السلف . كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته : اياك وكسب الحرام ، فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر ، فكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وماعرفته رزاقا ، ولي رب رزاق ، يذهب الاكال ويبقى الرزاق

وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن ابى الحوارى ، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالى همة في النساء لشغلي بحالي ، فقالت انى لأشغل بحالي منك ، ومالي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي ، فاردت ان تنفقه على اخوانك ، وأعرف بك الصالحين ، فيكون لي طريقا الى الله عز وجل . فقال حتى استأذن أستاذي ، فرجع الى أبي سليمان الداراني ، قال وكان ينهاني عن التزويج ، ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير . فلما سمع كلامها قال تزوج بها ، فانها ولية لله ، هذا كلام الصديقين . قال فتزوجتها ، فكان

---

(١) حديث :اقرب ماتكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها فان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد ـ الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه ابو داود مختصرا من حديثه دون ذكر صحن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من ان تصلي في المسجد واسناده حسن ولابن حبان من حديث ام حميد نحوه

(٢) حديث :المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود

(٣) حديث :للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة ـ الحديث الحافظ ابوبكر محمد بن عمر الجعابي في تاريخ الطالبين من حديث على بسند ضعيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر

في منزلنا كن من جص ، ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل ، فضلا عمن غسل بالاشنان . قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة ، فكانت تطعمني الطيبات ، وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك . وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة .

ومن الواجبات عليها أن لاتفرط في ماله ، بل تحفظه عليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُطْعِمَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِلَّا الرَّطْبَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنْ أَطْعَمَتْ عَنْ رِضَاهُ كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِ . وَإِنْ أَطْعَمَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ »

ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج . كما روى ان أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنته عند التزوج : انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لم تعرفيه ، وقرين لن تألفيه . فكوني له ارضا يكن لك سماء ، وكوني له مهادا يكن لك عمادا ، وكوني له أمة يكن لك عبدا . لا تلحفي به فيقلاك ، ولاتباعدي عنه فينساك ، ان دنا منك فاقربي منه ، وان نأى فابعدي عنه ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك الا طيبا ، ولا يسمع الا حسنا ، ولا ينظر إلا جميلا

وقال رجل لزوجته :

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولاتنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة * فانك لاتدرين كيف المغيب
ولاتكثري الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبي والقلوب تقلب
فاني رأيت الحب في القلب والأذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل ، أن تكون قاعدة في قعر بيتها ، لازمة

---

(١) حديث لايحل لها أن نطعم من بيته إلا باذنه إلا الرطب من الطعام ـ الحديث ابو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولاتعطى من بيته شيئا إلا باذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله انا كل على آبائنا وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدار قطني في العلل ان سعداً هذا رجل من الأنصار ليس ابن ابي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما انفقت ولزوجها اجره بما كسب

لمغزلها ، لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لاتدخل عليهم الا فى حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها فى غيبته ، وتطلب مسرته فى جميع أمورها ، ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا باذنه ، فان خرجت باذنه فمختفية فى هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، محترزة من ان يسمع غريب صوتها ، أو يعرفها بشخصها ، لاتتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها ، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه ، همها صلاح شأنها ، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها . وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفتهم ، ولم تعاوده فى الكلام ، غيرة على نفسها وبعلها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها ، متنظفة فى نفسها ، مستعدة فى الأحوال كلها للتمتع بها ان شاء ، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى بَنَاتِهَا حَتَّى ثَابُوا أَوْمَاتُوا » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « حَرَّمَ اللهُ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ الْجَنَّةَ يَدْخُلُهَا قَبْلِي . غَيْرَ أَنِّي أَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي فَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَقُولُ مَالِهَذِهِ تُبَادِرُنِي ؟ فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ امْرَأَةٌ كَانَتْ حَسْنَاءَ جَمِيلَةً وَكَانَ عِنْدَهَا يَتَامَي لَهَا فَصَبَرَتْ عَلَيْهِنَّ حَتَّى بَلَغَ أَمْرُهُنَّ الَّذِي بَلَغَ فَشَكَرَ اللهُ لَهَا ذَلِكَ »

ومن آدابها أن لاتتفاخر على الزوج بجمالها ، ولاتزدرى زوجها لقبحه . فقد روى ان الاصمعى قال ، دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها ، تحت رجل من أقبح الناس وجها . فقلت لها ياهذه ، أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله ، فقالت يا هذا اسكت ، فقد أسأت فى قولك . لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ، أولعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى . أفلا أرضى بما رضى الله لى ! فاسكتتنى . وقال الاصمعى رأيت فى البادية امرأة عليها قيص أحمر وهى مختضبة ، وبيدها سبحة . فقلت ما أبعد هذا من هذا ! فقالت :

---

(١) حديث انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين ـ الحديث ابوداود من حديث ابى مالك الأشجعى بسند ضعيف

(٢) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبلى غير أنى انظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابى هريرة بسند ضعيف

ولله مني جانب لا أضيعه * وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له

ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها ، والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ، ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال . روى عن معاذ ابن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا »

ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ، أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ، وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة . قالت زينب بنت أبي سلمة ، دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب ، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ، ثم قالت : والله مالي بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] يقول « لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً » ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة ، وليس لها الانتقال الى أهلها ولا الخروج الا لضرورة .

ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها . فقد روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت : [3] تزوجني الزبير ، وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقي الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن . وكنت أنقل النوى على رأسي من

---

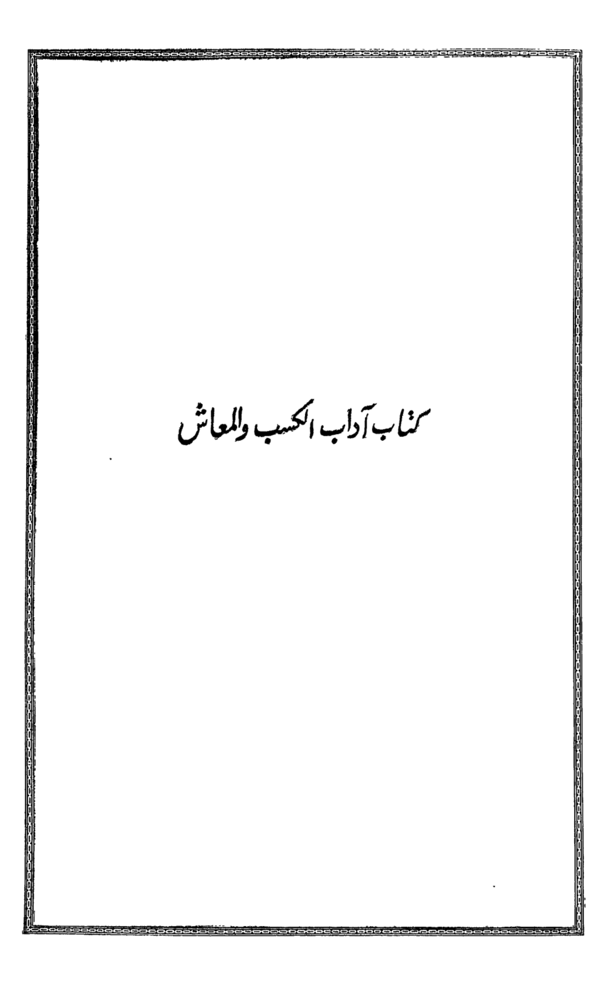
(١) حديث معاذ لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه ـ الحديث الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه

(٢) حديث ام حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت أكثر من ثلاثة ايام إلا على زوج اربعة اشهر وعشرا متفق عليه

(٣) حديث اسماء تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت اعلف فرسه ـ الحديث متفق عليه

ثلثي فرسخ ، حتى أرسل اليّ أبو بكر بجارية ، فكفتني سياسة الفرس . فكأنما أعتقني .
ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه ، والنوى على رأسي . فقال صلى
الله عليه وسلم « اخ اخ لِيُنِيخ نَاقَتَهُ وَيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ » فاستحييت أن أسير مع الرجال ،
وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس . فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد
استحييت . فجئت الزبير ، فحكيت له ما جرى ، فقال والله لحملك النوى على رأسك
أشد على من ركوبك معه .

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى



كتاب آداب الكسب والمعاش

كتاب آداب الكسب والمعاش

﴿ وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد انمحق فى توحيده ماسوى الواحد الحق وتلاشى ، ونمجده تمجيد من يصرح بأن كل شيء ماسوى الله باطل ولا يتحاشى ، وان كل من فى السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ، ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا لهم وفراشا ، وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا ، لينتشروا فى ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا . ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا ، وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمرا وانكماشا . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد . فان رب الارباب ومسبب الأسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب . وليس التشمر فى الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة الى المعاد ، ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها

والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين ، والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم فى طلب المعيشة منهج السداد ، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة مالم يتأدب فى طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ، ونشرحها فى خمسة أبواب

(الباب الاول) : فى فضل الكسب والحث عليه

(الباب الثانى) : فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات

(الباب الثالث) : فى بيان العدل فى المعاملة

(الباب الرابع) : فى بيان الاحسان فيها

(الباب الخامس) : فى شفقة التاجر على نفسه ودينه

الباب الأول

﴿ فى فضل الكسب والحث عنه ﴾

أما من الكتاب فقوله تعالى (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً[١])فذكره فى معرض الامتنان. وقال تعالى(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَاتَشْكُرُونَ[٢])فجعلها ربك نعمة،وطلب الشكر عليها، وقال تعالى(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ[٣])وقال تعالى(وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ[٤])وقال تعالى(فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ[٥])

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم [١] «مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لاَ يُكَفِّرُهَا إِلاَّ الْهَمُّ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ » وقال عليه السلام [٢] «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلاَلاً وَتَعَفُّفاً عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ وَتَعَطُّفاً عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » وكان صلى الله عليه وسلم [٤] جالسا مع أصحابه ذات يوم ، فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى . فقالوا ويح هذا ، لوكان شبابه وجلده في سبيل الله . فقال صلى الله عليه وسلم «لاَ تَقُولُوا هَذَا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَكُفَّهَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَيُغْنِيَهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ ضَعِيفَيْنِ أَوْ ذُرِّيَّةٍ ضِعَافٍ لِيُغْنِيَهُمْ وَيَكْفِيَهُمْ فَهُوَ

الباب الأول فى فضل الكسب والحث عليه

(١) حديث من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة : تقدم فى النكاح

(٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء:الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد قال الترمذى حسن وقال الحاكم انه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر

(٣) حديث من طلب الدنيا حلالا تعففاً عن المسألة وسعياً على عياله ـ الحديث أبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٤) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لوكان جلده فى سبيل الله ـ الحديث الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب ابن عجرة بسند ضعيف

---

(١) النبأ : ١١ (٢) الحجر : ٢٠ (٣) البقرة ١٩٨ (٤) المزمل : ٢٠ (٥) الجمعة ١٠

فِي سَبِيلِ اللهِ . وَإِنْ كَانَ يَسْعَى تَفَاخُراً وَتَكَاثُراً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ يَتَّخِذُ الْمِهْنَةَ لِيَسْتَغْنِيَ بِهَا عَنِ النَّاسِ وَيَبْغُضُ الْعَبْدَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ يَتَّخِذُهُ مِهْنَةً » وفي الخبر (٢) إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « أَحَلُّ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ » وفي خبر آخر (٤) « أَحَلُّ مَا أَكَلَ الْعَبْدُ كَسْبُ يَدِ الصَّانِعِ إِذَا نَصَحَ » وقال عليه السلام (٥) « عَلَيْكُمْ بِالتِّجَارَةِ فَإِنَّ فِيهَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع ؟ قال أتعبد . قال من يعولك ؟ قال أخي . قال أخوك أعبد منك . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (٦) « إِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ . وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ

---

(١) حديث ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس ـ الحديث لم أجده هكذا وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث على ان الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطني يضع الحديث

(٢) حديث ان الله يحب المؤمن المحترف :الطبراني وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر

(٣) حديث أحل ماأكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور: أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أى الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيي بن معين ان عم سعيد البراء ابن عازب ورواه البيهقي من روايةسعيدبن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاه عن البخاري ورواه احمد والحاكم من رواية جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم

(٤) حديث أحل ماأكل العبد كسب الصانع اذا نصح: احمدمن حديث ابي هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن

(٥) حديث عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق: ابراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم ابن عبدالرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولايصح وقال أبوحاتم الرازي وابن حبان انه تابعي فالحديث مرسل

(٦) حديث اني لاأعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الانهيتكم عنه فان الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها ـ الحديث :ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهدا لحديث ابي حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الايمان وقال انه منقطع

رِزْقَهَا وإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ » أمر بالاجمال فى الطلب ولم يقل اتركوا الطلب . ثم قال فى آخره « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [١] « الأَسْوَاقُ مَوَائِدُ اللهِ تَعَالَى فَمَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا » وقال عليه السلام [٢] « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ » وقال [٣] « مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا مِنَ السُّؤَالِ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفَقْرِ »

وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يابنى استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فإنه ماافتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به

وقال عمر رضى الله عنه ، لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة . وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه، فقال له عمر رضى الله عنه أصبت . استغن عن الناس يكن أصون لدينك ، وأكرم لك عليهم . كما قال صاحبكم أحيحة

فلن أزال على الزوراء أعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضى الله عنه انى لأكره أن أرى الرجل فارغا لافى أمر دنياه ولافى أمر آخرته. وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة؟ قال التاجر الصدوق أحب الىّ، لانه فى جهاد ، يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان، ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده . وخالفه الحسن البصرى فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه ، ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى ، أبيع واشترى، وقال الهيثم ، ربما يبلغنى عن الرجل يقع فىّ فأذكر استغنائى عنه فيهون ذلك على وقال أيوب ، كسب فيه شىء أحب إلىّ من سؤال الناس ،

---

(١) حديث الأسواق موائد الله من أتاها أصاب منها : رويناه فى الطيوريات من قول الحسن البصرى ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيتحطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا ـ الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر : الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى ولافتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح

وجاءت ريح عاصفة فى البحر ، فقال أهل السفينة لابراهيم بن أدهم رحمه الله ،وكان معهم فيها ، أما ترى هذه الشدة ؟ فقال ما هذه الشدة ، انما الشدة الحاجة الى الناس . وقال أيوب قال لى أبو قلابة الزم السوق ، فان الغنى من العافية . يعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد ، ما تقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتينى رزقى ؟ فقد أحمد ، هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم [1] « إنَّ اللهَ جَعَلَ رِزْقِى تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال [2] « تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً » فذكر أنها تغدو فى طلب الرزق .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر، ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم . وقال أبو قلابة لرجل ، لأن أراك تطلب معاشك أحب الى من أن أراك فى زاوية المسجد . وروى ان الأوزاعى لقى ابراهيم بن أدهم رحمهم الله ، وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال له ياأبا اسحق ، الى متى هذا ؟ اخوانك يكفونك . فقال دعنى عن هذا يا أبا عمرو ، فانه بلغنى أنه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال أبو سليمان الدارانى ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ، ينادى مناد يوم القيامة أين بغضاء الله فى ارضه ؟ فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ، ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة

فان قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم [3] « مَا أُوحِىَ إِلَىَّ أَنِ اجْمَعِ الْمَالَ وَكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ وَلَكِنْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » وقيل لسلمان الفارسى أوصنا ، فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا ، أو غازيا . أو عامرا لمسجد ربه ، فليفعل . ولا يموتن تاجرا ولا خائنا

(١) حديث ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحى .احمد من حديث ابن عمر جعل رزقى تحت ظل رمحى واسناده صحيح

(٢) حديث ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا :الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح

(٣) حديث ماأوحى الى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين :ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين

فالجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال . فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ، ولكن التجارة اما أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة ، أو الزيادة على الكفاية . فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره، لا ليصرف الى الخيرات والصدقات ، فهي مذمومة . لأنه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة . فان كان مع ذلك ظالما خائنا ، فهو ظلم وفسق . وهذا ما أراده سلمان بقوله ، لاتمت تاجراً ولا خائنا . وأراد بالتاجر طالب الزيادة . فأما اذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده ، وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ، فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل . وان كان لايحتاج الى السؤال ، وكان يعطى من غير سؤال ، فالكسب أفضل . لأنه انما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره . فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية . وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب فى علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به فى دينهم ، كالمفتى والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم ، كالسلطان والقاضى والشاهد . فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح ، أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء ، فإقبالهم على ماهم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، ولم يوح اليه أن كن من التاجرين ، لأنه كان جامعا لهذه المعانى الاربعة الى زيادات لايحيط بها الوصف . ولهذا أشار الصحابة على أبى بكر رضى الله عنهم بترك التجارة لما ولى الخلافة ، اذ كان ذلك يشغله عن المصالح . وكان يأخذ كفايته من مال المصالح . ورأى ذلك أولى . ثم لما توفى أوصى برده الى بيت المال ، ولكنه رآه فى الابتداء أولى

ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان ، احداهما أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدى الناس ، وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة ، من غير حاجة الى سؤال . فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى ، اذ فيه إعانة الناس على الخيرات ، وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم .

الحالة الثانية الحاجة الى السؤال . وهذا فى محل النظر . والتشديدات التي رويناها

فى السؤال وذمه،تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى . واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير . بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه ، بأن يقابل مايلقى فى السؤال من المذلة وهتك المروءة، والحاجة الى التثقيل والالحاح، بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره . فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته فى اشتغاله بالعلم أو العمل ، ويهون عليه بأدنى تعريض فى السؤال تحصيل الكفاية. وربما يكون بالعكس . وربما يتقابل المطلوب والمحذور . فينبغى أن يستفتى المريد فيه قلبه وان أفتاه المفتون فان الفتاوى لاتحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال

ولقد كان فى السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ، ينزل على كل واحد منهم ليلة . ومنهم من له ثلاثون . وكانوا يشتغلون بالعبادة ، لعلمهم أن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم . فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم الى عباداتهم. فينبغى أن يدقق النظر فى هذه الأمور فان أجر الآخذ كأجر المعطى ، مهما كان الآخذ يستعين به على الدين . والمعطى يعطيه عن طيب قلب . ومن اطلع على هذه المعانى أمكنه أن يتعرف حال نفسه . ويستوضح من قلبه ماهو الأفضل له بالاضافة الى حاله ووقته

فهذه فضيلة الكسب . وليكن العقد الذى به الاكتساب جامعا لأربعة أمور، الصحة والعدل ، والاحسان ، والشفقة على الدين . ونحن نعقد فى كل واحد بابا ، ونبتدىء بذكر أسباب الصحة فى الباب الثانى .

الباب الثانى

فى علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة
وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب . لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ،وانما هو طلب العلم المحتاج اليه . والمكتسب يحتاج الى علم الكسب . ومهما حصل علم هذا الباب ، وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها ، وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على

سبب اشكالها ، فيتوقف فيها الى أن يسأل . فانه اذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملى ، فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال . ولو قال لاأقدم العلم ، ولكنى اصبر الى أن تقع لى الواقعة ، فعندها أتعلم واستفتى ، فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود؟ فانه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة ، فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ، ليتميز له المباح عن المحظور ، وموضع الاشكال عن موضع الوضوح . ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يطوف السوق ، ويضرب بعض التجار بالدرة ، ويقول لا يبيع فى سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا شاء أم أبى

وعلم العقود كثير ، ولكن هذه العقود الستة لاتنفك المكاسب عنها ، وهى البيع ، والربا ، والسلم ، والاجارة ، والشركة ، والقراض ، فلنشرح شروطها

العقد الأول

البيع

وقد أحله الله تعالى ، وله ثلاثة أركان : العاقد ، والمعقود عليه ، واللفظ .

الركن الاول : العاقد . ينبغى للتاجر أن لايعامل بالبيع أربعة : الصبى ، والمجنون ، والعبد والاعمى . لأن الصبى غير مكلف ، وكذا المجنون . وبيعهما باطل . فلا يصح بيع الصبى ، وان أذن له فيه الولىّ عند الشافعى . وما أخذه منهما مضمون عليه لهما ، وما سلمه فى المعاملة اليهما فضاع فى أيديهما فهو المضيع له . وأما العبد العاقل ، فلا يصح بيعه وشراؤه إلا باذن سيده . فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ، أن لايعاملوا العبيد ، مالم تأذن لهم السادة فى معاملتهم ، وذلك بأن يسمعه صريحا ، أو ينتشر فى البلد أنه مأذون له فى الشراء لسيده ، وفى البيع له ، فيعوّل على الاستفاضة ، أو على قول عدل يخبره بذلك . فإن عامله بغير اذن السيد فعقده باطل ، وما أخذه منه مضمون عليه لسيده . وما تسلمه ان ضاع فى يد العبد لا يتعلق برقبته ، ولا يضمنه سيده . بل ليس له الا المطالبة اذا عتق . وأما الأعمى فانه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك . فليأمره بان يوكل وكيلا بصيراً ليشترى له أو يبيع ، فيصح توكيله ، ويصح بيع وكيله . فان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة ، وما أخذه منه مضمون

عليه بقيمته ، وما سلمه اليه أيضاً مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته ، لكن لا يباع منه المصحف ، ولا العبد المسلم ، ولا يباع منه السلاح ان كان من أهل الحرب . فان فعل فهي معاملات مردودة ، وهو عاص بها ربه

وأما الجندية من الاتراك ، والتركمانية ، والعرب ، والاكراد ، والسراق ، والخونة ، وأكلة الربا ، والظلمة ، وكل من أكثر ماله حرام ، فلا ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيأ لأجل أنها حرام، الا اذا عرف شيئا بعينه أنه حلال. وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام

الركن الثاني في المعقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين الى الآخر ، ثمنا كان أو مثمنا ، فيعتبر فيه ستة شروط :

الاول: أن لا يكون نجسا في عينه ، فلا يصح بيع كلب وخنزير ، ولا بيع زبل وعذرة ، ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه ، فان العظم ينجس بالموت ، ولا يطهر الفيل بالذبح ، ولا يطهر عظمه بالتذكية . ولا يجوز بيع الخمر ، ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل ، وان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن . ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه، الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه ، فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل ، وهو في عينه ليس بنجس . وكذلك لا أرى بأسا ببيع بزر القز ، فانه أصل حيوان ينتفع به ، وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان ، أولى من تشبيهه بالروث . ويجوز بيع فارة المسك ، ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة

الثاني: أن يكون منتفعاً به ، فلا يجوز بيع الحشرات ، ولا الفأرة ، ولا الحية . ولا التفات الى انتفاع المشعبذ بالحية ، وكذا لا التفات الى انتفاع أصحاب الحلق باخراجها من السلة وعرضها على الناس . ويجوز بيع الهرة والنحل ، وبيع الفهد والاسد ، وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل . ويجوز بيع الطوطي وهي الببغاء ، والطاوس والطيور المليحة الصور ، وان كانت لا تؤكل ، فان التفرج بأصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح ، وانما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى اعجابا بصورته ، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه [١]

---

(١) حديث النهي عن اقتناء الكلب :متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان

ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي ، فانه لا منفعة لها شرعا . وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التى تباع فى الأعياد للعب الصبيان ، فان كسرها واجب شرعا . وصور الأشجار متسامح بها ، وأما الثياب والاطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها . وكذا الستور . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها [1] « اتَّخِذِي مِنْهَا نَمَارِقَ » ولا يجوز استعمالها منصوبة ، ويجوز موضوعة . واذا جاز الانتفاع من وجه ، صح البيع لذلك الوجه

الثالث أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد ، أو مأذونا من جهة المالك . ولا يجوز أن يشترى من غير المالك انتظارا للاذن من المالك . بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد . ولا ينبغى أن يشترى من الزوجة مال الزوج ، ولا من الزوج مال الزوجة ، ولا من الوالد مال الولد ، ولا من الولد مال الوالد ، اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به ، فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع . وأمثال ذلك مما يجرى فى الأسواق . فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه .

الرابع أن يكون المعقود عليه مقدوراً على تسليمه شرعا وحسا ، فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه . كالآبق ، والسمك فى الماء ، والجنين فى البطن ، وعسب الفحل . وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان ، واللبن فى الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه ، لاختلاط غير المبيع بالمبيع . والمعجوز عن تسليمه شرعا ، كالمرهون والموقوف والمستولدة ، فلا يصح بيعها أيضا . وكذا بيع الام دون الولد ، اذا كان الولد صغيرا . وكذا بيع الولد دون الأم ، لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام . فلا يصح التفريق بينهما بالبيع

الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف ، أما العلم بالعين فبأن يشير اليه بعينه ، فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أى شاة أردت ، أو ثوبا من هذه الثياب التى بين يديك ، أو ذراعا من هذا الكرباس وخذه من أى جانب شئت ، أو عشرة أذرع من

---

(١) حديث اتخذى منه نمارق بقوله لعائشة : متفق عليه من حديثها

هذه الأرض وخذه من أى طرف شئت ، فالبيع باطل . وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين ، إلا أن يبيع شائعا ، مثل ان يبيع نصف الشيء أو عشره ، فان ذلك جائز . وأما العلم بالقدر ، فانما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر اليه . فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه ، وهما لا يدريان ذلك فهو باطل . ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل ، إذا لم تكن الصنجة معلومة . ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل . أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدراهم ، أو بهذه القطعة من الذهب ، وهو يراها ، صح البيع ، وكان تخمينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار . وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الأعيان . ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها ، والوصف لا يقوم مقام العيان . هذا أحد المذهبين . ولا يجوز بيع الثوب فى المنسج اعتمادا على الرقوم ، ولا بيع الحنطة فى سنبلها . ويجوز بيع الارز فى قشرته التى يدخر فيها . وكذا بيع الجوز واللوز فى القشرة السفلى ولا يجوز فى القشرتين . ويجوز بيع الباقلاء الرطب فى قشريه للحاجة . ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ، ولكن نجعله إباحة بعوض ، فان اشتراه ليبيعه ، فالقياس بطلانه لأنه ليس مستترا استتر خلقة ، ولا يبعد أن يتسامح به ، إذ فى إخراجه إفساده كالرمان وما يستتر بستر خلق معه

السادس أن يكون المبيع مقبوضا ، ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة . وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن بيع مالم يقبض . ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل . وقبض المنقول بالنقل ، وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ، ومالم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة ، فهو جائز قبل القبض

الركن الثالث لفظ العقد . فلا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به ، بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريح أو كناية . فلو قال أعطيتك هذا بذاك ، بدل قوله بعتك ، فقال قبلته ، جاز مهما قصدا به البيع . لأنه قد يحتمل الاعارة إذا كان فى ثوبين أو دابتين . والنية تدفع الاحتمال . والصريح أقطع للخصومة . ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضا فيما يختاره . ولا ينبغى أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيأ آخر ، أو أن يحمل المبيع إلى داره ، كل ذلك فسد ، إلا إذا أفرد استئجاره

(١) حديث النهى عن بيع مالم يقبض : متفق عليه من حديث ابن عباس

على النقل ، باجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول . ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان ، لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلا ، وانعقد عند ابى حنيفة ان كان فى المحقرات . ثم ضبط المحقرات عسير . فان رد الامر إلى العادات، فقد جاوز الناس المحقرات فى المعاطاة . إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ منه ثوبا ديباجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشترى ، ويعود اليه بأنه ارتضاه ، فيقول له خذ عشرة ، فيأخذ من صاحبه العشرة ، ويحملها ويسلمها إلى البزاز ، فيأخذها ويتصرف فيها ، ومشترى الثوب يقطعه ، ولم يجر بينهما ايجاب وقبول أصلا . وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع ، فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد . فيقول أحدهم هذا على بتسعين ، ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ، ويقول الأخر هذا بمائة ، فيقال له زن ، فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير ايجاب وقبول . فقد استمرت به العادات

وهذه من المعضلات التى ليست تقبل العلاج ، إذ الاحتمالات ثلاثة :

إما فتح باب المعاطاة مطلقا فى الحقير والنفيس وهو محال ، إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه ، وقد أحل الله البيع ، والبيع اسم للايجاب والقبول ، ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم . فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين ، لاسيما فى الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه ، إذ للمسلِّم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بعته ، إذ لم يصدر منى إلا مجرد تسليم ، وذلك ليس ببيع

الاحتمال الثانى أن نسد الباب بالكلية، كما قال الشافعى رحمه الله من بطلان العقد . وفيه اشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك فى المحقرات معتادا فى زمن الصحابة، ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ، ولنقل ذلك نقلا منتشرا، ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة . فان الاعصار فى مثل هذا تتفاوت والثانى أن الناس الآن قد انهمكوا فيه ، فلا يشترى الانسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة ، فأى فائدة فى تلفظه بالعقد اذا كان الأمر كذلك

الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها ، كما قاله أبو حنيفة رحمه الله ، وعند ذلك يتعسر الضبط فى المحقرات ، ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه . وقد ذهب

ابن سريج إلى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه . وهو أقرب الأحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات . ولعموم ذلك بين الخلق ، ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا فى الأعصار الاول

فاما الجواب عن الاشكالين فهو أن نقول :

أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير ، فان ذلك غير ممكن . بل له طرفان واضحان، إذ لايخفى أن شراء البقل ، وقليل من الفواكه ، والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التى لا يعتاد فيها الاالمعاطاة ، وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ، ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل ، وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ، ولا وجه له . فهذا طرف الحقارة . والطرف الثانى الدواب والعبيد ، والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لايستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها . وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها ، هى فى محل الشبهة . فحق ذى الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط . وجميعُ ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة ، كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة ، وأوساط مشكلة .

وأما الثانى وهو طلب سبب لنقل الملك . فهو أن يجعل الفعل باليد أخذا وتسليما سببا . إذ اللفظ لم يكن سببا لعينه ، بل لدلالته . وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة فى العادة ، وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين، واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول ، مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عرض أو لايكون ؟ إذ الملك لابد من نقله فى الهبة أيضا، إلا أن العادة السالفة لم تفرق فى الهدايا بين الحقير والنفيس، بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان ،وفى المبيع لم يستقبح فى غير المحقرات. هذا مانراه أعدل الاحتمالات

وحق الورع المتدين أن لايدع الايجاب والقبول ، للخروج عن شبهة الخلاف . فلا ينبغى أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول . فان ذلك لايعرف تحقيقا ، فربما اشتراه بقبول وإيجاب . فان كان حاضرا عند شرائه ، أو أقر البائع به، فليمتنع منه ، وليشتر من غيره . فان كان الشيء محقرا ، وهو اليه محتاج ، فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة فى المستقبل معه ، اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ، ومن الفعل ممكن :

فان قلت فان أمكن هذا فيما يشتريه ، فكيف يفعل إذا حضر فى ضيافة أو على مائدة، وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة فى البيع والشراء ، أو سمع منهم ذلك أو رآه ، أيجب عليه الامتناع من الأكل ؟

فأقول يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذى اشتروه مقدارا نفيسا ، ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه . فانى أقول أن ترددنا فى جعل الفعل دلالة على نقل الملك ، فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الاباحة . فان أمر الاباحة أوسع ، وأمر نقل الملك أضيق . فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة ، فتسليم البائع إذن فى الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال ، كاذن الحمامى فى دخول الحمام . والإذن فى الاطعام لمن يريده المشترى فينزل منزلة مالو قال أبحت لك أن تأكل هذا الطعام ، أو تطعم من أردت ، فانه يحل له . ولو صرح وقال كل هذا الطعام ، ثم أغرم لى عوضه ، لحل الأكل ، ويلزمه الضمان بعد الأكل . هذا قياس الفقه عندى ، ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له ، فعليه الضمان وذلك فى ذمته . والثمن الذى سامه إن كان مثل قيمته ، فقد ظفر المستحق بمثل حقه ، فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه . وإن كان قادرا على مطالبته ، فانه لا يتملك ماظفر به من ملكه ، لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه ، فعليه المراجعة . وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم ، فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا ، بأن يستوفى دينه مما يسلم اليه فيأخذه بحقه . لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض ، لأن ماأخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ، ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه فى يد المشترى ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ، ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول . وأما جانب المشترى للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين ، فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ، ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ماأتلفه ، وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ماأخذه من المشترى فيسقط . فيكون كالقاضى دينه والمتحمل عنه

فهذا ما نراه فى قاعدة المعاطاة على غموضها ، والعلم عند الله . وهذه احتمالات وظنون رددناها ، ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون . وأما الورع فانه ينبغى أن يستفتى قلبه ، ويتقى مواضع الشبه .

العقد الثانى

عقد الربا

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه . ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين ، وعلى المتعاملين على الأطعمة . إذ لاربا إلا فى نقد أو فى طعام . وعلى الصير فى أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فان لايبيع شيئا من جواهر النقدين ، بشىء من جواهر النقدين إلا يداً بيد . وهو أن يجرى التقايض فى المجلس . وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب ، وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ومن حيث أن الغالب أن يجرى فيه تفاصل ، اذلا يرد المضروب بمثل وزنه

وأما الفضل فيحترز منه فى ثلاثة أمور : فى بيع المكسر بالصحيح ، فلاتجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة . وفى بيع الجيد بالردىء ، فلا ينبغى أن يشترى رديئا بجيد دونه فى الوزن ، أو ببيع رديئا بجيد فوقه فى الوزن ، أعنى اذا باع الذهب بالذهب ،والفضةبالفضة . فان اختلف الجنسان فلا حرج فى الفضل . والثالث فى المركبات من الذهب والفضة ، كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ، ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا ، الا اذا كان ذلك نقدا جاريا فى البلد ، فانا نرخص فى المعاملة عليه ، اذا لم يقابل بالنقد . وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ، ان لم تكن رائجة فى البلد لم تصح المعاملة عليها ، لأن المقصود منها النقرة وهى مجهولة . وان كان نقدا رائجا فى البلد رخصنا فى المعاملة لأجل الحاجة ، وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها . ولكن لايقابل بالنقرة أصلا.وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة ، فلايجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة . بل ينبغى أن يشترى بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما ، الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لايحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، فيجوز بيعها بمثلها من النقرة ، وبما أريد من غير النقرة . وكذلك لايجوز للصير فى أن يشترى قلادة فيها خرز وذهب ، بذهب ، ولا أن يبيعه ، بل بالفضة يدا بيد ان لم يكن فيها فضة . ولايجوز شراء ثوب منسوج بذهب ، يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، بذهب . ويجوز بالفضة وغيرها

وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض فى المجلس ، اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف . فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة . والمعتاد فى هذا معاملة القصاب ، بان يسلم اليه الغنم ويشترى بها اللحم ، نقدا أو نسيئة ، فهو حرام. ومعاملة الخباز ، بان يسلم اليه الحنطة ويشترى بها الخبز ، نسيئة أو نقدا ، فهو حرام. ومعاملة العصار بان يسلم اليه البزر والسمسم والزيتون ، ليأخذ منه الأدهان ، فهو حرام . وكذا اللبان ، يعطى اللبن ، ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن ، فهو أيضا حرام . ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام الا نقداً ، وبجنسه إلا نقدا ومتماثلا . وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متماثلا ولا متفاضلا ، فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ، ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن. والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام فى حال كمال الادخار ، فلا يباع الرطب بالرطب ، والعنب بالعنب ، متفاضلا ومتماثلا .

فهذه جمل مقنعة فى تعريف البيع ، والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد ، حتى يستفتى فيها اذا تشكك والتبس عليه شيء منها . واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدرى .

العقد الثالث

السلم

وليراع التاجر فيه عشرة شروط :

الاول أن يكون رأس المال معلوما على مثله ، حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع الى قيمة رأس المال . فان أسلم كفا من الدراهم جزافا فى كر حنطة لم يصح فى أحد القولين

الثانى أن يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق ، فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم

الثالث أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه ، كالحبوب والحيوانات والمعادن ، والقطن والصوف والأبريسم ، والألبان واللحوم ، ومتاع العطارين واشباهها . ولا يجوز فى المعجونات والمركبات وما تختلف أجزاؤه ، كالقسى المصنوعة ، والنبل المعمول ، والخفاف

والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها ، وجلود الحيوانات . ويجوز السلم في الخبز . ومايتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته ، يعفى عنه ويتسامح فيه

الرابع أن يستقصي وصف هذه الأمور القابلة للوصف ، حتى لايبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لايتغابن بمثله الناس الا ذكره . فانذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع

الخامس أن يجعل الأجل معلوما ان كان مؤجلا ، فلا يؤجل الى الحصاد ، ولا الى ادراك الثمار ، بل الى الاشهر والأيام . فان الادراك قد يتقدم وقد يتأخر

السادس أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ، ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي أن يسلم في العنب الى أجل لايدرك فيه ، وكذا سائر الفواكه . فان كان الغالب وجوده ، وجاء المحل ، وعجز عن التسليم بسبب آفة ، فله أن يمهله ان شاء ، أو يفسخ ويرجع في رأس المال ان شاء

السابع أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به ، كي لا يثير ذلك نزاعا

الثامن أن لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع ، أو ثمرة هذا البستان ، فان ذلك يبطل كونه دينا . نعم لو أضاف الى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك

التاسع أن لايسلم في شيء نفيس عزيز الوجود ، مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها ، أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا

العاشر أن لايسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما ، سواء كان من جنسه أولم يكن. ولا يسلم في نقد اذا كان رأس المال نقدا ، وقد ذكرنا هذا في الربا

العقد الرابع

الإجارة

وله ركنان ، الأجرة والمنفعة . فأما العاقد واللفظ ، فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع . والأجرة كالثمن ، فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا فان كان دينا فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر

وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل.

اذ قدر العمارة مجهول. ولو قدر دراهم وشرط على المكترى أن يصرفها الى العمارة لم يجز ، لأن عمله فى الصرف الى العمارة مجهول

ومنها استئجار السلاخ ، على أن يأخذ الجلد بعد السلخ . واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة ، واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل . وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير ، فلا يجوز أن يجعل أجرة

ومنها أن يقدر فى اجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجرة . فلو قال لكل شهر دينار ، ولم يقدر أشهر الاجارة ، كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة

الركن الثانى المنفعة المقصودة بالاجارة ، وهى العمل وحده ان كان عمل مباح معلوم ، يلحق العامل فيه كلفة ، ويتطوع به الغير عن الغير ، فيجوز الاستئجار عليه . وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة . ولكنا لا نطول بشرحها ، فقد طولنا القول فيها فى الفقهيات. وانما نشير الى ما تعم به البلوى ، فليراع فى العمل المستأجر عليه خمسة أمور

الأول:أن يكون متقوما ، بأن يكون فيه كلفة وتعب ، فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان ، أو أشجاراً ليجفف عليها الثياب ، أو دراهم ليزين بها الدكان ، لم يجز فان هذه المنافع تجرى مجرى حبة سمسم وحبة برمن الاعيان ، وذلك لا يجوز بيعه . وهى كالنظر فى مرآة الغير ، والشرب من بئره ، والاستظلال بجداره ، والاقتباس من ناره . ولهذا لو استأجر بياعا على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته ، لم يجز . وما يأخذه البياعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم فى ترويج السلع ، فهو حرام . اذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تعب فيها ، ولا قيمة لها . وانما يحل لهم ذلك اذا تعبوا بكثرة التردد ، أو بكثرة الكلام فى تأليف أمر المعاملة . ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل، فأما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم ، وليس مأخوذا بالحق

الثانى:أن لا تتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة ، فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاقه ، ولا اجارة المواشى للبنها ، ولا اجارة البساتين لثمارها . ويجوز استئجار المرضعة ، ويكون اللبن تابعاً . لأن افراده غير ممكن . وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط . لأنهما لا يقصدان على حيالهما

الثالث: أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حساً وشرعا ، فلايصح استئجار الضعيف على عمل لايقدر عليه ، ولااستئجار الأخرس على التعليم ونحوه . ومايحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه ، كالاستئجار على قلع سن سليمة ، أو قطع عضو لايرخص الشرع فى قطعه ، أواستئجار الحائض على كنس المسجد ، أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش ، أو استئجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها ، أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصائغ على صيغة الأوانى من الذهب والفضة ، فكل ذلك باطل

الرابع: أن لايكون العمل واجبا على الاجير، أو لايكون بحيث لاتجرى النيابة فيه عن المستأجر فلايجوز أخذ الاجرة على الجهاد ، ولا على سائر العبادات التى لانيابة فيها ، اذ لايقع ذلك عن المستأجر . ويجوز عن الحج ، وغسل الميت ، وحفر القبور ، ودفن الموتى ، وحمل الجنائز . وفى أخذ الاجرة على امامة صلاة التراويح ، وعلى الاذان ، وعلى التصدى للتدريس ، واقراء القرءان خلاف. أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها، أو تعليم سورة بعينها لشخص معين، فصحيح

الخامس: أن يكون العمل والمنفعة معلوما . فالخياط يعرف عمله بالثوب ، والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها ، وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة . وكل مايثير خصومة فى العادة فلايجوز اهماله. وتفصيل ذلك يطول ، وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ، ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسأل ، فان الاستقصاء شأن المفتى لاشأن العوام

العقد الخامس

القراض

وليراع فيه ثلاثة أركان

الركن الاول: رأس المال وشرطه أن يكون نقدا معلوما مسلما إلى العامل . فلا يجوز القراض على الفلوس ولاعلى العروض ، فان التجارة تضيق فيه . ولايجوز على صرة من الدراهم، لان قدر الربح لايتبين فيه. ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز، لان فيه تضييق طريق التجارة

الركن الثانى. الربح وليكن معلوما بالجزئية ، بان يشرط له الثلث ، أو النصف ، أو ماشاء

فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقى لى ، لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة ، فلا يجوز تقديره بمقدار معين ، بل بمقدار شائع

الثالث: العمل الذى على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت. فلو شرط أن يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل ، أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح ، لم يصح ، لأن القراض مأذون فيه فى التجارة ، وهو البيع والشراء ومايقع من ضرورتهما فقط ، وهذه حرف، أعنى الخبز ورعاية المواشى. ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشترى إلا من فلان ، أو لا يتجر إلا فى الخز الاحمر ، أو شرط مايضيق باب التجارة ، فسد العقد . ثم مهما انعقد ، فالعامل وكيل . فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء

ومهما أراد المالك الفسخ ، فله ذلك . فاذا فسخ فى حالة والمال كله فيها نقد ، لم يخف وجه القسمة ، وان كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ، ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده الى النقد ، لأن العقد قد انفسخ ، وهو لم يلتزم شيئا . وان قال العامل أبيعه وأبى المالك ، فالمتبوع رأى المالك ، إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال . ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال ، لا بنقد آخر ، حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه ، وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال . ومهما كان رأس السنة ، فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة ، فاذا كان قد ظهر من الربح شىء ، فالاقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل ، وأنه يملك الربح بالظهور

وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون اذن المالك. فان فعل صحت تصرفاته . ولكنه اذا فعل ضمن الاعيان والأثمان جميعاً ، لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول. وإن سافر بالاذن جاز . ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض ، كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذى لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال . فاما نشر الثوب وطيه ، والعمل اليسير المعتاد ، فليس له أن يبذل عليه أجرة

وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد ، وليس عليه أجرة الحانوت . ومهما تجرد فى السفر لمال القراض ، فنفقته فى السفر على مال القراض . فاذا رجع ، فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما

العقد السادس

الشركة

وهى أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة

الأول شركة المفاوضة ، وهو أن يقولا تفاوضنا لنشترك فى كل مالنا وما علينا ، ومالاهما ممتازان ، فهى باطلة

الثانى شركة الابدان ، وهو أن يتشارطا الاشتراك فى أجرة العمل ، فهى باطلة

الثالث شركة الوجوه ، وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول ، فيكون من جهته التنفيل ، ومن جهة غيره العمل ، فهذا أيضاً باطل

وانما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان ، وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمه ، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف . ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين . ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ، ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول . وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك

والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة ، ولا يشترط النقد ، بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب، والا اقتحم الحرام من حيث لايدرى

وأما معاملة القصاب والخباز والبقال ، فلايستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها من ثلاثة وجوه : من اهمال شروط البيع ، أو اهمال شروط السلم ، أو الاقتصار على المعاطاة . اذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ، ثم المحاسبة فى كل مدة ، ثم التقويم بحسب مايقع عليه التراضى . وذلك مما نرى القضاء باباحته للحاجة ، ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض ، فيحل أكله . ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الاتلاف ، فتجتمع فى الذمة تلك القيم . فاذا وقع التراضى على مقدار ما ، فينبغى أن يلتمس منهم الابراء المطلق ، حتى لاتبقى عليه عهدة ان تطرق اليه تفاوت فى التقويم فهذا ماتجب القناعة به ، فان تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج فى كل يوم وكل ساعة ، تكليف شطط . وكذا تكليف الايجاب والقبول ، وتقدير ثمن كل قدر يسير منه ، فيه عسر . وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه ، والله الموفق .

الباب الثالث

فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة

اعلم أن المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها . ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى . إذ ليس كل نهى يقتضى فساد العقد وهذا الظلم يعنى به مااستضر به الغير . وهو منقسم الى مايعم ضرره ، والى مايخص المعامل

القسم الأول

فيما يعم ضرره وهو أنواع

النوع الأول : الاحتكار : فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار . وهو ظلم عام . وصاحبه مذموم فى الشرع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ تَكُنْ صَدَقَتُهُ كَفَّارَةً لِاحْتِكَارِهِ » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال «مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ اللهِ وَبَرِيءَ اللهُ مِنْهُ » وقيل « فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا » وعن على رضى الله عنه : من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه . وعنه أيضاً انه أحرق طعام محتكر بالنار

وروى فى فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم [3] مَنْ جَلَبَ طَعَامًا فَبَاعَهُ بِسِعْرِ

{ الباب الثالث فى بيان العدل }

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث أنس . بسندين ضعيفين

(٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين فقد برىء من الله وبرىء الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدى ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر

(٣) حديث من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفى لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة : ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف مامن جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد والحاكم من حديث اليسع ابن المغيرة أن الجالب الى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله وهو مرسل

يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِهِ » وفى لفظ آخر « فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً » وقيل فى قوله تعالى (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [١]) ان الاحتكار من الظلم. وداخل تحته فى الوعيد

وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة ، وكتب الى وكيله ، بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ، ، ولا تؤخره الى غد . فوافق سعة فى السعر . فقال له التجار ، لو أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه . فأخره جمعة ، فربح فيه أمثاله، وكتب الى صاحبه بذلك . فكتب اليه صاحب الطعام ، ياهذا ، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وانك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شىء من الدين ، فقد جنيت علينا جناية . فاذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من اثم الاحتكار كفافا ، لا علىّ ولا لى

واعلم ان النهى مطلق . ويتعلق النظر به فى الوقت والجنس

أما الجنس فيطرد النهى فى اجناس الأقوات أما ماليس بقوت، ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله ، فلا يتعدى النهى اليه وإن كان مطعوما، وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه ، وما يسد مسدا يغنى عن القوت فى بعض الاحوال ، وان كان لا يمكن المداومة عليه ، فهذا فى محل النظر . فمن العلماء من طرد التحريم فى السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجرى مجراه

وأما الوقت ، فيحتمل أيضا طرد النهى فى جميع الاوقات . وعليه تدل الحكاية التى ذكرناها فى الطعام الذى صادف بالبصرة سعة فى السعر . ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة ، وحاجة الناس اليه ، حتى يكون فى تأخير بيعه ضرر مّا فاما إذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ، ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة ، فانتظر صاحب الطعام ذلك ،ولم ينتظر قحطا ، فليس فى هذا اضرار . وإذا كان الزمان زمان قحط ، كان فى ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها اضرار . فينبغى ان يقضى بتحريمه . ويعول فى نفى التحريم واثباته على الضرار ، فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام . وإذا لم يكن ضرار، فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية ، فانه ينتظر مبادىء الضرار ، وهو ارتفاع الاسعار . وانتظار مبادىء الضرار محذور ، كانتظار عين الضرار ، ولكنه دونه . وانتظار عين الضرار أيضا هو دون الاضرار

(١) الحج : ٢٥

فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم

وبالجملة التجارة فى الأقوات مما لايستحب ، لأنه طلب ربح ، والاقوات أصول خلقت قواما، والربح من المزايا فينبغى أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التى لاضرورة للخلق اليها . ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا ،وقال لاتسلم ولدك فى بيعتين،ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فأنه يتمنى الغلاء وموت الناس. والصنعتان أن يكون جزارا،فانها صنعة تقسى القلب ، أو صواغا، فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة

النوع الثانى ترويج الزيف من الدراهم فى أثناء النقد ، فهو ظلم . إذ يستضر به المعامل ان لم يعرف ، وإن عرف فسيروِّجه على غيره ، فكذلك الثالث والرابع ، ولا يزال يتردد فى الايدى ، ويعم الضرر ، ويتسع الفساد ، ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه . فانه هو الذى فتح هذا الباب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] « مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا مَنْ بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا »وقال بعضهم انفاق درهم زيف ، أشد من سرقة مائة درهم . لأن السرقة معصية واحدة ، وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين ، وسنة سيئة يعمل بها من بعده ، فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ، أو مائتى سنة ، إلى أن يفنى ذلك الدرهم . ويكون عليه مافسد من أموال الناس بسنته . وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه . والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتى سنة أو أكثر ، يعذب بها فى قبره ، ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال تعالى (وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ[(١)]) أى نكتب ايضا ماأخروه من آثار أعمالهم ، كما نكتب ما قدموه . وفى مثله قوله تعالى (يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ[(٢)]) وانما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره

وليعلم أن فى الزيف خمسة أمور

---

(١) حديث من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شىء : مسلم من حديث جرير بن عبدالله

---

(١) يس : ١٢ (٢) القيامة : ١٣

الاول:انه اذارد عليه شيء منه ، فينبغي أن يطرحه في بئر ، بحيث لا تمتد اليه اليد . وإياه أن يروجه في بيع آخر . وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز

الثاني :أنه يجب على التاجر تعلم النقد ، لا ليستقصي لنفسه ، ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفا وهو لا يدري ، فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم . فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين،فيجب تحصيله . ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد ،نظرا لدينهم لا لدنياهم

الثالث: أنه ان سلّم وعرف المعامل أنه زيف،لم يخرج عن الاثم . لأنه ليس يأخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره . ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلا ، فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط

الرابع:أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم [1]« رَحِمَ اللهُ أمْرَأً سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الاقْتِضَاءِ » فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر . وإن كان عازما على أن يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير، فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء

الخامس:أن الزيف نعني به ما لا نقرة فيه أصلا ، بل هو مموه ، أو ما لا ذهب فيه ،أعني في الدنانير . أما ما فيه نقرة ، فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد ، فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه ، وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم . وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز ، الا اذ علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد ، فعليه أن يخبر به معامله ، وأن لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس . فأما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد، فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمراً . وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه.وسلوك طريق الحق بمثال هذا في التجارة ، أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها . ولذلك قال بعضهم : التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك ، حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال : حملت على فرسي لأقتل علجا

---

(١) حديث رحم الله أمرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء : البخاري من حديث جابر

فقصر فرسى ، فرجعت . ثم حملت الثالثة ، فنفر منى فرسى ، وكنت لاأعتاد ذلك منه ، فرجعت حزينا ، وجلست منكس الرأس منكسر القلب ، لما فاتنى من العلج ، وما ظهر لى من خلق الفرس . فوضعت رأسى على عمود الفسطاط ، وفرسى قائم ، فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى ،بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات،وأنت بالأمس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا ؟ لايكون هـذا أبدا . قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف ، وأبدلت ذلك الدرهم

فهذا مثال مايعم ضرره وليقس عليه أمثاله

القسم الثانى

ما يخص ضرره المعامل

فكل مايستضر به المعامل فهو ظلم . وإنما العدل أن لايضر بأخيه المسلم . والضابط الكلى فيه أن لايحب لأخيه إلا مايحب لنفسه . فكل مالو عومل به شق عليه ، وثقل على قلبه ، فينبغى أن لايعامل غيره به . بل ينبغى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره . قال بعضهم من باع أخاه شيئا بدرهم ، وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق ، فإنه قد ترك النصح المأمور به فى المعاملة ، ولم يحب لأخيه مايحب لنفسه . هذه جملته

فأما تفصيله ففى أربعة أمور : أن لايثنى على السلعة بما ليس فيها، وأن لايكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاأصلا ، وأن لايكتم فى وزنها ومقدارها شيئا، وأن لايكتم من سعرها مالو عرفه المعامل لامتنع عنه

أما الأول:فهو ترك الثناء . فان وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب . فإن قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا . وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مروءة ، إذ الكذب الذى يروج قد لايقدح فى ظاهر المروءة . وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان ، وتكلم بكلام لايعنيه . وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها .قال الله تعالى (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[1]) إلا أن يثنى على السلعة بما فيها

(1) ق:١٨

مما لا يعرفه المشتري مالم يذكره . كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب . فلا بأس بذكر القدر الموجود منه ، من غير مبالغة واطناب ، وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته

ولا ينبغي أن يحلف عليه ألبتة . فانه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس ، وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع . وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه ، وقد أساء فيه ، إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة . وفي الخبر [١] « وَيْلٌ لِلتَّاجِرِ مِنْ بَلَى وَاللهِ وَلاَ وَاللهِ ، وَوَيْلٌ لِلصَّانِعِ مِنْ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ » وفي الخبر [٢] « الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مُنفِقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ » وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] أنه قال « ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عُتُلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَمَنَّانٌ بِعَطِيَّتِهِ ، وَمُنْفِقٌ سِلْعَتَهُ بِيَمِينِهِ » فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها ، من حيث أنه فضول لا يزيد في الرزق ، فلا يخفى التغليظ في أمر اليمين

وقد روي عن يونس بن عبيد ، وكان خزازا ، انه طلب منه خز للشراء ، فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ، ونظر اليه وقال ، اللهم ارزقنا الجنة . فقال لغلامه ، رده الى موضعه ولم يبعه ، وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة . فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ، ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم ، بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا

الثاني : أن يظهر جميع عيوب المبيع ، خفيها وجليها ، ولا يكتم منها شيأ . فذلك واجب . فان أخفاه كان ظالما غاشا ، والغش حرام ، وكان تاركا للنصح في المعاملة ، والنصح واجب .

---

(١) حديث ويل لتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقف له على أصل وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير اسناد نحوه

(٢) حديث اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة : متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ الصنف

(٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه مسلم من حديثه الا انه لم يذكر فيها الا عائل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطي وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر المنان والمسبل أزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب

ومهما أظهر أحسن وجهى الثوب وأخفى الثانى ،كان غاشا . وكذلك اذا عرض الثياب فى المواضع المظلمة . وكذلك اذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله

ويدل على تحريم الغش ماروى أنه مر عليه السلام [1] برجل يبيع طعاما ، فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا ، فقال « مَاهَذَا ؟ قال أصابته السماء . فقال ؟ فَهَلاَّ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ؟ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »

ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم [2] لما بايع جريرا على الاسلام ، ذهب لينصرف . فجذب ثوبه ، واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها ، بصر عيوبها ، ثم خيره وقال ، ان شئت فخذ،وان شئت فاترك . فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع . فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وكان واثلة بن الاسقع واقفا ، فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم ، فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة ، فسعى وراءه وجعل يصيح به ، ياهذا اشتريتها للحم أو للظهر ، فقال بلَ للظهر .فقال ان بخفها نقبا قدرأيته ، وانها لاتتابع السير . فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم ، وقال لواثلة ، رحمك الله أفسدت عَلَيّ بيعى . فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] يقول« لاَيَحِلُّ لأَحَدٍ يَبِيعُ بَيْعاً إِلاَّ أَنْ يُبَيِّنَ آفَتَهُ ،ولاَيَحِلُّ لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلاَّ تَبْيِينُهُ »فقد فهموا من النصح أن لايرضى لأخيه إلا مايرضاه لنفسه ، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات ، بل اعتقدوا أنه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم . وهذا أمر يشق على أكثر الخلق ، فلذلك يختارون التخلى للعبادة والاعتزال عن الناس ، لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة ، مجاهدة لايقوم بها إلا الصديقون

ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بان يعتقد أمرين

أحدهما:أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لايزيد فى رزقه ، بل يمحقه ويذهب ببركته.

---

(١) حديث مر برجل يبيع طعامافأعجبه فأدخل يده فرأى بللافقال ماهذا الحديث: مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث جرير بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل: مسلم متفق عليه

(٣) حديث واثلة لايحل لأحد يبيع بيعا إلا بين مافيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه: الحاكم وقال صحيح الأسناد والبيهقى

وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة . فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ، ويخلط بلبنها الماء ويبيعه ، فجاء سيل فغرّق البقرة . فقال بعض أولاده ، ان تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن ، اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة . كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] «الْبَيِّعَانِ إِذَا صَدَقَا وَنَصَحَا بُورِكَ لَهُمَا فِى بَيْعِهِمَا. وَإِذَا كَتَمَا وَكَذَبَا نُزِعَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» وفى الحديث «[2] يَدُ اللهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا فَإِذَا تَخَاوَنَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُمَا » فاذا لايزيد مال من خيانة ، كما لا ينقص من صدقة : ومن لايعرف الزيادة . وَالنقصان إلا بالميزان ، لم يصدق بهذا الحديث . ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان فى الدنيا والدين ، والآلاف المؤلفة قدينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها ، بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه أصلح له فى بعض أحواله ، فيعرف معنى قولنا: ان الخيانة لاتزيد فى المال ، والصدقة لا تنقص منه

والمعنى الثانى الذى لابد من اعتقاده ليتم له النصح ، ويتيسر عليه، أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا . وان فوائد أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر ، وتبقى مظالمها وأوزارها . فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، والخير كله فى سلامة الدين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] « لاَتَزَالُ لاَإِلَهَ إِلاَّ اللهُ تَدْفَعُ عَنِ الْخَلْقِ سُخْطَ اللهِ مَا لَمْ يُؤْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ » وفى لفظ آخر « مَا لَمْ يُبَالُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ بِسَلاَمَةِ دِينِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى كَذَبْتُمْ لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ » وفى حديث آخر [4] « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصاً دَخَلَ

---

(١) حديث البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما ـ الحديث: متفق عليه من حديث حكيم بن حزام

(٢) حديث يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما: أبوداود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الأسناد

(٣) حديث لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على اخراهم ـ الحديث أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وفى رواية للترمذى الحكيم فى النوادر حتى اذا نزلوا بالمنزل الذى لايبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم ـ الحديث والطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف أيضا

(٤) حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله: الطبرانى من حديث زيد بن أرقم فى معجمه الكبير والأوسط باسناد حسن

الْجَنَّةَ » قيل وما اخلاصه ؟ قال « أَنْ يُحْرِزَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ »وقال أيضا « مَا آمَنَ بِالْقُرْءانِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ » ومن علم أن هذه الامور قادحة فى ايمانه ، وان ايمانه رأس ماله فى تجارته فى الآخرة ، لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له ، بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة

وعن بعض التابعين أنه قال ، لو دخلت الجامع وهو غاص بأهـله ،وقيل لى مَن خير هؤلاء ؟ لقلت مَن أنصحهم لهم ؟ فاذا قالوا هذا ، قلت هو خيرهم . ولو قيـل لى من شرهم ؟ قلت مَن أغشهم لهم ؟ فاذا قيل هذا ، قلت هو شرهم

والغش حرام فى البيوع والصنائع جميعا . ولاينبغى أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه . بل ينبغى أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب . فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سـالم فقال ، كيف لى أن أسلم فى بيـع النعال ؟ فقال اجعل الوجهين سواء ، ولا تفضل اليمنى على الأخرى ، وجوّد الحشو ،وليكن شيئا واحدا تاما ، وقارب بين الخرز ، ولا تطبق احدى النعلين على الأخرى . ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين ، قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه، وانما يحل للرفاء اذا علم أنه يظهره ، أو أنه لا يريده للبيع

فان قلت:فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان أن يذكر عيوب المبيع

فأقول: ليس كذلك.اذ شرط التاجر أن لا يشترى للبيع إلا الجيد الذى يرتضيه لنفسه لو أمسكه. ثم يقنع فى بيعه بربح يسير ،فيبارك الله فيه ،ولا يحتاج الى تلبيس .وانما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالربح اليسير ، وليس يسلم الـكثير إلا بتلبس . فمن تعود هذا لم يستر المعيب ، فان وقع فى يده معيب نادرا فليذكره ، وليقنع بقيمته . باع ابن سيرين شـاة ، فقال للمشترى ،أبرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها . وباع الحسن بن صـالح جارية ، فقال للمشترى ، انها تنخمت مرة عندنا دما .

فهكذا كانت سيرة أهل الدين ، فمن لا يقـدر عليه فليترك المعاملة ، أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة .

(الثالث) أن لا يكتم فى المقدار شيئا ، وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه . وفى الكيل

فينبغي أن يكيل كما يكتال . قال الله تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ [١]) ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا أعطى وينقص اذا أخذ . اذ العدل الحقيق قلما يتصور . فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان ، فان من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه . وكان بعضهم يقول ، لاأشترى الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة ، واذا أعطى زاد حبة . وكان يقول ، ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض . وما أخسر من باع طوبى بويل . وانما بالغوا فى الاحتراز من هذا وشبهه ، لأنها مظالم لايمكن التوبة منها . اذ لايعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم . ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ [١] قال للوزان لما كان يزن ثمنه « زِنْ وَأَرْجِحْ »

ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ، ويزيل تكحيله وينقيه حتى لايزيد وزنه بسبب ذلك . فقال يابنى فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة . وقال بعض السلف ، عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو ، يزن ويحلف بالنهار ، وينام بالليل . وقال سليمان عليه السلام لابنه ، يابنى كما تدخل الحبة بين الحجرين ، كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين. وصلى بعض الصالحين على مخنث ، فقيل له انه كان فاسقا ، فسكت، فاعيد عليه ، فقال كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين ، يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر . أشار به الى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى ، وهذا من مظالم العباد . والمسامحة والعفو فيه أبعد . والتشديد فى أمر الميزان عظيم ، والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (لَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِاللِّسَانِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) أى لسان الميزان ، فان النقصان والرجحان يظهر بميله

وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو فى كلمة ، ولاينصف بمثل ما ينتصف ، فهو داخل تحت قوله تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ [١]) الآيات.

---

(١) حديث قال للوزان زن وأرجح اصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم

---

(١) المطففين : ١ - ٢ - ٣

فان تحريم ذلك فى المكيل ليس لكونه مكيلا ، بل لكونه أمرا مقصوداً ترك العدل والنصفة فيه . فهو جار فى جميع الاعمال . فصاحب الميزان فى خطر الويل ، وكل مكلف فهو صاحب موازين فى أفعاله وأقواله وخطراته ، فالويل له ان عدل عن العدل ، ومال عن الاستقامة . ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً [1])فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة . الا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما . فلذلك تتفاوت مدة مقامهم فى النار الى أوان الخلاص، حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ، ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين . فنسأل الله تعالى أن يقرب بنا من الاستقامة والعدل ، فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه ، فانه أدق من الشعرة وأحد من السيف . ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار ، الذى من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف . وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط .

وكل من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين فى الكيل . وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين فى الوزن. وقس على هذا سائر التقديرات حتى فى الذرع الذى يتعاطاه البزاز ، فانه اذا اشترى أرسل الثوب فى وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتا فى القدر. فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل

الرابع أن يصدق فى سعر الوقت ولا يخفى منه شيأ .فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن تلقى الركبان ونهى [2] عن النجش .

أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرفقه ويتلقى المتاع ، و يكذب فى سعر البلد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « لَا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ» ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق. وهذا الشراء منعقد ، ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار . وان كان صادقا ففى الخيار خلاف ، لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس . ونهى أيضا [3] أن يبيع حاضر لباد

---

(١) حديث النهي عن تلقي الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة

(٢) حديث النهى عن النجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبى هريرة

(٣) حديث النهى عن بيع الحاضر للبادى متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة وأنس

---

[1] مريم ٧١

وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع الى بيعه ، فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره . وهذا فى القوت محرم . وفى سائر السلع خلاف . والأظهر تحريمه لعموم النهى ، ولانه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش ، وهو أن يتقدم الى البائع بين يدى الراغب المشترى ، ويطلب السلعة بزيادة ، وهو لايريدها ، وانما يريد تحريك رغبة المشترى فيها . فهذا ان لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه ، والبيع منعقد . وان جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف والأولى اثبات الخيار ، لانه تغرير بفعل يضاهى التغرير فى المُصَرّاة وتلقى الركبان

فهذه المناهى تدل على أنه لايجوز أن يلبّس على البائع والمشترى فى سعر الوقت ، ويكتم منه أمر الوعامه لما أقدم على العقد . ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة ، وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر . فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة ، فاشتر السكر . قال فاشترى سكرا كثيرا ، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا . فانصرف الى منزله فافكر ليلته ، وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين . فلما أصبح غدا الى بائع السكر ، فدفع اليه ثلاثين ألفا ، وقال بارك الله لك فيها . فقال ومن أين صارت لى ؟ فقال انى كتمتك حقيقة الحال ، وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت ، فقال رحمك الله قد أعلمتنى الآن ، وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله ، وتفكر وبات ساهراً ، وقال ما نصحته ، فلعله استحيا منى فتركها لى . فبكر اليه من الغد ، وقال عافاك الله ، خذ مالك اليك ، فهو أطيب لقلبى . فأخذ منه ثلاثين ألفا

فهذه الاخبار فى المناهى والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة ، وينتهز غفلة صاحب المتاع ، ويخفى من البائع غلاء السعر ، أو من المشترى تراجع الاسعار . فان فعل ذلك كان ظالما ، تاركا للعدل والنصح للمسلمين

ومهما باع مرابحة ، بان يقول بعت بما قام علىّ ، أو بما اشتريته ، فعليه أن يصدق . ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ، ولو اشترى الى أجل وجب ذكره . ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره . لأن المعامل يعوّل على عادته فى الاستقصاء أنه لايترك النظر لنفسه ، فاذا تركه بسبب من الأسباب فيجب اخباره ، اذ الاعتماد فيه على أمانته

فهرست الجزء الرابع

الصفحة

الصفحة





